"إنه لأمر رائع أن ترتجف من الفزع. هذا الشعور؛ الإفلات من الموت بأعجوبة"

CRIME SERIES

الروليت الروسي

رافاييل مونتيز

ترجمة: آمال الدسوقي

روايات مترجمة

فريق متميزون
E-BOOK

العربي للنشر والتوزيع

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

الروليت الروسي

"إنه لأمرٌ رائع أن ترتجف من الفزع، هذا الشعور؛
الإفلات من الموت بأعجوبة"

رواية مترجمة..

رافاييل مونتيز
ترجمة: آمال الدسوقي

المقدمة

الأحد الموافق 7 سبتمبر 2008، الساعة السادسة إلا ربع مساءً.

بحثتُ قبل مجيئي إلى هنا عن اسم "Cyrille". إنها كلمة فرنسية من الأصل اليوناني "Kýrillos"، والتي تعني "السلطة المطلقة". أعتقد أن الإنسان هو الذي يملك السلطة المطلقة. أقول هذا لأن الـ"Cyrille" الوحيد الذي عرفته خلال العشرين عامًا التي عشتها كان - في الحقيقة - منزلًا، "منزل سيريل". في الواقع إنه اسم ليس تقليديًّا بالنسبة إلينا، ليس فقط بسبب تركيبته الغريبة التي تمزج بين اللغة الفرنسية والإنجليزية، لكن بسبب وجوده هنا قرب خط الاستواء بجنوب شرق البرازيل.

من حسن الحظ، يتضح كل شيء عندما تعرف صاحبة المنزل؛ "ماريا كلارا" أو "ماري كلير" كما تفضِّل أن نناديها. إنها تفضل استخدام اسم المجلة العالمية Marie Claire بدلًا من اسمها الحقيقي، لتثبت للناس أنها ليست مثل النساء الأخريات. وبالنسبة إلى كل الأثرياء الذين لديهم أكثر من سبعة أصفار في حسابهم المصرفي، تُعدُّ "ماريا" من الأثرياء الجدد. وكان الاسم الفرنسي للمنزل هو الآخر انعكاسًا لشخصيتها الغريبة.

لا أستطيع تذكر أول مرة دخلتُ فيها «منزل سيريل». كان عمري ثمانية أشهر، وينحصر عالمي حينها بين الرضاعة والمهد و»جوجو دادا»، الكلمات الأولى التي نطقت بها.

كانت أمي صديقة مقرَّبة لـ»ماريا»، وكانتا تعيشان معًا في رفاهية بنمط المجتمع الراقي في بلد متخلف في الأساس: بيوت تحمل أسماء أصحابها، سيارات مصفحة، ومربيات أطفال يرتدين زيًّا موحدًا ويؤدين أعمالهنَّ بطريقة مثل الإنسان الآلي لرعاية الأطفال.

في ذلك الوقت، لم يكن المنزل مهمًّا بالنسبة إليَّ. كل ما كنت أفعله وقتها هو الجري في الممرات وتلاحقني إحدى الخادمات البائسات اللاتي يتقاضين راتبًا زهيدًا. ثم أبكي لأنني أريد اللعب في الحديقة، وبعدها أبكي لأنني تشاجرت مع «زاك». أعتقد أن طفولتي قد تتلخص في البكاء، ليس حزنًا، لكنني كنت أبكي متعمدًا، لكي أحصل على ما أريده. كنت سعيدًا هكذا.

فقط في سن الثالثة، بدأت بنية المنزل تجذبني، فرسمت له خريطة في عقلي الطفولي؛ لم تعد هناك بوابة حديدية. ويوجد طريق يصل إلى المنزل الكبير والحديقة الكبيرة بما فيها من ألعاب حيث كنت ألعب مع "زاك"، والحديقة الأخرى الوسطى الموجودة في المدخل بمواجهة الشرفة. من الداخل، كان بالمنزل عدد كبير من الغرف، والحمامات، والمطابخ،

والصالونات. كان المنزل يتسع لعشرين أسرة. لكن "منزل سيريل" كان المنزل الريفي لعائلة "فاسكونسيلوس" فقط، وتستقبل فيه الأصدقاء في إجازة شهر يوليو.

تبدو الحكاية كلها كقصة للأطفال:

يُحكى أنه كانت هناك فتاة تُدعى "ماريا كلارا"، وهي ابنة أسرة فقيرة من شمال شرق البرازيل. ذات مرة تعرَّفت رجل الأعمال "جيتوليو فاسكونسيلوس"، عندما كانت ترتب غرفته في أحد الفنادق. أحب كلاهما الآخر وتزوجا بعد شهرين. وتغير اسمها من "ماريا كلارا" إلى "ماري كلير". ثم جاء ولي العهد "زاك". وهو اسم أجنبي، اختارته من دون شك لكي يظن المتطفلون أنه من أصول نبيلة. وأصبحوا منذ ذلك الوقت سعداء إلى الأبد: "منزل سيريل وماري كلير وزاك". ولولا الخوف من تعرضهم لإحدى حوادث الاختطاف لأصبحوا العائلة المثالية في "مرتفعات بيفرلي".

لم يكن لديَّ أدنى شك أن "ماريا" يمكن أن تعيش حياة أكثر سعادة. فقد كانت تعيش في بلد كرة القدم والكرنفالات ومشروب الـ"كايبيرينيا".

من المدهش أن ندرك كيف مر الوقت؛ فعندما كنت أنا و"زاك" في سن التاسعة استمتعنا بتحليق الطائرة الورقية، ولعبنا ألعاب الفيديو، والكرة في الحديقة. ومع مرور الوقت أصبح "زاك" الآن نموذجًا مثاليًّا للابن المدلل الذي تربَّى في جنوب ريو دي جانيرو؛ يلبس الماركات عالمية، ويقود سيارة أحدث موديل، ماركة "تويوتا هايلوكس" لونها فضي، فيثير الفتيات في الكلية.

أما أنا الطالب المجتهد فقد أصبحت أذكى شخص في المجموعة، ذلك الذي يحب الكتابة ومعجب بالسينما القومية، ويؤمن بأن "ماشادو ده أسيس" هو عبقري الأدب البرازيلي. الغريب أن صداقتنا استمرَّت. بصرف النظر عن المرات التي حاول فيها القدر قطع الخيط الذي ربطنا ببعضنا، فإن روابط طفولتنا لم تنقطع مطلقًا..

اليوم، كانت أول مرة تطأ فيها أقدامنا "منزل سيريل" من دون أُمَّينا. هذه المرَّة كانت مختلفة أيضًا، فلم نذهب إلى اللهو أو ركوب الأرجوحة أو السباحة وأُمَّانا تتحدثان عن أحدث صيحات الموضة في باريس.

في تلك المرة ذهبنا إلى شيء أكثر جدية. فقد قررنا أن ننتحر.

1

من مذكرات «أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو»

قضية «منزل سيريل»، رقم: 15634-0506-08

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: “جوزيه بيريرا أكينو”، قسم 12 للأحوال المدنية بـ”كوباكابانا”.

الخميس الموافق 5 يونية 2008

“أيها السادة، مطلوب تقديم بحث خلال الأسبوع القادم حول كتاب “المراقبة والمعاقبة” لـ”ميشيل فوكو”. بناءً على ما درسناه هذا الأسبوع من مبادئ. يمكنكم تقسيم أنفسكم إلى أربع أو خمس مجموعات”.

أحيانًا أتساءل لماذا اخترت أن أدرس القانون. توجد أشياء أخرى جميلة في الحياة يمكن دراستها مثل: السينما، فن الأداء، والآداب...

وقبل أن تسألوا، نعم دراسة القانون تستحق.

أحب الفلسفة، لكن لم أرد أن أكون فيلسوفًا أبدًا. ما الفائدة من إجهاد عقلي في التفكير وينتهي بي المطاف إلى أن أكون مجرد موضوع لبحث جامعي وتُجرى خمسة أو ستة أبحاث عن عملي؟ لا.. شكرًا جزيلًا. أفضِّل أن أكسب لقمة عيشي كموظف عام لديه: الاستقرار، وراتب جيد، وآلاف المميزات الأخرى التي حفظّتني إياها والدتي.

- هل تعرف ذلك الاسم المكتوب هناك يا “أليس”؟

بينما كنت أضع الدفتر في الحقيبة لم أر من هو الذي يقصده “زاك” بقوله “ذلك الاسم المكتوب هناك”. وأمام تعبير وجهي الذي يدل على عدم معرفته، عاد “زاك” ليشير إلى السبورة السوداء مرةً أخرى.

(بحث عن “فوكا” يُقدَّم يوم 06/12)

سألته:

- ألا تعرفه؟

بحق السماء، كيف لطالب في السنة الرابعة بكلية الحقوق ألَّا يعرف من هو “ميشيل فوكو”؟!

لكن “زاك” عمل هذا العمل الفذ، إذًا فهو ممكن. شمَّر عن ساعده الأيمن ليظهر عضلاته وظل ينظر إليَّ وكان ينتظر إجابة. فأجبته: - إنني أعرفه.

في الواقع، لم يكن خطأ “زاك” في عدم معرفة “فوكو”. بل كان خطأ الأستاذ العجوز؛ فعلى الرغم من أنه حاصل على العديد من الشهادات العلمية من بينها الدكتوراة، فقد كان أحمق بما يكفي ليخطئ في كتابة “فوكو”. يا له من جاهل حقًّا! على الأقل كان “زاك” زميلي في الجامعة وما زالت معلوماته محدودة.

- هيا نعمل معًا.

أومأتُ بالموافقة. فقد كان بيننا اتفاق؛ يساعدني “زاك” في تعرف الفتيات، وأساعده أنا في أبحاث الكلية. نعم، هذا عدل.

أصبحت القاعة خاوية بالفعل، كنت دائمًا آخر من يغادر. كان سحَّاب الحقيبة لا يعمل. جاءت فتاة ذات شعر وردي ومضفَّر على طريقة السبعينيات، ووجه رفيع وبشرة بيضاء وعينين فاتحتين، كانت ترتدي بلوزة بيج وبنطالًا أسود طويلًا بما يكفي لتغطية الوشم الذي على جسدها، وسألتني: - هل يمكنني العمل معكم؟

كانت تجلس دائمًا في آخر القاعة ونادرًا ما كانت تطرح الأسئلة. عرفت اسمها من خلال بعض الأساتذة ممن لديهم صبر ويناودنها: “ريتا أنتونيس بيشوتو”، أو “ريتينيا” كما يناديها المقرَّبون منها.

لم يعنني أنا و”زاك” هذا الأمر. لكنه أجابها وهو ينظر إليَّ قائلًا: - نعم، يمكنك.

لم يرفع عينيه عني، وابتسم كأنه يبعث إليَّ رسالة: “لم أضاجعها بعد، لكنني سأفعل!”.

لم يكن ذلك شيئًا جديدًا. لذلك شكرته الفتاة ببرود، كانت تعرف منذ البداية أننا سنقبل. من الواضح أنه لم يرفض لها أحد طلبًا طوال الثمانية عشر أو التسعة عشر عامًا من حياتها.

- سوف نعمل اليوم في المنزل. أليس كذلك يا “أليس”؟

نظر إليَّ منتظرًا إيماءة. لقد فعلت. ظل “زاك” متلهفًا إلى معرفة رأي “ريتينيا”. فأومأت بلا مبالاة.

في النهاية، ما المشكلة في وجودها بشقة غريبة مع شابين لعمل بحث عن “فوكو”؟ لا شيء.

- عيد ميلادي يوم الخميس الموافق 12.

علقت وهي تمسك شعرها الناري قائلةً:

- هذا البحث الشنيع سيكون هدية عيد ميلادك.

ثم ضحكت على أمل أن نشاركها تلك المزحة. لكننا بقينا صامتين. سألتُ بكل براءة: - من سيكون الشخص الرابع معنا؟

- من الممكن أن يكون أنا؟

جاء هذا الصوت الذكوري من خلفي. كان جادًّا وغاضبًا ومجنونًا بعض الشيء، لم أكن في حاجة إلى الالتفات لمعرفة صاحبه. فقد سأل هذا المتعوس منذ دقيقة سؤالًا أحمق في المحاضرة. وعبَّرت تلك الابتسامة الصفراء على وجه "زاك" عن قبوله ضمن المجموعة. ثلاثة رجال وامرأة؟ لن يفلح الأمر.

وافقت "ريتينيا" كما لو كان الأمر كله سيجري في شقتها، وقالت: - نعم، يمكنك يا "نويل".

كان "نويل" هو أول من تعرفتُه في الكلية، في أثناء ذلك الوقت اليائس في أولى أيام الجامعة، حيث كنَّا نتعرف أصدقاءً كثيرين كما لو كنَّا نجمع الملصقات. اعتبرته صديق العمر منذ الأسبوع الأول. ذات مرة كنَّا نمزح، وكنت غبيًّا جدًّا عندما حاولت الدفاع عنه في موقف مثير للسخرية، وتضرَّرت أنا في النهاية. هذه هي الحياة.. مجرد شهرين أو ثلاثة تكفي ليتضح أن "نويل" ليس هو الصديق الجيد؛ كانت الفتيات يهربن منه، وأنا أيضًا هربت.

كان مثيرًا للاشمئزاز بسبب النمش الذي يملأ وجهه، والنظارة الصغيرة التي تنزلق على أنفه المدبب، وشعره المجعد المتدلي بشكل مزعج على جبينه..

وافق "زاك" بجفاء شديد قدر المستطاع:

- نعم.

غالبًا ما تكون رحلات السيارات - حتى القصيرة منها - مُحرجة، لأن فكرة عدم رؤية وجه الآخر دائمًا ما يُعيق المحادثة. نتحدث في البداية عن الطقس، ثم عن دوري كرة القدم. لكن سرعان ما يتضح أنه من الأفضل أن تشغل الراديو وتنتظر حتى تصل إلى وجهتك.

نظرًا إلى أنني كنت أنا و"زاك" وحدنا في سيارته الـ"تويوتا هايلوكس" فقد أصبحت محادثتنا جادة ومثمرة.

قال "زاك":

- أشفق على "نويل"، إنه مسكين.

- وأنا كذلك.

كنت أنظر إلى مرآة الرؤية الخلفية للسيارة، كنت أراه وراءنا، يتبعنا بسيارته الزرقاء الصغيرة، ومعه "ريتينيا" جالسة في مقعد الراكب، تخيَّلت حينها مشهدًا في خيالي، ليس فقط لأن المنظر كان يذكِّرني بفراشة تلاحق فيلًا، بل لأن جدي كانت لديه سيارة مثلها باللون ذاته.

- بالتأكيد لم يُقِمْ أي علاقة جنسية من قبل.

أراد "زاك" أن يغيِّر الموضوع، فسأل وهو منتبه إلى الطريق أمامه: - هل شاهدت مباراة أمس لفريق "فلومينينسي"؟

- تعلم أنني لا أحب كرة القدم.

- والسينما؟

- ليس لديَّ مال كي أفكر فيها.

ساد الصمت، ثم قال:

- انتهى الأمر. هيا نشغل الراديو.

أغنيتين لـ"كايتانو" ثم أغنية لـ"إلزا سواريس" بعدها وصلنا إلى منزله.

عندما تدخل شقة "زاك" أول مرة، تعتقد أنه يعيش داخل علبة كبريت. لكنني ذهبت إلى هناك مرات عدَّة، لذلك بدأ هذا الشعور بالاكتئاب يتلاشى بالفعل. وعلى الرغم من ذلك أحمل معي دائمًا بعض البسكويت في جيبي، لربما أتوه في هذه المغارة الخرسانية لمدة أسبوع.

المزية الكبرى للعيش في مثل هذه الشقة الكبيرة هي وجود بهو واسعة، تسمع بها صدى الصوت. بالإضافة إلى أنها ترفع من شأن صاحبها في نظر الفتيات بالطبع. وكان "زاك" على دراية بكيفية استغلال هذا المنزل الراقي.

حينئذٍ خرجت تلك الكلمات من فم "ريتينيا" وكأنها شِعر: - واو! واو! يا له من بهو واسع جدًّا!

تُضيف اللوحات العتيقة وبعض الوسائد لمسة عصرية للمكان، ومريحة في الوقت ذاته. تُكمل الطاولة داكنة اللون مع السجادة الأنيقة، الصورة التي فكر فيها مهندس الديكور الشهير الذي اُختير خصوصًا لتصميمها.

سأل "نويل":

- أين والداك؟

كان سؤالًا منطقيًا في هذه اللحظة. فمن الممكن أن يكونا بالقرب منَّا، يتحدثان في المطبخ.

- مسافران.

فكرت في أن أكمل حديثي لتغيير الموضوع، لكنني لم أنطق وسحبت كرسيًّا، لم أعرف لماذا طرأت صورة السيارة الخنفساء الزرقاء على ذهني. نظرًا إلى ثقل الكرسي، يمكنني أن أقول إنه أغلى من تلك السيارة الخنفساء، فهو مصنوع من خشب قوي.

تخيَّلتُ كيف كان يشعر "نويل". بالطبع شعر بالضيق. أنا متأكد من أنه لو كان متدينًا، سيفقد إيمانه بالقديسين. أين العدالة؟! سيارة خنفساء مقابل "هايلوكس"! وعلبة كبريت مقابل ذلك البهو! أين العدالة الإلهية في خلق كل من "زاك" و"نويل". كلنا نعلم أن "نويل" مجنون ليقع في حب "ريتينيا"، ونعلم أيضًا أنه لن يحصل عليها. ونحن الأربعة نعلم أنها مغرمة بـ"زاك". وقد أدركتُ من نظراتها أنها كانت ستخلع ملابسها، وتضاجعه هناك لولا وجود "نويل" القذر. كنت أعلم أنه سيعيق كل شيء.

سألتْ:

- أيمكنني الجلوس؟

- بلى!

إذا كانت "ريتينيا" تبحث عن فارس أحلامها، فمن الأفضل لها أن تصطاده من مكان آخر. لن يكون "زاك"، حتى إذا ظلت واقفة أو جالسة أو متدلية من الثريا الكريستالية.

بينما كان الجميع يستريحون، أخرجت من الحقيبة كتاب "المراقبة والمعاقبة" الذي اشتريته بعشرة ريالات برازيلية من المركز. سأل "نويل" وهو يدعك أنفه، قائلًا: - هل قرأت هذا كله؟

- نعم، قرأته.

وسأل مرة أخرى خوفًا من أن يكون هو الوحيد الذي لم يقرأ الكتاب، فقال: - هل قرأه شخص آخر؟

كنت أنا الوحيد الذي يعلم ما بداخل الكتاب. خلع "زاك" حذاءه الرياضي، ووضع قدميه على الطاولة، وسأل: - هل هذا ما يجب أن نفعله؟

ظل مسترخيًا على الكرسي مثل المهراجا الهندي. ثم قالت "ريتينيا": - البحث؟ هل هذا ما تقصده؟

قال صديقي وهو يلعب بالقلم الرصاص بين أصابعه الطويلة: - يبدو مملّا.

كي أغير الموضوع، قلتُ:

- سأذهب لحضور حفل رقص “Rave” يوم السبت، أترغبون في المجيء معي؟

ردت “ريتينيا” قائلةً:

- لا، إنه ميعاد غير مناسب.

وشرحت السبب، وهي تضع ساقًا على الأخرى وتتفاخر بأردافها قائلةً: - لأنه يوم عيد ميلادي. سيأتي بعض أقاربي غدًا من الجنوب لرؤيتي. سيقضون أسبوعًا. عماتي الكبار وأولاد العم المملون.

سألها “زاك” قائلًا:

- هل ستقيمين حفلًا؟

- لا.

- وأنت يا “أليس”، هل يمكنك أن تأتي معي إلى الحفل يوم السبت؟

كانت إجابتي بالنفي هادئة:

- أنا؟ أحضر حفلًا؟ من أين لك هذا؟

جادل “زاك” قائلًا:

- يا “أليس”، سيأتي جمهور عظيم، يجب أن تأتي.

قررت عدم الرد. فالتجاهل في هذه الحالات هو الحل الأفضل.

قال “نويل” بتلقائية:

- ربما أوافق.

كان هذا سببًا آخر لعدم ذهابي. وبسبب الهدوء الذي ساد، فكَّرتُ أنه من الأفضل أن نبدأ العمل. كنت أعلم أنه سرعان ما سيتوقف بسبب موضوع تافه. لكن المحاولة لن تكلِّفنا شيئًا.

- كتب “فوكو” عن نظام العقوبات. يرى أنه كانت هناك تحولات على كلا الصعيدين الأوروبي والعالمي في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن...

قاطع “نويل” الحديث وهو يلعب بسلك الدفتر، قائلًا: - ألا يزال هذا الرجل على قيد الحياة؟

نظرًا إلى أننا لم نكن في قاعة محاضرات، أردتُ أن أقول له إنني لن أتسامح مع أسئلته الغبية. لكنني - بصبر - وجَّهتُ نحوه الغلاف الخلفي للكتاب حيث السيرة الذاتية للرجل، وقلت: - اقرأ بصوت عالٍ، يا فضولي.

بدا "نويل" وكأنه لا يهتم بكلمة "فضولي"، لأنه حقًّا هكذا.

- "ميشيل فوكو"، توفي بسبب مرض الإيدز في سن السابعة والخمسين..

رفع عينيه عن الكتاب ونظر إليَّ بابتسامة ساخرة وقال: - توفي بسبب مرض الإيدز، لا بدَّ أنه كان مثليًّا.

طلبت منه أن يعيد لي الكتاب، وأجبته:

- نعم. كان مثليًّا.

لكنه استمر في القراءة بصوت عالٍ:

- كان هناك ضغط شديد لا يطاق على الصبي في منزله. قبل وفاته بقليل، حكى الفيلسوف أنه عندما كان طفلًا، أخذه والده إلى جرَّاح كي يختنه. عندئذ تحوَّلت حياته إلى جحيم. حتى إنه - بعد سن العشرين بقليل - حاول الانتحار مرَّات عدَّة. وفي ذلك الوقت بدأ إدمانه للكحول.

قال "زاك":

- نعم.. كان الرجل مجنونًا حقًّا.

دافع "نويل"، وهو يأمل أن نقبل تعليقه السخيف، قائلًا: - ليته انتحر.. على الأقل لن يكون هناك بحث نقدِّمه.

نفد صبري، وأخذتُ الكتاب من يده. فعاد يلهو بسلك الدفتر مثل الأطفال.

كان "زاك" و"ريتينيا"، منذ وقت طويل، يعيشان جوًّا من الرومانسية، وهما يتبادلان النظرات والابتسامات وتتشابك أرجلهما تحت الطاولة. كنت متوقعًا أنهما سيلقيان الأوراق على الأرض ويفعلان كل شيء هنا أيضًا.

سأل "نويل" مقررًا عمل أي شيء آخر غير بحث الكلية، قائلًا: - لمَّا كنَّا نتحدث عن الانتحار، هل قرأتم الخبر الذي نُشر في الجريدة؟

أظهرت "ريتينيا" بعض الاهتمام الحقيقي بالموضوع، وسألتْ: - أتقصد "الروليت الروسي"؟

إن اهتمام الإنسان بمصائب الآخرين لشيء مثير للدهشة.

من الشائع أن تقرأ أن “فولانينيو” تزوج “بيلترانينيا” وأنجبا أطفالًا. لكن تصبح الجريدة أكثر مبيعًا، عندما يقتل “فولانينيو” “بيلترانينيا” ثم ينتحر.

تصدَّر ذلك الخبر الصحف خلال الأسبوع الماضي. إذ وجد شخص تعيس الحظ، مسدس والده فوق الدولاب، وعرض اللعبة على ثلاثة أصدقاء. كانت خزينة المسدس بها رصاصة واحدة فقط. وافق الجميع على الفكرة وكانت النتيجة ثلاثة قتلى وسجين.

ردت “ريتينيا” قائلة:

- إنه أمر مروع، أليس كذلك؟

قال “زاك”:

- إنه على النمط الأمريكي.

لم يوافقه “نويل” قائلًا:

- لا، بل كانوا فرنسيين.

أكدت “ريتينيا” قائلةً:

- كانوا أمريكيين.

- كانوا فرنسيين. وماتوا في مدينة “بوسطن”! لقد قرأتُ الجريدة!

- لا أعلم أين ماتوا. لكنني أعلم أنهم كانوا رجالًا فرنسيين.

يعجبني هذا النوع من الجدال. تُقاس قوة مناقشة وجهة نظرك بمدى القوة التي تنطق بها.. فرنسيون.. أمريكان.. فرنسيون.

أنهت “ريتينيا” كلامها باسترضاء الكل قائلةً:

- إذًا هم فرنسيون قرروا أن ينتحروا في أمريكا.

قال “زاك”:

- لديَّ الجرائد بكل التقارير في الغرفة هناك. سأبحث فيها لتوضيح ذلك، هلَّا أتيتِ معي يا “ريتينيا”؟

- على الفور.

كانت هذه فرصة للاثنين لترك المناقشة والهروب لممارسة الجنس. وعاد “نويل” يلعب في سلك الدفتر، يبدو أنه يسلي نفسه وهو يحدث صوتًا مزعجًا بتمرير إصبعه عليه غير مدرك ما يحدث حوله.

-

أمسكت "ريتينيا" يد "زاك" ومشت معه عبر الممرات.

انتهزتُ الفرصة لمحاولة ترتيب أفكار البحث في عقلي. في الواقع إنني رسمتُ الفكرة في رأسي منذ أن اقترحه الأستاذ.. ولا ينقصني إلا أن أضعها على الورق. مع صوت اصطدام مياه البحر بالرمال بالخارج بلطف، بدأت أرسم الخطوط الأولى للبحث. بعد ذلك، خلال المراجعة مدة خمسة عشر دقيقة، صححت بعض الأجزاء ووصلت إلى الشكل النهائي.

بعد الخروج من حالة اللامبالاة، أدرك "نويل" عدم وجود ملهمته، وسأل: - مهلًا. أين هم؟

- إنهم في الغرفة. ذهب "زاك" للبحث عن الجرائد التي نشرت خبر "الروليت الروسي".

فكرت أن أضيف: "منذ أربعين دقيقة"، لكنه قد يشك. أردتُ أن أتجنب مضايقته بلا داعٍ. لكن الكتمان لم يطل. على الرغم من أنني حاولت عدم الإفصاح لـ"نويل"، فإن أصوات "ريتينيا" عبر الممرات قد فضحتها. وسمعنا في البهو صدى صوت لآهات تتابعت كالنغمات واختلطت بصوت مياه بحر "إيبانيما" من بعيد.

- إنهم...

لم يكمل "نويل" الجملة ووضع يديه على وجهه، وهو شبه ساخط وغاضب. حينئذ نهض فجأةً ليرحل في الحال.

لستُ منجِّمًا ولا ألعب بورق التاروت، لكن كل شيء انتهى كما توقعت تمامًا؛ "زاك" و"ريتينيا" معًا، وخرج "نويل" غاضبًا، وبقيت أنا أعمل بمفردي في البحث الملعون حول "فوكو".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

من التسجيلات الصوتية لاجتماع أمهات المنتحرين.

المنعقد في 9/10/2009

في قاعة اجتماعات رئاسة الشرطة المدنية.

قضية "منزل سيريل".

الشرطية المسؤولة: "ديانا كوستوديو جيمارايش".

المدة: 6 ساعات و23 دقيقة و41 ثانية.

(صمت)

"ديانا":

- في التاسع من أكتوبر عام 2009. الساعة الرابعة واثنين وثلاثين دقيقة عصرًا. تُعقد جلسة توضيحية حول قضية "منزل سيريل"، أنا الشرطية "ديانا كوستوديو جيمارايش". هذه الجلسة مسجَّلة، هل هناك أي اعتراض؟

(صوت تشغيل المسجل بالقاعة)

"ديانا":

- حسنًا. (صمت) بحضور كل من "روزا فلويتز"، "سونيا كاسترو دي ميندوثا"، "ريبيكا أماراو فييتوزا"، "ديبورا بارينتوني كارفاليو"، "أماليا دا سيلفا جوانابارا"، "أوليفيا أزامبوجا"، و"فانيا أنتونيس بيشوتو"؛ أمهات ضحايا الحادث الذي وقع في 7 سبتمبر 2008. من المتوقع أن تستمر هذه الجلسة إلى أربع ساعات. هل لديكنَّ أي تعليق أو اعتراض؟

(صوت كراسي)، (هدوء.. ثلاث ثوانٍ) "ديانا":

- قبل كل شيء، أودُّ أن أنعى ضحاياكنَّ. (صمت) أعتقد أنه بعد مرور عام، قد برد ألمكنَّ بالفعل. هذه الجلسة كانت مقرَّرة..

ردَّت "ريبيكا" بصوت باكٍ:

- لم تبرد! أنتِ تعلمين ماذا يعني فقدان ابنة.

"ديانا":

- بالتعاون مع الشرطة المدنية لولاية "ميناس جرايس"، تعقد رئاسة الشرطة المدنية بولاية "ريو دي جانيرو" هذه الجلسة. نجتمع اليوم لإزالة الغموض حول

الحادث الواقع في السابع من سبتمبر من العام الماضي. كما نعلم، اجتمع تسعة شباب في "منزل سيريل" الريفي، بولاية "ميناس جرايس"، من أجل لعب اللعبة المعروفة باسم "الروليت الروسي". في هذه "اللعبة"، يتم إدخال رصاصة واحدة بشكل عشوائي في إحدى فتحات خزينة المسدس. ثم يتم إغلاق الخزينة ولفها. ويقف المشاركون في اللعبة في دائرة ويطلق كل واحد صوب رأسه دون أن يعلم..

قاطعتها "أوليفيا" بصوت حزين:

- كفي عن الحديث عن ذلك الهراء. يعلم الجميع هنا ما هي لعبة "الروليت الروسي".

قالت "ريبيكا":

- نعم، بالطبع.

"سونيا":

- الشيء غير المفهوم هنا هو لماذا فعلوا ذلك؟ كيف ماتوا في "الروليت الروسي"؟ عادةً ما يموت شخص واحد فقط. أليس كذلك؟

"ديانا":

- كانت قواعد لعبة "الروليت الروسي" مختلفة عندهم بعض الشيء. سأوضح ذلك على الفور. حضراتكنَّ سوف تفهمن كل شيء.

"سونيا":

- حسنًا.

"ديانا":

- كما تعلمن، انتهت القصة بشكل عنيف، وغامض إلى حدٍ ما.. (صمت) عُثِر على الجثث بواسطة كل من الضابطين العسكريين السابقين "جوراندير كويليو صا" و"بلينيو موتا". (صمت) نعتقد أن إعادة تحليل الأحداث ستوضِّح الأمر، لذلك اجتمعنا هنا اليوم. قررنا استدعاء الأمهات لأننا نفهم أن الضحايا كانوا أقرب من الأمهات عن الآباء. خاصة في الحالات التي بها طلاق.

قالت "أوليفيا" بصوت حادٍّ تلَته دموع: - لقد اُستجوبنا مرارًا طوال تلك المدَّة. لا أعرف ماذا تريدون أن تمتصوا منَّا؟

"ديانا":

- نحن هنا للبحث عن الحقيقة يا "أوليفيا".

ردت “أوليفيا”:

- أنا أيضًا أريد معرفة الحقيقة، لكنني قلتُ كل ما أعرفه. لا يوجد لدي ما أخفيه.

“ديانا”:

- قررنا البحث من منظور جديد. (صوت ورق) طوال هذا الوقت كنَّا نحتفظ بورقة رابحة، يمكنها أن تفسر لنا كيف وقع كل ذلك. (ضوضاء) تلك الورقة ساعدتنا إلى حدٍّ ما، لكن ليس كما كنَّا نأمل. ربما لو شاركناكنَّ هذا، سنستطيع الوصول إلى نتائج مُرضية.

“سونيا”:

- عمَ تتحدثين؟ ورقة رابحة؟ لم أفهم شيئًا.

(صرير كراسي)

“ديانا”:

- في وقت الحادث، اعتمدنا في التحقيق على استجواب الأهل والأصدقاء، والأدلة التي جُمِعت من “منزل سيريل”، وحصيلة خبرتنا. وكما تعلمون أننا وجدنا مذكرات “أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو” في دفتر عُثر عليه في مقر إقامته في “كوباكابانا”، بعد ثلاثة أيام من المأساة.

“سونيا”:

- نحن لا نعلم شيئًا عن هذ الدفتر. ماذا كان يوجد به؟

“ديانا”:

- هو دفتر يوميات كان “أليساندرو” يدوِّن به ما يحدث في حياته اليومية. وجدنا فيه تفاصيل مفيدة حول علاقة الضحايا بعضهم ببعض. ومعلومات عن كيفية التحضير واستدعاء الأصدقاء إلى لعبة “الروليت الروسي”.

“أوليفيا”:

- لكن تلك اليوميات بلا فائدة. كان هذا ما قيل من حضراتكم وقتها! (بصوت حاد) ما الجديد الذي وجدتموه؟

“ديانا”:

- هذا.

(حفيف ورق)

“سونيا”:

- دفتر آخر؟

“ديانا”:

- نعم. مكتوب أيضًا بخط “أليساندرو”. إنه في الحقيقة كتاب. عُثر عليه في مكان الحادث في “منزل سيريل”.

“ديبورا”:

- دفتر آخر.. لابني؟

“ديانا”:

- نعم. هو نفسه من أسماه “الورقة الرابحة الكبرى”. هو كتاب، بدأ في كتابته عندما كان في طريقه إلى هناك، ساردًا فيه كل أحداث “الروليت الروسي”، تقريبًا في الوقت الحقيقي. إنه ليس كبيرًا، لكنه يوضح بعض النقاط. ليس كل شيء، لأن الكتاب ينتهي عندما.. (وقفة) عندما مات.

“ديبورا”:

- ابني...

(بكاء)

“ديانا”:

- لم يكن “أليساندرو” آخر واحد مات. (وقفة) في المدة الفاصلة بين لحظة وفاته، واللحظة التي عُثر فيها على الجثث الأخرى – نحو مائة وخمسين دقيقة - حدث شيء ما. شيء جعل الجثث في هذه الحالة غير المبررة.

(صمت مدة أربع ثوانٍ)

“ديبورا”:

- كان ابني يحلم أن يصبح كاتبًا. استطاع أن يؤلف كتابين، لكنَّ دور النشر رفضت نشرهما. إنه يقول... (بكاء) كان يقول: “يومًا ما، سأكتب كتابًا يتمنَّى الجميع قراءته، حتى لو كلفه ذلك حياته”.

“ديانا”:

- يروي “أليساندرو” معظم الأحداث التي حدثت في المنزل تفصيليًّا. في بعض اللحظات يكون التقرير.. بشعًا إلى حدٍّ ما.. (وقفة) إذا شعرت إحدى السيدات بسوء، فلتخبرني في الحال. (وقفة) سأقرأ لكُنَّ، من فضلكنَّ، قلن أي شيء

يدور برأسكنَّ. حتى لو كانت تفاصيل ليست ذات صلة. كل شيء يمكن أن يساعد في الوصول إلى إجابة. أليس كذلك؟

“ديبورا”:

- كان دائمًا ما يتحدث عن هذا الموضوع.. طالما أخبرني أنه سيكون مشهورًا حتى لو اضطر إلى دفع حياته ثمنًا لذلك.. كان يقول... (بكاء) “ديانا”:

- نعم، يمكن جدًّا أن يكون ذلك دافعًا له للموافقة على الاشتراك في لعبة “الروليت الروسي”. (وقفة) ستتضح كذلك دوافع الشباب الآخرين من خلال قراءة ما كتبه “أليساندرو”. لكن ليس جميعهم. أتمنى أن تساعدونا في هذه النقطة أيضًا. (وقفة) هل يمكنني أن أبدأ في القراءة؟

“أوليفيا”:

- تفضلي.

“ديانا”:

- إذًا، هيا بنا. “المقدمة.. بحثتُ قبل مجيئي إلى هنا عن اسم “Cyrille”. إنها كلمة فرنسية من الأصل اليوناني “Kýrillos”، والتي تعني “السلطة الكاملة”.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

من مذكرات "أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو"

قضية "منزل سيريل"، رقم: 15634-1301-08

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: "جوزيه بيريرا أكينو"، قسم 12 للأحوال المدنية بـ"كوباكابانا".

الأحد الموافق الثالث عشر من يناير 2008.

إن معرفة طريقة لعب البوكر فن. الأمر لا يتعلق فقط بمعرفة الأوقات المناسبة للمراوغة، لكنه أيضًا يتعلق بمعرفتك الورق الأقوى عندما تحصل عليه. وهذا لا يعتمد فقط على الأوراق الموجودة على الطاولة، لكن أيضًا على أوراق اللعب في أيدي اللاعبين الآخرين أحيانًا كثيرة، يراوغ اثنان من اللاعبين – متسلسلين - بإخفاء فرصتهم للفوز، لكن وفقًا لنظام اللعب في الجولات، قد لا يفيد تسلسلهم هذا بشيء. لذلك تعد قراءة لغة جسد خصمك فنًّا آخر؛ يتوقف البعض عن الكلام عندما يكون معهم الورق الأقوى. ويُلقي البعض الآخر الأوراق بقوة على الطاولة كنوع من المراوغة، على حين يتابع الآخرون اللعب معتقدين أن الأمر متعلق بالحظ. هؤلاء هم من يلعبون كي يخسروا. أما أنا فألعب كي أربح.

من الواضح أنني خسرت مرات عدَّة. اضطرتني تلك المرات إلى سماع كلام عن الأخلاق من والدتي، مثل: "ستدمن هذه اللعبة! ستخسر كل الأموال التي حصلت عليها من تدريبك الصيفي على ذلك الهراء!". وكلام آخر من هذا القبيل. كانت حجتي بسيطة ولا يمكن تجاهلها: ألا يوجد أشخاص يخرجون من بيوتهم للذهاب إلى السينما وأكل الفشار؟ أنا أفضل لعب البوكر. إذا فزتُ فهو ربح. وإذا خسرت، على الأقل أكون قد استمتعت. الأسوأ من هذا، هو أنني ألعب منذ عشرين عامًا لعبة اليانصيب "ميجا – سينا" دون أن أربح "سينتافو" واحدًا.

طلبت أن نبدأ اللعب وأنا أطرق على لباد طاولة البوكر الأخضر قائلًا: - أغطِّي رهان "أوتو" وأضاعفه.

كنَّا عادة ما نحدد موعدًا للعب البوكر مرة أو مرتين شهريًّا، في منزل "زاك"، لأن والديه يسافران دائمًا. وكان يدعو الكثير من أصدقائه حتى يصبح المكان متكدسًا.

تلك المرة، أحضر "أوتو". إنه لأمر مدهش، فهو صديقي منذ الصغر، لا يزال "زاك" يظهر مع أشخاص لم أشاهدهم أبدًا في حياتي. تعرف "أوتو" في إحدى الرحلات البحرية في الجزر اليونانية. كانت رحلة فاخرة حقًّا، شيء يليق بـ"ماري كلير".

- إنني أنسحب من هذه الجولة.

كنت أمسك في يدي ورقتين إحداهما تحمل رقم اثنين والأخرى رقم ثلاثة، مختلفتين في الشكل. وكانت الأوراق التي على الطاولة أقوى. لم تكن لحظة مراوغة. لكنني كنت أحاول اكتشاف نمط لعب "أوتو".

اعتقدت أنه سيندهش كلما وقع في يده ورق ضعيف، لكنني تضايقت عندما أدركتُ أنني كنت مخطئًا. ثم إنني، في بعض الأدوار، كنت على وشك أن أصل إلى نقطة ضعفه.

إن أكثر الناس شيوعًا في العالم هم بلا شك من يتمتعون بقدرات عالية ليكونوا لاعبي بوكر محترفين و"أوتو" أكبر دليل على ذلك؛ وجهه طويل، شعره أسود قصير، أنفه صغير، فمه متوسط، وله شفتان رفيعتان، عيناه سوداوان واسعتان ذات رموش أنثوية طويلة، نحيف. الخلاصة، هو الشخص الذي لا يلفت انتباه أحد. لذلك كان يرتدي "شورتًا" أصفر فاقع اللون وقميصًا أخضر لون الكيوي.

قال:

- أنا منسحب أيضًا.

اللعنة! جمع "زاك" الأوراق الموجودة على الطاولة، دون أن يُظهرها. كنت أعلم أنه يراوغ.

قال:

- أنا "الديلر"؛ أنا من سيوزع الورق الآن.

وتوالت الجولات. أخسر بعضها وأفوز بأخرى.

إن لعبة البوكر تشبه الحياة. أحيانًا تخسر وأخرى تربح. لكن عليك مواصلة اللعب. فمن سمات المبتدئين أن تعتمد على رهان "All-in" وتراهن على كل ما لديك.

علمني جدي أنه يمكنك أن تعتمد على رهان "All-in" وتراهن بكل ما تملك في حالتين فقط، أسماهما بـ"الورقة الرابحة" و"الخدعة الكبرى". في حالة "الورقة الرابحة"، فإنك تراهن على كل شيء ببساطة لأنك تملك اليد الأقوى

على الطاولة. أما في حالة "الخدعة العظمى"، يجب أن تعرف جيدًا اللاعبين الآخرين، حتى تتأكد أنهم سينسحبون عندما تنفذ خدعتك هذه.

كان يقول أيضًا: "الورقة الرابحة هي للرجال المحظوظين، والخدعة الكبرى هي للرجال الشجعان". وقد كان جدي رجلًا محظوظًا وشجاعًا.

سأل "أوتو" وهو يفتح ويغمض عينيه، ورموشه الطويلة تشبه المراوح من كثرتها، قائلًا: - هل لديكم أي شيء نشربه؟

- ماء؟

- كنت أفكر في "ويسكي"، هل لديكم؟

ابتسم "زاك" وترك الورق على الطاولة، وذهب ليحضر المشروب.

ناديته وهو يذهب ليحضر الشراب، وقلتُ:

- أنا سأشرب ماءً.

إن شرب الكحول في لحظة اللعب، سيفقدني التركيز. إذا كان الأمر يتعلق بالسُّكْر، كنت ذهبت إلى إحدى الحانات، وليس إلى طاولة البوكر. اعتقدت للحظة أنه يمكن أن يكون أسلوبًا من أساليب "أوتو" للمراوغة، لكن سرعان ما تخليت عن هذه الفكرة. فهو لا يبدو ذكيًّا إلى هذا الحد.

عاد "زاك" حاملًا بين أصابعه إبريقًا من الماء وزجاجة ويسكي "بلو لابيل" فاخرة. وزَّع الكؤوس، وصب لنفسه. وكان "أوتو" ينظر إلى الويسكي بتوتر.

بعد ملء الكؤوس، شربنا نخب بعضنا. بحيث نسمع بالكاد صوت الكاسات عند اصطدامها ببعض. شرب "زاك" الكأس على مرة واحدة. أما أنا و"أوتو" كنَّا نتناول مجرد رشفة ونعود إلى الانتباه إلى بطاقاتنا. معي ورقة قلب أحمر تحمل رقم ثلاثة، وأخرى ديناري تحمل رقم اثنين. مجرد بطاقتين ضعيفتين. ما هذا الهراء! على الرغم من هذا، راهنت عاقدًا آمالي في الورقة التالية. ساد توتر شديد.

قال "أوتو":

- أضاعف الرهان.

قال "زاك" وهو يضحك وقبل أن يتناول الكأس الثاني من الويسكي: - أغطِّي وأضاعف الرهان مثلك.

من الواضح أنهما لاعبان محترفان ويراوغان، من المؤكد أن كليهما معه ورقة "آص" لذلك كان هذان الوغدان يراهنان رهانًا عاليًا.

قلتُ:

- سأنسحب.

الآن لا توجد طريقة أعرف بها إذا كان "زاك" يراوغ أم لا. في كل مرة كان يراوغ فيها، كان يميل رأسه لليسار قليلًا، لكن بعد تناوله ثلاث كؤوس من الويسكي، كان رأسه تميل من جانب إلى آخر مثل بندول الساعة.

شربت الماء وبقيتُ ألاحظ "أوتو" وهو يراهن. كان يمسك الورق بحزم ويلقيه على الطاولة بأمانٍ رائع. كان يجلس وظهره مستقيمًا، وعيناه السوداوان ثابتتان على أوراق اللعب، متجاهلًا الجو المحيط به.

لا توجد أي هفوة في سلوكه، ولا أي علامة. حينئذٍ قررتُ عمل شيء مفاجئ، أطرح موضوعًا. الأفضل أن يكون موضوعًا عامًّا. فالحديث عن أي موضوع سيشتت انتباه الشخص الوغد من بينهم ويسهل اكتشاف نقطة ضعفه.

قلتُ، كما لو أنني أتحدث عن موضوع عام:

- "أوتو".. إن حروف اسمك متناظرة.

أردت أن أقول: "إن حروف اسمك "أوتو" Otto، تُقرأ من اليسار إلى اليمين والعكس دون أن يتغير المعنى".

لم يرُدُّ. أمسك ثلاث ورقات وألقاهم على الطاولة.

- أعتقد أنه شيء جميل.. متناظرة!

لن أتراجع عن الرهان.

سأل "زاك" وهو يضحك، قائلًا:

- تبًّا! ما معنى متناظرة؟

لماذا كلما شربنا أكثر، ضحكنا أكثر؟

شرحتُ قائلًا:

- هي كلمات أو جمل يمكن قراءتها من اليمين أو اليسار ولا يتغير معناها مثل "أوتو" Otto.

قال "زاك":

- مثل كلمة "Ovo" "بيضة" كذلك!

حكَّ "أوتو" خلف عنقه، دون أن يرفع عيونه عن اللعبة، متجاهلًا المحادثة.

قلتُ:

- دونتم تاريخ الماراثون، Anotaram a data da maratona إنها جملة متناظرة أيضًا.

نظر إليَّ "زاك" بشكٍّ، ثم توقف ليملأ كأسًا من الويسكي، وظل يفكر.

قال "أوتو" بعد أن تعب من الانتظار:

- هيا، راهن. عليك اللعنة، هذا أسوأ من الكلمات المتناظرة نفسها. دونتم تاريخ الماراثون، أعجبتني!

طلب "أوتو" مرةً أخرى بنبرة الصوت نفسها:

- راهن.

قال "زاك" وهو مبتسم وبيده كأس وسكي آخر:

- هذه اللعبة سيئة. ستربح وحدك كل ما على الطاولة يا "أوتو".

قلت:

- كان من الأفضل أن يأتي "لوكاس" و"ماريا جواو". فوجود خمسة أفراد على الطاولة أفضل بكثير.

- يبدو أن والديهما انفصلا. لقد تسبب هذا الأمر لهما بأزمة نفسية اضطرتهم إلى عدم الحضور..

أومأتُ بالموافقة. لقد سئمت من الخسارة.

حتى مدَّة ثانية، تخيلتُ أنه من الأفضل أن أعود إلى المنزل وأتصفح الإنترنت، وأسمع أغاني.

اقترح "أوتو" قائلًا:

- لماذا لا نلعب لعبة أخرى؟ مسلية أكثر.

فكرتُ أن أقول: "واو، فكرة سيئة!". لكنني قلت: - لن ألعب لعبة أخرى، أحب البوكر فقط.

- إذًا هيا نلعب "ستريب بوكر" Strip Poker.

أعترف أن ذلك الاقتراح كان آخر ما توقعتُ سماعه في ذلك البهو.

تلعثمتُ قائلًا:

- ماذا؟

صرخ "زاك" مؤكدًا ما سمعته:

- "ستريب بوكر"، إنها فكرة رائعة!

نظرت إلى وجه صديقي وهو يرفع الكأس الثامن من الويسكي.

- نخب صحتك.

كانت زجاجة الويسكي "بلو لابيل" قد فرغت تقريبًا.

ما هذا؟ كيف يجلس ثلاثة شباب على طاولة يلعبون "ستريب بوكر"؟

قلتُ:

- لن ألعب.

قال "أوتو" محاولًا إقناعي:

- نراهن على الساعة، الجوارب، الأحذية الرياضية.. أشياء من هذا القبيل! هيا يا "أليس"، هيا اترك هذا الهراء! ستضحك!

لا أعرف أين ذهب عقلي عندما وافقت مترددًا. ربما وضع ذلك القذر شيئًا في الماء. على أي حال، كنت حريصًا ألا يتعدى الرهان الأشياء البسيطة التي كنت ألبسها.

وزَّع "أوتو" الأوراق بسرعة..

كانت رأسي تغلي. أمسكتُها أسفل الإضاءة الخافتة للثريا، محركًا رقبتي، ومتنفسًا من أعماقي. نظرتُ في أوراق اللعب بيدي، كانتا ورقتي "ملك"؛ فألٌ حسن.

قال "أوتو":

- أراهن على ساعتي.

ملقيًا ساعة ماركة "سواتش" لا يقل ثمنها عن ثلاثمائة ريال برازيلي، على الطاولة. نظرت إلى الساعة، محاولًا عدم إظهار ابتسامة، سوف تكون من نصيبي.

سأل "زاك":

- أيمكن أن أراهن على جوربي مقابل ساعتك؟

هزَّ "أوتو" كتفيه وابتسم لأول مرة، وقال:

- موافق.

وأنا راهنت على فردة حذائي اليمنى. وجرى الرهان.

قلب "أوتو" أول ثلاث ورقات بقلق. كانت الأولى "أص" ديناري، والثانية تحمل رقم ثلاثة قلب أحمر، والثالثة تحمل رقم ثلاثة ديناري.

كنت حينئذٍ في خطر؛ لأن من معه ورقة تحمل رقم ثلاثة سيربح.

بالرغم من هذا كنتُ واثقًا أن الساعة الـ"سواتش" ستكون من نصيبي أنا. فراهنت على فردة الحذاء الأخرى. كذلك، راهن "أوتو" على قميصه لون الكيوي، وراهن "زاك" على بنطاله.

قُلبتْ بطاقة أخرى، كانت تحمل رقم خمسة البستوني. لم يتغير أي شيء في اللعبة. زاد التوتر على الطاولة. وطلب الجميع أوراقًا أخرى، لكن لا أحد يرغب في المجازفة. كانت آخر ورقة قُلبت هي سبعة الديناري.

قلت لنفسي: "اللعنة".

معي أربع ورقات كل اثنين متشابهتان، الملكين في يدي، والورقة التي تحمل رقم ثلاثة على الطاولة. إذا كان أحدهم معه "أص" أو ورقة تحمل رقم ثلاثة أخرى، سأكون تعيس الحظ! فأنا حافي القدمين!

ما زال هناك احتمال أن يكون مع أحدٍ ورقة اثنين الديناري بيده وفي هذه الحالة سيربح بـ"فلاش" flush.

راهن "زاك" على قميصه. وراهن "أوتو" على هاتفه "هواوي". قررتُ عدم المجازفة وانسحبتُ. لم يكُف "زاك" عن الضحك وكان ينتظر نتيجة هذه الجولة. وظل "أوتو" محافظًا على هدوئه، دون أن يكشف عن نقطة ضعفه اللعينة.

حان وقت الكشف عن الورق؛ كان "زاك" معه ورقتين يحملان رقم ستة، و"أوتو" معه ورقة تحمل رقم سبعة!

قال بضحكة صغيرة:

- فزت!

لم أستطع وصف مدى الغضب الذي انتابني، لو كنت استمررت في اللعب كنت ربحت. تبًّا! تبًّا!

راقبتُ "أوتو"، كان يمسك حذائي كما لو كان يمسك ذهبًا.

- هيا يا "زاك" اخلع قميصك وبنطالك. هذه هي غنيمتي!

كان “زاك” يضحك فحسب، وكان يتعرى أمامنا. هذا نتيجة شرب الكثير من الويسكي.

نهضتُ فجأة، وقلتُ:

- سأمشي إذًا.

ناداني “زاك” وهو مشغول بخلع القميص:

- ابق هنا يا ممل!

- لا.. لا.. سأذهب.

تمشَّيتُ إلى غرفة “زاك” واستعرتُ شبشبًا. غَزَت موجة من الأفكار رأسي، وعُدتُ إلى البهو وألقيتُ التحية عليهما. كان آخر منظر شاهدته، “زاك” غارق في الضحك دون قميص. وكان “أوتو” راكعًا يساعده في خلع البنطال. لمحتُ عددًا من ورق لعب موضوعًا بشكل خفي على مقعد “أوتو”. القذر، كان يخدعنا طوال الوقت. قررت ألا أتكلم. وخرجت مغلقًا الباب بقوة. عند دخولي المصعد، سمعت صوت “زاك” وهو سكران ويصرخ: - دونتم تاريخ الماراثونAnotaram a data da maratona حتى لو كان ما صرخ به مضحكًا كما أعتقد. لكنه قاله وأنا غاضب والدم يغلي في عروقي. إذا كانا يريدان البقاء على تلك الحالة من السكر، فحظًّا سعيدًا. لن أتدخل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الأول:

لتتمكن من شراء كمية كبيرة من الماريجوانا في باريس، عليك البحث في الأحياء القديمة حيث تُباع المخدرات مثل الخبز في المخابز. لكن في البرازيل، الأمر سهل؛ يكفيك أن تعرف أصدقاءك جيدًا، وستكتشف من بينهم أحد الموردين بالقرب من بيتك.

كانت السيارة الـ"هايلوكس" تسير في الطريق الترابي، بإطارات منخفضة، فكانت تحمل تسعة أشخاص بالإضافة إلى الخمر، والمخدرات، كما لو كانت ستأسس كولومبيا جديدة.

سمعنا أغنية "Smooth" لـ"سانتانا" حتى المرة العشرين. حيث كان "زاك" يسمع أغنيته المفضلة دون أن يشغل غيرها على الـ"سي دي". انعكست ظلال الأشخاص المتكدسين في صندوق السيارة على الطريق، إنها تذكرني بالطقوس الدينية في زمن الرومان. كان "زاك" يُمسك زجاجة الخمر بيده اليسرى، واليد الأخرى تمسك عجلة القيادة. قال وهو يبتسم: - يجب أن تشرب، هذه ستكون المرة الأخيرة لك.

صرختُ حتى أتغلب على صوت الأغاني الصاخب:

- لا أريد، شكرًا. انسَ الأمر.

أومأ، وتناول رشفة من الزجاجة، تاركًا إياها في منتصفها. من حسن الحظ، لم يكن "زاك" في حالة تسمح له بالجدال. كل منا يعلم أننا لم ننسَ شيئًا؛ كانت المقاعد الخلفية للسيارة مليئة بصناديق البيرة، الكوكايين والماريجوانا بما يكفي لجعل الفاتيكان كله في حالة نشوة. حتى لو قُسِمتْ الكمية على تسعة أشخاص ستكفي أن تصيب كل واحد بجرعة زائدة. جعلني المشهد أشعر أنني ذئب أمريكي يحاول عبور حدود الولايات المتحدة الأمريكية من المكسيك، بطريقة غير شرعية.

غروب الشمس خلف الجبال، والحرارة المرتفعة بالخارج، والنباتات التي تتخلل الأفق في الصحراء، والأتربة المتصاعدة مع مرور سيارة الـ"هايلوكس"، والمخدرات وصوت جيتار "سانتانا"، كل ذلك كان يوحي بصورة الرجل الأمريكي اللاتيني ذي شارب.

سألني "زاك" محاولًا طرح موضوع:

- ما الأخبار يا "أليس"؟

رفعت عينيَّ من الدفتر، ونظرت إليه قائلًا: - ماذا تقصد؟

- ذلك الكتاب اللعين، ماذا عنه؟

- ما زلت أقرأ في الفصل الأول.

- أتمنى أن أقرأه.

تناول رشفة أخرى من البيرة، حتى أنهى الزجاجة. وقال: - لكن لن يكون هناك وقت.

- إنها...

- هل تستطيع الكتابة في ذلك الضوء؟

أردت أن أضحك؛ فلم تكن الإضاءة الضعيفة بالسيارة هي أكبر همي. فقد سرنا على طريق ترابي به تضاريس وحفر أكبر من حجم القمر، وموسيقى أغنية "سانتانا" تصرخ في أذني، بالإضافة إلى سائق سكران.

- اقرأ لي البداية.

أجبته:

- ما زلت أكتب.

إنه شيء غريب أن أصرف الأفعال في الماضي على الرغم من حدوثها الآن. لكنني دائمًا أكتبها هكذا. بهذه الطريقة تبدو الأحداث واقعية. في النهاية، عندما أسرد شيئًا على أنه حدث بالفعل. يمكن أن يكون في الماضي القريب، لكنه مضى.

- أحضر لي بيرة من هناك في الخلف.

- حسنًا.

بالإضافة إلى كوني كاتب المجموعة، أصبحتُ النادل أيضًا.

بهذه الطريقة التي كنَّا نسير بها، كان من الأرجح أن ينتهي بنا المطاف إلى تعرضنا لحادث سيارة، قبل أن نصل إلى "منزل سيريل".

وضعت الدفتر جانبًا، وفتشتُ في الصندوق المبرد عن زجاجة بيرة أخرى. بدلتُ بالفارغة واحدة مملوءة، ووضعتها بجوار الثلاث زجاجات الفارغات التي شربها "زاك". هز رأسه شاكرًا، وعاد ينظر إلى الطريق أمامه. تأملتُ ملامح وجهه من الجنب، أدركت مدى التعب الذي عاناه في الأسبوع الماضي. لم أجد الشاب الثري الذي كان يوزع السعادة كما لو كان اشتراها من المتاجر.

كانت تعبيرات وجهه تنضح بالحزن والضيق.. كان جسده محنيًا فوق الكرسي الجلدي، خجولًا، كما لو كان خائفًا من العالم الخارجي. لم يكن "زاك" الذي كنت أعرفه. بقيتُ في الزاوية التي أجلس فيها. لم أتجرأ أن أقترب منه لمواساته، فالتعبير عن الشفقة في تلك اللحظات يبدو مبتذلًا، بل مهينًا.

دون أن نُدرك، وصل الـ"سي دي" إلى أغنية "ماريا ماريا" التي غزت الأجواء بالعزف المنفرد على الجيتار. لم يكن "زاك" مندمجًا معها، كانت عيناه اللامعة نحو الأفق المظلم، ورأسه مسافر إلى مكان يعلمه الرب وحده.

ثم قال:

- آمل أن يحقق كتابك نجاحًا كبيرًا يا "أليس".

حينئذ، كان ذلك كل ما يحتاج إليه "زاك"؛ شخص يتحدث معه ويجعله ينسى كل ما حدث في الأيام الثمانية الماضية. في تلك الحالة، كنت أنا الشخص الخطأ. فإنني لا أجيد متابعة الحوار مطلقًا. لا أعرف أن أتظاهر بالاهتمام بشؤون الآخرين أبدًا. ولا أؤمن بتأثير الكلمات مطلقًا. ككاتب، تلاعبت بالكلمات مدَّة كافية وأدرك أنها لا تجدي. ويمكن تزييفها مثل علبة الحلوى المسمومة.

أجبته - كنت أضغط على نفسي حتى لا ينتهي الحوار - قائلًا: - وأنا أيضًا. إنه لشيء غريب جدًّا، أن تكتب ولا تعرف مصير الأشياء.

- إن كتبك جيدة يا "أليس" اللعنة على دور النشر تلك!

- حسنًا!

كان هو المضطرب، وكنت أنا من يواسيه. هأنا كنت أخرج الصديق الجيد بداخلي! عند البحث عن شيء لقوله، خرجت هذه الكلمات: - ستستمتع للأغنية التالية، أليس كذلك؟

نظر إليَّ، بابتسامة صفراء رسمها بصعوبة على وجهه. بعد ذلك، ضغط على زر الـ"سي دي" بسبابته لتغيير الأغنية. ورنت أغنية "Smooth" للمرة الخامسة والعشرين في أذني.

تعلمت شيئًا في أثناء السنوات الأولى في الكلية، وهو: "أن تظل يقظًا بين أصدقائك السكارى خير من أن تسكر مثلهم". لا يعني هذا أنني قطعت صلتي بالمشروبات الكحولية، واعتنقتُ دينًا جديدًا، لكنني بدأت أخفف الجرعات الأسبوعية. ففي اللقاءات الاجتماعية، أشرب قليلًا من النبيذ أو البيرة ثم أشرب الماء بعد ذلك. واليوم، أخذت عهدًا على نفسي ألا أتناول شيئًا. خاصة لأنني، بشكل مؤكد، في عمل. وظيفتي الأخيرة. ورقتي الرابحة.

نظرتُ إلى مرآة الرؤية الخلفية، تفحصتُ وجوه الأشخاص وهم ممسكون بحافة صندوق السيارة ومعرضون إلى السقوط. أدركتْ "ريتينيا" أنني أنظر إليها، فأشارت بالزجاجة: "نخبك". ابتسمتُ فحسب. يا لها من جميلةٍ! كانت تبدو مضيئةً من شدة بياضها الذي يتناقض مع بلوزتها السوداء والچينز الداكن، مثلما تسكب اللبن على أرض سوداء!

كان "نويل" خلفها مباشرة في حالة سكر ممسكًا زجاجة بيرة بيده اليسرى وهي تتأرجح. انحنى نحو ظهر "ريتينيا" وعيناه تجاه ثدييها، همس لها بشيء في أذنها، فابتسمت.. إن شرب البيرة يؤثر بشكل كبير في المرأة! فبعد تناول المزيد من البيرة استطاع أن يقبل خديها المنمشين.

لم أعد أنظر إلى مرآة الرؤية الخلفية. دون أن أشعر، انتهى "زاك" من شرب الزجاجة الخامسة وبدَّل بـ"سي دي" "سانتانا" آخر لفرقة الروك البرازيلية "ماموناس أساسيناس" Mamonas Assassinas.

أعادتني أغنية الروك المبتذلة والساخرة للفرقة إلى طفولتي، وكانت بعنوان "عاريين في سانتوس" Pelados em Santos. ذكَّرتني كم كنت معجبًا بصوت هؤلاء الشباب عندما كان عمري ثماني سنوات. ذكَّرتني أيضًا بالحزن الذي انتابني عندما شاهدتُ في قناة "فانتاستيكو" Fantástico خبر وفاتهم في حادث طائرة في الثالث من مارس عام 1996. كانت تلك هي أول مرة أشاهد مثل تلك الحوادث. بقيتُ مصدومًا. في اليوم السابق لهذا الحادث، اشتريت تذكرة دخول حفلة لهم في ريو دي جانيرو. وبالطبع لم تُقَم الحفلة. أعاد إلينا المنظمون الأموال بكل سهولة. حرصت على الاحتفاظ بالتذكرة. الآن يمكن أن تكون تلك التذكرة الصغيرة قد ضاعت بين كتب الجامعة أو الروايات.

سألني "زاك" وهو يناولني الزجاجة الفارغة قائلًا: - كان فريقًا رائعًا، أليس كذلك.

- نعم. لقد طرحوا ألبومًا آخر.. اشتريته من...

- عليك اللعنة!

أغلق مشغل الـ"سي دي"، وخفض سرعة السيارة فجأةً، وهذا ما دفع أجسادنا إلى الأمام.

أخرجتُ النظارة من جيب القميص، وكنت أرتعش. لم أكن أحتاج إليها عند الكتابة، بل عندما أحاول رؤية أي شيء على بعد عشرة أمتار، لأنني أكون كالأعمى تقريبًا.

سأل "زاك" بعصبية:

- هل معك رصاصة؟

ظهرت أمامنا دورية شرطة مثل ظهور أي عنصر شاذ فجأة في مشهد ريفي.

إنها على بعد ستين مترًا، وفي مثل هذا المكان حيث لا يوجد شيء يشتت انتباههم، ستكون أي محاولة للرجوع دليلًا على الهروب.

- معك رصاصة أيها السخيف؟

أجبته وأنا أفتح تابلوه السيارة:

- يوجد هنا.

هل كان "زاك" سيفعل الشيء نفسه الذي كنت أفكر فيه؟ يُمسك الرصاصات، يضعها في المسدس، ويطلق بعض الطلقات نحو دورية شرطة؟ في الواقع لم تكن فكرة سيئة. في هذا المكان البعيد عن العالم، عندما يكتشفون - بعد فوات الأوان - جثث هؤلاء رجال الشرطة، سنكون جميعًا أمواتًا على أية حال.

- لا أقصد هذا. بل "بونبون"، يا "أليس"!

يعلم "زاك" أنني أحمل معي دائمًا "بونبون" وعلكة. إنها مثل الإدمان والجنون. كلما أمر ببائع متجول، يبيع اثنين "هولز" مقابل ريالين، أشتري منه على الفور.

سألته وأنا أجمع له أقراص الـ"بونبون" من الجيب الأمامي لحقيبة ظهري: - بطعم البطيخ أم النعناع؟

يبدو أن الأشخاص خلفنا، انتبهوا لوجود الشرطة، فتوقفوا عن الشتائم، والحديث بصوت عال، وضحك السكارى المبالغ فيه، واختفت فجأةً زجاجات البيرة من أيديهم، ألقوها في الحشائش على الطريق.

بالنظر إلى مرآة الرؤية الخلفية للسيارة، رأيت أن هناك سبعة أشخاص في صندوق السيارة وكأنهم ينتظرون حصة دين.

- نعناع، نعناع.. أعطني هذا بسرعة!

وضعت اثنين في يده وألقاهم في فمه كأنهما دواء.

- أعطني أكثر! أعطني أكثر!

كان أمامنا أقل من ثلث ساعة. لاحظت وقلتُ: - معي اثنين فقط.

- إذًا، أعطني بطعم البطيخ أيضًا، بسرعة، بسرعة.

ناولته العبوتين، أمسك "زاك" البونبون ورمى ثمانية دفعة واحدة في فمه، بالورق وكل شيء. ثم مضغهم. كان صوت الأسنان وهي تكسر البونبون كما لو كانت حجارة تضرب في الأرض، كان ذلك مزعجًا. بعدها ألقى بالباقي في فمي، ووصلنا إلى دورية الشرطة، كانت رائحة الكابينة عبارة عن مزيج من رائحة النعناع الحلوة ورائحة البيرة. يمكنني أن أراهن لو أن "زاك" شرب كوبًا من الماء في تلك اللحظة، سيشتعل فمه كالجحيم.

توقفنا بعدما أشاروا إلينا. قال وهو مبتسم، في محاولة منه لخلق جو من الألفة مع الضباط: - مساء الخير، أيتها الشرطة.

رد الضابط بسخرية:

- مساء! بطاقاتكم، ورخصة السيارة.

هذان الكيانان يشبهان رجلين ريفيين في مدينة صغيرة. كان الأول يجلس في كابينة السيارة وينظر إلينا وكأنه يقول: "أعرف أنني لا أعلم شيئًا قط". والثاني كلَّف نفسه عناء الخروج من السيارة لتفتيش حقائبنا، كان له شارب أحمر اللون كشارب عمدة "تكساس"، وكان يتحدَّث ببطء شديد كما لو أنه يتجشأ بين الكلمة والأخرى.

رد "زاك" قائلًا:

- الآن!

بيدٍ مرتعشة قليلًا، أخرج صديقي رخصة السيارة. لم يستطع رجل الشرطة أن يرَ ما يوجد بالداخل من خلال تلك الزاوية الصغيرة. حظنا رائع. تخيل ماذا سيكون رد فعله لو رأى المسدس والرصاص في شنطة سوبر ماركت.

أشار الشرطي إلى المقاعد الخلفية للسيارة بطرف أنفه الكبير، وسأل: - كل شيء على ما يرام، لكن ماذا عن الشيء الموجود هناك بالخلف؟

- خمر.

أجاب "زاك" بكل حكمة، مثل الكاهن الذي غادر الدير للتو. لكنني إذا كنت مكانه، لتحدثت بصوت عالٍ وبطريقة بذيئة مناديًا إياه بالضابط "شورورو".

انحنى الضابط داخل نافذة سيارة الـ"هايلوكس" برأسه، قائلًا: - غير مسموح بالقيادة وهناك أشخاص جالسون في صندوق السيارة. لا يمكن السماح لكم بالمضي قدمًا.

- نحن في طريقنا لقضاء إجازة آخر الأسبوع فقط. ألا يمكننا الوصول إلى حل يرضي الطرفين؟

عبس الضابط واقترب من وجه "زاك". ربما شم رائحة غير مريحة، شم رائحة النعناع التي فاحت من أنفاس صديقي.

وسأل، بصوت مفزع، قائلًا:

- هل تتحدث عن رشوة؟

رد عليه "زاك" قائلًا:

- هل فهمت معنى اتفاق يرضي الطرفين على أنه رشوة؟

تابع الضابط محاولًا تعقيد المشهد، قائلًا بعصبية: - سحلية! هل تتحدث عن السحلية؟

اعتقدتُ مدة ثانية، أن يكون هو أيضًا سكرانًا. في تلك اللحظة، خرج ضابط الشرطة الثاني من السيارة، ومشى نحو الـ"هايلوكس". مر ببطء أمام السيارة ونظر إليَّ كما لو كان يتفقد كومة من القذارة على الأرض، ثم انضم إلى زميله ونظر في وجه "زاك" بدقة، وقال بصوت حاد: - ليسوا هم يا "بلينيو". انسَ هذا الأمر.

كرر "زاك"، وهو ممسك بعجلة القيادة، ويضغط بقدمه على دواسة البنزين، في حالة قرر هؤلاء المتسكعين إفساد خطتنا، قائلًا: - سحلية!

قال ضابط الشرطة الأول لزميله:

- عُد إلى السيارة يا "كويليو". دعني أحل المسألة.

عبس وجه "كويليو" وأطاع زميله وعاد.

سأل الآن وقد ابتعد قليلًا عن وجه "زاك":

- عن أي اتفاق بالضبط كنت تتحدث يا فتى؟

رد صديقي، بجرأة لم أرها في حياتي، قائلًا: - مائتي ريال برازيلي.

سأله الضابط، وعيناه كانت تلمعان بحماس:

- أربعمائة؟

وافق "زاك" ودخل في اللعبة:

- أربعمائة.

في تلك اللحظة رفعت رأسي إلى السماء، لأشكر الرب لأننا نعيش في البرازيل. فقط في بلد كهذا، يمكنك أن تحمل مخدرات وبيرة، وتسير بحرية لأنك دفعت أربعمائة ريال برازيلي. نعم، هذه هي الجنة!

التزم بقية المجموعة الصمت في الخلف، ووجوههم إلى الأسفل مثل المطلوب القبض عليهم.

سحب "زاك" دفتر الشيكات.

قال ضابط الشرطة بعصبية:

- شيك؟ هل أنت مجنون؟ وماذا لو أن هذا الشيك الملعون دون رصيد؟

- ليست معي نقود. إذًا، عليك أن تأخذ جزءًا من المال. وتذهب لتحصل على الباقي في "منزل سيريل". هل تعرف مكانه؟

- "منزل سيريل"؟ أعرفه.. بيت لطيف.. إنني أقبض بالفوائد. اتفقنا؟

قالها وهو يخبط السيارة برفق:

- فوائد عالية.

رد "زاك":

- الشيك به رصيد.

- أعلم.

قال "زاك" وهو ينتهي من كتابة الشيك:

- سأكتب اسمي ورقمي على ظهر الشيك، إذا واجهتك أي مشكلة، اتصل بي فحسب.

أخذ الضابط الشيك من يده، ثم أخرج الهاتف المحمول من جيبه وسجَّل الرقم الذي كتبه "زاك".

وفسَّر، وهو ينتظر أن يتم الاتصال، قائلًا: - للتأكد فقط.

رنَّ هاتف "زاك" المحمول، وملأت أغنية "Rehab" لـ"آمي واينهاوس" كابينة الـ"هايلوكس".

قال الضابط وهو يضرب كتف "زاك" بود:

- فتى مطيع. الآن يمكنك الذهاب. أنت لم ترنا أبدًا، اتفقنا؟ ولا أعرف من أنت أيها الفتى.

- حسنًا!

ثم أشار بأنفه الكبير إلى الخمس زجاجات الفارغة، معلِّقًا: - انتبه، صديقك هناك شرب قليلًا.

بمجرد أن بعدنا مسافة من الدورية، عادت الحركة إلى صندوق السيارة من جديد. نهض البعض يلعن بسبب إجبارهم على البقاء جالسين طوال هذا الوقت. وكان البعض الآخر مرتاحين، يحتفلون لأنه لم يقُبِضَ عليهم وبحوزتهم نصف كيلو من الكوكايين في المقعد الخلفي. وقرروا أن يبدأوا في شرب جولة جديدة من البيرة.

أعاد "زاك" تشغيل الراديو، تاركًا فريق "ماموناس" يكمل أغنيته "عاريين في سانتوس" Pelados em Santos ويبدأ أغنية "ChopisCentis".

سألتُ:

- كيف عرفت أنه سيوافق؟

- ماذا؟

- اعتقدتُ من خلال الطريقة التي كان يتحدث بها.. أنه لن يقبل. كيف عرفت أن.. أنه سيأخذ المال؟

- آه يا "أليس"! هؤلاء الرجال يتقاضون رواتب شهرية ضعيفة. أربعمائة ريال برازيلي بالنسبة إليه تعد ثروة. إلى جانب ذلك، لو كانوا يريدون حماية الناس والحفاظ على العدالة، ما وقفوا في الخلاء ينتظرون العصابات. إنهم يريدون المال. كنت على حق، لقد دفعت لهم المبلغ المناسب.

ابتسم وهو مغرور. فسألته:

- هل الشيك له رصيد؟

صاح "زاك" كما لو كانت الإجابة سهلة:

- بالطبع لا!

- لكن ماذا سيحدث إذا ذهبوا إلى هناك ليصرفوا الشيك؟

- سيكون شيئًا مسليًا. سيطلبون منهم أن يفسروا سبب ذهابهم إلى منزل به تسعة مراهقين قد انتحروا.

ضحك "زاك" بصوت عالٍ مدة خمس دقائق.

- ناولني زجاجة بيرة أخرى من الخلف.

ناولته.

من المضحك، أنني لم أعتد فكرة أنني لن أكون هنا قريبًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

5

من مذكرات "أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو"

قضية "منزل سيريل"، رقم 15634-3008 -08

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: "جوزيه بيريرا أكينو"، قسم 12 للأحوال المدنية بـ"كوباكابانا".

السبت الموافق ثلاثين من أغسطس عام 2008.

على الرغم من استيقاظي في الساعة الثانية ظهرًا، فإن اليوم يعد من أطول أيام حياتي. منذ يوم الإثنين حتى يوم الجمعة، كنت أستيقظ في السادسة صباحًا، وأذهب إلى الكلية بمترو الأنفاق. بعد ذلك أتناول الغداء في أحد المطاعم، وأجري حتى لا أصل متأخرًا على موعد التدريب الوظيفي. وأرجع إلى البيت في منتصف مسلسل الساعة الثامنة مساءً. شيء تكراري تمامًا! لذلك كان من حقي في نهاية الأسبوع أن أعيش ملكًا؛ أستيقظ متأخرًا، أستلقي على الأريكة أقلِّب قنوات التليفزيون. أتصفح الإنترنت. أو أسهر مع أصدقائي في حي "لابا".

اليوم، استيقظت وكل شيء مرتب في رأسي. أعتقد أنني ورثت الأسلوب المنظم عن أبي. لأنه طبيب، كانت لديه كتب مصنفة حسب الموضوع، مواعيد الكشف محددة قبل خمسة أسابيع، وأجندته الشخصية بها أعماله المنتظرة خلال الستة أشهر المقبلة. أستطيع أن أراهن أنه رتَّب مع الرب يوم وفاته.

تسللت الضوضاء الناتجة من عبور حافلة بالشارع عبر النافذة وأطارت النوم من عيني. كنت أشعر برأسي ينفجر بسبب شرب الخمر ليلة أمس. نهضت من السرير، ومشيت بثقل إلى الحمام. كنت أعلم أنني بمجرد أن أستحم، سأصبح إنسانًا جديدًا. لم تكن أمي بالمنزل. تركت لي مكرونة جاهزة في الميكروويف، جهزَتها بكل حب واهتمام. سخَّنت طبقًا وأكلته على عجل. وكان من المقرر، عمل بروفة للفرقة الساعة الرابعة مساءً.

ارتديت بنطلون جينز، وقميصًا عاديًّا عليه صورة "تشي جيفارا" وحذاءً. ثم ركبت الدراجة، فالمسافة من "كوباكابانا" حتى نهاية "إيبانيما" تستغرق نصف ساعة بالنسبة إلى شخص نشيط. ولأنني لست ذلك الشخص، فقد وصلت إلى منزل "زاك" في خمسين دقيقة. ابتسمت كما لو أنني أحد سكان العمارة وأسهم في وضع المال في صندوق عيد الميلاد كل عام. تركني البواب أدخل. وقال: - لقد وصل اثنان آخران.

ضغطت على زر الطابق التاسع، وتمنيت أن يصعد المصعد الملعون بسرعة. ولأنه بطيء، انتهزت الفرصة كي أتأمل الوجه الأنثوي جانبي. كان وجهها مثبتًا على شاشة الأدوار، كأنها تتجاهل وجودي. بالنسبة إليَّ كان مستحيلًا أن أتظاهر بعدم وجودها. كانت أطول مني، وترتدي بذلة بيضاء مخططة، تبدو غبية مثل الذين يعيشون أمام شاطئ "إيبانيما". أخفت بالمكياج خمسين عامًا من عمرها، لكنها كانت جميلة. وعلى الرغم من جسدها الراسخ، كانت نظرتها تبدو مرهقة.

وصلنا إلى الطابق التاسع، فتح شخص ما باب المصعد من الخارج، قبل أن أفتحه. كان "زاك".

قال بنبرة بها مزاح:

- ما هذا يا فتى! لقد تأخرت!

بادلته ابتسامة صفراء، محاولًا الإشارة إلى وجود امرأة في المصعد، مشيرًا برأسي سرًّا تجاه المرأة بالخلف. لكنني أدركتُ أنها لاحظت ذلك من خلال التعبير المفاجئ على وجهه.

قال "زاك" بخجل:

- مرحبًا "سونيا"!

ردَّت المرأة، وكانت تبدو كأنها استيقظت: - مرحبًا "زاك".

بدا صوتها رقيقًا وباكيًا.

سند "زاك" باب المصعد بظهره حتى لا يتحرك، وقدمني لها قائلًا: - هذا هو "أليساندرو".

أمعنت المرأة النظر إليَّ بعينين مندهشتين، كما لو أنني دخلت المصعد للتو. ثم هزت رأسها مرحِّبة.

قال "زاك" مازحًا:

- سنتدرب مع الفرقة، من الممكن أن تصل الضوضاء إلى شقتك. من الأفضل أن تغطِّي أذنيكِ!

لاحظتُ أن "سونيا" ضغطت زر الطابق العاشر، بالتأكيد شقتها بالأعلى.

تجاهلت ما قاله "زاك"، وابتسمت ابتسامة عريضة، وقالتْ: - هل ستؤدون بروفة؟ الآن؟

سألها "زاك" دون تعبير عن أدنى قلق:

- نعم، ألديكِ مشكلة؟

- إنه “دانيلو”.

نظرت السيدة إلى المرآة جيدًا، وتشجعت قائلةً: - هل من الممكن أن يأتي ليشاهدكم؟ إنه دائمًا وحيد بالمنزل. ويحبك جدًّا يا “زاك”.

- بالطبع! قولي لـ “دانيلو” أن يأتي ليشاهدنا ونحن نتدرب.

ارتاحت السيدة وقالت:

- سيسعد جدًّا.

قال “زاك” وهو يغلق باب المصعد:

- رائع.

من خلال تلك المحادثة، رسمت صورة في ذهني مختلفة تمامًا عن “دانيلو” الذي ظهر بعد عشر دقائق عند باب شقة “زاك”. تخيلته طفلًا في الثامنة من عمره، شعره أحمر، مثل شعر أمه الذي يتدلى على عينيها، جسمه صغير وضعيف، يمكنه بالكاد أن يخبط على أواني المطبخ. لكن لم تكن هذه الصورة صحيحة. كان “دانيلو” في حجمي، يزيد عني قليلًا في الوزن، يداه ممتلئتان، ووجهه جميل. كان شعره الأحمر يجذب الانتباه كثيرًا، على الرغم من علامات متلازمة داون التي كانت تظهر عليه بوضوح.

سأل بلطف:

- هل يمكنني الدخول يا “زاك”؟

كان يتحدث سريعًا، كما لو كان يخشى نسيان الكلمات.

- ادخل يا “دان”.

شكره الفتى، مؤديًا حركة بيديه القصيرتين. واتجه بسرعة نحو “زاك” مبتسمًا، وحضنه.

ثم علق “دان”:

- قالت لي ماما إنك دعوتني. أريد أن أرى فرقتك الموسيقية.

بمراقبة أسلوبه، أعتقد أنه يبلغ ستة عشر عامًا تقريبًا. على الرغم من مرضه، كان يتمتع بوجه رجولي جميل. عيناه لونها أخضر فاتح، وتشع بريقًا غير طبيعي من البراءة فوق أنفه الصغير المنبسط، وفم صغير بلسان بارز يتلعثم في أثناء الكلام.

قال "زاك":

- هذا "أليس" صديقي.

جاء نحوي على الفور وعانقني أيضًا.

- أنا "دان". تشرفت بمقابلتك. أصبحنا أصدقاءً الآن.

أجبته:

- الشرف لي.

في الحقيقة، تعاطفت معه منذ أول نظرة. على الرغم من القيود التي فرضها عليه المرض عند الكلام والحركة، لم يؤثر في طريقته في مواجهة البشر والحياة. كان يشعر كأنه شخص طبيعي. وجدتُ هذا الشيء لا يُصدق. أنا لا أتعاطف مع الأشياء السيئة. للحظة، شعرت بالخجل من نفسي، لشعوري ليلة أمس بأنني أتعس إنسان في العالم، وغرقت في شرب الخمر. وما زالت رأسي تؤلمني.. فماذا عنه هو؟ ها هو ينشر سعادة خالصة لكنها تؤلمنا.

قال "دان" ببساطة:

- لقد سمعتكم تعزفون ذات مرة. هل يمكنني أن أقترح شيئًا؟

شجعه "زاك":

- قل.

- يمكنكم أن تعزفوا لفريق الروك "راديو هيد".

تعجبت وقلت لنفسي: "من كان يتوقع أنه معجب بفريق "راديو هيد"؟!".

سألته:

- هل لديك أي اقتراح لأغنية محددة؟

- "Karma Police".

- اقتراح جيد. كان "OK Computer" أفضل ألبوم في مشوارهم الفني. وفي الواقع تناسب أغنية "Karma Police" صوتنا.

في وسط المناقشة، شد انتباهي سماع صوت جيتار وساكسفون، كان قادمًا من البهو. كان الآخرون يؤدون بروفة.

قال "زاك" وقد مال برأسه يسارًا مثلما يفعل دائمًا في لعبة البوكر: - إنها فكرة جيدة.

أنا متأكد أنه لم يكن يعرف الأغنية، ووافق فقط كي لا يبدو سخيفًا.

جلس “دانيلو” على الأريكة، وسأل وهو ينظر إليَّ بقلق: - ما اسم فرقتكم؟

مثل أي فرقة مبتدئة، ليست لديها طرق عرض كبيرة، كان لدينا بالفعل أسماء عدَّة. كان الاسم الأولConcertistas de Carro. لكن كان هناك جدال لم ينتهِ حول تهجئة كلمة “Concertistas”، هل نكتبها بحرف الـ”S” لتعني تصليح السيارات، أم نكتبها بحرف الـ”C” نسبة إلى الموسيقى “musica”. فانتهى بنا الأمر إلى التخلي عن الفكرة. بعد ذلك، وافقنا على اسم Os Estilingues، لأننا لم يكن لدينا نوع موسيقى محدد للفرقة. وبشكل مجازي، كنَّا ننطلق في كل الاتجاهات. عندما استقررنا على صوت أقوى من الروك، هربنا إلى الفولك، والجاز والتانجو أحيانًا، قررنا أن نسميها “جارديل” Gardel تكريمًا للمغني الأرجنتيني. لكننا اكتشفنا أن ذلك الاسم كان قديمًا جدًّا بالنسبة إلى فرقة مكونة من أربعة شباب من الجيل الجديد. فقررنا أن نسميها “ظرفاء الجنوب”. أعترف أنه الاسم المفضل لي، لأنه يحمل مفارقة، باعتبارنا أحد الأشياء الجميلة في جنوب ريو دي جانيرو. من سوء الحظ، كان “ظرفاء” اسم فرقة الروك “بانك” في برازيليا. حينئذٍ، تخلينا عنه.

في النهاية - مع قدرتنا الإبداعية المنهكة - أجمعنا على أن الفرقة لن يكون لها اسم حتى نصبح معروفين بشكل معقول. على كل حال، كنَّا نعتقد أنه شيء رائع؛ أن نكون فرقة من دون اسم. كان يبدو شيئًا مبتكرًا.

عندما أخبرتُ “دانيلو” أننا ليس لدينا اسم، ابتسم فقط محاولًا أن يكون لطيفًا.

أشار الصمت إلى أن الوقت قد حان للذهاب إلى الاستوديو.

قال “زاك”:

- إذًا؟ هيا للعمل. إن “لوكاس” و”جواو” قد سبقانا، ويؤديان البروفة بالفعل هناك.

تضايقت عند سماع هذين الاسمين. ليس بسبب أن هناك مشكلة بيننا، بل لأنهما ليسا الشخصين المفضلين بالنسبة إليَّ. فإن “لوكاس” ليس الشخص المناسب كي تربطني به صداقة قوية؛ كان يرتدي دائمًا ملابس سوداء. وجسمه لوحة من الوشوم. يعتقد أن “الهارد روك” هي الموسيقى اللائقة، وكان يعاني اكتئابًا شديدًا، انتهى بمحاولات انتحار فاشلة. كنت أعتبر نفسي غريبًا إلى حدٍّ ما، لكن “لوكاس” تجاوز الحد المعقول.

كانت “ماريا جواو” حالة مختلفة. كانت مشكلتي الوحيدة معها، هي الإحساس بالحرج بين شخصين تضاجعا، ثم افترقا دون مبرر مدة شهور. ما زلت أرغب فيها، بالطبع، لكنها تتجاهلني.

تجّول “دانيلو” في الطرقة، وهو يسأل:

- هل والداك غير موجودين بالمنزل؟

أخبره “زاك”:

- إنهما يقضيان بعض الوقت في بيتنا الريفي، في ولاية “ميناس”. لكنهما سيعودان اليوم الساعة السادسة مساءً.

هزَ “دانيلو” رأسه، وربت على كتفي، كان يعتبرني صديق الطفولة.

وصلنا إلى الاستوديو. كانوا قد انتهوا من مقطع من أغنية لفرقة “آيرون مايدن” Iron Maiden. صافحتُ “لوكاس” مبتسمًا. وتلقيتُ قبلة باهتة على خدي من “جواو”. كان “لوكاس” يضبط أحد أوتار الجيتار، ثم أسنده إلى الحائط، وذهب ليتحدث مع “زاك”. أشار بإصبعه السبابة إلى “دانيلو” ثم سأله:
- من هذا؟

- “دان”، صديقي وجاري هنا، في الأعلى.

ابتعد “لوكاس” مفزوعًا، عندما اقترب منه “دان” ليحييه قائلًا: - تشرفنا. ما اسمك؟

من تعبيراته، بدا “لوكاس” يعتقد أن “دان” كان يصرخ بدلًا من أن يتكلم. غبي!

أجاب “لوكاس” على مضض:

- “لوكاس”.

قال “زاك” مبتسمًا:

- وهذه “ماريا جواو”. لكن يمكنك أن تناديها “جواو”، ستجيبك.

كانت “ماريا جواو” جميلة جدًّا. أعتقد أنه على الرغم من طريقتها الصبيانية، التي أدت إلى سيطرة لقب “جواو” على “ماريا”، لم يغير هذا الأمر شيئًا. فإنها في الواقع، تحب كرة القدم، ولا ترتدي الفساتين، ولديها عضلات في ذراعيها أقوى مني، إلا أن ذلك لا يعني أنها رجل بالطبع.

تركَت تنظيف فوهة آلة الساكسفون ورحبت به: - تكلم يا وحش!

سأل “دانو” صديقه “زاك”، بصوت منخفض:

- هل يجب أن أذهب إليها لتحيتها؟

قال، متحمسًا:

- اذهب أنت بأمان!

قبَّل "دان" خد "جواو" بحماس وهمس لها في أذنها بشيء. جلس "زاك" أمام الطُبول، ممسكًا بالعصي.

سأل "دانيلو" وهو ينظر إليها، كما لو كان لمح واحة وسط الصحراء، قائلًا: - هل أنتم أخوة؟

أجاب "لوكاس" وهو يضبط الجيتار:

- نعم.

قال "دان" مبتسمًا:

- ليس لديَّ أخ، نعيش أنا وأمي بمفردنا في البيت.

ضبطتُ ارتفاع الميكروفون، ثم جلست على المقعد. اختبرتُ الصوت، ووجدته جيدًا. كان صوت "جواو" هو أفضل صوت من بين أصواتنا نحن الأربعة. كان صوتها ناعمًا، لطيفًا وأجش قليلًا. ومع ذلك، كان من المستحيل أن تغني وتعزف على الساكسفون في الوقت نفسه. لذلك تركت لي مهمة الغناء.

سأل "دانيلو" "جواو"، وهو جالس على الكرسي الذي أحضره "زاك" من المطبخ، قائلًا: - ما اسم عائلتك؟

تركت النوتة التي كانت تراجعها، وأجابته قائلةً: - "دا سيلفا جوانابارا". "ماريا جواو دا سيلفا جوانابارا".

أعترف أنني كنتُ أحاول تفسير سبب ذلك السؤال، لكنني عدلتُ عن ذلك. بقيت أضبط الصوت فقط، "صوت، صوت، نجرب المايك..".

قال وهو يضحك ضحكة طفولية:

- إذا كان لدينا طفل، سيكون لقبه "جوانابارا دي ميندونثا". اسمي كاملًا هو: "دانيلو كاسترو دي ميندونثا".

ابتسمت "جواو" ابتسامة صفراء. استمر "لوكاس" في العزف على الجيتار.

ضحك "زاك" بشدة، حتى يكسر الصمت، قائلًا: - أحسنت يا "دان"! أصبح لدى "جواو" الآن معجب جديد هنا.

وكان اعتقادي صحيحًا. فقد ظل يمزح معها بطريقة غير طبيعية. لم أشعر بالغيرة بالطبع قدر ما تملكتني رغبة في الضحك بطريقة غير معقولة. تخيلته بعد كلامه عن الابن، أنه سيقول مباشرةً: "هيا بنا إلى الركن لنمارس...".

سأل "لوكاس" قاطعًا الحديث:

- بأي أغنية نبدأ؟

لقد كان رجلًا قليل الكلام، وهذه كانت إحدى صفاته النادرة.

علَّقتْ "جواو" قائلةً:

- لقد تدربنا على أغنية لفريق "البيتلز" من قبل، فلنبدأ بها.

قال "زاك" وهو يضرب الطبول:

- سمعت نكتة رائعة بالأمس؛ ماذا ينقص فرقة "البيتلز" للعودة مجددًا؟

كنت أعرف الإجابة، لكنني ظللتُ صامتًا حتى لا أفسد المزحة.

أجاب "زاك" وهو يتسلى:

- رصاصتين أخريين!

بدأ "لوكاس" يضحك أيضًا، ظلَّ "دانيلو" متعطشًا للإجابة، يبدو أنه لم يفهم. مع ذلك كنت أترقب رد فعل "جواو". لأنها مهووسة بفريق "البيتلز"، فهي التي أقنعتنا أن نضيف مقطوعات للفريق إلى ألبومنا. وكانت هي من أدخلت الترتيبات اللازمة للساكسفون على الأغاني. كان رد فعلها على النكتة ليس مهذبًا، فقد رفعت إصبعها الأوسط لـ"زاك" ولفظت أربع أو خمس كلمات بذيئة. لا شيء يمكن قوله عما كان يتخيله عقلي الخصب عنها.

- هيا نبدأ.

طلبتُ:

- قبل أي شيء، سأذهب إلى الحمام. انتظروا.

أشار "زاك" قائلًا:

- الحمام مغلق، يمكنك استخدام حمام جناح والديَّ.

أكره أن أقتحم خصوصيات الآخرين. حتى إذا كانوا أشخاصًا أعرفهم منذ الصغر. على الرغم من ذلك، مررت من الطرقة ودخلت الجناح. كانت غرفة الزوجين "فاسكونسيلوس" تفوق الوصف؛ ثريا كريستال باهظة الثمن على طراز "ماري كلير"، دولاب من خشب الماهوجني، وسرير كبير غير منظم. تذكرتُ محادثتي الهاتفية مع "زاك" في اليوم السابق. يبدو أن ليلة أمس التي قضاها مع الفتاة الغامضة على سرير والديه، كانت رائعة؛ الملاءات ملطخة، والوسائد ملقاة على الأرض. كان الحمام الملحق بالغرفة، يبدو كأنه غرفة أخرى، لكنها أصغر قليلًا من الأولى.

عندما عدت، ملأت أغنية "كل ما تحتاج إليه هو الحب" All You Need is Love الإستوديو. جاء دور "زاك" مع الطبول، ودور "ماريا" مع الصولو الأول للساكسفون. ثم جاء دوري. شيء جميل!

بذلت مجهودًا كي يخرج صوتي جيدًا، لأنه كان لدينا بلاتوه. أجرينا بعض التعديلات على أغنية "Penny Lane" وأغنية "I Am the Walrus". عندما انتهينا، كان حلقي جافًّا بسبب المكيف.

نهض "دان" من الكرسي وصفق. ومدة لحظة، شعرتُ أنني مغنٍّ مشهور. ربما كشف البريق بعينيه عن صدقه في التعبير، وزاد من اعتزازي بنفسي. اعتقدت أن الفرقة تستحق ذلك، لأول مرة. على الأقل، فقد أصبح لدينا شخص لتأسيس رابطة المعجبين.

قلتُ في الميكروفون:

- لدي فكرة.

قال "زاك":

- ما هي؟

- اسم الفرقة، من الممكن أن يكون "دان". إنه اسم سهل، وصغير.

ابتسم "دان" بارتياح، وصفق من الفرحة.

قال "زاك" متحمسًا:

- أوافق.

نظرتُ إلى صديقي في تلك اللحظة. كان يبدو أسعد رجل في العالم. حينئذٍ رن جرس هاتف المنزل. ولتجنب خروجنا من الإستوديو، أحضر "زاك" الهاتف اللاسلكي بالفعل.

طلب قائلًا:

- رُد يا "دان".

دون أن يقوم من مكانه، مد "دان" ذراعه وأمسك الهاتف اللاسلكي. شعرتُ في تلك اللحظة بهاتفي المحمول يهتز في جيبي. أكره الهواتف المحمولة. لقد فقدت وظيفتها الأساسية في الاتصال، وأصبحت تتلخص في المنافسة بين الأشخاص لمن لديه أفضل كاميرا، أحلى نغمة، ومن لديه عم أو خال أحضر له أحدث موديل من أمريكا.

بينما كنتُ أقرأ الرسالة، انفصلتُ مدة ثانية عما كان يحدث من حولي. والآن، تذكرتُ "دان" وهو يرد على الهاتف ثم ناوله لـ"زاك"، محاولًا العودة ذهنيًّا إلى ما كان يحدث. بعد ذلك بقليل، بدا وجه صديقي يملأه الذعر فجأةً، وحينئذٍ صرخ. وكانت هذه هي أكبر صرخة صادمة سمعتها في حياتي. ألقيت هاتفي المحمول على الكرسي وجريتُ نحو "زاك". كان جسمه يتقلص، وعيناه مغمضة تزرف دموعًا. وصرخته المؤلمة ما زالت مستمرة. والهاتف اللاسلكي ملقى على الأرض بجانبه.

كان رأسي مليئًا بعلامات التوتر، من المفاجأة واليأس من محاولة فهم ما حدث.

أمسكت الهاتف اللاسلكي بسرعة، بحثًا عن تفسير: - ألو؟ ألو؟ من؟ عليك اللعنة.

كانت هناك ضوضاء في الجانب الآخر، فكان من الصعب أن أسمع جيدًا.

- أنا الضابط "جوناس" من قسم 59 من "دوكي دي كاكسياس". وقع حادث لزوجين على طريق "BR-040" السريع.. وجدنا هذا الرقم في سجل المكالمات بالهاتف المحمول. يا للأسف، لقد ماتا، و.. يجب أن يحضر شخص من أقارب الضحايا إلى مشرحة الطب الشرعي لتعرف الجثث.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

6

قالت “ديانا”:

- “إنه شيء مضحكٌ، لم أعتد فكرة أنني لن أكون هنا قريبًا..”. (وقفة) هذه كانت نهاية الفصل الأول. هل تريدنَّ إضافة تعليق أو استفسار؟

“سونيا”:

- نعم، لدي استفسار.

“ديانا”:

- تفضلي.

“سونيا”:

- كيف ادخروا مالًا لكل تلك المخدرات التي كانت معهم في السيارة؟ (وقفة) لقد قال “زاك” إن الشيك الذي أعطاه للشرطي، كان دون رصيد!

“ديانا”وهي تقلب الأوراق:

- ورث “زاك” المال عن أسرته، كان في حسابه الشخصي أكثر من مائة ألف ريال برازيلي. وسحب المبلغ كله يوم الجمعة السابق للحادث. أي يوم الخامس من سبتمبر. تحدثنا مع مدير البنك الذي أكد لنا أن “زاك” كان يبدو مضطربًا، لكنه مدرك ما كان يفعله. وصل إلى البنك نحو الساعة الثالثة عصرًا وأغلق الحساب. ولم يوضِّح السبب. (وقفة) من الصعب أن يكون قد أنفق كل هذا المبلغ على المخدرات. هل لدى إحداكنَّ فكرة فيما أنفقوا الأموال؟

(صمت مدة أربع ثوانٍ)

استطردت “ديانا”:

- حسنًا. نريد دون شك أن نوضح بعض الأمور الأخرى. إن ضباط الشرطة الذين كانوا في دورية الشرطة المذكورة في المذكرات، أوقفوا عن العمل، ووُجهت إليهم تهمة الفساد والترويج لتداول المخدرات. فقد أثبتت التحقيقات أنهم كانوا في انتظار شحنة من الماريجوانا. كانوا سيوزعونها. وهذا قصده بكلمة “سحلية”. كان في هذه القضية ثلاثة ضبَّاط آخرين متورطون.

قالت “أوليفيا” بنبرة حادة:

- ما زال هناك آخرون، ينهبون أموال المواطنين الشرفاء.

“ديانا”:

- لسنا هنا لتقييم عمل الشرطة يا "أوليفيا".

قالت "أوليفيا" بنبرة مختلفة وباكية: - المشكلة أن الضباط المتورطين كانوا... لو أنهم أدوا وظيفتهم، لأصبحوا مساجين لا قتلى! كان ذلك أهون علينا من موقفنا هذا. (وقفة) بالتأكيد أنتِ لستِ أمًّا! فلن تعرفي هذا الشعور! (زفير) هذان الاثنان ابني العاهرة.. هما المسؤولان عن قتلهم! يجب أن يعاقبا بتهمة القتل!

"ديانا":

- "أوليفيا"، من فضلك. (وقفة) لسنا هنا لإصدار أحكام على ما حدث. لكن لنفهم ما حدث بالفعل. إن الضباط السابقين محبوسون وسيُعاقبون دون شك.

"أوليفيا":

- لا توجد عدالة في هذا البلد. هؤلاء يستحقون الإعدام! الإعدام! يُشترى القضاة بالأموال.. ما يُطلقون عليه اسم الكفالة. لن تحاسب هذه العدالة الملعونة هؤلاء الرجال على شيء.

"سونيا":

- أترين كيف تتحدث! أنا قاضية ولن أسمح لها أن تشوِّه صورة العدالة!

"ديانا":

- سيداتي، من فضلكنَّ..

" أوليفيا":

- "سونيا"، أنتِ مثيرة للشفقة! لقد مات ابنك بسبب هذا الهراء، وما زلت تقولين هذا؟ لستُ مضطرة إلى أن أتحمل هذه السخافة. الشرطة حقًّا ليست كفئًا! ولا توجد أي عدالة!

قالت "سونيا" بنبرة ضعيفة وباكية:

- أنتِ مخطئة يا عزيزتي! لقد مات ابني لأنه معاق ذهنيًّا، وقد أجبره هؤلاء الأصدقاء على ارتكاب تلك الأفعال. لم يُدرك ما يفعله! من لديه ابن مثله يعرف ذلك جيدًا! لقد أطلق رصاصة صوب رأسه لأنه أراد! اختار أن يموت!

"أوليفيا":

- اخرسي! أنتِ.. لا تدركين ما تقولينه!

“ديانا”:

- توقفن عن هذا الهراء! سيكون من المستحيل الانتهاء إذا استمررنا في هذا النوع من المناقشة الهمجية! فلتحترم كل منكنَّ الأخريات! تذكرن أن كلكنَّ متضررات. تذكرن أيضًا أننا هنا بحثًا عن الحقيقة، وليس من أجل خلق خلافات أكثر! من فضلكنَّ.

(صمت مدة أربع ثوانٍ)

“سونيا”:

- آسفة، لقد تجاوزت..

“ديانا”:

- حسنًا. لديَّ بعض الأسئلة. (وقفة) لقد بدأ “أليساندرو” الفصل الأول من كتابه بالآتي: “لتتمكن من شراء كمية كبيرة من الماريجوانا في باريس، عليك البحث في الأحياء القديمة حيث تباع المخدرات مثل الخبز في المخابز. لكن في البرازيل، الأمر سهل؛ يكفيك معرفة أصدقائك جيدًا، وستكتشف من بينهم أحد الموردين بالقرب من بيتك”. (وقفة) عثرنا في قبو “منزل سيريل” على أكثر من خمسين زجاجة فارغة، ما بين بيرة، وويسكي وفودكا. بالإضافة إلى مائتي جرام من الكوكايين وتسع سجائر ملفوفة بالماريجوانا. أثبتت نتيجة التحاليل التي أجريت على الجثث، أن نسبة الكحول في الجثث عالية، وهناك أيضًا مواد سامة بها خواص تلك المخدرات، مثل المورفين وميثامفيتامين.

“ريبيكا”:

- كانت نتيجة التحاليل التي أُجريت على الجثث... (وقفة) لا داعي لتذكرينا بهذا.

“ديانا”:

- لا شكَّ أن “زاك” هو من اشترى المخدرات من سوبر ماركت قريب من المنزل. لدينا سجل البطاقة الائتمانية. لكننا لم نستطع اكتشاف منبع المخدرات بعد. (وقفة) ذكر “أليساندرو” بغموض في الورقة التي قرأتها أن أحد المشاركين في لعبة “الروليت الروسي” أو شخص آخر قريب منهم قد اشترى المخدرات، لكن لم يقل من هو. هل لديكنَّ فكرة؟

(صوت كراسي)

“روزا”:

- قُبِضَ على "خوليو" ابن جارتي هذا الأسبوع لأنه يبيع المخدرات. شيء بشع! لم نتخيل أبدًا أن يكون منهم.. (وقفة) ربما باعها لـ"أوتو".

"ديانا":

- هل كان "أوتو" يتعاطى مخدرات، يا "روزا"؟

"روزا":

- على حد علمي، لا.. لكن في الورق الذي قرأتِه، قال "أليساندرو" إن عليه أن يعرف موردًا بالقرب من بيته أو شيء كهذا.. كان "خوليو" يسكن في الشقة التي أمامنا. فمن المحتمل أن يكون هو من باع له المخدرات.

"ديانا":

- لقد قال: "يكفي أن تعرف أصدقاءك جيدًا، وستكتشف من بينهم أحد الموردين بالقرب من بيتك". (وقفة) سنحقق في هذا الاحتمال. هل تعرفين اسم هذا الفتى كاملًا؟

"روزا":

- أعتقد أنه: "خوليو ألبوكيرك". لستُ متأكدة. قُبِضَ عليه يوم الأربعاء. ليس من الصعب الوصول إليه.

"ديانا":

- عظيم!

قالت "ديبورا" بصوت متردد:

- أنا أيضًا أعرف شخصًا. أو بالأحرى كنتُ أعرف شخصًا. (وقفة) أسكن في "كوباكابانا"، بالقرب من الميدان. كان يوجد هناك رجل متسول.. يعيش في الشارع ويبيع مخدرات. أتعلمين؟ إنه مورِّد تلك المنطقة. يصعد إلى التل، ويتسلم من تجار المخدرات، ويبيع لأشخاص بالمنطقة الجنوبية ممن لا يرغبون في صعود التل. يعلم الجميع بذلك و... لم يكن "أليساندرو" يتعاطى المخدرات، لكن كان يعلم بالتأكيد من أين يشتريها إذا أراد.

"ديانا":

- بالتأكيد. سنستجوب ذلك الرجل أيضًا. هل يعيش في الميدان؟

"ديبورا": - كان يعيش هناك. لكنني لم أره منذ شهور.

"أوليفيا":

- بالتأكيد كسب أموالًا كثيرة من بيع المخدرات، ورتَّب مكانًا آخر ليعيش فيه.

"ديبورا":

- في الحقيقة، تعرفته عندما جاء إلى مكتبي، كنت أعمل في مبادرة اجتماعية تتناول أهل الشوارع. (وقفة) اهتممت بشخصين منهم على مدار بضعة أشهر. (وقفة) ربما أُلقِيَ القبض عليه، أو قتله أحد الأشخاص، لا أعلم. فغياب مثل هذا الرجل لن يهم أحدًا.

"ديانا":

- ألا تعلمين اسمه؟

"ديبورا":

- يجب أن يكون في سجلاتي. فقد أجريت بعض الاختبارات عليه. (وقفة) لكن لا أتذكر.

"أميليا":

- ما فائدة معرفة من الذي باع لهم المخدرات؟ ماذا سيغير في القضية؟

"ديانا":

- ربما لديه ما يقوله لنا. (وقفة) بالإضافة إلى ذلك، نريد معرفة كمية المخدرات التي تناولوها في أثناء لعبة "الروليت الروسي". من المهم أن نكون على دراية بحالة تغيُّب الوعي التي كانوا عليها.

"أميليا":

- ربما كان "لوكاس".. (وقفة) من أحضر المخدرات.

"ديانا":

- هل كان ابنك مدمنًا؟

"أميليا":

- كنت أشك في ذلك الأمر. (وقفة) أيتها الشرطية، كان من الصعب أن أتعايش معه. "ماريا جواو" هي التي حرضته.

"ديانا":

- إذًا، هل تعتقدين أنه من الممكن أن يكون هو؟

"أميليا":

- كان “لوكاس” يدَّخر أموالًا في صندوق. وعندما بحثت فيه، وجدته فارغًا.

كررت “ديانا” سؤالها:

- إذن تعتقدين أنه من المحتمل أن يكون هو؟

(صمت مدة ثلاث ثوانٍ)

أجابت “أميليا” بنبرة باكية:

- نعم، أعتقد. ماذا.. ماذا فعلت كي أخسر كلا أبنائي.

“ديانا”:

- اهدئي.. أتعلمين من أين حصل على المخدرات؟

“أميليا”:

- لا. ليست لدي فكرة.

(صوت شخص يكتب)

“ديانا”:

- حسنًا.

“أوليفيا”:

- ألن تستمري في القراءة؟

“ديانا”:

- لسنا على عجل يا “أوليفيا”.

“أوليفيا”:

- أيتها الشرطية، لا أدري بما تشعرين، لكن أعرف أن هذا ليس مريحًا بالنسبة إليَّ على الإطلاق. استدعيتِ سبع أمهات، وتذكرينا بأسوأ لحظات حياتنا.. ما الهدف من هذا؟ ما الذي تريدين اكتشافه؟

“ديانا”:

- أنتِ تعرفين جيدًا يا “أوليفيا”، أنت تعرفين كيف انتهت القصة.

“أوليفيا”:

- من فضلك، إنهم أموات! أموات! ألا تفهمين ذلك؟ كل هذا الهراء لن يعيد أحدًا. فقط سوف...

أكملت بصوت باكٍ:

- سوف يسبب مزيدًا من المعاناة!

“ديانا”:

- إذا لم يكن اجتماعنا هذا مهمًّا، ما كنَّا حددناه يا “أوليفيا”. فكرنا جيدًا قبل أن نجمع حضراتكنَّ. حاولنا بكل الطرق الأخرى. دعونا نعيد قراءة الاستجوابات الفردية، ونعيد التدقيق فيها بعناية. هذه هي فرصتنا الأخيرة. أعلم أنه ليس أمرًا سهلًا أن نجتمع بكنَّ بعد مرور أكثر من عام.. لكن من فضلكنَّ، حاولن أن تفهمن..

“أوليفيا” (بصوت حاد):

- إذن، اقرئي أيتها الشرطية.

(صمت مدة ست ثوانٍ) (صوت تقليب صفحات) “ديانا”:

- إذن هيا بنا. “الفصل الثاني. بعد مُنحنى شديد، سرنا حول التل، كان من الممكن رؤية “منزل سيريل”.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

7

من مذكرات" أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو"

قضية "منزل سيريل"، رقم: 15634 - 1812 - 07

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: "جوزيه بيريرا أكينو"، قسم 12 للأحوال المدنية بـ"كوباكابانا".

الثلاثاء الموافق 18 ديسمبر 2007

أكره المفاجآت. ما المفاجأة إلا فزع غير مبرر قرر شخص أن يسببه لك.

في صغري، عندما كنت أقول لا أريد حفلًا، لم أكن أريد ذلك حقًّا. في عيد الميلاد، كنت أنتهز فرصة خروج والديَّ، لأبحث في الصناديق المعلقة بشجرة عيد الميلاد حتى أجد هديتي. ذات مرة، سألتُ والدتي عما ستحضره لي في عيد الميلاد، وكانت الإجابة: "إنها مفاجأة. لكنها ستعجبك!".

كنت أنتظر عيد الميلاد بكل شوق، مفكرًا في خمسمائة شيء يمكن أن يوجد بصندوق الهدايا. في النهاية، ما كان من المفترض أن يعجبني، كان يخيب آمالي، على الرغم من أن الهدية جيدة، فإنها تخيب توقعاتي.

على عكس كل التوقعات، كان اليوم إيجابيًّا بشكل مدهش. استيقظتُ الساعة التاسعة صباحًا على نغمة مزعجة لرسالة على الهاتف المحمول، "هل تمانع في الذهاب إلى السينما مساء اليوم؟".

كان "زاك" المرسل. على الرغم من أنه يعرف أنني أعتاد النوم حتى الساعة الثانية ظهرًا أيام الإجازات، فقد أصر على إرسال رسالته الملعونة غير المفيدة.

استحممت، وأفقت أكثر، ثم أمسكت الهاتف المحمول واتصلت به، حاولت، بعد كلمة "آلو"، أن أعبِّر له عن مدى ضيقي بسبب إيقاظي مبكرًا: - إن السينما وقت اقتراب عيد الميلاد تكون مزدحمةً بشدة وتعرض أفلامًا غبيَّة في دور العرض. هل هذا شيء يستحق إيقاظي؟

أجاب بسخرية قائلًا:

- يا له من شيء رائع، لقد أعجبتك الدعوة! إنها فرصة لنرى أصدقاءنا.

ما زلت أشعر بالنعاس، قلتُ:

- هل أمضيت ليلة أمس مع عارضة أزياء؟

- لماذا؟

- لأنك تبدو سعيدًا جدًّا!

- اليوم هو يوم جميل يا "أليس"!

نظرتُ من نافذة الغرفة. كان الصباح مغيمًا وجافًّا. الرياح الباردة التي دخلت عبر النافذة شبه المفتوحة، لم تكن مشجعةً لفعل أي شيء. كان لدي فضول لفهم ما أراد قوله، أكثر من طرح أي سؤال.

وأمام صمتي، ألحَّ "زاك":

- وماذا بعد؟ هل ستذهب إلى السينما؟

- من سيذهب؟

- "لوكاس".

"لوكاس".. "لوكاس".. حاولت أن أبحث في ذاكرتي عن أي شخص اسمه "لوكاس"، لكن دون جدوى.

- من يكون "لوكاس"؟

- معنا في الدفعة اللعينة!

وقتها، سامحت نفسي على نسيانه. لم يكن ذلك الشخص ضمن دائرة أصدقائنا مطلقًا. وبقدر ما أعرفه، كنت أفضل أن أبقى على هذا النحو.

قلتُ:

- انتظر قليلًا! أليس هذا المهووس هو من حاول الانتحار في الأسبوع الماضي؟

- الرجل ظريف، يا "أليس"!

بالنسبة إليَّ كان يبدو أنه هو بالفعل من حاول الانتحار في الأسبوع الماضي.

- إنه يعزف على الجيتار. وعرفت أنه يريد تكوين فرقة.. أعتقد أنه من المحتمل أن ينجح. وها نحن نكون صداقات جديدة، إلخ...!

- فكرة سيئة!

- ستذهب أخته أيضًا. إنها تبدو فتاة جميلة جدًّا وتعمل في سيرك. فكِّر جيدًا!

لقد لمس نقطة ضعفي.

سألته بشك:

- أتعرف الفتاة؟

- لا.. لا أعرفها. لكنهم يقولون إنها جميلة جدًّا وتستحق.. ربما ترغب في الانتحار هي الأخرى مثل أخيها.

بدأت أنجذب إلى الموضوع، متجاوزًا الإزعاج الذي سببته لي هذه المحادثة الباكرة.

- توقف عن هذا الهراء يا "أليس"! ستذهب أم لا؟

وأنا جالس في السرير، نظرت إلى قدميَّ المختبئتين في الجوارب، وتأكدت أن يومي سيسير على نمط أيام الإجازات لو لم أذهب إلى السينما. علاوة على ذلك، فتاة جميلة تتدرب في مدرسة للسيرك؟ ولن يخذلني "زاك" أبدًا.

- سأذهب.

- عند شاطئ "ليبلون" الساعة الواحدة والنصف ظهرًا. اتفقنا؟

أجبته بعد التثاؤب:

- نعم يا سيدي.

- عظيم!

سألته، مزحزحًا الوسادة كي أعود إلى النوم: - وما هو اسم الفيلم؟

- هل يهمك بالفعل؟

ضحك وأغلق الخط.

رنَّ المنبه فوق رأسي، معلنًا أنه لا مجال للراحة بعد. غزتْ النغمة المزعجة أذنيَّ واضطررت إلى النهوض والاستحمام مرة ثانية. ارتديت الملابس التي وجدتها معلقة على الشماعة ثم أخذتُ تفاحة خضراء وخرجتُ. كنت قد بدأتُ نظامًا غذائيًّا أمس، للحصول على جسم أكثر لياقة. طالما أصر "زاك" على تناول العشاء بالخارج، كان لا بدَّ من الاستغناء عن الغداء.

في الوقت الحالي، كانت عملية خداع معدتي عند المرور جانب المخابز في أي مكان تعد معركة شاقة. وصلتُ إلى المركز التجاري قبل موعد الفيلم بقليل. في أثناء صعودي السلم الكهربائي، رأيت الثلاثة جالسين على البلاطات الجرانيتية كأنهم في نزهة. ركضتُ نحوهم وحاولت أن أعوِّض تأخيري بعفوية وابتسامة سخيفة.

كانت رؤيتي الأولى لها من الخلف. لم تكن أكثر الأشياء رومانسية، لكن من الممكن أن تقع في حب القفا بالتحديد. الشعر الأسود القصير المكدس أعلى الرقبة، كان يسمح برؤية قفا مغرٍ. كانت تخفي منحنيات جسمها، حيث كانت ترتدي قميصًا أحمر، وبنطالا رياضيًّا أسود ملتصقًا بفخذيها. ولا تضع حلَقًا في أذنيها. كنت أحب ذلك النوع من الفتيات. قلت لنفسي عندما اقتربت منهم: "آمل أن يكون ذوقها سيئًا، وأكون أنا النوع المفضل لها أيضًا". لم أكن متفائلًا، لكنني كنت سعيدًا على أي حال.

كان أول من نهض لتحيتي هو ذلك المهووس "لوكاس". بكل تلك الوشوم والإكسسوارات على جسده.. عانقني بحميمية مقلقة. على الرغم من أننا لم نتبادل أكثر من خمس كلمات من قبل.

قال:

- إنه شيء جميل أن أراك.

ابتسمتُ بقلق.

قال "زاك":

- لقد تأخر.

- الحافلة هي...

أكمل وبدا غاضبًا قليلًا:

- لا يهم الآن.. حان وقت الدخول إلى السينما.. خذ تذكرتك.

ألقى التذكرة الصفراء في يدي بطريقة غير لائقة.

قال "لوكاس" وهو يضع خصلة شعره خلف أذنه: - سيفوتنا العرض الترويجي للفيلم.

وافقه "زاك":

- أحب مشاهدة العرض الترويجي أيضًا.

قالت أخت "لوكاس"، وقد انتبهت لوجودي أخيرًا: - إن العرض الترويجي عادة ما يكون قذرًا ومملًّا.

كانت فتاة مثالية. العينان البنيتان، الأنف صغيرة، تلك الشفاه الرفيعة التي نطقت "العرض الترويجي قذر وممل"، كانت حقًّا عبارة رائعة لبدء علاقة. تخيلتني في السبعين من عمري، جالسًا على كرسي هزاز، وأحفادي من

حولي، يملأهم الفضول لمعرفة مدَّة شبابي. ويسألني أحدهم، بعينيه الخضراوين: - جدي، ما هو أول شيء قالته لك الجدة؟

أجبتهم بكل حنين:

- "العرض الترويجي قذر وممل".

قالتْ:

- أعتقد أنه مات.

تفحصتني كما لو كنت حشرة في محاضرة أحياء. ومدتْ إصبعها أمام عيني، أخرجتني من حالة الخمول، قائلةً: - للمرة العاشرة، اسمي "ماريا جواو"، وأعلم أن اسمك هو "أليساندرو".

- ناديني "أليس".

- وأنت يمكنك أن تناديني "جواو".

بينما كانت تهندم البلوزة، ظهرت صورة مطبوعة لفريق "البيتلز" بالأبيض والأسود أحدثت تضادًا مع لون بشرتها الوردي.

أكملت:

- الجميع ينادوني "جواو".

لم يكن من الصعب تفسير ذلك اللقب. تصرُّفاتها، حركاتها البسيطة، ذكرتني بهؤلاء الصبية الذين يلعبون كرة القدم، يفقدون أظافرهم، ويمزقون حقائبهم كل دقيقتين. لا أجد ذلك شيئًا جميلًا. لكنني اكتشفت أنوثة مختبئة خلف تلك الصبيانية.

اقترح "لوكاس" وقد نفد صبره:

- هل نشاهد الفيلم؟

ذهبنا إلى المدخل. حاولت الوقوف بجانبها، لكن "زاك" أبعدني بطريقة مؤلمة.

- ما رأيك؟

أراد أن يعرف. لكنني لم أنطق، فقد أجابت نظراتي.

- إذن انتبه. إنها ليست مثل أولئك الفتيات اللاتي يؤمنَّ بالحب الخالد، والزواج الكنسي، وتكوين أسرة سعيدة. ولم تحاول أن تكون رومانسية. لكنها تحب شيئًا أكثر من الحياة نفسها...

توقف "زاك" ثم أكمل:

- المال. والرجال الأغنياء.

- كُفَّ عن اضطهادك الفتاة يا "زاك".

واصل حديثه:

- إنني لا أمزح. إنها تفضل المذيع "فاوستو" غنيًّا عن "براد بيت" فقيرًا. أفهمت؟ كان هذا ما قيل لي. أحاول أن أشرح لك. استمتع بها إذا أردت.

كنت أريد أن أستمتع بها، وكيفما أردتُ! لكن ماذا أفعل؟ أربح في لعبة "الميجا سينا" وأصبح مليونيرًا؟ أحيانًا يكون أصدقاؤك الأغنياء نقمة عليك؛ فإنهم يعتقدون أنك مثلهم تستطيع الاعتماد على جبل من الأوراق النقدية في أي لحظة لحل مشكلاتك.

- لقد قلتُ لها إنك غني. وذهبت إلى أوروبا كثيرًا. ولديك بيت صيفي في جبال الألب. وأنك أبدًا.. انتبه.. لم تركب الحافلة مطلقًا. أفهمت؟

قلت مازحًا:

- نعم سيدي. لدي طائرة نفاثة وسائق خاص.

- طائرة نفاثة! شيء رائع. لكن سائق خاص، أجِّلها الآن. من الأفضل أن نقول لديك سيارة خاصة، سيارة مصفحة.

قالها وهو يضربني على صدري مشجعًا، أكره الضربات المحفزة.

- طائرة نفاثة وسيارة مصفحة. مفهوم.

كان "لوكاس" و"ماريا جواو" ينتظران عند باب قاعة السينما. أخرجتُ التذكرة من جيبي. وعندما سلمتها إلى الموظف وهي متجعدة، قرأتُ اسم الفيلم بسرعة؛ "عروض بابا نويل". لم أكن في حاجة إلى قول شيء. فهذه إحدى الأشياء القذرة التي يختلقها البعض في نهاية كل عام، لجمع الأموال من آباء الأطفال أو لأي ثنائي للفوز بالصفوف الأخيرة.

دخلت من الباب، متحفزًا كما لو كان فيلم "عروض بابا نويل" هذا هو الأكثر رومانسية في العالم! ابتسمتُ لها في الظلام. مرت ربع ساعة من الإعلانات الترويجية القبيحة. وساد صمت ليس مريحًا. كان "زاك" يجلس إلى جانبي الآخر، ويحفزني بضربات في بطني على أن أقترب منها. أدركتُ أن "ماريا جواو" لم تنظر إلى الوراء، وكانت مهتمة بالإجراءات الأمنية المتوفرة في حالة حدوث حريق في السينما.

التفتُ إلى "زاك" وهمستُ له في أذنه:

- كف عن هذا الهراء! قبل أن نخرج من هنا، سأحاول تقبيلها، لكن ليس هكذا.. ليس قبل أن يبدأ الفيلم! ليس قبل أن تمنحني فرصة وتثبت لي أنني لن أخرج مخذولًا.

بدأ الفيلم بانفصال رب الأسرة عن الزوجة، وإهماله الابن. ثم سرعان ما بدأت أغنية لإحدى الفرق الأمريكية، وقبل أن تنتهي الأغنية استطعتُ أن أتوقع باقي سيناريو الفيلم؛ يحاول بالتأكيد الأب ابن العاهرة أن يصلح خطأه، وفي النهاية، ارتدى زِي "بابا نويل" لاستعادة الابن من جديد. من المحتمل أن يكون المشهد الأخير تحت شجرة عيد الميلاد المزينة والعائلة تبتسم مرة أخرى، ويتساقط الثلج بالخارج. كل شيء جميل ورائع وسهل. لا يوجد شيء معقد مثل محاولة فعل أي شيء مع "ماريا جواو" في تلك السينما المليئة بالأطفال الذين يأكلون الفشار بِنَهم.

نظرت إلى الساعة. مرَّت نصف ساعة من الفيلم. كانت مهتمة بقصة الفيلم بطريقة لا تصدق. قبلتني حتى تضيع الوقت. تشجعتُ ومررتُ ذراعي من وراء ظهرها وسندت على الكرسي، لكن لم يتغير شيء. على يساري، كان "زاك" يتحدث مع "لوكاس" بصوت منخفض، عن أي موضوع شيق أكثر من الفيلم. حاولت أن أتغلب على يدي المرتعشة، ونظرت إلى "جواو" كي أتحدث معها عن أي شيء.

سألتها بصوت أجش:

- هل أنت مستمتعة بهذا الهُراء؟

استغرقت أكثر من دقيقة حتى حولت نظرها من على الشاشة.

- لا. إنه حقًّا هُراء كما قلت.

- يمكننا...

أخذتُ نفسًا عميقًا. الآن. يجب أن يكون الآن!

- يمكننا فعل شيء أفضل.

واو! بداية سيئة. لو كنت مكانها، لضحكت بصوت عالٍ كما لو أنني سمعت أحدث نكتة. "يمكننا فعل شيء أفضل". تلك، نعم، كانت جملة تستحق أن تكون في فيلم أمريكي.

سألتْ:

- وما هو الشيء الأفضل لديك لتفعله هنا؟

كل شيء أو لا شيء. ظهرت أمامي قائمة من الإجابات؛ تقبلينني.. لا. فكرة سيئة. تظلي معي.. أسوأ. ستجدني أحمق وجبانًا. وجدتُ الصمت أفضل إجابة. قربت وجهي وجذبتها نحوي بسرعة. عندما أُضيئت أنوار السينما، تركنا بعضنا سريعًا. استقررت في الكرسي وابتسمت لها.

حاولت "جواو" أن تكون جادة وتبتعد. لكن ظهور علامتين حمراوين على عنقها الأبيض، كشف أنها لم تكن مهتمة بالفيلم.

سأل "زاك" وهو يخفي ابتسامة:

- إذن هل أعجبكم الفيلم؟

لا يستطع "زاك" كتم السر مطلقًا.

أجبته:

- لم أر ما هو أفضل منه!

لكن "ماريا جواو" لم تسمع. كانت قد خرجت مع أخيها بالفعل. استغل "زاك" وجودنا بمفردنا وقرر أن يتحدث مباشرةً: - لستُ في حاجة إلى طرح أسئلة. عندما تذهب إلى الحمام، اغسل ذلك الوجه الطفولي الذي بدا وكأنه صارع للحصول على حلوى.

علقتُ على كلامه دون مبالغة، فما زال طعم فمها على شفتيَّ: - إنها مثالية يا رجل، مثالية!

قال وهو يمد لي قبضة يده ليعطيني شيئًا: - إذن فإنها هدية عيد الميلاد.

مددت له يدي دون أسئلة، وضع مفتاح السيارة بها. لم أفهم ما فعله، فسألته: - هل ستعطيني السيارة؟

- هل تراني مثل "سيلفيو سانتوس" كي أعطيك سيارة؟ سأعيرها لك مدة يوم فقط. تظاهر أنها ملكك، واصطحب "جواو" إلى هناك. استمتع، ومارس الجنس معها. هدية بابا "زاك" لك!

- أمي في المنزل.

- عزيزي، أنت لم تفهم. خذ سيارتي وتظاهر بأنها سيارتك. وخذ "جواو" إلى شقتي وقل إنها ملكك. لم يذهب "لوكاس" هناك من قبل. والديَّ في "منزل سيريل" وقد أزلت صورنا من البهو. إذًا شقتي هي شقتك، لليوم فقط، استمتع واحتفل.

- أنا...

لم أجد كلامًا أقوله.

- وماذا أفعل بعد ذلك؟

مدة ثانية، مر برأسي فيلم عن حياة مثالية مع "ماريا جواو"، لكنه لم يبدأ بكذبة.

- أعتقد أنه لا داعي لذلك يا "زاك".

- يا رجل، إنها لن تحبك وتتزوجك كما أنت، لأنك فقير.

- أنا من طبقة متوسطة. بل الطبقة فوق المتوسطة.

- لا فائدة. ذكرت لك أنها تحب المليونيرات. إذًا استغل الفرصة، وكن غنيًّا ليوم واحد. اصطحب الفتاة. لم تمارس الجنس من قبل. أليس كذلك؟

جعلني السؤال أتلفتُ وأنظر حولي، خوفًا من أن يكون سمعه أحد، لكن كان بهو العرض خاويًا إلا من عاملة نظافة، كانت تجمع القمامة بين المقاعد.

نظرتُ إلى "زاك" بطريقة تعبِّر عن عدم موافقتي. كان يعرف الإجابة جيدًا.

- هذه هي فرصتك يا "أليس".

(ضربة أخرى محفزة)

- آسف يا "زاك" إذا كنت أفكر بطريقة مختلفة عنك. ما زلت أعتقد أن أول ليلة يجب أن تكون نموذجية. لا أريد أن أمارس الجنس أول مرة مع عاهرة كما تفعل أنت.

- "جواو" ليست عاهرة يا "أليس".

- إذا أصبحت لي فقط بسبب الشقة والسيارة.

- أتعرف، قال لي أبي إنك يجب أن تُقبِّل الضفدعة كثيرًا قبل أن تصبح أميرة. يمكن أن تكون مزحة سخيفة، لكنها حقيقة. إذا كنت لا ترغب في هذا فهذه مشكلتك.

شعرت ببعض الألم في صوته. ربما أعدَّ لهذا اللقاء منذ أسابيع. وأفسدت أنا كل شيء.

قال وهو يحاول ألا يُظهر غضبه قائلًا:

- أعد المفتاح. أنت مجنون.

أخذ المفتاح ووضعه في جيبه، وخرج من قاعة العرض فاردًا جناحيه مثل المليونيرات.

بمجرد أن دخلنا شقة “زاك” جاءت “ماريا جواو” من خلفي وعانقتني. ربما أثارها حجم البهو. اقتربت بشفتيها نحو أذني، وسألتني: - أين غرفتك؟

بدا لي أنها كانت تعني أننا سنمارس الجنس. دفعتني في الممر، مسرعة، متشوقة إلى الوصول إلى غرفتي. ذهب “لوكاس” و”زاك” لشرب البيرة على الشاطئ. وصعدت هي إلى الشقة بحجة أنها ستستعير كتابًا لـ”باتريشيا هايسميث”. تمنيت أن يكون لدى “زاك” على رف الكتب، لكنه احتمال ضعيف. كما تمنيت أن تمارس “جواو” معي الجنس قبل هذا، وهو احتمال كبير.

بدا الطريق حتى الغرفة بلا نهاية. فكان امتداد الطرقة ليس مضاءً بطريقة كافية. بدأ عقلي يرسل ويستقبل مجموعة من الإشارات المحفزة لجسدي، ويحلل الأفلام الإباحية التي شاهدتها، وكل الأوضاع المثيرة. كنت أريد لقاءً مثاليًّا، جنس متوحش مدة ساعات، وقضاء مدَّة طويلة مع فتاة أحلامي.

دخلتُ في حالة النشوة. لم أستطع أن أصف هنا كل ما شعرت به في تلك اللحظات. يا إلهي.. كانت أفضل اثنتي عشرة دقيقة في حياتي كلها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

8

الفصل الثاني:

بعد مُنحنى شديد، سرنا حول التل، كان بإمكاننا رؤية "منزل سيريل". كان الأشخاص في صندوق السيارة الـ"هايلوكس" يحتفلون بالوصول، وقد تخلصوا من أغراضهم في الطريق.

بين كل سيجارة ملفوفة بالماريجوانا وأخرى، كانوا يشربون البيرة وهم يشاهدون غروب الشمس. قاد "زاك" السيارة عبر الطريق الترابي بتركيز، لكن بعد شرب ثمان زجاجات بيرة، لم يعد صديقي باستطاعته تجنب الحفر بالطريق بالمهارة نفسها.

عبرنا بوابة المنزل بعد تفادي عدة مطبات، وبعد مائتي متر أوقف "زاك" السيارة أمام السلم.

حاولت "فاليريا" النهوض بثبات مائلة على كتف "لوكاس" بعد أن ألقت سيجارتها على العشب. كانت مبتسمة وهي تُخرج دخان آخر نفس للسيجارة. وصاحت: - وصلنا، تبًّا!

مدت يدها تطلب مساعدة، حينئذٍ سندت عليَّ، ونزلت من صندوق السيارة.

لم يكن وقوفها على أرض ثابتة كافيًا لتحافظ على توازنها، فمع أول ضحكة سقطت على العشب.

صرخت وهي تعتقد أنني ملزم بمساعدتها:

- كف عن الكتابة في ذلك الدفتر اللعين، وساعدني كي أنهض.

دفتر لعين! لن أتحرك، يمكنها أن تتعفن هناك في انتظار النسور إذا كان ذوقهم سيئًا وأعجبتهم.

مد "زاك" ذراعه على كتفي ومال بجسده الثقيل عليَّ. حينئذٍ أخرج مفتاحًا من جيب بنطاله الجينز. صاح وزفر في وجهي رائحة الكحول والنعناع، ملوحًا بالمفتاح في الهواء، قائلًا: - هيا ندخل! ادخلوا!

صعدنا السلم، ووصلنا إلى المدخل، حاول "زاك" أن يدخل المفتاح في القفل، لكن يديه المرتعشتين منعتاه. أعطاني المفتاح وقال لي: - افتح!

بمجرد دخولنا، أغلق الباب وسار في الممر دون أن يضيء الأنوار.

أعرف البيت تمامًا. يتكون من بهو شاسع يُعجب به الزوار على الفور. وعلى الجانب يوجد السلم الذي يقود إلى الطابق الثاني. ثم على اليسار مباشرةً، يوجد باب المطبخ. وبالأمام، توجد خمس غرف في الطابق الأرضي.

تمتمت "فاليريا" بصوت يشبه الأشباح، وقالت: - واو! أشعر كأنني مستكشفة كهوف.

قلتُ لها، مستغِّلًا الظلام كي أفرغ غضبي فيها: - أغلقي فمك اللعين.

شعوري بالراحة في ذلك المكان كان مثيرًا للاهتمام. كل ركن في هذا المنزل بدا حميميًّا، يذكرني بموقفٍ ما في الماضي. هل يمكن أن أكون حزينًا؟ في الوقت نفسه، انتابني شعور جديد، نحن الآن دون والدينا أو الخدم كي يتحكموا فينا.

وردت بخاطري مجموعة احتمالات. كان القبو أحدها، فهو الجزء الوحيد من المنزل الذي لا أعرفه.

اعطِ طفلًا لعبة، سينساها بعد أسبوع. وبِّخه، سيتذكر ذلك الموقف طوال عمره. تعلمت هذا من "جيتوليو". كان عمري وقتها سبع سنوات، وكان عمر "زاك" ثمانية.

ذات صباح، قررنا أن ندخل القبو، كان والدانا يستلقيان بجوار حمام السباحة. لم يكن لدينا هدف محدد، لكن فقط ما فعله عم "جيتوليو" بترك القبو مغلقًا طوال الوقت، كان دافعًا إلى إثارة فضولنا. لم يكن به نوافذ، المنفذ الوحيد به هو الباب.

لقد شاهدنا رجلًا في فيلم يسرق منزلًا بوضع سلك في القفل، وقررنا أن نجرب هذه الطريقة.

كان أكبر توبيخ تلقيته في حياتي. تذكرتُ نظرات الغضب من عم "جيتوليو"، وإصبعه مرفوع أمام وجهي، ووالدتي بالداخل تعتذر وتتوعدني بالمزيد من الضرب.

آه، نعم لم يفكر المسكين "زاك" في دخول قبو والده مطلقًا. دون شك، كانت هذه فكرتي. طفل متشرد في سن السابعة من عمره. أعتقد أن "جيتوليو" ظل ينظر إليَّ بالطريقة نفسها. فعندما كبرتُ، وأصبحتُ مراهقًا، ظلوا ينظرون إليَّ كالطفل اللص الذي حاول غزو قبو البيت الريفي.

تغيرتْ نظرتي إلى الأشياء أيضًا. احتفظت بكل ذلك المشهد المؤسف والقديم في مكان خاص في ذاكرتي.

بكل تأكيد، كان حمل مفتاح القبو في جيب بنطالي الجينز، يعد انتصارًا الآن. لا يوجد أحد يقول لي: "لا". ربما يكون هذا سبب القشعريرة التي شعرت بها. نوع من الوحشة. على مدار السنوات الماضية، تخيلتُ ما يمكن أن يوجد في هذا القبو اللعين. وهذا ما يجعل "جيتوليو" حريصًا جدًّا على ألا يدخله أحد. تخيلتُ وجود جثث مجمدة، جبال من الذهب، خطابات لعاشقين... إلخ!

والآن سينتهي الغموض.. بمجرد وصولي إلى القبو.

سأل "زاك" وقد أخذ المصباح الذي كنت أضعه في فمي حتى أستطيع الكتابة:
- هل تفكر فيه؟

- من؟

قال "زاك" وهو حزين:

- أبي.

لم أجب. وأكمل "زاك":

- إنني.. أتخيل ماذا كان سيقول لو أنه هنا.

أخذ "زاك" نفسًا من السيجارة.

سألته:

- أتدخن الآن؟

أمسك سيجارته.

- هذه إحدى مميزات معرفتك بأنك ستموت. لست في حاجة إلى الحفاظ على صحتك من الآن حتى عشر سنوات. يجب أن تجرب.

أخذ نفسًا آخر.

قلتُ:

- أظن أن والدك كان سيهتم بالسيجارة أكثر من أمر دخول القبو.

ابتسم "زاك" ووجَّه نور المصباح نحو وجهي: - يعتمد هذا على ما سنجده في الداخل.

- هل ما زلت تعتقد أن هذا القبو هو مدخل إلى عالم الجن؟ لم نبلغ حينها سوى ثمان سنوات.

- فيمَ تفكر يا "أليس". متى فقدت عقلك؟ جن.. وجنيَّات!

هززت كتفيَّ، وكررت:

- جنيَّات.

وصلنا إلى نهاية الممر، التفتنا يسارًا إلى سلم يصل إلى القبو. كان خلفي مباشرةً، سحابة من الدخان والخيالات الرديئة تتبع الطريق ما بين صراخ وضحك. أكره السكارى! كاد أحد يسقط خلفي، فضحك الجميع.

أدرك أحدهم أن الصف قد توقف في منتصف الدرج، فقال: - افتح الباب اللعين حالًا!

أمسكت المفتاح بقوة وهو في جيبي، لأذكِّر نفسي للمرة العاشرة بأنني أخيرًا أقف هنا. مرت نحو عشر أو اثنتي عشرة سنة لم أر فيها ذلك الباب. في ذاكرتي، كان كبيرًا جدًّا وفخمًا.

أخرجتُ المفتاح ووضعته في القفل وفتحت الباب. لم يحدث صوتًا كما في أفلام الرعب. ضغطتُ على مفتاح النور فأضاء. كانت هناك مصباح واحد في منتصف المكان المليء بالأتربة. لم أجد جثثًا أو جنًّا أو جنيات. شعرت بجسمي يذبل عندما أدركت أن القبو يشبه أي قبو آخر. كان صغير الحجم، وسقفه منخفض، وبه أعمدة. أرضيته مغطاة بخشب "الباركيه"، والإضاءة ضعيفة. كان شبه مخزن للأشياء القديمة غير الضرورية. لا أتصور أنني نلتُ ذلك التوبيخ بسبب دخولي هذا المكان القذر!

خطوت إلى الأمام، وشعرت بالأرض تصدر صوتًا. بعد عدة خطوات، اختفي الصوت.

في أحد الأركان المظلمة من القبو كانت توجد طاولة خشبية دون أرجل وكرسي مكسور به آثار رسومات باللون الأبيض. بالقرب منه توجد رجل الكرسي المفقودة مربوطة بحبل. يبدو أن شخصًا ما حاول إصلاحها لكنه فشل. كان هناك شريط لاصق فوق الكرسي. ومفك، وملقاط، ومطرقة صدئة. يبدو أنها أشياء منسية منذ سنوات.

بالقرب من الباب – حيث دخلوا - هناك أريكة منجَّدة تستند إلى الحائط. تذكرت الأريكة بلون المستردة التي رأيتها من قبل في غرفة "زاك" عندما كنَّا أطفالًا.

شعرت بضيق في صدري عندما رأيت حشو الأريكة يخرج من مسندها.

هل اقتراب الموت يجعلنا أكثر حساسية؟ أعتقد نعم.

صرخت "فاليريا" وهي تطرق الحائط:

- “الـ.. لع.. نة”! وصلنا!

أكره هجاء الكلمات عند نطقها على هيئة مقاطع.

تخيلت يومًا جميلًا ومشمسًا. عندما خلقني الرب لأكون فردًا سعيدًا، فقد خلق أيضًا تلك المخلوقة “فاليريا” كي تزعجني فقط. لم تفعل أي شيء لي، لكنني بكل بساطة أكره كل شيء فيها.

قالت وهي تضع ذراعها الممتلئ حول ظهري:

- أنا أعشقك يا رجل! حسنًا، أنا أعشقك!

شعرت أن الرب غير راضٍ عني بالتأكيد. قلتُ لها: - أنا أيضًا أعشقك! سأكتب عنك كلامًا جميلًا في كتابيٍ هذا. أو الأفضل: في دفتري اللعين!

ابتسمت دون أن تفهم.

جلس “لوكاس” و”ريتينيا” على الأريكة، منهمكين في لف سجائر الماريجوانا. بالقرب منهم كان “نويل” يدرس المكان، لكن بدا أنه قد سرح. من المحتمل، أنه كان يفكر في ألعابه على الكمبيوتر. ورأيتُ “زاك” يتحدث مع “أوتو” ممسكًا سيجارة ملفوفة بين السبابة والإبهام دون اهتمام. ثم ذهب إلى الباب، وأغلق المزلاج وسحب المفتاح.

وفي النهاية أصبحنا محبوسين في قفص داخل القبو الصغير نفسه الذي حاولت دخوله منذ سنوات. كيف استطعت أن أتخيل انتهاء كل شيء هنا؟

سألني “دان” ببراءة ودون تحدٍّ:

- أيمكنني قراءة شيء؟

- تفضل.

أعطيته الكتاب. وقرأ بصعوبة:

- “وفي النهاية أصبحنا محبوسين في قفص داخل القبو الصغير نفسه الذي حاولت دخوله منذ سنوات. كيف استطعتُ أن أتخيل انتهاء كل شيء هنا؟”.

سألني:

- هل حاولت دخول هذا القبو من قبل؟

أجبته مشيرًا إلى الكلام في الكتاب:

- حاولت أنا و”زاك” عندما كنَّا صغارًا.

ضحك “دان” فجأةً:

- ماذا حدث؟

أضاف وهو يشير برأسه نحو “فاليريا” التي تأقلمت مع كومة الغبار.

- أنا أيضًا لا أحبها.

حتى بضع لحظات، أوشكتُ أن أنسى أن “دان” لديه إعاقة.

همس وهو يعيد إليَّ الكتاب قائلًا:

- إنه رائع.

ثم حكَّ أنفه، وأخرج علكة من جيبه، وقال: - أتريد؟

هززت رأسي نافيًا.

- ماذا ستكتب الآن؟

أجبته:

- كل ما دار بيننا من حديث.

- لكن.. هل تتذكر كل شيء.

كنتُ أريد إنهاء الموضوع، فقلتُ:

- لدي ذاكرة جيدة.

- لكن، من سيحب أن يقرأ ما قلناه؟

- لا يهمني كثيرًا. لا يهمني على الإطلاق.

فتحت الدفتر، وكتبت بالقلم الجاف على الورق. إنني لا أكتب بالقلم الرصاص، حتى لا يتم مسح أي شيء مما كتبته. يجب ألا يُحذف أي شيء.

- هل تريد أن تصبح مشهورًا؟

- هناك موتى أكثر شهرة من الأحياء. يجلب الموت الشهرة والعرفان. عندما أموت، سيريدون معرفة ما حدث هنا. وسيصبح عملي هذا معروفًا.. أتمنى ذلك.

ابتعد دون أن يقول شيئًا. لم يكن هناك ما يُقال.

دعا “زاك” “لوكاس” من مكانه. نهض الرجل تاركًا مهمة لف السجائر بالماريجوانا. رأيتُ “زاك” يسلمه المفتاح الذي كان قد أغلق به الباب. همس شيئًا ما في أذنيه، وربَّت على كتفيه بلطف. شعرتُ بشيء من الغيرة، لماذا لم يأتمني على المفتاح، لكنني فهمت بطريقة ما. فقد ترك “زاك” المفتاح

معي أمس، لكنه اليوم كان في حاجة إلى شخص يعرف كيفية التخلص من المفتاح لتجنب فرار أي شخص.. لم يكن لدي أدنى شك بأن "لوكاس" يمكنه بكل سهولة ابتلاع المفتاح برشفة بيرة.

ظللت أراقب حركاته.. في البداية تحسس المفتاح، شعر بوزنه وحجمه. حينئذٍ نظر حوله، بحثًا عن أي مكان مميز ليخفيه. اقترب من الأريكة وتحسس قماش التنجيد. تراجع عنها. ذهب إلى الطاولة.. ثم إلى الكرسي.. وتوقف. نظر أخيرًا إلى الباب، وبدا أنه يتخذ قرارًا. لمس المفتاح للحظة وبدا أنه سيتراجع. لكنه أسقطه وتركه يتردد على الأرض. حينئذٍ، ركله من أسفل الباب سرًّا. كما يظهر في الأفلام بالتصوير البطيء.

تخطى المفتاح عتبة الباب حتى الجهة المقابلة. كان قريبًا جدًّا لكن في الوقت نفسه بعيدًا جدًّا لدرجة تمنعنا من الخروج.. شيء رائع.. مدهش! حتى ثانية أعجبتني شجاعته.

صحيح أنني قررت أن أخوض التجربة التي جئت من أجلها، لكن على الرغم من ذلك لم أكن قادرًا على فعل هذه الخطوة اللعينة دون تردد وإعادة تفكير وتوقع ما سيترتب على هذا الفعل من شعور بالندم أو الشك، إلى جانب أنه من الممكن أن ينتهي بي الحال في السجن.

سمعتُ "جواو" تنادي:

- "دان"!

في المحيط الصغير، بلهجة غاضبة، كان صوتها رنانًا إلى حدٍّ ما. كان "دانيلو" ينظر إلى الحائط المظلم ويمضغ العلكة بفمه بصوت عال. نظرنا نحن الاثنان إلى "جواو" في الوقت نفسه. كانت قريبة من "زاك" و"فاليريا" والجميع ما عدا "لوكاس". لم يبد أن أحدًا غيري رأى كيف تخلّص من المفتاح.. هذا أفضل.

ردَّ "دان":

- ماذا؟

ضحك الجميع وهم سكارى من نشوة الكحول.

أكملتْ، وسألته:

- أتريد أن تأخذ شمة من هذا السطر من الكوكايين؟

مدت "فاليريا" ساقيها على الأرض، ووضعت واحدة فوق الأخرى. واستطعتُ أن أرى ورقة بها سطر من البودرة البيضاء.

صرختُ، واقتربتُ جاذبًا "دان" من ذراعه، قائلًا: - عليكِ اللعنة، يا "جواو"، توقفي عن هذا الهُراء! إنه كوكايين!

أضافت "ريتينيا" بعيونها الحمراء، وسيجارة الماريجوانا في فمها: - كوكايين وأشياء أخرى! اتركه يفرح قليلًا، يا "أليس". أنت لست أمَّنا، ولا أي هراء.

كانت تتبادل معها لصق الوريقات، فكرتُ أن أرد عليها، وأضرب الورقة، وأشوط تلك القذارة في كل ناحية.

قال "دان" وهو ينظر إليَّ:

- إنني أريد.

تركتُ ذراعه. وابتعدتُ قائلًا:

- أنتم أغبياء! وأنت مريض. عليك اللعنة! يبدو أنك تنسى هذا أحيانًا!

ساد الصمت المكان. وظلَّ "دان" متجمدًا في مكانه، كما لو كان لا يعرف ماذا أقول. أو الأسوأ من ذلك، أن يكون معتقدًا أن لا أحد يفهم أنه معاق. لقد كنتُ متيقنًا أن لم يوضح له أحدًا الوضع. على كل حال لم أخطئ.

قال غاضبًا:

- ضعيها في مؤخرتك!

ألقى الورقة على الأرض، وجلس في ركنٍ.. بصرف النظر عن غضبه مني الآن لكنني على الأقل استطعت إبعاده عن المسحوق الأبيض. استمر الآخرون في توجيه نظرات الاتهام إليَّ بصمت، لأنني تسببت في إهدار المخدرات، وكانوا يحاولون جمع البودرة المنتشرة على الأرض. كنتُ أنا من أفسدت كل شيء..

بعد قليل، هدأ الجو، وعادوا إلى السكر وتدخين السجائر الملفوفة بالمخدرات.

وعادوا بسرعة إلى شمِّ سطور الكوكايين. كانوا يشبهون المكانس الكهربائية. وظل "دان" جالسًا هناك في زاويته، دون أن يتكلم مع أحد، يمضغ علكة وراء الأخرى. حينئذٍ نهض "زاك"، وأخذ الكيس البلاستيكي الذي تركه بالقرب من الباب، وأخرج منه قطعة قماش ومسدس. نوعه "تورس 608" Taurus 608، أنبوبته طولها مائة وخمس وستين ميليمتر، مصنوع من الفولاذ المقاوم للصدأ، عيار 357 ماجنوم، به ثمان غرف للطلقات، ومرخَّص. قلب الكيس وأفرغ ما به على الأرضية الخشبية. رن صوت تسع رصاصات على الأرض. واحدة لكل منا، لا أكثر ولا أقل.

نظّف "زاك" المسدس بتمرير قطعة القماش في الأنبوب والخزانة أسطوانية الشكل والمقبض. حينئذٍ اختار إحدى الرصاصات. وضعها في إحدى الغرف الثمانية، واحتفظ بالباقي في جيبه. كان مدركًا أننا نراقبه، رفع عينيه إلى أعلى وقوَّس حاجبيه. لف الأسطوانة سريعًا قبل أن ينتبه أحد إلى مكان الرصاصة، وأغلقها. أحدث المسدس صوت رنين معدني. ثم صوب "زاك" - وهو مبتسم - المسدس المحشو نحو الهواء.

لقد حان الوقت لنبدأ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

9

من مذكرات" أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو"

قضية "منزل سيريل"، رقم: 15634 - 2908 - 08

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: "جوزيه بيريرا أكينو"، قسم 12 للأحوال المدنية بـ"كوباكابانا".

الجمعة الموافق 29 أغسطس 2008

ما الذي يجعل شخصًا ما، كاتبًا ناجحًا؟ كنت أسأل نفسي دائمًا هذا السؤال.

عندما كنت أدخل الحمام، أو أستلقي في السرير ناظرًا إلى سقف الغرفة، كنتُ أتخيل نفسي كاتبًا كبيرًا. أرى كتبي العديدة بأغلفة مثالية مصطفة على الأرفف. أرى نفسي جالسًا إلى طاولة، عليها نسخ مرصوصة، في مكان ما بالخارج، وهناك جماهير عريضة ينتظرون مناقشاتي وسماع تعليقي حول شخصيات كتابي. ويهنئونني على هذا الإبداع.

هل يمكن أن يحدث هذا؟

أعلم أن التحديات لم تكن بسيطة؛ لأن الكتابة في حد ذاتها مهمة شاقة. فالكاتب الحقيقي يتعايش مع الشخصيات، وينغمس في النص الذي يكتبه، والأسوأ من ذلك، أنه يعيش في عالمه الخيالي ثم يُضطر إلى مواجهة الواقع بقسوته.

اعتاد الكاتب اتهامه بالجنون، وسئم من سماع جملة: "الكتابة لن تجلب لك مالًا، والأفضل هو العمل التقليدي.. الأكثر أمانًا، والأكثر... والأكثر...".

إن الانتهاء من تأليف كتاب يمنحك شعورًا لا يستطيع أمهر الرُواة التعبير عنه. شعورًا كذلك الذي ينتابك بعد انجازك عملًا مهمًّا. بالإضافة إلى شعورك وكأنك إلهٍ قادر على خلق شخصيات الرواية، وتحديد أفعالهم وحياتهم وموتهم.. إنه حقًّا شيء شاعري..

بعد ذلك الشعور مباشرةً يكمن الهدف الأساسي من الكتابة. فكل كاتب يؤلف لتصبح أعماله مقروءة! أو للشهرة! أو للمال! لكنه يجني في حفلات توقيعه شيئًا أهم بكثير؛ وهو الاعتراف بموهبته. فالهدف الأساسي من الكتابة ليس العائد المالي، بل الاعتراف بالموهبة. ذلك المدح الذي يرفع من الروح المعنوية لأي كاتب.. يا له من سرور تشعر به عندما تسمع شخصًا يقول: "لقد قرأتُ كتابك وأعجبني كثيرًا. إنه رائع حقًّا!".

بدأت تأليف كتابي الأول في سن العاشرة. سميته "الدجاجة التي تبيض ماسًا"، مخالفًا للمقولة التقليدية "الدجاجة التي تبيض ذهبًا".

تدور القصة – وإن كانت سخيفة إلى حدٍّ ما - حول فلاح يعيش في المناطق الشمالية الشرقية النائية. وقد وجد – من حسن أو سوء حظه – دجاجة "كولونيل" المدينة الشرير والتي كانت تبيض الماس. فأثار ذلك ضجة عارمة في الأنحاء. لكن في النهاية كان الجميع سعداء.

كتبت تلك القصة في دفتر محفوظ بدرج المكتب، وفي يوم ما عزمت على كتابتها على الكمبيوتر لطباعتها للذكرى. من يدري، ربما أقرأها لأحفادي في المستقبل.

في ذلك الوقت، رأت أمي أن وجود كاتب في البيت يعتبر شيئًا لطيفًا، فاتصلت بصديقاتها كي تحكي لهنَّ مغامرات الطفل المعجزة. بعد ذلك، كبرتُ واستمر الحلم معي، ولم يعد مجرد مزحة. إلى أن صرتُ رجلًا.

إلى متى سأظل أؤمن بأنني يومًا ما سأصبح كاتب؟ وإلى متى سأظل أحلم بالنجاح الأدبي في بلد يندر به القراء؟ لا. لقد تخليت عن كوني معجزة وأصبحت كالمعضلة.

كانت أمي تصر على أهمية الاستقرار المالي، وقد أجبرني العالم من حولي على أن أكون مواطنًا ببذلة ورابطة عنق وحقيبة جلدية. استسلمت للأمر؛ تقدمت لاختبار الالتحاق بكلية الحقوق، وانشغلت منذ ذلك الحين في مجموعة من الرموز والقوانين. لكن يظل دائمًا بداخل الكُتَّاب مكان ما حيث يكمن فيه الأمل والإبداع.

سهرت الليالي حتى الفجر مستغلًّا العطلات الأسبوعية، وكذبتُ كثيرًا حتى أستطيع إنجاز هذا الكتاب. ألَّفت الرواية بكل عناية، من أجل سرد حكاية رائعة.. لا أكثر ولا أقل، وبمجرد الانتهاء من كتابة النص سجلته في المكتبة القومية وأنجزت كل شيء كما يجب أن يكون؛ اخترت خمسًا من دور النشر ممن لهم تجارب في نشر القصص البوليسية، وبالفعل أرسلتُ إليهم نسخة ورقية مع ملخص العمل.

كان يصلني الرد خلال ستة أو تسعة أشهر. تسعة أشهر! مدَّة تصلح لولادة طفل! بل أحيانًا لا تهتم دور النشر بالرد.. وتغرق النسخ في بحر النسيان مع العديد من الأشياء الأخرى.. فكانوا يقولون: "كان عدد الأعمال المقدمة كبيرًا جدًّا"، "من المستحيل قراءة كل ما ترسلونه".

اليوم، بعد أكثر من أربعة أشهر من إرسالي الكتاب إليهم، جاءني الرد من إحدى دور النشر الخمسة: السيد/ "أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو"

تمت قراءة قصتك "امرأة في حقيبة" من قِبل الفريق المتخصص لدار نشر "حبر البرازيل". إنه عمل قيم دون شك، مع ذلك يؤسفنا أن نبلغك أن خطة النشر لسنة 2008 و2009 قد اكتملت.

كن متأكدًا أن كتابك سيتم طباعته قريبًا، ودار "حبر البرازيل" للنشر تتمنى لك حظًا سعيدًا.

فيسينت نونيس

رئيس التحرير

أولاد العاهرات! كلهم أولاد عاهرات!

الأفضل أن يقولوا: "نعتذر كثيرًا، لكنك لست كأي أحد. نحن مجموعة من الجبناء ونفضل تحقيق أعلى نسبة مبيعات أمريكية هنا".

تراودني الشكوك إذا كانوا بالفعل قرأوا النص الأصلي المرسل إليهم. إن هذه الجملة تصلح لأي كتاب: "إنه عمل قيم دون شك".

أراهن أنها جملة مطبوعة لديهم، مع وضع فراغات مكان اسم المؤلف والكتاب. يكفي ملأها وإرسالها لتحطيم آخر أمل. قضيتُ النهار مستلقيًا على السرير، أقرأ الرسالة مرَّات عدَّة. كنت أفكر كيف واجه الكُتاب الكبار مثل هذه العقبات. كانوا في يوم ما لا شيء، كما اضطروا إلى سماع: "خطة النشر اكتملت لهذا العام". هل كان لديهم شعور بأن كل شيء في النهاية سيتحقق وسيصبحون مشهورين؟ إذا كان الأمر كذلك، أليس هذا ما أشعر به؟ نعم، لأنني أشعر بشيء غريب.. كما لو كانت هناك قوة أكبر تقول إنني سأصبح مشهورًا، وسأكتب شيئًا يتمنى الناس قراءته في يومٍ ما. لكن طالما لم يحدث ذلك فالحياة يجب أن تستمر.

ما زلت مستلقيًا على السرير، أمسكت الموبايل وقلتُ: - ألو "زاك"، أنا "أليس".

سألني:

- "أليس"؟ "أليس"!

- نعم، عليك اللعنة، أما زلت لا تعرفني؟

ثم عدتُ أفكر في الأشياء الغريبة كلها.

- آه، آسف، كنت مشغولًا إلى حدٍّ ما.

- أريد الخروج لشرب الخمر، ما رأيك؟

ضحك بشدة قائلًا:

- نخرج لنشرب؟ هل "أليس" الذي يتكلم حقًّا؟

أجبته، دون الرغبة في شرح دوافعي لنسيان الكتاب والكتابة والناشر الملعون: - نعم أنا، عليك اللعنة.

- منذ متى وأنت تحب الخروج للشرب؟

- من اليوم يا "زاك"، ولست في حالة تسمح بالرد على كثير من الأسئلة، هيا نذهب؟

- لا يمكن يا رجل.. ذهب والداي لقضاء بعض الوقت في المنزل الريفي، وسيعودان غدًا.

أكمل:

- و... اليوم البيت فارغ، كي أفعل كل ما أريده.. أتفهم؟ هناك امرأة مثالية تنتظرني في الغرفة.

- فهمتُ.

ضحك وقال:

- سأقضي ليلة متوحشة جنسيًّا.

- سنخرج غدًا بعد البروفة، ستأتي معنا، أليس كذلك؟ الساعة الرابعة.

- سآتي.

لم أترجَّه كي يترك صديقته ويخرج معي.

أكمل "زاك":

- أراك لاحقًّا، أسمعها من هنا تئن بطريقة تعبر عن متعتها بذلك.

كان من الصعب فهم تصرفه هذا. لو كانت معي فتاة تئن من المتعة في سريري لن أحكي عنها لصديقي المكتئب عبر الهاتف! على أي حال تنصَّتُّ جيدًا لكنني لم أسمع أحدًا يئن أبدًا! بقينا في صمت مدة ثوانٍ.

قلت قبل إغلاق الخط ساخرًا:

- إلى اللقاء.. استخدم الواقي الذكري.

لم تمنعني مضاجعة "زاك" لفتاة من الخروج لأطفئ ناري، وكما يقول الناس: "اشرب، اشرب، اشرب وانسَ".

ارتديت ملابسي، سأعود للكتابة. سأخرج الآن. ربما أقابل الفكرة المثالية للكتاب الذي سيحقق لي النجاح والشهرة. لا أحتاج إلى مساعدة بعد، ربما تكمن الفكرة هناك حقًّا، في عالم السكارى، في انتظار اكتشافها..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

10

قالت "ديانا":

- "ثم صوب "زاك" - وهو مبتسم - المسدس المحشو نحو الهواء.. لقد حان وقت البدء". (وقفة) انتهينا من الفصل الثاني. هل هناك أي تعليق أو رغبة في إضافة بعض التفاصيل؟

(صمت مدة ثلاث ثوانٍ)

قالت "أماليا":

- مسدس...!

"ديانا":

- ماذا عنه؟

"أماليا":

- من أين حصلوا عليه؟

(صوت ورق)

"ديانا":

- كان المسدس "تورس 608" ملك لـ"جيتوليو فاسكونسيليو"، مرخَّص بتاريخ 2005. (وقفة) كدنا نأخذ في الاعتبار إمكانية شرائه مع المخدرات، لكن الأمر ليس كذلك. على ما يبدو كان "جيتوليو" يمتلك مسدسًا، ويعرف "زاك" مكانه.

"أماليا":

- لكن ماذا عن الذخيرة؟ كانت هناك تسع رصاصات. أليس كذلك؟

"ديانا":

- نعم، نعم.

(صرير كراسي)

"أماليا":

- خطر في بالي شيء الآن.. في الواقع، لا أدري إذا كان ذا أهمية.

(صمت ثلاث ثوانٍ)

"ديانا":

- أكملي يا "أماليا".

قالت "أماليا" بتردد:

- في شجاري الأخير مع "لوكاس".. (بصوت متردد) دخلت حجرته، وجدته يتصفح موقعًا لبيع الأسلحة. أدركتُ أنه توتر، لأنه أغلق الصفحة فور دخولي. لكنني رأيتُها، وسألته: "ما هذا؟"، لكنه، بكل بساطة، تجاهل ولم يرد. جذبته من على الكرسي، وجلست أبحث في سجل الكمبيوتر. وجدته قد تصفَّح مواقع كثيرة، أظن أن أغلبها غير قانوني. جميعها خاصة بالسلاح والذخيرة وأشياء من هذا القبيل. كنت قلقة بالطبع. حضراتكنَّ تعلمن أن "لوكاس" حاول الانتحار عدة مرات من قبل. حينها لم أعرف ماذا عليَّ فعله. كنت أعيش وأنا أراقبه، وبعد ذلك!

"ديانا":

- متى حدث ذلك؟

"أماليا":

- يوم الأربعاء.. (بكاء) يوم الأربعاء السابق للـ... أنتنَّ تعلمن.

"ديانا":

- يوم 3 سبتمبر؟ وماذا بعد؟

"أماليا":

- نعم، (صمت) كان الاثنان غريبين في ذلك اليوم. خرجت "ماريا" دون أن تخبرني إلى أين هي ذاهبة. وقضى "لوكاس" ليلته على الكمبيوتر دون تناول العشاء. كان هادئًا بطبعه، لكن في تلك الليلة سيطر عليه الصمت بشكل غريب.. شعرتُ أن شيئًا ما سيحدث.. كان "لوكاس" شابًّا مضطربًا لكنه واضح جدًّا في مشاعره.

"ديانا":

- بالنسبة إلى ما قلتِه في التحقيقات فإن "زاك" زارهما في ذلك اليوم، أليس كذلك؟

"أماليا":

- نعم. مبكرًا.. وقت الغداء تقريبًا. كان "لوكاس" قد وصل لتوه من الكلية. أنا.. لم أكن أعرف "زاك" شخصيًّا، لكنني تعرفته حينما جاء إلى منزلنا.. لأن "لوكاس" و"ماريا" قد ذهبا معًا لجنازة والديه في يوم الإثنين و... كان يبدو

هادئًا.. عزيته، وطلب أن يتحدث مع الأولاد فتركتهم! لم أكن أعرف أن... (بنبرة بها بكاء شديد) لم أكن أعرف! كيف لي أن أعرف؟

“ديانا”:

- هل تعتقدين أن “زاك” قد دعاهما في ذلك اليوم على “الروليت الروسي”؟

“أماليا”:

- نعم.. أعتقد ذلك.

“ديانا”:

- ولمَ لم تقولي من قبل إنك رأيتِ ابنك يتصفَّح مواقع عن الأسلحة؟

“أماليا”:

- قلتُ في التحقيق إن “لوكاس” قضى ليلته على الكمبيوتر.. فقد طلبوا أن أحكي لهم عن آخر أسبوع له هو و”ماريا”. وقد حكيت بالفعل.. نسيت فقط أن أذكر الأسلحة، حقًّا نسيت! لأنني تذكرتها الآن عندما كنتِ تقرأين.. وتصفين المسدس.

“ديانا”:

- بُحِثَ في سجلات كل أجهزة الكمبيوتر عن طريق الخبراء، الشيء الغريب أن الفنيين لم يجدوا أي شيء عن مواقع الأسلحة على كمبيوتر “لوكاس”.

“أماليا”:

- كان ابني يمسح السجل باستمرار، أنا متأكدة أنهم لم يجدوا شيئًا.

(صوت شخص يكتب)

(صمت مدة خمس ثوانٍ)

“ريبيكا”:

- ألَّف الشاب هذا الكتاب كي يُنشر، أليس كذلك؟ (وقفة) لكن حضراتكم لن تسمحوا.. أقصد أن نشر هذا الكلام هو شيء سخيف! (وقفة) إنه مهين!

“ديانا”:

- على حد علمنا، هناك، على الأقل، ثلاثة صحفيين في قسم التحقيقات يكتبون عن قضية “منزل سيريل”. إنهم لا يعلمون شيئًا عن هذا الكتاب، كما هو واضح، لا يعرف عنه غير القليل. لو لم تخبرن أحدًا عنه، لن يصبح هناك سبب لنشره أو ذكره في أي مكان.

“ديبورا”:

- لقد دفع ابني حياته ثمنًا لهذا الكتاب، سأنشره من أجله.

“ريبيكا” بصوت عالٍ:

- هذا شيء سخيف! هذا الكتاب يشوِّه سمعة أولادنا، ويشرح بالتفصيل طريقة قتلهم. لا يمكن أن يُعرَض للقراءة بهذه البساطة، إنهم بشر!

“ديانا”:

- سيداتي، من فضلكنَّ. إن الاجتماع...

“ريبيكا”:

- كانت ابنتي فتاة مرحة ولطيفة. إنها... (بكاء) لم تكن وحشًا كما وصفها ذلك الفتى.. إنها جميلة، و... (بكاء) رائعة. لم تكن في حاجة إلى التورط في هذا الأمر. كان بإمكاني مساعدتها، بالرغم من كل شيء كنت سأساعدها.

“ديانا”:

- من فضلك اهدئي يا “ريبيكا”.. أنا...

“ديبورا”:

- سيادتك تعلمين أنني كنت مريضة. وكنت أحتضر، (بصوت أعلى) وقد شفاني الرب لسبب ما! من أجل أن أكمل مهمة ما! سأحارب كي أحقق لابني أمنيته الأخيرة!

“ريبيكا”:

- مهمة؟ أمنيته الأخيرة؟ (وقفة) ألم تملِّي من هذا الهُراء؟ (وقفة) أنت لا تعيشين في رواية يا “ديبورا”!

“فانيا”:

- هذا الفتى محتال.. أقصد “أليساندرو”. (وقفة). لم تكن “ريتينيا” تدخن.. من المستحيل أنها كانت تلف السجائر بالماريجوانا كما قال! من يعلم أنه لم يكن يكذب؟ وأنه ألَّف كل هذا من أجل الكتاب؟

“ديبورا”:

- لمَ يُضطر ابني إلى الكذب؟ قلن ما تردن.

“ديانا”:

- عذرًا، لقد شُرِّحت جثة ابنتك. وعُثِر على آثار للكوكايين والماريجوانا. أنا... أنا آسفة جدًّا، لكن لا يمكننا إغفال النتائج العلمية.

“فانيا”:

- لا... (بكاء) لكن كيف لم ألحظ شيئًا؟

(صوت الكراسي)

“ديانا”:

- وكما قالت “ديبورا” إن “أليساندرو” لم يضطر إلى الكذب. وكل المعلومات التي كتبها تتفق مع نتائج الخبراء.

“سونيا”:

- كان شابًّا جميلًا. وبكل تأكيد، هو.. حاول حماية “دان” ومنعه من أن يتناول المخدرات. أحب “أليساندرو” “دانيلو”.. واهتم به.

“أوليفيا”:

- لم يهتم به بما يكفي كي يمنعه من قتل نفسه. لقد أطلق ابنك الرصاص على رأسه! مثل روبوت صغير، ولم يحاول “أليساندرو” منعه!

“ديبورا”:

- انظري إليها كيف تتحدث! أنت تسببين نوعًا من الفوضى فقط. لماذا لا تصمتي؟

(صوت كراسي) (أصوات عالية)

“ديانا”:

- من فضلكنَّ، التزموا الأدب!

“أوليفيا”:

- هل الحقيقة مؤلمة؟ (وقفة) لن يمنعني هذا من الكلام! لم يكن ابنك قديسًا يا “ديبورا”! كان يكره “فاليريا” و”أوتو” وابني الذي لم يؤذه أبدًا! ثم إن “نويل” طلب منه ذات مرة مساعدة ورفض! لم يساعد “أليساندرو” أحدًا إلا إذا كان سيستفيد من هذه المساعدة.

“ديبورا”:

- أفضِّل الصمت عن الرد على أخطائكنَّ!

“ديانا”:

- سكوت من فضلكنَّ! لسنا هنا لتبادل الإهانات! (حفيف أوراق) دعونا نتحدث عن مفتاح القبو، وفقًا لما كتبه “أليساندرو” فقد كان المفتاح معه منذ اليوم السابق. ومع ذلك لم تسجل مذكراته شيئًا عن هذا.

“أوليفيا”:

- إنه يناقض نفسه في القصة حقًّا! إنه يهدر وقتنا! ألا تعتقدن هذا؟

“ديانا”:

- لم يكن تناقضًا، فمن الممكن، وبسهولة جدًّا، يكون ارتبك من هول الموقف. من الجائز حدوث ذلك يوم الجمعة الموافق الخامس من سبتمبر على سبيل المثال، وليس يوم السبت، عشية “الروليت الروسي”. (وقفة) هل تتذكرين ماذا فعل ابنك في ذلك اليوم يا “ديبورا”؟

“ديبورا”:

- تذكرتُ الآن سبب توجيه هذا السؤال لي في أثناء الاستجواب.. وقد أجبت عن ذلك السؤال. (وقفة) خرج “أليس” الساعة الحادية عشرة صباحًا تقريبًا، وقال إنه سيقضي اليوم مع “زاك”. أنا... لم أناقشه. فقد كان شخصًا مسؤولًا دائمًا. ولم يكن عندي سبب للشك فيه.

“ديانا”:

- صحيح.

(صمت لمدة ستة ثوانٍ)

“أماليا”:

- هناك شيء آخر لم أفهمه.. لم أكن أعرف والدي “زاك”، لكن من الواضح أنهما كانا شخصين غنيين للغاية. الشيء غير المبرر هو.. (وقفة) لماذا ظل القبو مغلقًا طالما لا يوجد به غير طاولة مكسورة وأريكة ممزقة؟

“ديانا”:

- سؤال جيد يا “أماليا”.

“أماليا”:

- لكن ما هو الرد؟

“ديانا”:

- بفضل كتاب “أليساندرو” عرفنا أنه كان يوجد شيء آخر بالقبو. (وقفة) ستعرفن في وقت لاحق.

“أوليفيا”:

- إذن استمري في القراءة!

“ديانا”:

- هل هناك أي شيء آخر؟

(صمت لمدة سبع ثوانٍ)

(كحة)

“ديانا”:

- إذًا، الفصل الثالث: “الانتحار.. كأنك تتحول إلى إله لبضع ثوانٍ..”.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

11

من مذكرات" أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو"

قضية "منزل سيريل"، رقم: 08 – 3108 - 15634

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: "جوزيه بيريرا أكينو"، قسم 12 للأحوال المدنية بـ"كوباكابانا".

الأحد الموافق الحادي والثلاثين من أغسطس 2008.

يأتي عليك وقت تعتقد أنك بالفعل تعرف كل شيء في الحياة. حدث ذلك معي عندما كنت في التاسعة عشر من عمري. حينما فتحتُ أول حساب مصرفي بالراتب الزهيد الذي حصلت عليه من التدريب الصيفي، وتسلمت رخصة القيادة بعد اجتياز اختبارين من اختبارات "ديتران" القذرة، ومارست الجنس أول مرة في حياتي مع "جواو".

لكن كالعادة لم تسمح لي الحياة أن أحتفظ بذلك الشعور بالثقة بالنفس؛ ففي مدة قصيرة اكتشفت أن "جواو" لا تريدني مرة أخرى، وأنني كنت سأربح مالًا أكثر إذا سرت في طريق الانحراف عن المال الضعيف الذي حصلت عليه في التدريب الصيفي، وأن حركة المرور تكون غير منظمة دون مدرِّب في مقعد الراكب. بالنسبة إلى الناس العاديين، تحدث لهم أشياء من هذا القبيل، بسرعة ودون رحمة.

لم يكن "زاك" شخصًا عاديًّا أبدًا. إنه أكبر مني بعام. كنت دائمًا معجبًا به، وهذا ما جعلني أراقب أفعاله دائمًا وأحاول أن أكون مثله. ثم أدركتُ في الحال أن "زاك" ليس هو الشخص الذي يمكنني أن أرى فيه نفسي؛ في سن التاسعة، كان لديه عشرين ألف ريال برازيلي في حسابه المصرفي، ولديه بطاقتي ائتمان. في الوقت الذي اعتقدت أن اللعب مع الدمى شيء رائع، كان هو يقبِّل الفتيات بلسانه.

لا أشك أن "زاك" عرف كل شيء في الحياة وهو في سن الحادية عشر. ومن وجه التغيير وخلاقًا للطبيعة، فالحياة لم تذهب لتطرق بابه، لتظهر له أن الأشياء لا تسير هكذا. لقد كبر "زاك" وهو يعرف كل شيء، يفعل كل شيء ويحصل على كل ما يريده منذ أن بدأ الذهاب إلى المصرف لسحب الأموال. كنت بجواره خلال تلك السنوات كلها، وأستطيع أن أعد على أصابع يد واحدة كل المشكلات التي واجهته طوال حياته: رسب في الصف الثامن من الدراسة، ولم ينجح في اختبار القبول للكلية من أول مرة، ووقع في حب

فاشل مدة أسبوعين لفتاة رآها في المترو مصادفةً و... وانتهت مشكلاته. ثلاث مشكلات خلال واحد وعشرين عامًا من عمره. رقم جميل لمن يعيش في عالمنا.

بالأمس، عندما كنَّا في البروفة مع الفرقة، ورنَّ الهاتف، كان بمنزلة إبرة ثقبت البالون الذي كان يحميه دائمًا. على مر كل تلك السنين كان يعيش في عالمه الخيالي. غارقًا في بحر الفتيات والأموال والسفر. والآن جاءت تلك المكالمة الهاتفية فجأة لتأخذه إلى العالم الواقعي، حيث ينشغل الناس بحوادث السيارات وبالأمن في ريو دي جانيرو ويغرقون في الديون. كما لو كانت الحياة تأخذ حقها منه بالفوائد!

قلت وأنا أرى "زاك" مغشيًّا عليه، ويرتعش وهو مستلقٍ على الأرض بجواري: - آه، تبًّا، أيقظه!

الحقيقة العظمى هي أن لا أحد يكون على استعداد لاستقبال مثل تلك اللحظة. أقصد أننا عندما نذهب إلى أحد الأحياء العشوائية نتوقع احتمال إصابتنا برصاصة طائشة. وعندما يدخل أحد من معارفنا في غيبوبة فنحن نتوقع وفاته. لكن عندما تعيش حياتك الطبيعية، تشتري خبزًا من المخبز وتحب فتاة لطيفة، وتخلص في عملك، لا تتوقع أن تعود إلى المنزل وتكتشف أن تلك الفتاة لم تعد موجودة بعد. فقد ذهب إلى المنزل لص وقتلها، على حين كنت تعقد صفقة كبيرة في شركتك. حينها، تشعر بأنك ضائع، لا شيء، مثلما شعرت حينها، وأنا متشبث بالهاتف لا أدري ماذا أقول، لكن سألت ألف سؤال للرجل الذي كان على الجانب الآخر للخط ولم يغلقه. وكان الضابط يصرُّ - وسط أصوات متداخلة مع المكالمة - قائلًا: - أرسل أحدًا يتعرف الجثث.

بطريقة تلقائية تقريبًا، أول ما تفعله في هذه الحالات هو التشكيك في صحة الخبر. سألتُ صارخًا: - هل تعرف أسماءهم؟

أجاب الضابط:

- ماذا؟

سمعت صوت صفارات سيارات الشرطة بجواره. تكلمت بصوت عال: - الأسماء. يمكن أن تأكد لي أسماء الضحايا؟

أجاب:

- صاحب السيارة هو "جيتوليو فاسكونسيليو دا ليما"، ولا نعرف اسم السيدة.

- تبًّا.. عليك اللعنة!

لم أنطق اسمه، ولا "زاك". لا أستطيع أن أصدمه.. لا أستطيع.

حاولت البقاء هادئًا وأن أتصرف بعقلانية. لكن كلاهما أصبحا مستحيلًا خلال الدقائق التالية. غلى الدم في عروقي، وشعرت بألم شديد في رأسي كالطعنات. وذلك الشعور بالعجز مع التمني بعدم الرد على الهاتف والعودة إلى تدريب الفرقة. كل ذلك بالإضافة إلى إغماء "زاك" ولا مبالاة "جواو" - فالطبيعي أن تصرخ أي فتاة في مثل هذه المواقف الصادمة، كان الضغط من كل جانب. يا إلهي!

كتبت على يدي، العنوان الذي أملاه عليَّ وأغلقت الخط. وطلبت من "دان" أن يذهب ويخبر أمه، فهي قاضية، وتعرف ما يجب فعله. كما اتصلتُ بوالدتي وأخبرتها، إنها طبيبة أسنان، لكننا نتصل بكل العالم في مثل هذه الأوقات.

وصلتا على الفور، مذعورتين ولديهما العديد من الأسئلة. كان "زاك" قد أفاق، شاحب اللون وخاملًا. أخذته أمي إلى غرفته وأعطته مهدئًا. كان "دانيلو" متوترًا ويرتجف ويسأل مرارًا وتكرارًا عما حدث. طلبت منه والدته العودة إلى المنزل والبقاء مع الخادمة. وجد كل من "لوكاس" و"جواو" عذرًا للمغادرة.

قررت أمي و"سونيا" الذهاب معًا إلى مشرحة الطب الشرعي وأن يبلغانا بما سيحدث. كان يمكنني أن أذهب معهما لكنني بقيت مع "زاك" لأهتم به، تاركًا هذه الأمور للكبار.

شعرت بالأسف على صديقي، ماذا سيفعل دون والديه؟ وتذكرت أنني ذات مرة سألتُ "زاك": "ماذا يعمل والدك؟". أجابني ببرود: "إنه يربح أموالًا". وكان هكذا بالفعل. كان "جيتوليو" يشتري شركات وعلامات تجارية عالمية ليستثمر أمواله ويملأ حساباته المصرفية بالأموال الكثيرة.

والآن ماذا؟ هل سيعرف "زاك" على الأقل كيف يقيس الإمبراطورية التي تركها له والده؟ أستطيع توقع سير الأمور معه. سيحاول محامي العائلة بخبرته أن ينال جزءًا من الثروة مستغلًّا جهل "زاك". فالعالم مليء بأشخاص من هذا النوع.

أرغب في تكسير كل شيء حولي، تلك الرغبة المتوحشة التي تنتابنا فجأةً، للتمرد ضد العالم القبيح وزعزعة السلام الاجتماعي السامي الذي ننعم به في جو من البرجوازية. أردت الهروب إلى مكان بلا أمهات، بلا أموات ودون "زاك". لكن ذلك المكان لم يكن موجودًا. حتى إذا دخنت كمية كبيرة من الماريجوانا، أو شربت لترات من الكحول، لن أجد ذلك المكان أيضًا.

السيناريو المعتاد نفسه، لكن العناصر أكثر جمودًا. الأثاث يلقي بظلاله وسط الظلام، الإضاءة الضعيفة التي تسقط على السرير في منتصف الغرفة.

وقدما “زاك” تتدليان من السرير، ورأسه يختبئ تحت الوسادة، كما كان الحال عادةً.

كانت حركة الشهيق والزفير هي العلامة الوحيدة على الحياة في جسده الخامل.

أخذتُ مرتبة من أسفل السرير، ووسادة مريحة ملقاة على أرضية الغرفة. ومددتُ جسمي في حالة من الاشمئزاز من الظلام، ليست لدي رغبة كي أغير ملابسي، أو أغسل أسناني، أو أتصل بأمي لأعرف آخر الأخبار، أغمضتُ عينيَّ وحاولت النوم.

كنت أشعر كأن كأسًا تكسَّر داخل مخي، وأن شظايا الزجاج تخدش الخلايا العصبية به. ودون مقاومة مني وجدتُ الأحداث التي وقعت في آخر خمس ساعات، تراود خيالي في لقطات عشوائية؛ الفرقة. الهاتف. الحادث. “زاك”. الوفاة. معهد الطب الشرعي. “دان”. المسؤولية. الحياة. النهاية.

نمتُ بعمق بالرغم من كل شيء. استيقظتُ الساعة الثامنة صباحًا، على صوت مطرقة باب المنزل التي لم تكف عن الطرق. تفقدتُ هاتفي المحمول، وجدت سبع مكالمات فائتة خلال الليل. كانت كلها من أمي.

تركت الباب وذهبتُ لغسل وجهي، وبالنظر إلى المرآة وجدتني منهكًا. كنتُ أشعر بالتعب من اليوم السابق. تمشيتُ بثقل في الممر، متأكدًا من وجود أمي عند الباب، ويبدو التعب على وجهها والمزاج السيئ الذي من الطبيعي أن يسيطر على شخص قضى ليلته في مشرحة الطب الشرعي.

أخذتُ نفسًا عميقًا وفتحتُ الباب، بالرغم من مفاجأة الزيارة، بقيت ثابتًا في مكاني.

- إذًا، هل تعلمت كيف تلعب البوكر؟

ارتسمتْ ابتسامة ساذجة على وجهي. لقد اختار طريقة جيدة ليبدأ بها الحديث.

- وأنت هل تعلمت كيف تختار ملابسك؟

كان “أوتو” يرتدي بنطال جينز عجيب، وقميصًا مخططًا باللونين الأخضر والأحمر والحذاء الرياضي الذي ربحه مني في البوكر. اعتقدتُ أنه يكون قد ارتدى ذلك اللبس عمدًا، لكنني لم أره منذ نحو ستة أشهر، فالشخص الغبي فقط هو من يفعل ذلك عمدًا بعد كل تلك المدة. بدا الآن مختلفًا بعض

الشيء. ربما لكونه أطول، وشعره أطول ونمت لحية صغيرة بوجهه، اختفى أيضًا حب الشباب من وجهه.

- ألن تسمح لي بالدخول؟

ابتسمتُ:

- لستُ صاحب المنزل.

اقترب "أوتو" مني ليجبرني على الدخول، وهو يسأل: - أريد التحدث معه، هل "زاك" موجود هنا؟

ابتعدتُ عن الباب وجلستُ على أحد الكراسي المنجَّدة حول طاولة في وسط البهو. أمامها مباشرةً الطاولة الزجاجية حيث كنَّا نلعب البوكر معًا في تلك الليلة. شعرتُ بالضيق لوجودي هناك من جديد مع "أوتو".

ألقى بنفسه على الأريكة واضعًا حقيبة الظهر الصفراء جواره، وعلق قائلًا: - مضى وقت طويل، أليس كذلك؟

أجبته:

- لم أفتقدك.

وضع يده على جبينه، وتعجب قائلًا:

- ألا يمكنك حتى التظاهر!

- أنا أكبر من ذلك.

- أنت تتحدث مثل جدي.

بادلته السخرية قائلًا:

- ربما أكون جدك.

- جدتي، أيها الوقح!

أكمل "أوتو" وبدأ يمزح. لو أنه يريد أن نصير أصدقاء سيفشل. كان غضبي يزداد مع كل كلمة ينطقها. ربما لا أكون اجتماعيًّا حقًّا.

بقينا صامتين، كنت أحرك أصابعي على مسند الكرسي منتظرًا كي يكمل حديثه. ثم قال فجأةً: - أتعلم يا "أليس".. أنت لست فضوليًّا.

- شكرًا.

- لم يكن هذا مدحًا بل ذمًّا.

-

أضفت بقسوة:

- شكرًا على أي حال.

- أريد قول.. إنك حتى الآن لم تسألني عن سبب مجيئي.

هززت كتفيَّ وقلتُ:

- أنت قلت بالفعل: "أريد التحدث مع "زاك". إذًا فالأمر لا يعنيني.

صمت مرة أخرى. ثم سأل:

- هل أنت على علم بما حدث في لعبة البوكر تلك؟

أجبته بقسوة وصرامة شديدة:

- دعني أتذكر. أنت جعلتنا نشرب حتى السكر، أخفيت أوراق اللعب وربحت حذائي الرياضي. هل فاتني شيء؟

قبع "أوتو" بشكل لا إرادي في مكانه بالأريكة وشبك ساقيه. وقال وهو يضع يديه بين فخذيه: - من المستحيل التحدث معك. أيمكنك أن تنادي "زاك"؟

نظرتُ إلى عينيه، لكنه أدار وجهه، فقلت:

- حسنًا، أريد أن أسألك يا "أوتو". هل تعلم ماذا حدث لـ"زاك"؟

أجاب كما لو أننا نتحدث عن أشياء تافهة:

- شاهدتُ على التليفزيون باكرًا اليوم، وجئتُ أركض إلى هنا.

- ألا تفترض أن "زاك" ليس في حال يسمح له بالحديث مع أي شخص، ولا معك أنت على الأقل؟

أجاب وقد فك تشبيك ساقيه، واستند بظهره إلى الأريكة: - أريد أن أتحدث معه عن أمر مهم بالنسبة إليه.

أجبته متماسكًا حتى لا أنهض وأصفعه على وجهه:

- تبًّا، ما هذا الهراء!

ضحك "أوتو" بصوتٍ مرتفع كما لو أراد أن ينبِّه "زاك" إلى حضوره.

- لا أعرف إذا كنت مدركًا، لقد مات أبواه في البارحة، لقد أخذ مهدئًا وهو الآن نائم، وما زال عاجزًا عن استيعاب ما حدث. فلا تقل لي "أريد أن أتحدث معه عن أمر مهم بالنسبة إليه"!

صمت، وصمت، وصمت. ثم قال أخيرًا:

- أريد أن أحكي لك حكاية.

- لا شكرًا، أنا في حاجة إلى النوم.

بدأ "أوتو" في الحكي دون توقف:

- ذات مرة كان هناك عصفور.. يعيش في قفص، لكنه كان محبوسًا تمامًا، بالرغم من أن باب القفص كان مفتوحًا دائمًا، لم تكن لديه الشجاعة لكي يخرج منه، كان خائفًا أن يغادر الأرض ويطير، أتعلم؟

تنهَّد "أوتو" منتظرًا رد فعلي، لكنني لم أتحرك.

- ذات يوم قرر العصفور الخروج من القفص، أطلق العنان لنفسه، فشعر بحرية كبيرة، رائعة وخالصة. حينئذٍ، بقي سعيدًا حقًّا.

أنهى "أوتو" الحكاية وهو مبتسم.

- رائع! يجب أن تسجل "سي دي" به قصص للأطفال، ربما تكسب بعض المال.

أطلق "أوتو" ضحكة عالية مرة أخرى، وشبَّك ساقيه من جديد. بدأت تلك الحركة تزعجني.

وقال مفسِّرًا:

- لقد تركتُ المنزل يا "أليس". هذا هو ما كنتُ أريد قوله. هربتُ من المنزل، أنا العصفور.

كان هذا دوري كي أضحك.

- لا أفهم. قررت أن تطير وجئت إلى هنا لتبحث عن عشك، أليس كذلك؟

- نعم.

أجاب كما لو أن هذا شيء طبيعي.

نهضتُ وأدرتُ الكرسي. سندتُ ذراعيَّ على الكرسي ونظرتُ إلى "أوتو" بثبات.

- أنا... في الحقيقة لا أجد ما أقوله، بالتأكيد أنت مجنون.

قال بكل رصانة:

- أنا واعٍ لكل تصرفاتي.

وحينئذٍ نهض كي لا يدعني وحدي واقفًا فأخيفه.

تمتمت:

- ماذا يمكنني أن أقول لك؟

أجاب وهو يقترب نحوي:

- أعرف ما ستقوله لي، أن أخرج من هنا! أليس كذلك؟ لكن هذه الطريقة لن تفلح!

اقترب بوجهه بطريقة غير مريحة لي:

- سأكرر السؤال يا "أليس"، هل لديك علم بما حدث في لعبة البوكر؟

بقيتُ صامتًا، وقد فهم أن ذلك ردًّا بالنفي.

- بعدما خرجت من اللعبة مهزومًا، قمنا بالرهان على أشياء أخرى.. أكثر حميمية.

صرختُ:

- اخرس يا "أوتو"!

- بدأ بشيء أحمق، أتعلم؟ راهنًّا من يستمني الآخر.

اتجهتُ نحو الباب وفتحته وأمرته قائلًا:

- تبًّا لك يا "أوتو" اخرج من هنا أيها القذر!

لم أكن أرغب في سماع ما كان يقوله.

- خسر "زاك".. وبعد ذلك أكملنا اللعبة.. راهنا على ممارسة الجنس الفموي.. وبعد ذلك حدث كل شيء.

كانت كلماته مسيئة وتعارضت مع كل ما كنتُ أعرفه عن "زاك" بعد كل هذه السنين.

- "بعد ذلك حدث كل شيء". أي شيء يا شاذ؟ اخرس واخرج يا مقزز!

تمالكت نفسي حتى لا أضربه. كنت أريد أن أركله مثل الكلب غير المرغوب فيه في مطعم راقٍ.

قال وهو يجلس من جديد على الأريكة:

- أحببنا ذلك الشيء. وفعلناه عدة مرات. حتى بعيدًا عن لعبة البوكر. كانت أول مرة هنا، على الكرسي حيث كنت تجلس أنت. كان والداه مسافرين، وقضينا ليلة رائعة.

شعرتُ بالاشمئزاز. من المحتمل أن يكون كل هذا كذبة صريحة، بالطبع لأن "زاك" لم يكن هنا للدفاع عن نفسه ضد تلك الأكاذيب التي قالها ذلك الأحمق. لماذا يجب أن أصدقه؟

- أعرف "زاك" منذ الصغر، أيها الحقير، كنت أراه يرافق فتيات أكثر مما تتخيل، شاهدته معهن.

هزَّ "أوتو" رأسه ورسم ابتسامة على وجهه وشرح بنبرة علماء النفس للشباب المجرمين ذاتها، قائلًا: - مسكين "زاك"! أشعر بخوفه. أنا أيضًا كنت مثله، العصفور السجين في القفص الخائف من الطيران، في حاجة إلى شجاعة كبيرة، هل تعلم؟

- اخرج من هنا، هذه آخر مرة أقولها لك يا "أوتو".

لم يبد عليه أنه سمعني، بل استمر مستلقيًا على الأريكة، يهذي بتلك الأكاذيب: - اليوم في الصباح الباكر عندما علمت بخبر وفاة والديه، أدركتُ أنه بمنزلة إنذار! إنذار بأنها لحظة الطيران. لأثبت للعالم من أكون. سنصبح سعداء بهذه الطريقة فقط.

- من قال إنه سيكون سعيدًا معك يا "أوتو"؟ يبدو أنك صدقت أنك من الآن ستستطيع بكل سهولة الانتقال إلى هنا.

رفع "أوتو" حاجبيه، كما لو كان لم يفكر في هذا حقًّا، وقال: - "زاك".. "زاك" يحبني.

وشبك ساقيه، مضيفًا:

- كان يخفي هذا فقط بسبب والديه. كاد "جيتوليو" يكشف أمرنا ذات مرة.. كان هناك ضغط كبير عليه. لكن "زاك" يحبني.

- هذه سخافة!

علق "أوتو" بطريقة مؤكدة:

- بكل تأكيد ستكون وفاة والديه خيرًا له.

اشتعل جسدي من الغضب. واتجهتُ نحو ذلك التعيس الذي لم يكن يتوقع اللكمة التي وقعت على وجهه. لم أضرب أحدًا طوال حياتي، لكنه كان إحساسًا جميلًا.

سقط من الأريكة، ونظر إليَّ وهو فاقد الوعي، وعيناه مندهشتان، لا يصدق ما حدث.

ركلتُ بطنه:

- اخرس! الركلة القادمة ستكون في فمك، أيها القذر!

ظل صامتًا، متفاجئًا من تصرفي هذا.

قال "أوتو" وهو يجلس بانحناءٍ على الأريكة:

- هذه هي الحقيقة يا "أليس".

مرر سبابته على شفته السفلى التي كانت تنزف. وقال: - ما كان عليك أن تفعل هذا.

- وأنت لم يكن عليك أن تأتي إلى هنا، اخرج!

عدتُ إلى الباب وفتحته. على حين جلس "أوتو" على الأريكة وقال: - بعد أن علمت خبر وفاة والديه، قررتُ أن أحكي كل شيء لوالدتي، لأنها كانت لديها بعض شكوك. وبالطبع قد فعلت الصواب. لم يملك "زاك" أبدًا هذه الشجاعة. لن أدَّعي أنني حزين على موت والديه. سوف تكون فرصة له للتحرر أكثر.

سألته وأنا رافض سماع ذلك:

- هل تريد أن أضربك أكثر؟

نهض "أوتو" وهو يتمتم:

- سأذهب الآن، لكنك سترى كيف سيصبح سعيدًا.

قلتُ له وأنا ممسك بمقبض الباب:

- اخلع حذائي الرياضي!

- ماذا؟

صرختُ، بالرغم من أنه كان على بعد أمتار قليلة مني: - اخلع حذائي!

قال:

- لن أمشي حافي القدمين من هنا.

فتحت الباب بقوة أكثر لبدء الجولة الثانية. عندما اقتربتُ منه ركع، كنتُ أطول منه وربما أقوى منه. لم يكن "أوتو" مستعدًا للمجازفة.

- اخلع حذائي. هل فهمت؟

حدق بعينيه المذعورة وبالجانب الأيسر المتورم من وجهه ويده المستندة إلى معدته، وخلع الحذاء. وسار في جواربه حتى الباب. كان موقفًا مثيرًا للشفقة،

لكنني شعرت بشيء من الفخر عندما رأيته حافيًا ومشردًا.

قال وهو يُمسك الباب:

- أتعرف ما هي مشكلتك يا “أليس”؟ تعتقد أنك أقرب صديق لـ”زاك”، وأنه صديقك المخلص. تظن أنه سيحكي لك كل شيء، وأنني أكذب، لكنك مخطئ، مخطئ تمامًا.

اقتربتُ وتراجع “أوتو” تاركًا الشقة. لقد ألقى الصنارة، واعتقد أنني التقطتُ الطعم، قائلًا: - في الواقع، إن لم أكن مخطئًا، أنت كنت غاضبًا يوم الجمعة الماضية، وحزينًا جدًّا، أليس كذلك يا “أليس”؟ واتصلت بـ”زاك” وطلبت منه أن تخرجا للشرب.. كنتُ أنا المرأة المثالية. صديقك القذر كان معي.

وأغلق الباب.

فكرتُ أن أجري خلفه كي يفسر تلك القصة، لكنني تراجعتُ. حينئذٍ شعرت فجأة بسوء. طعم مرارة بفمي يصعب تعريفه. استلقيت على الأريكة وكانت كلمات “أوتو” تطرق رأسي.

“ كنتُ أنا المرأة المثالية. صديقك القذر كان معي”.

شعرت برغبتي في التقيؤ، كي أطرد كل ذلك الاشمئزاز الذي استهلكني. لقد فضَّل “زاك” أن يمارس الجنس مع “أوتو” على أن يخرج للشرب معي. كان يكذب طوال ذلك الوقت، قد اختلق صورة البطل الذكوري ليثير إعجابي. أتلك هي الصداقة؟

شعرتُ بغضب شديد تجاه “زاك”. كل ذلك النفاق كان يؤذيني. وفاة “ماريا كلارا” و”جيتوليو”. كمية الأوراق. الصرخات التي تصم الأذن. والآن “زاك” و”أوتو” وعلاقتهما المثلية. شعرت بالاشمئزاز من الوجود هناك. من العيش في عالم من الشر، من الشذوذ الذي لا حدود له، من الناس ذات الوجهين.

اليوم، أول مرة، فكرتُ في الانتحار.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

12

الفصل الثالث:

الانتحار.. كأنك تتحول إلى إله بضع ثوانٍ. لقد أدركت هذا الآن.

ذات مرة، قرأتُ مقالًا شيِّقًا جدًّا يشرح كيف نشعر عندما نعرف أننا سنموت، ونكون على دراية بموعد انتهاء حياتنا. أكَّدَت الأبحاث أن الأشخاص الذين يعلمون موعد موتهم يصابون بالاكتئاب، ويعيش أغلبهم في مرار ويأس بطريقة تجعل الأيام كلها تمر لتقرِّبَهم من النهاية. على حين يخاف آخرون ويرغبون في الاستمتاع باللحظات الأخيرة من حياتهم فيرتكبون أفعالًا جنونية وغير إنسانية متجاهلين في ذلك الأعراف الاجتماعية.

أتذكر أنني حاولت في وقت ما أن أتخيل كيف سيكون شعوري في لحظة اقتراب موتي. لكنني فشلت. والآن هأنا هنا أخوض تجربة الموت الوشيك.. جميعنا في الواقع نخاف من الموت، نخشى من عدم التأكد من العودة إلى المنزل سالمين، إذا كنَّا سننام ليلة أخرى، وسنحظى بليلة جماع أخرى، أو سنشاهد فيلمًا آخر أو ننتهي من قراءة كتاب آخر. في النهاية ينتهي كل شيء؛ نموت وتدفن معنا أحلامنا.

يُدفن الشخص الميت بمشاريعه وآماله وكل شيء.. ينتهي كل شيء في لحظة. لكن الحياة تستمر. يضغط الإله زر "قف" وينهي دور الشخص في هذا العالم الصغير.

بشكلٍ ما، يشوه الانتحار ذلك الأمر المحدد سالفًا للحياة والموت. سيكون الأمر كما لو أنك تسرق سيطرة اليد الإلهية، وتضغط زر "قف" وقتما تشاء. فتسرق منه بهذه الطريقة حق التحكم في حياتك. شيء جميل، أليس كذلك؟

بضحكة عالية، وجَّه "زاك" المسدس صوب رأسه، وقال: "بووو!"، كما لو كان قد أطلق رصاصة.

شعرتُ بتوتر يسود المكان في تلك اللحظة، فقد استطاع "زاك" أن يأتي بنا إلى هنا، وأقنعنا أن ننهي حياتنا معًا مرةً واحدة. كان القائد والمُعلم. فقد عمل على توضيح كل شيء لنا. وقف مستقيمًا بنظرة ثاقبة وحركات حازمة، دون أن يظهر أي ضعف أو ندم على إطلاقه هذه المبادرة.

صرخ وهو يلوِّح بمسدسه في الهواء مهددًا الجميع:

- اجلسوا حالًا!

بقيت في مكاني أراقب الدائرة التي كانت تتشكل على بعد أمتار قليلة. فقد جلستْ "ريتينيا" بين "فاليريا" و"لوكاس" متجنبين "نويل" قدر الإمكان. واستمر "دان" قابعًا في مكانه يمضغ العلكة بغضب، فما زال مستاءً مما قلته. ذهبت "جواو" إليه وأمسكتْ بذراعه. ثبَّت "دان" عينيه عليَّ دون أن يرمش، وصوَّب ناحيتي نظرات من الكره والغضب كأنها رصاصات من عيار AR-15. تأخر بضع ثوانٍ حتى انضم إلى باقي المجموعة. حينئذٍ جلست "جواو" إلى يسار أخيها وإلى جانبها الآخر جلس "دان". لم يهتم أحد بأنني لم آخذ مكانًا في الدائرة. ما زال "زاك" واقفًا بالقرب من الباب، يتفحصنا من بعيد كما لو كنَّا فئران تجارب.

أمر قائلًا:

- اجلس هناك يا "أوتو"!

لكن يبدو أن "أوتو" لم يسمع. كما لو كان من الممكن ألا يسمعه ونحن في قبو صغير كهذا. واستمر خافضًا وجهه إلى أسفل وشعره يغطي جبهته وأذنيه. كان خداه مشدودين وكانت أسنانه تصطدم ببعضها. فقد شم ثلاثة أسطر كوكايين على حد علمي. وبدأ يقول: - كنت أفكر...

لم يكمل الجملة، وحرك رأسه مستندًا بجسده إلى الحائط. اقترب منه في خطوات ملتوية وصرخ: - لا تفكر يا "أوتو"! ادخل في الدائرة الملعونة فحسب.

علقتْ "ريتينيا" قائلة:

- اترك الرجل وشأنه! إنه داخل الدائرة!

وافق "زاك". وكان جسده يتأرجح يمينًا ويسارًا. وقف في المنتصف يتأمل الستة أفراد بالدائرة غير المنظمة. تخيلته عاقدًا وشاحًا على عينيه وبدأ يمشي مثلما كان يفعل عندما كنَّا نلعب في طفولتنا بالمنزل نفسه. لكن لا، لم يكن الأمر هكذا.

المسدس في يد "زاك"، ورائحة الثمالة تفوح في الأجواء بسبب الماريجوانا. يجلس الجميع على الأرض، ينظرون إلى الأسفل، كان كل شيء يذكرنا بأننا لم نكن هنا للعب فحسب.

علّق "زاك" وهو يفتح زجاجة الفودكا السادسة قائلًا:

- الخطة كالآتي...

تفحص كل واحد منا بعينيه الزرقاوين اللتين أصبحتا حمراوين بالفعل. كنتُ أنظر إلى "أوتو" بين الحين والآخر، محاولًا جذب انتباهه، لفهم ما الذي كان يفعله ذلك البائس الواقف في ركن مظلم من القبو. شرب رشفة من

الزجاجة، فأنهى خُمسها دفعة واحدة ثم فتح فمه لتخفيف الشعور بالحرقان في حلقه.

وأكمل قائلًا:

- سنطلق الرصاص. لا مجال للتراجع.. علينا أن نُطلق الرصاص. سنموت واحد تلو الآخر. ويمكن للأخير أن يختار...

تناول رشفة أخرى وقال:

- يمكنه أن يختار بين أن يموت مع البقية أو يعيش.

ساد الصمت في المكان ووافق الجميع على القواعد. وبدا "نويل" في كوكب آخر على حين أنه كان حاضرًا بجسده فقط بجوار "فاليريا" بالدائرة.

- تبدأ كل جولة بشكل مختلف.

أخذ رشفة أخرى، ووقع بعض السائل من فمه على قميصه البيج ولطخه، لكنه لم يبالِ وسأل: - اتفقنا؟

صرخ "أوتو" في ركنه ثم عاد إلى حالة الخمول التي كان عليها.

اقترحتْ "فاليريا" قائلة:

- قبل الضغط على الزناد يقول كل واحد منا جملة تبقى كالأثر مثلما يفعل هؤلاء الذين يدخلون التاريخ.

نظرتُ إليها بطريقة ودودة أكثر، فقد كانت فكرة رائعة.

وأكدت "جواو" قائلة:

- مثل "حتى أنت يا "بروتس"!

أكملت "فاليريا" وهي تضحك:

- و"عندما تنتهي الموسيقى تطفأ الأنوار".

سأل "لوكاس" وهو غاضب والسيجارة معلقة بين شفتيه:

- من قال هذا الهراء؟

أجابت بضحكة أخرى:

- "هتلر". قبل أن يطلق الرصاص على رأسه في 30 أبريل سنة 1945.

نسيت أن "فاليريا" درست التاريخ.

عصرت "جواو" دماغها وقالت:

- أتذكر أن... كل هؤلاء الأشرار قد انتحروا، أليس كذلك؟ فقد أطلق "جيتوليو فارجاس" الرصاص على رأسه أيضًا.

صححت "فاليريا"، كما لو كانت تخاطب تلاميذ في الصف السابع، قائلة: - بل على قلبه.

-ماذا؟

- لم يطلق "فارجاس" الرصاص على رأسه. بل كان على قلبه. يجب عليك معرفة التاريخ جيدًا. و...

وافقها "لوكاس":

- نعم، لكن للأسف ليس لدينا وقت للتعلم.

انفجر كل من "فاليريا" و"جواو" في الضحك وحاولتا الاسترخاء. وظل "لوكاس" جادًّا دون أن يفهم أن ما قاله مثير للضحك.

أخذ "زاك" آخر رشفة في الزجاجة ومسح شفتيه بذراعه. وطلب مرةً أخرى قائلًا: - تبًّا يا "أوتو". اجلس هناك كي نبدأ.

عدنا إلى الصمت. التفت "أوتو"، على غير عادته، إلى "زاك" وأشار إليَّ بالسبابة دون أن ينظر لي، وتساءل: - ألم يدخل في الدائرة أيضًا؟

ظل "زاك" صامتًا في انتظار ردِّي. لم أجبْ. وقال صديقي وقد نفد صبره: - لا يوجد سوى ثمان غرف فقط في المسدس يا "أوتو". نحن تسعة. سوف يدخل "أليس" في الجولة الثانية.

أحدث "أوتو" ضجة أخرى غريبة بفمه ومص لعابه، ورسم ابتسامة أظهرت أسنانه، ثم أغمض عينيه بقليل من خيبة الأمل، وتساءل: - لماذا هو؟

قلتُ لنفسي: "ابن العاهرة!".

تأوَّه "أوتو" متأثرًا وقال:

- سأدخل أنا في الجولة القادمة. وليس هو!

- لم يكن هذا ما اتفقنا عليه.. أنت تعلم أن "أليس" يدوِّن كل شيء في الكتاب وأن...

أومأ "أوتو" بطريقة مبالغة، وابتعد عن الحائط وكان شعره يرفرف كما في إعلانات الشامبو، وسار نحو "زاك" قائلًا: - تبًّا لكتابه! لا يهمني هذا الكتاب

اللعين! إذا لم يدخل هو لن أدخل!

نهضتُ قائلًا ببرود كما لو كنت أصفه:

- يا قذر، لن أشارك في الجولة الأولى سواء كنت تهتم أو لا تهتم بكتابي، لكن كي أستطيع كتابة حالة وفاة واحدة على الأقل. أفهمت! وافق الجميع، إذن اترك هذه التفاهات وادخل في الدائرة.

لقد تردد. ربما لا يزال لم ينسَ تبادل المودة في لقائنا الأخير. لقد تفحصني من أعلى إلى أسفل كما لو أنني لم أكن جديرًا باهتمامه، ثم التفت إلى "زاك"، واقفًا على بعد سنتيمترات من وجهه، للحظة، ظننت أنه سيقبِّله هنا أيضًا، وصرخ: - يجب أن نكون ثمانية فقط! اللعنة، هناك ثمان طلقات فقط. يجب أن نكون ثمانية أشخاص!

ابتلع "زاك" لعابه، وكانت عيناه قد أصبحت ذابلتين من المخدرات. وقال قاطعًا الحديث بحدة: - لا يهم. اجلس ودعنا نبدأ!

ضحك "أوتو" ساخرًا، ونفث هواء رمادي من فمه قائلًا:

- لن أقف في الدائرة من دونه. أأنت أصم؟

كان "نويل" لا يزال في كوكب آخر، بعيدًا عن النقاش. ما زال البقية يشاهدون من المقصورة دون دفع تذاكر!

غضب "زاك" وقال:

- إنك خائف، هذه هي حقيقة الأمر!

قالت "فاليريا" وهي تغادر الدائرة:

- هيا بنا نُجري قرعة بالعملة! إذا كان ملكًا، تدخل أنت، وإذا كانت كتابة يدخل "أليس".

أخرجتْ من حقيبتها العملة المعدنية الملعونة التي كانت تحملها معها دائمًا، ووضعتها في راحة يدها السمينة.

تركتُ الكتابة وصرختُ قائلًا:

- أوقفي هذا الهراء يا "فاليريا"! لن أترك القرار للحظ!

تساءل "أوتو" وهو يشير برأسه نحوي، قائلًا:

- من تفضل يا "زاك" هو أم أنا؟

رمش "زاك" بعينه كعادته عندما لا يجد ما يقوله. أنصتُّ جيدًا وتطلعتُ لسماع الرد.

أصر "أوتو" قائلًا:

- من يا "زاك"؟

أجاب "زاك" بعد عدة ثوانٍ، وهو يمرر أصابعه على بقعة الخمر على قميصه، قائلًا: -هو.

شعرتُ بشيء من الفخر. لقد فزتُ. قطَّب "أوتو" حاجبيه، وتساءل بصوت هامس هذه المرة وبطريقة مغرية: - هل فعل لك الأشياء التي فعلتها أنا؟ بالطريقة التي فعلتها أنا؟

تجمَّد المشهد. بدا "زاك" متعبًا قليلًا ورأسه إلى الأسفل، وينظر "أوتو" إليه وكانت عيناه كأعين الحيوانات المحنطة.

أرادتْ "فاليريا" أن تعرف، وهي تحتفظ بالعملة في كفها، وتتابع الجدال، فسألتْ: - ماذا يقصد؟ ماذا فعل لك؟

لم يردَّ "أوتو"، بل اكتفَ بابتسامة فقط على وجهه الحقير الآن. وقال "زاك" وهو يلوح بيده لإنهاء النقاش: - إنه سكران! انسَ الأمر.. هيا نبدأ.

ردَّ "أوتو" وهو يرفع شعره من فوق جبينه، والجميع منتبهين إلى ما سيقوله، متسائلًا: - نعم أنا سكران، لكنني لم أكذب. لماذا لا تحكي لأصدقائك عن تلك الأسرار الصغيرة، يا حبيبي؟ سنموت كلنا، أليس كذلك؟

أحكم "زاك" قبضة يده واحمرَّ وجهه من شدة الغضب، ونظر إليَّ بطرف عينه ليلاحظ رد فعلي، لكنني حاولتُ أن أبقى غير متأثر.

لاحظ "أوتو" ذلك، وقال:

- آه، لا يا "زاك"، لا تقلق من "أليس". إنه يعرف كل شيء.

ثم اقترب من "زاك" وكاد يقع بعدما تعثر في شيء غير مرئي، فاستند على صدره، وابتسم وهو يقترب من أذنه وهمس له: - لقد حكيتُ له.

كان "زاك" بطيئًا في الرد، حاول أن ينطق ببعض الكلمات، وضع يده على جبينه، وبحث عن أي تعبير في وجهي يعبر عن مسامحتي إياه. أكد لي الخوف في عينيه كل ما قاله "أوتو" عنهما الاثنين. تلعثم على حين تتدلى من يده زجاجة فارغة وعيناه مملوءتان بالدموع، قائلًا: - ماذا حكيت لـ...؟

- كنتَ تحت تأثير المهدئ. وأنا قررتُ أن يكون هذا هو الوقت المناسب للكشف عن الحقيقة.

بدأ "أوتو" يشرح وهو متخيل نفسه سيد الموقف:

- كنت أنا وهو هناك...

قاطعته "فاليريا" قائلةً:

- ما هذا الهراء الذي تقولونه؟

سيطر الفضول على الصبر. ضحك "أوتو" وانزلق على جسم "زاك" حتى سقط جالسًا على الأرض، حينئذٍ مد يده لـ"فاليريا" وقال: - أنتِ لن يعجبك سماع ذلك. "زاك"...

قُطِعت الجملة فجأةً. حاول "زاك" أن يستغل الوضع السيئ الذي كان عليه "أوتو" وركل صدره فوقع "أوتو" للخلف ارتطمت رأسه بالأرضية الجافة. قفز "زاك" ما يقرب من مترين على ذلك النحيل كما يهجم الأسد على فريسته التي لا تستطيع الحركة.

كان "أوتو" بين ساقي "زاك" الذي كان يمسك عنقه بيده اليسرى ويلكمه بقبضة يده اليمنى في وجهه دون توقف. لم أتحرك، فإنه يستحق الضرب. أما الآخرون الذين لا يعرفون حقيقة "زاك"، ذهبوا للمساعدة محاولين جذب ذراعيْ "زاك" بلا جدوى. فقد بدت ذراعاه وكأنهما يلعبان التنس برأس ذلك الحقير.

صرخ وهو غاضب بشدة من محاولاتهم لمنعه:

- اخرس يا ابن العاهرة!

ابتعد عنه عندما شعر بالتعب.

ظلَّ "أوتو" على الأرض يتلوى، وكانت آثار أصابع "زاك" ظاهرة على عنقه، ووجهه ملطخ بالدماء، دماء كثيرة. وهو يتلمس وجهه صرخ بطريقة بها انكسار: - تبًّا "زاك"، انظر ماذا فعلت بي! أنا.. أنا أصبحت مشوهًا.

تساءلت "فاليريا" كما لو أن ذلك العراك لم يكن كافيًا للفت نظرها: - عما كنت تتحدث يا "أوتو"؟

نظر إلى "زاك" ووجهه إلى الأسفل وتتدلى منه النظارة المعلقة بأذنيه.

- لقد قلتُ فقط.. أننا يجب أن نكون ثمانية أشخاص وليس تسعة!

أكملت "فاليريا" وهي تشير بإصبعها:

- "أوتو"! لا، ليس كذلك. إنه شيء آخر، أنت كنت تتحدث عن...

تمتم خائفًا:

- أنا.. لا أعرف.

ثم لف ذراعيه حول ساقيه وعاد إلى مكانه هادئًا وكان يتحسس الجروح بوجهه من وقت إلى آخر مدركًا أن الجزء الأيسر من وجهه قد بدأ في التورم.

عاد "نويل" أخيرًا من الكوكب الآخر، نظر إلينا بالتعبير اليائس نفسه على وجهه المنمش.

صرخ "زاك" وهو يلوح بالمسدس في الجو:

- تعال إلى الدائرة يا "أوتو"! هذا آخر نداء.

ظل صامتًا مدة ثوانٍ قبل أن يرد قائلًا:

- يمكنك أن تضربني كما تشاء، هيا اضربني أنا حبيبك الشاذ مثلك! لكنني لن أدخل قبله، لن أدخل حقًّا!

أثار جداله غضب "زاك" الذي نهض من جديد، على حين انكمش "أوتو" في مكانه وأغمض عينيه واستعد للضرب من جديد.

ذهب "زاك" إلى ركن أكثر ظلامًا بالقبو وانحنى ليلمس شيئًا، عندما عاد إلى المكان المضاء كان الشيء الذي يمسكه في يده واضحًا؛ رجل كرسي مربوطة بحبل. مدة ثانية توقعت أنه سيضرب بها "أوتو" وأعجبتني الفكرة. لقد دُهشتُ عندما رأيتُ "زاك" يلقي بالخشبة على الأرض ويمسك الحبل فقط بيده. لاحظتُ وجهه الغاضب محاولًا أن أفهم ما يدور في رأسه. اقترب من "أوتو" قدر المستطاع فجعله يتبول بطريقة لا إرادية في بنطاله ثم ركله، وصرخ والعرق يتساقط من جبينه: - تعال ساعدني يا "لوكاس"!

تمتم "أوتو" وعيونه متسعةً من شدة الخوف:

- ماذا ستفعل؟

أجابه وهو يكتِّفه:

- ستدخل أنت هذه الجولة، سواء أردت أم لا.

بدأ "أوتو" يصرخ في يأس محاولًا التغلب على قوة "زاك" بلا جدوى. اقترب "لوكاس" متحمسًا للمشاركة في تلك اللعبة الشاذة. واقتربت "فاليريا" أيضًا لتعرف ما الذي يحدث. وتساءلت مبتسمة: - ماذا ستفعلان؟

لم يرد "زاك" وأمسك ذراعيْ "أوتو" وأمسك "لوكاس" ساقيه، كما لو كانا يحملان جُوالًا ثقيلًا. استمر التعيس في الصراخ وكان يذرف دموعًا يائسة، كما كشفت الإضاءة الضعيفة عن بقعة بول على بنطاله: - اتركوني! فكوني أرجوكم! قلت فقط أننا يجب أن نكون ثمانية!

استمر كل من "دان" و"نويل" في مكانهم بالدائرة في انتظار لحظة استدعائهم لفعل شيء. أما "ريتينيا" كانت مشغولة بشم سطر آخر.

كان "أوتو" يرفس كالطفل. حرروا جسده في ركن مظلم، وقد سُمع صدى صوت اصطدامه بأرضية القبو الصغير. وبصق "زاك" في وجهه المضروب صارخًا: - قف، عليك اللعنة! ابق مكانك!

أطاعه دون أن يرمش. ووضعا جسمه المتمرد على عمود يصل ارتفاعه إلى السقف، وبصعوبة أيضًا ربطا ذراعيه إلى الخلف. كان "أوتو" يتألم دون أن يتحرك ورأسه إلى الأسفل كما لو كان مغشيًا عليه. لكن صراخه وعويله أظهرا أنه كان مستيقظًا أكثر من أي وقتٍ مضى.

طلب، ووجهه ملطخ بمزيج من الدم والدموع، قائلًا:

- آسف يا "زاك"!

صرخ "زاك" في أذنه:

- أنت شخص جبان! يجب أن تعي ما تقول! كن رجلًا!

وأمسك المسدس بحزم ووجَّهه صوب رأسه:

- انظر إليَّ، عليك اللعنة! لستُ خائفًا. أنا هنا من أجل هذا، ليس لدي أدنى خوف، أيها الوغد!

شعرتُ بقشعريرة عندما رأيتُ "زاك" يصوب المسدس نحو رأسه.

- سأضغط على الزناد أيها الوغد. وإذا كان هناك رصاصة فلتخرج!

صرخ وإصبعه السبابة على الزناد ورأسه يتحرك عكس اتجاه أنبوب المسدس: - أنا لا أشعر بالخوف! لست خائفًا!

وحينئذٍ ضغط الزناد فأصدر صوتًا معدنيًا. لم تخرج أي رصاصة.

رسم "زاك" ابتسامة على وجهه وقال:

- يبدو أن حظك اليوم سيئ!

شعرت حتى جزء من الثانية بالحزن على "أوتو" الذي ذبلت عيناه، وأطلق صرخة ضعيفة ويائسة. فصرخ "زاك" موجهًا المسدس صوب رأسه: - الآن جاء دورك!

لف "أوتو" نفسه وحك رسغيه بالحبل في محاولة فاشلة للهروب. وأغمض عينيه في يأسٍ.

- انظر إليَّ! أريدك أن تنظر إليَّ وأنا أطلق عليك الرصاص!

أبقى "أوتو" رأسه إلى الأسفل، وكان يحجم جسده كما لو كان من الممكن أن يختفي أو يهرب من نظرات "زاك" الذي كان على بعد سنتيمترات منه.

- انظر، عليك اللعنة!

- أنا... (بكاء).. لستُ قادرًا!

أسند "زاك" رأسه، ونقل المسدس إلى يده اليسرى، وأمسك شعره بيده الأخرى وشده إلى الوراء، كان "أوتو" يئن من الألم. كان جلده مشدودًا والرموش تغطى عينيه المغمضتين تمامًا رافضة النظر إلى من يبعد سنتيمترات قليلة من جبهته.

صرخ دون دفاع:

- لن أنظر... لا أستطيع!

بدا "زاك" وكأنه قد سئم كل ذلك، فترك المسدس على الأرض وأدخل يده في جيبه.

حتى الوهلة الأولى لم أرَ الشيء الذي أمسكه، كان شيئًا معدنيًّا يلمع في الظلام مثل قطعة ألماس صغيرة الحجم. عندما أمسكه أمام وجه "أوتو" استطعتُ معرفته، كان ملقاطًا. ونظرت إلى الطاولة المكسورة في الركن الآخر من المكان وجدتُ أنه يتبقى الآن المفك والمطرقة فقط. بحثت عن الشريط اللاصق وجدته في جيب "زاك" حيث كان يشغل حيزًا.

قال "زاك" وهو يلوح بالملقاط:

- هذه فرصتك الأخيرة! انظر إليَّ!

كان "أوتو" يئن فقط، أملًا منه في أن يتأثر أحد من الموقف وينقذه. لكن لم يكن لأحدنا أي رد فعل. أمسك "زاك" بشعر التعيس من جديد. شد رأسه للوراء بغضب شديد هذه المرة. وباحترافية الجراح، جعل الملقاط قريبة من جفون "أوتو"، بدأ بالعين اليمنى. حينئذٍ، وضع الملقاط بين السبابة والإبهام

مستعدًا للهجوم. وبعد محاولتين أمسك بعض الرموش وشدها. ثم تركها مباشرة. كانت الشعيرات تتساقط على خد “أوتو”.

فتح “أوتو” عينيه محاولًا فهم ما حدث وصرخ:

- ابن العاهرة!

ظهر الألم على وجهه المتورم. وكرَّر “زاك” العملية ممسكًا الملقاط بحزم ونزع رموش “أوتو” الذي كان يحاول إنقاذها بتحريك جفنيه. وقال وقد تحول إلى العين الأخرى: - ستنظر إليَّ شئتَ أم أبيتَ!

بدأ “أوتو” يرتعش ليوقف عملية التعذيب. كان يصرخ بصوت عالٍ، محركًا رأسه وساقيه حتى يبعده عنه.

- أمسكه يا “لوكاس”! أمسكه!

أمسك “لوكاس” ساقيه بينما شد “زاك” شعر “أوتو” بقوة. واقترب من جديد بالملقاط مجمعًا مجموعة أخرى من الرموش. كانت الجفون تقاوم الشد وكان “أوتو” يعاني شدة الألم، ويتوسل قائلًا: - لا أريد أن أموت!

شد “زاك” مرة أخرى بعنف وتساقطت الرموش. كانت مقلة عينه قد احمرَّت. أمره “زاك” وهو يخرج الشريط اللاصق من جيبه وقطع جزء بأسنانه: - اخرس يا “أوتو”!

استطاع “أوتو” أن يندفع محررًا جسده من “لوكاس”. ودون صعوبة كبيرة ركل “زاك” في بطنه بقوة، واعترض قائلًا: - أيها الشاذ! لا تفعل ذلك معي، أيها الحقير! لن أغلق فمي!

سقط “زاك” بطريقة محرجة على الأرض. ثم جفَّف عرقه بيده، وكان يمسك بطنه باليد الأخرى. ساعده “لوكاس” لينهض. ثم صرخ “أوتو” وهو يخفض رأسه محاولًا أن يحجب عني رؤية التشوه الذي أصاب عينيه.

- ألم تفهم ذلك؟

تجمد “زاك” في مكانه، وكان مستاءً من الخجل والخوف. اقتربت كل من “فاليريا” و”جواو” من “أوتو”، كما لو كانتا شعرتا الآن فقط أنه إنسان، وتساءلت “جواو” وقد قطبتْ عن وجهها: - ماذا قلتَ؟ أنت تحب “زاك”؟

اعتقدتُ أن “زاك” سوف ينقضُّ عليه حتى لا ينطق التعيس بشيء. لكنه لم يفعل، وظل جالسًا ممسكًا بطنه ورأسه إلى الأسفل. وأكمل “أوتو” محركًا كتفيه، قائلًا: - هو أيضًا يحبني، نحن... إنه... إنه خائفًا من تحمل المسؤولية. كان والده قاسيًا جدًّا.

استفسرتْ "فاليريا" قائلة:

- أهو جاد يا "زاك"؟

لم تتلقَّ ردًّا. ما زال "دان" و"نويل" جالسين داخل الدائرة ويبدو أنهما يتسليان وحدهما.

اقترب "لوكاس" أيضًا من "أوتو" وصرخ قائلًا:

- اشرح كل شيء أيها الحقير!

خرجتْ كلمات مبعثرة من فمه المجروح:

- آه يا "زاك".. جئتُ إلى هنا من أجلك.. والداك.. لا شيء له معنى من دونك.. أنا...

طلب منه "لوكاس" مرة أخرى قائلًا:

- اشرح!

- كل شيء بدأ في لعبة البوكر. ثم لعبنا "ستريب بوكر"، ومارسنا الجنس في الليلة نفسها.

ألقيتُ القلم الذي أكتب به، لأغطي أذني حتى لا أسمع تلك الفظاعة.

كانت "فاليريا" و"ريتينيا" والأخوان ينظران إلى "أوتو" باهتمام مثل الأطفال الصغار الذين يشاهدون بانبهار مسرحًا للعرائس. لم يرَ أي منهم "زاك" عندما زحف إلى المسدس، وأمسك المقبض، وفتح المسدس لفحص الغرف الثمانية. ولف الأسطوانة تسعين درجة إلى اليمين وأغلقها بهدوء بيديه المرتجفتين. فهمتُ ما كان ينوي فعله، ولم أفعل شيئًا لمنعه.

لقد نشأتُ في أسرة متدينة، ولا أعتقد حقًّا أن لديَّ أي فرصة للنجاة. لا أخاف من الجحيم إن وجد. إن التدخل لإنقاذ حياة "أوتو" سيكون عديم الفائدة وسخيفًا. أنا أكرهه كما أكره قلة من الناس في هذا العالم. عندما وقف "زاك" ممسكًا المسدس بيده اليمنى، رفعت يدي عن أذني. كان "أوتو" لا يزال يحكي قصته، متأوِّهًا من الآلام: - ذات مرة.. في منزلي، وصل والده من رحلة و...

صاح "زاك"، ودفع الآخرين بعيدًا بذراعه:

- كفى!

لقد قال أشياء قذرة جدًّا. حاولت "فاليريا" أن تعترض على مقاطعة "زاك" كلام "أوتو"، لكنها تراجعت. رفع "أوتو" رأسه وظهر فمه يرتجف. وتمكنتُ من رؤية وجهه بالرغم من الإضاءة الضعيفة. إنه لأمر مدهش كيف يمنحنا الخوف

جانبًا ليس إنسانيًا. كانت عيناه مفتوحتين، كانت الشعيرات الدموية واضحة كالخطوط الهندسية في عينيه، وبقع دموية على جفونه مكان الرموش التي سقطت. كان جسده في حالة تشنجات. وإذا رمش يفتح عينيه بسرعة، لم يكن يستطيع أن يغمضها.

ألقى "زاك" الملقاط المعدني على الأرض، محدثًا صوتًا سريعًا. حينئذٍ رفع "زاك" المسدس في وجه "أوتو" الذي بكى قائلًا: - أنا... فقط كنتُ أريد قول إننا يجب أن نكون ثمانية.

ردَّ عليه "زاك" والمسدس يرتعش بيده:

- هذا لا يهم الآن.

حينئذٍ ضغط على الزناد وتحققت أمنية "أوتو". أصبحنا الآن ثمانية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

13

"ديانا":

- "تحققت أمنية "أوتو". (وقفة) "أصبحنا الآن ثمانية".

(بكاء شديد)

"روزا":

- توقفي! توقفي! من فضلك توقفي! أنا.. لستُ مضطرة إلى سماع تلك القصة السخيفة التي تحكي عن مقتل ابني! (تنهدات) إنه شيء مروع جدًّا!

(بكاء شديد)

"ديانا":

- أتريدين كوب ماء مُحلى بالسكر؟

"روزا":

- لا، أنا.. أنا لا أريد.. لا أريد سماع شيء بعد!

"أوليفيا":

- أنا أيضًا أرفض ذلك. عندما استدعونا، لم يقل لنا أحد أن الأمر سيكون على هذا النحو! أين شاهدتِ أمهات محبوسات بقاعة لإخبارهن طريقة موت أبنائهن؟ لا نستطيع تحمل هذا!

"ديانا":

- لا أحد يحبسكنَّ هنا. (وقفة) كما قلتُ من قبل إن هذه الجلسة عُقدت كآخر محاولة لتوضيح بعض الأمور التي حدثت في ذلك المنزل. أعلم أنه صعب. لكنني أريد أن تهدأن. وأن تحكمن عقولكنَّ.

"أوليفيا":

- كيف تطلبين منا الهدوء؟ (وقفة) انظري إليها! انظري أيتها الشرطية! إنها أم تبكي نتيجة تعذيب ابنها وقتله، هل تعتقدين أنه من المنطقي أن تهدأ؟ أتعتقدين حقًّا أنه توجد حتى ذرة عقلانية في هذا؟

(صمت لمدة ثلاث ثوانٍ)

(بكاء مستمر)

"روزا":

- أنا.. أنا بخير.. (وقفة) يمكن أن تكملي أيتها الشرطية.

"ديانا":

- هل أنت متأكدة أنك لا تحتاجين إلى كوب ماء؟

"روزا":

- فقط.. (تنهدات).. أكملي!

"ديانا":

- إنها نهاية الفصل الثالث.

"أوليفيا" باستحقار:

- سوف أخمن ما ستقولينه: "هل لديكنَّ أي تفاصيل أو تعليقات لإضافتها؟".

"ديانا":

- هل لديكنَّ أي تفاصيل أو تعليقات لإضافتها؟

(صمت لمدة أربع ثوانٍ)

(بكاء)

"ديانا":

- حسنًا.. إذن أود أن ألفت نظركن إلى جملة قالها "زاك" في هذا الفصل.. (حفيف أوراق) "لم يكن هذا ما اتفقنا عليه.. أنت تعلم أن "أليس" يدوِّن كل شيء في الكتاب وأن...". (وقفة) إن معنى الجملة واضح جدًّا، وواقعي؛ أراد "أليساندرو" أن يكتب على الأقل حالة قتل واحدة في كتابه لذلك طلب أن يدخل في الجولة الثانية.

"أوليفيا":

- أنتِ تصفين هذا بالواقعية، وأنا أصفه بالذكاء.

"ديانا":

- ما لفت انتباهنا في هذا الجزء كانت الكلمة التي استخدمها "زاك". "لم يكن هذا ما اتفقنا عليه..." (وقفة) يوضح ذلك أنه منذ أن بدأ التخطيط للعبة "الروليت الروسي"، كان "أليساندرو" ينوي بالفعل كتابة هذا الكتاب، وهذا ما يجعل فرضية المشاركة لهذا السبب أقوى. (وقفة) كما يوضِّح أنهم، في وقت ما، اجتمعوا للاتفاق على طريقة اللعب. من المحتمل أن اللقاء قد حدث يوم الجمعة الموافق 5 سبتمبر. لم يُذكر ذلك اليوم في مذكرات "أليساندرو"

وكذلك يوما الأربعاء والخميس 3 و4 سبتمبر. (وقفة) مع الأخذ في الاعتبار أن يوم الجمعة كان هو اليوم الوحيد الذي التقى فيه أبناؤكنَّ - وفقًا لأقوالكنَّ - "زاك" في مواعيد مختلفة. أليس كذلك؟

"ريبيكا":

- "فاليريا" لا.. لقد قضت يوم الجمعة في البيت، وهي تقرأ في غرفتها.

"ديانا":

- نعم، معذرةً! لقد أخطأتُ.. (وقفة) جميعكنَّ ما عدا "ريبيكا" قلتنَّ إن أبناءكنَّ التقوا "زاك" في تلك الجمعة، أليس كذلك؟

(صمت لمدة أربع ثوانٍ)

"أوليفيا":

- نعم أيتها الشرطية. اجتمع أبناؤنا يوم الجمعة لمناقشة "الروليت الروسي"، ولم يذكر "أليساندرو" شيئًا عن ذلك. ماذا تقصدين؟

"ديانا":

- الشيء الوحيد المعلوم عن يوم الجمعة هو ذهاب "زاك" إلى المصرف لغلق الحساب. (وقفة) وكما قلتُ بالفعل إنه كان نحو الساعة الثالثة عصرًا. ووفقًا لما قاله مدير المصرف، فإنه كان بمفرده.

"فانيا":

- من المحتمل أن الآخرين كانوا ينتظرون بالخارج، ودخل "زاك" فقط، وهذا ما يعني أنه لم يكن بمفرده.

"ديانا":

- حقًّا. (وقفة) لكنه شيء غريب جدًّا أيضًا أن يذكر "أليساندرو" لحظات عدَّة من حياته - ليست مهمة إلى حدٍّ ما - وفي الوقت نفسه لم يدوِّن شيئًا عن تلك الأيام الثلاثة بالتحديد حيث تم خلالها شرح قواعد "الروليت الروسي". (وقفة) بالإضافة إلى ذلك، لو أنهم اجتمعوا يوم الجمعة، فأين حدث ذلك؟ بالتأكيد خارج المنزل، كما ذكرتنَّ حضراتكنَّ في التحقيقات. فوفقًا لما سجلته كاميرا المراقبة في عمارة "زاك"، أنه خرج الساعة الثامنة صباحًا، وعاد بمفرده الساعة السابعة مساءً. (وقفة) السؤال هو: إلى أين ذهبوا؟

"أوليفيا":

- نعم أيتها الشرطية. يمكن أن يكونوا قد ذهبوا إلى أي مقهى.. أو إلى الشاطئ.. توجد آلاف الأماكن التي يمكن أن يكونوا قد ذهبوا إليها! هذا شيء سخيف!

“ديانا”:

- مقهى؟ شاطئ؟ (وقفة) في وقت الحادث، كتبت الجرائد كثيرًا عن القضية، ونشرت صورهم، اتصل كثير من الناس قائلين إنهم رأوا بعضهم يوم السبت السابق، لكن الغريب أن أحدًا لم يرهم يوم الجمعة. لم نتلقَّ أي معلومات حول ما فعلوه في ذلك اليوم. يبدو الأمر كما لو أن.. شخصًا ما مهتم بإخفاء ذلك اليوم وما فُعِل فيه.

“سونيا”:

- ما الشيء الذي تريدين الإشارة إليه، أيتها الشرطية؟

(صرير الكراسي)

“ديانا”:

- ليس لديَّ ما أشير إليه، يا “سونيا”. (وقفة) إنني أحاول فقط أن نفكر معًا لنصل إلى شيء ما.

“سونيا”:

- كنت تتحدثين بنبرة.. (وقفة) مؤكدة، وليست سؤالًا.

“ديانا”:

- إنه إحساسك. ليس أكثر..

“سونيا”:

- على أي حال، أحتفظ بأقوالي السابقة. كان لدي أشياء عدَّة أنجزتها وعدتُ إلى المنزل في وقتٍ متأخرٍ من يوم الجمعة. غادرت الخادمة في الساعة الخامسة. وعندما وصلتُ في الساعة العاشرة، كان ابني نائمًا. علمت في وقت لاحقٍ فقط، أنه ذهب إلى الخارج مدة ساعتين.. (وقفة) أخبرني حارس العمارة بذلك.

“ أوليفيا”:

- ولماذا لم تسألي ابنك أين ذهب؟

“سونيا”:

- أنتِ لم تفهمي. لقد عرفت بعدما حدث كل شيء.. أقصد بعد "الروليت الروسي" و...

"ديانا": - إن أقوالك مثبتة في التقرير، لا داعي إلى إعادتها هنا.

" أوليفيا":

- أنت من اضطررتنا إلى ذلك، أيتها الشرطية. وأنت... (بصوت فظ) لكن يبدو أنك تريديننا أن نقول كل ما لدينا. لكن ليس لدينا المزيد لنقوله!

"روزا":

- لكنني الآن أريد أن أعرف كل شيء حتى النهاية. قالوا إن أولادنا انتحروا بإرادتهم.. (وقفة) لم يرد ابني أن ينتحر أيتها الشرطية. (بكاء) "أوتو" لم يكن لينتحر أبدًا.. لقد قُتل! قتله "زاك"! لم يرد ابني أن يموت! لقد استسلم.

(بكاء شديد)

(صمت لمدة خمس ثوانٍ)

"ديانا":

- أفهم ذلك يا "روزا". (وقفة) بالإشارة إلى ما ورد في كتاب "أليساندرو"، فإن "زاك" لوح بالمسدس حتى يطلق الرصاص على "أوتو". كان يريد أن يغلق فمه، عزم على فعل هذا قبل أن يتعقَّد الموقف أكثر كما اتضح.

"روزا":

- أنا.. أشعر بالذنب الشديد! لو أستطيع العودة إلى الوراء، ما كان سيحدث ما حدث.. كنت أحب ابني بالرغم من... أيتها الشرطية.. (وقفة) منذ أن كان "أوتو" طفلًا صغيرًا، كنت أعلم أنه كان مختلفًا. كنتُ أعلم بشكل ما.. وكل أم تعرف، أتفهمين؟ (وقفة) لكنني لست متأكدة، بالطبع.. (وقفة) أنا.. أنا لم أكن مستعدة لقبول فكرة أن ابني كان يعاشر رجلًا.. (وقفة) كم كنتُ غبية! كان ابني.. وكان يجب أن... كان يجب أن أقبل!

"ديانا":

- يا "روزا"، لا تلومي نفسك! كان "أوتو" شخصًا بالغًا.. وكان يعلم المخاطر التي كان يخوضها و...

"روزا":

- لم أستطع! وكان "كارلوس" قاسيًا جدًّا معه.. كان ذلك خطأنا.. لم نستطع كآباء.. (بكاء شديد) لكن كان كل شيء مرعبًا! ليس له معنى.. (تنهدات) في

يوم الأحد، كنَّا نجلس إلى الطاولة ونتناول الفطور، وبدأ يتحدث.. كان يبدو غريبًا! بدا خجولًا جدًّا من نفسه، كأنه يدرك تمامًا ما كان يفعله.. (بكاء). صاح "كارلوس" في وجهه وصرخ "أوتو" كذلك. لم يردَّ "أوتو" علينا أبدًا من قبل.. لم يرفع صوته مطلقًا. كان يبدو شخصًا مختلفًا، كأنه وقع في براثن الشيطان. أنا.. لم أصدر أي ردٍّ فعل.. طرده "كارلوس" من المنزل، ولم أفعل شيئًا كذلك!

"ديانا":

- حينئذٍ ذهب يبحث عن "زاك". كما نعلم بالفعل. (وقفة) الشيء الغريب هنا هو ذهابه والحديث عن هذا الموضوع بالرغم من معرفته بخبر وفاة والديه.

"روزا":

- آه، أيتها الشرطية.. (تنهدات) كان ابني ضائعًا للغاية.. لم يكن يعلم أين يذهب.. هذه الحقيقة كانت عالقة في حلقه وكان في حاجة إلى إخراجها، كان في حاجة إلى أن يسمعه أحد. عندما رأى في التليفزيون أن والدا "زاك" قد ماتا.. اعتقد أنها فرصته ليكون سعيدًا.. وأن "زاك" دون والديه كان سيستمر في ممارسة الشذوذ الجنسي معه.. ابني، أيتها الشرطية.. كان يحب ذلك الصبي.. كان يحبه كثيرًا.. (وقفة) لكنني أدركتُ ذلك بعد... بعد... (وقفة) كان يشعر أنه مرفوض.. وحيد جدًّا.. لا أحد يسانده.. (وقفة) وأنا.. أمه، قد رفضت مساعدته.. ومساندته.. لقد رفضت.. يا إلهي! (وقفة) دون والديه ودون "زاك".. فضَّل أن يموت.. (تنهدات) كان يحب ذلك الصبي.

"أوليفيا":

- كان "أوتو" يحب "زاك" لكن العكس لم يكن صحيحًا في النهاية..

صاحت "ديبورا":

- اسكتي يا أفعى!

"ديانا":

- سيداتي، من فضلكنَّ! التزموا الاحترام!

(صمت مدة أربع ثوانٍ)

"فانيا" بتردد:

- إذًا كان والد "زاك" يعلم؟

"ديانا":

- ماذا تقولين؟

"فانيا":

- أعتقد ذلك.. فقد قال "أوتو" وهو يحكي القصة: "وصل والده من السفر قبل...". هل أراد أن يقول إن "جيتوليو" كان يعرف بـ... (وقفة) بمغامرات ابنه؟

"ديانا":

- لسنا متأكدين من هذا. لا يوجد ما يؤكد أن "جيتوليو" كان لديه علم بـ... (وقفة) ذكر "أليساندرو" فيما كتبه في مذكراته بتاريخ 31 أغسطس أن "أوتو" ذهب لزيارة "زاك". فتح له "أليساندرو" الباب ثم انتهى الاثنان بالعراك. وكشف "أوتو" في النهاية عن علاقته بـ"زاك" وأن "جيتوليو" كانت لديه شكوك حول ذلك الأمر. لكننا لا نعلم مدى صحة هذا ولا متى حدث. (وقفة) دون شك، كان "جيتوليو" بمنزلة عقبة في طريقهما. نحن متأكدون أن وفاته هو و"ماريا كلارا" شجعت "أوتو" على أن يكشف عن الحقيقة لوالديه ثم الذهاب لاحقًا إلى منزل "زاك". (وقفة) في هذا الإطار، ربما كان "جيتوليو" يعرف شيئًا.

"ديبورا":

- عندما علم ابني أن "زاك" مثلي.. هو... بناءً على ما فهمته، إنه لم يقل لأحد.

"ديانا":

- هذا هو ما يبدو يا "ديبورا". (وقفة) وصف "أليساندرو" في كتابه النقاش الذي حدث بينه وبين "أوتو". لكن، وفقًا لما سمعناه، لم يخبر "زاك" أنه يعرف الحقيقة. (وقفة) وتفاجأ "زاك" عندما اكتشف أن "أليساندرو" كان يعرف، هو ما يؤكد هذا. ومن المحتمل أن هذا هو ما أثار غضب "زاك" نحو "أوتو". ويفسر إذًا، لماذا وجه المسدس نحوه ليقتله.

(صمت مدة ثانيتين)

"سونيا":

- إنني فقط، لا أفهم سبب التعذيب.. لماذا ينزع رموش الصبي؟ يا له من شيء همجي!

"ديانا":

- كان "زاك" خارج نطاق السيطرة، لم يكن في كامل وعيه.. (وقفة) أراد أن يفتح "أوتو" عينيه ويرى المشهد بأي ثمن. وأراد أن يحدث كل شيء على طريقته الخاصة.

"روزا":

- هل حقًّا أنتنَّ في حاجة إلى تكرار ذلك؟ (بكاء) لماذا لا تكملي القراءة للانتهاء سريعًا؟

"أوليفيا":

- أعتقد أنه من المهم أيضًا أن نتذكر أن "أليساندرو" كان مذنبًا مثل "زاك".. (وقفة) ورأى "زاك" يتلاعب بالمسدس وكان بإمكانه إيقافه.. لكن يبدو أنه كان قلقًا على نفسه بالطبع.

"ديبورا":

- اهدئي يا "أوليفيا"! كان "أليساندرو" أحسن ابن في العالم.. (وقفة) ساندني في كل اللحظات الصعبة.. وكنتُ سأفعل أي شيء من أجله.. أنا... كنت سأفعل أي شيء!

"أوليفيا":

- هذا جميل جدًّا، لكن...

"ديانا":

- أيتها السيدات، من فضلكنَّ! هل أنهينا من التعليقات على هذا الفصل؟ (وقفة) أيمكنني المتابعة؟

(صمت مدة ست ثوانٍ)

"ديانا":

- نبدأ إذًا. "الفصل الرابع". (وقفة) "لم أستطع أن أتخيل أن هناك الكثير من الدم داخل الرأس..".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

14

من مذكرات " أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو"

قضية "منزل سيريل"، رقم 08 – 2508 - 15634

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: "جوزيه بيريرا أكينو"، قسم 12 للأحوال المدنية بـ"كوباكابانا".

الإثنين الموافق الخامس والعشرين من أغسطس 2008

أكره الأرز بالبروكلي، كما أكره سمك السلمون بصوص "الكبر". أكره رنين أدوات الطعام في الأطباق، وفوطة السفرة والضحك المزيف الذي يعلو صوته في أثناء تناول الطعام. أكره أحاديث "جيتوليو" المطولة عن موضوعات ثقافية زائفة كي يثبت للناس أنه مثقف. كما أكره لا مبالاة "ماريا كلارا"، وأكره أن أرى والدتي تتحدث بشكل سيئ عن والدي وزوجته الجديدة. ربما لهذا السبب، كان عشاء اليوم بمنزلة التعذيب. وربما لا. ربما يكون ذنبي أنا. ربما لم أولد للعمل في وظيفة وفقًا لقواعد ثابتة. ففي هذه الحالة سأكون مجرد آلة مكسورة في مصنع.

- حينئذٍ أتى إليَّ الرجل فسألته: "أتعرف من أنا يا فتى؟".

ضحك.

- بدأ الرجل المسكين يرتعد، عندما قلتُ: "أنا صاحب المكان وقد طلبت "البرجر" الخاص بي دون المخللات! هل ترى ما هذا؟ أنها مخللات!

أنهى "جيتوليو" كلامه بضحكة. كانت القصة العاشرة في تلك الليلة لإثبات أنه ممثل الرب التجاري على الأرض.

كنَّا نجلس حول طاولة عشاء عائلة "فاسكونسيلوس" لكنني أعتقد أنه كان بالتأكيد أفضل من حضورنا في "مسرح مونيسيبال" نشاهد مونولوجات عن كيفية التعايش مع الآخرين في الحياة.

سألته "ماريا كلارا" وهي فخورة وسعيدة بقصص زوجها كحيل الجرو الصغير: - عزيزي، أخبرنا عن "صموئيل". الذي قدم استقالته.

أجابها، غير مهتم بالموضوع قائلًا:

- آه.. أفضِّل عدم التعليق على هذه الحالة.. سيكون شيئًا غير أخلاقي بالنسبة إليَّ.

رفعت حاجبي، متفاجئًا بحقيقة أن "جيتوليو" يعرف أن على هذا الكوكب أخلاقًا. يستبعد الأشخاص من أمثاله هذه الكلمة من قاموسهم من أجل الشعور بالراحة في الحياة.

سأل المضيف والدتي:

- هل أعجبك السلمون، يا عزيزتي؟

ثم تناول الشوكة الخامسة خلال ساعتين من العشاء. لدى الأغنياء هذه البراعة الرائعة للاستفادة من الطعام للاجتماع بالناس والحديث حول الطاولة. استمرَّا في التحدث حول أشياء ليست مهمة. على حين تجمد السلمون في الطبق. فالأكل هو مجرد وسيلة للالتقاء ومشاركة آخر النجاحات الاقتصادية.

نمنمت والدتي غير متحمسة:

- لذيذ جدًّا!

منذ أن عادت هي و"ماريا كلارا" من عند الطبيب، كنتُ أعلم كل ما كان يحدث. وأن نتيجة العينة قد ظهرت وأنها ليست جيدة.

قالت "ماريا كلارا":

- السلمون لذيذ جدًّا، لكن فطيرة البصل أروع!

كان شعرها يرفرف بفضل كريم الفرد، وقد صبغت بعض خصل شعرها السوداء بلون فاتح. بعيدًا عن السلمون وفطيرة البصل كان الصمت يسيطر على الطاولة. تقابلت نظراتي مع نظرات أمي مرتين أو ثلاث مرات. كانت تخفض رأسها خشية من مواجهتي، ولأنها تعلم أنني أستطيع معرفة الحقيقة كاملة منها في ثوانٍ.

ما زالت "ماريا كلارا" تحاول إخفاء الأمر أيضًا، قائلةً إن نتيجة العينة لم تظهر بعد، "تلك العيادات تعلم كيف...". إنها ممتازة في شراء الفساتين واختيار الأحذية وإعداد العشاء، لكنها بالتأكيد لا تعرف الكذب. كانت نتيجة التحليل ظاهرة على وجهها، على كلامها وأيضًا على تحديد موعد هذا العشاء العاجل؛ إنه سرطان في المعدة.

قالت "ماريا كلارا" وهي تربت على ذراع أمي:

- آه يا "ديبورا"، كوني قوية! لماذا لا تأتي معنا إلى "منزل سيريل"؟

وافق "جيتوليو" مندهشًا لمقاطعتهم قصة أخرى من قصصه الرائعة قائلًا: - هذا صحيح.. تعالِ معنا! سنذهب غدًا ونعود بعد ظهر يوم السبت.

ابتسمت والدتي وهي تلعب بالشوكة الفضية. ورفعت خصلة من شعرها إلى الخلف، ووجهها شاحب، قائلة: - أنا لا...

حاولت "ماريا كلارا":

- سيكون هذا مفيدًا لكِ يا عزيزتي! سنذهب بالسيارة.. وفي غضون خمس ساعات نصل إلى هناك!

أكمل "جيتوليو" وهو جالس على رأس المائدة قائلًا: - لا يريد "زاك" الذهاب معنا، لكن إذا ذهب "أليساندرو" سيأتي معنا، أليس كذلك؟

تمتم "زاك" متحدثًا لأول مرة، فقد كان هادئًا بطريقة غريبة: - أبي، لقد قلتُ بالفعل إن...

قال "جيتوليو":

- يمكنك اصطحاب صديقك.. الذي كان هنا يومًا ما.. ما اسمه؟

قاطعه "زاك" قائلًا:

- لن أذهب يا أبي!

ولم يذكر اسم الصديق، وقد أثار ذلك فضولي.

تناولت شريحة أخرى من الفطائر. ما زال طبق أمي كما هو لم يمس، وقد بردت قطعة السلمون بالفعل. أضاف طبق الأرز الأخضر لمسة صحية على العشاء.

شكا "جيتوليو" قائلًا:

- أنتم أيها الأولاد تصرفاتكم واحدة! تكبرون وتخافون منَّا.. أنت لم تذهب إلى "منزل سيريل" منذ وقت طويل مضى.

قال "زاك" وبدا كأنه على وشك أن يضرب الطاولة بقبضته ويغادر العشاء غاضبًا: - أنا مشغول بالكلية، يا أبي.

قال "جيتوليو":

- أنا فخور لسماع ذلك.. "مشغول بالكلية". إن كلامك مقنع.. ثم وضع قطعة من سمك السلمون في فمه ولطخ شاربه الرمادي.

قاطعت "ماريا" الحديث، وكانت تمد يدها لتنظف فم زوجها الحبيب بالفوطة، قائلة: - هل أرسلت السيارة لتصفيحها، يا حبيبي؟

أجابها "جيتوليو" بنبرة قاسية:

- لا، سأرسلها لاحقًا، لسنا في حاجة إلى تلك النفقات الآن!

بقيت "ماريا" خائفة من قيادة السيارة في مدينة ريو دي جانيرو. فتساءلتُ في ملل: - لكن من سيكون الضحية في النهاية؟

ردت وهي سعيدة أنني وافقتها رأيها، وأكدتْ:

- نعم معك حق يا "أليس" من سيكون الضحية؟ تعلم أننا في الماضي كنَّا نخاف من العصابات. لكن حتى الشرطة تعد خطرًا اليوم! يمكن أن يطلقوا النار على سيارتي معتقدين أنني لص هارب! في يوم ما، لم يفرقوا بين شاب وأحد.

قاطعها "جيتوليو" وهو يجلس على الكرسي - وبدا على وجهه تعبير يفيد بـ: "أنا أعرف كل شيء" - قائلًا: - هذه فرقعة صحفية لعمل فضيحة من لا شيء!

أكملت وهي ثائرة:

- لقد مات الشاب يا "جيتوليو"! لا أعرف ماذا كنتُ سأفعل بهؤلاء الشرطيين لو كان ابني! إن "زاك" يتجول بسيارته الـ"هايلوكس" التي كانت هدية عيد ميلاده، هذا أمر خطر. فاللصوص متربصة في كل مكان!

تساءل وكانت عيناه وعنقه قد احمروا من الغضب، قائلًا: - ماذا كنت تريدين أن أشتري له؟ سيارة خنفساء؟ أم عجلة؟

بدأ "زاك" يقول:

- لسنا هنا لمناقشة...

صرخت "ماريا كلارا" ملقيةً السكينة والشوكة في الطبق، قائلةً: - أريدك أن تصفِّح السيارة فحسب، اللعنة على السيارات!

رائع! لا شيء مثل أربع زجاجات نبيذ قادرة على كشف القناع عن وجوه بعض الأشخاص ليبدأ العراك.

لم أرَ الاثنين يتعاركان إطلاقًا. استمتعتُ برؤية ذلك في المقصورة في منتصف العشاء الممل.

سألها "جيتوليو" وهو ينهض:

- أصفِّح سيارتين؟ أأنتِ مجنونة؟ أتعتقدين أن الأرض تنبت أموالًا؟

أُدرك تمامًا لماذا يظل الأثرياء أثرياءً: يشكون من الفقر بالرغم من امتلاكهم يختًا بجزيرة خاصة ويحافظون على كل "سينتافو" كحفاظهم على حياتهم.

عادت "ماريا كلارا" إلى تناول الطعام ممسكةً الشوكة والسكين بحزم وتفرغ شحنة غضبها في كل لقمة تتناولها. كانت أمي لا تزال شاردة الذهن، متجمدة، جسدها حاضر لكن ذهنها مسافر. لقد فاتتها رؤية المعركة التي دارت.

غزت المكان أغنية جميلة استطاعت أن تكسر السكون. اعتقدت مدة ثانية أنهم تعاقدوا مع "دي جي" على العشاء، لكن لم يكن الأمر كذلك.. كان مجرد صوت رنين هاتف "جيتوليو" المحمول الذي أضاف جوًّا ممتعًا إلى المكان أفضل من أي أغنية في بار بمدينة ريو دي جانيرو. لا ينقصنا سوى أن تُطفأ الأنوار وتُنظف الطاولات ويُترك الهاتف يرن.

ردَّ، جاذبًا الكرسي إلى الخلف كما لو كان سيغادر الطاولة.

- أهلًا.. "جولارت". نعم.. نعم.. أنا متأكد أنني ما زلت أريد.. ليس هناك مشكلة. لن أكون هناك يوم الخميس أيضًا، سأسافر غدًا وسأعود يوم السبت. سأقضي يوم الإثنين في المكتب لعمل التعديل.. "بيانكا" لديها جدول أعمالي، يمكنك تحديد موعد معها. مساءً.. حسنًا. إذًا نلتقي يوم الإثنين. إلى اللقاء.

وضع الهاتف المحمول في جيب سترته وهو راسم ابتسامة على وجهه. ربما يكون قد أغلق أحد فروع شركته أو خسر ترشحه لمنصب أو شيء من هذا القبيل، شيء يتعلق بالمال دون شك.

سألتْ "ماريا كلارا" بحدة ودون أن ترفع عينيها عن الطبق قائلةً: - لماذا اتصل المحامي في هذا التوقيت؟

- "جولارت" ليس محاميًا فحسب، بل هو صديق العائلة يا عزيزتي.

- هل سيذهب إلى مكتبك يوم الإثنين مساءً لأنه.. صديق العائلة فحسب؟

أعترف أنني اندهشت.. طالما رأيت "ماريا كلارا" الزوجة المضحية دائمًا، المطيعة، الهادئة، تقريبًا كالقديسة، تسافر أوروبا وتتسوق كل عام. وجدتها الآن تطرح تلك الأسئلة كلها وتتعارك على الطاولة! لقد أدهشتني حقًّا.

أجابها ملوحًا بيديه وبصوتٍ هادئٍ:

- لقد تحدثنا حول ذلك يا عزيزتي. وحكيت لـ"زاك" أيضًا.

حينئذٍ ابتسم وبدا غاضبًا، كما أظهرت التجاعيد على جبينه. وقال: - سنتحدث لاحقًّا، لأن لدينا ضيوف الآن.

ظل "زاك" هادئًا، دون أن يظهر أي رد فعل. أين ذلك الثرثار الذي كان يضحكني بتصرفاته الغريبة في أثناء تناول العشاء؟ ثم قال: - لا أعلم عما تتحدث يا حبيبي.

بدا وهو يقول "حبيبي" أنه ليس مباليًا بالأمر!

سأله "جيتوليو" وهو يفكر من أين يبدأ، قائلًا: - هل تتذكر "بيير"؟

- نعم، الفرنسي الذي مات في الهيليكوبتر.. إنها حكاية مؤسفة.. ماذا عنه؟

أخذ "جيتوليو" نفسًا عميقًا قبل أن يكمل قائلًا: - قابلت ابنه، يبلغ ثلاثين عامًا، إنه صبي...

صبيًّا؟ ماذا عنى إذًا؟ طفل حديث الولادة؟

- لقد تولى إدارة أعمال والده. بالمناسبة لم يتولَّ...

ضحك "جيتوليو" وقال:

- لقد باع.. باع كل شيء. إنه يسافر جميع أنجاء العالم، ويهدر المال، وينفق الكثير من المال على كل سمكة بيرانا يراها أمامه.

استرخيتُ على الكرسي. كنتُ أعرف بالفعل نهاية هذه القصة.. لكنني لم أستطع تأكيدها.

وأكمل قائلًا:

- لا أحب أن يحدث هذا معي أيضًا.. أعني أن "زاك" ليس مستعدًّا لتولي زمام الأمور إذا حدث أي شيء خارج عن المألوف.

توقف عن الكلام، منتظرًا أن نستنتج البقية. أمام ذلك الصمت، استمر في شرح قصته الصغيرة: - لا يزال "زاك" شابًّا. وغنيًّا، وتحوم حوله الفتيات. وهذا الشيء يُفقد الرجل عقله، تعرف.. يمكن أن يُعميه ويصبح عاجزًا عن رؤية الأشياء بوضوح.

حاول "زاك":

- أبي، لقد فهمت حقًّا...

أكمل بنبرة الأب الذي ينصح ابنه:

- تلك القذرة التي كانت هنا الجمعة الماضية لن تكون الأخيرة. ستعرف غيرها الكثير. أعرف ذلك جيدًا، فقد عشتُ أكثر منك بكثير.. سأغير الوصية إلى مصلحتك، أفهمت؟ لأحميك.

- ليس لدي اعتراض يا أبي.

برَّر قائلًا:

- والدتك هي من سألت.. وكنت أشرح لها فقط. نصف التركة هو حقك، لن أختلف في ذلك، أما النصف الآخر.. سأتركه في يد أشخاص تفهم وتعرف كيف تتصرف إذا ما حدث شيء غير متوقع، أتفهم؟

أومأ "زاك" كما لو أن الأمر لا يعنيه.

- عندما تكبر وتتخرج في كليتك، وتجد شريكة حياتك.. وقتها نعم.. سأكتب لك كل شيء. ستشكرني على ذلك!

أجاب "زاك":

- أفهم يا أبي. أفعل ما تريد. لستُ مهتمًّا.

لو كنت مكانه لتملكني الغضب. كيف يأخذ الأب التركة من ابنه ليتركها لمجموعة من المحتالين يديرونها؟

وسأل بسخافة:

- إذًا هذا هو الأمر الذي سيأتي "جولارت" من أجله إلى المكتب يوم الإثنين. مسرورة يا "ماريا كلارا فاسكونسيلوس دي ليما"؟

أومأتْ وعادت تأكل في صمت. وظلت أمي تلعب بحبات الأرز الخضراء، وكنت أحاول فهم ما يحدث لـ"زاك".

شعرتُ ببعض العداء من جانب "جيتوليو" نحوه، كما لو كان قد تعارك معه قبل العشاء أو شيء من هذا القبيل. لكن كل شيء ما زال غامضًا بالنسبة إليَّ.

لم يكن "جيتوليو" يشعر بالراحة مع الصمت، فبدأ يحكي قصة أخرى. هذه المرة عن رحلته التي سيقوم بها في شهر سبتمبر إلى "جبل القديس ميشيل" بـ"نورماندي"، مادحًا جمال المكان الذي لم يذهب إليه من قبل.. جزيرة بها عدد قليل من السكان، ودير "ساو بينتو"، والأزقة والبيوت التي تذكرنا بالمنازل اليونانية القديمة.. إذا تمكنت من أخذ هذا الحديث وإذابته في كوب، سيكون أفضل منوم في العالم.

طلبت "ماريا كلارا" بعد أن طرقت جرس على الطاولة، قائلة: - "يارا"، هل يمكنك إحضار الحلوى!

بدا من الصعب قليلاً على الخادمة سماع الجرس إذ كانت في المطبخ، ولكن بعد ثوانٍ ظهرت بسرعة. كانت ترتدي مريلة مثل تلك التي تُشترى من محلات ملابس السيدات كبار السن. ووضعت الحلوى على الطاولة.

قالت "ماريا كلارا"، بعيون متلألئة:

- موس البابايا مع عصير البرتقال والليمون!

زاد يأسي. لماذا لا يستطيع الأثرياء أكل الأشياء الطبيعية!؟

سألتها:

- ألديك تفاح؟

أخفى "جيتوليو" ابتسامة شفقة. تراجعت "ماريا كلارا"، واندهشت قليلًا من طلبي. في عالمها، يعد موس البابايا أكثر شيوعًا من التفاح..

- ألديكِ تفاح يا "يارا"؟

أجابت ورأسها منحنية من الخجل:

- كلا يا سيدة "ماري كلير"، لا يوجد.

انتهى العشاء. قبلات هنا، وعناق هناك، عدتُ أنا وأمي وحدنا إلى المنزل عبر شارع "أفينيدا أتلانتيكا". فتحتُ النافذة ودخل نسيم البحر مع رياح شديدة إلى السيارة. كان بعض الأشخاص يلعبون كرة طائرة شاطئية على الرمال المضاءة بالكشافات. سألتني أمي، قائلةً: - توقفت عن لعب الكرة الطائرة يا بني، أليس كذلك؟ لكنك كنت تحب تسديد الإرسالات!

إذًا كانت أمي ترغب في الحديث.. فمددتُ يدي لأخفض صوت أغنية لـ"أدريانا كالكانيوتو" بالراديو. وقلت: - لا أحب هذه الأغنية.

قالت بابتسامة:

- لكنك تحب "أدريانا كالكانيوتو".

- لا تعجبني هذه الأغنية فقط، لكنني أحب بقية أغانيها.

استرختْ في المقعد ووافقتني:

- حسنًا!

- وبالنسبة إلى الكرة الطائرة، فقد توقفتُ عن لعبها.

- نعم!

أغلقتُ النافذة وأدرتُ وجهي نحوها، وقلتُ:

- هل لديَّ الحق في طرح بعض الأسئلة؟

هزَّتْ رأسها:

- الأفضل ألا تسأل يا "أليس".

أخذتُ نفسًا عميقًا وكنتُ ألاحظ الحانات والمباني تمر بسرعة خلف نافذة السيارة مثل اللقطات المضيئة.

- لن أسأل عن نتيجة التحليل يا أمي.

بقيتْ هادئة تراقب حركة المرور.

- لكنني أعلم أنك تعرفينها بالفعل.

كنتُ أحاول ملاحظة تعبيرات وجهها.

- لم أعد طفلًا يا أمي.

ابتسمتْ. وقالت مازحة:

- أنت رجل يا "أليس".. رجل!

بقينا في صمت للحظة، ثم قلتُ - وأنا أعرف أنها كذبة: - ستكونين بخير يا أمي.

لم أقل كلمات مواسية أبدًا لكن هذه المرة خرجَت بطريقة عفوية. شعرت بالوحدة وأنا أرى أمي في هذه الحالة، جسد ضعيف، ورأسها مشغول بالمرض الذي يهدد حياتها بالموت.

قالت وهي تمسح دمعة سقطت من عينها اليسرى:

- هناك شيء إيجابي دائمًا يا "أليس".. الآن سيتولى والدك مسؤوليتك.. أريد أن أرى تلك المتشردة التي تزوجها كيف ستتعامل معك عن قرب.

أكدتُ قائلًا:

- لن تموتي يا أمي!

تمتمت قائلة:

- قال الطبيب أنني سأموت بعد ستة أشهر يا بني.

حينئذٍ سقطت الدموع من عينيها بغزارة.

- ستة أشهر! تبًّا! عليه اللعنة!

كيف يمكن أن يقول شخص وقح ذلك الكلام في وجه شخص آخر؟ ولا حتى بعد مرور عشر سنوات من دراسته الجامعية وعشرين عامًا من ممارسته التخصص، كيف ستكون لديه الشجاعة لمواجهة شخص ما ويقول له: "انظر، لقد راجعنا جميع التحاليل والأشعة، ستعيش مدة ستة أشهر فقط".

وتساءلت دون أن أنظر نحوها وهي تبكي:

- ألم يترك النتيجة للعملية؟

أجابت أمي:

- لا أعرف.. يا إلهي.. أنا خائفة للغاية.

كنت أعرف ما هي المشكلة. لم يكن هذا شيئًا جديدًا بالنسبة إليَّ. ففي سن الحادية عشرة، شاهدت عمتي الكبرى "إيسي" وهي تعاني في سرير بالمستشفى لمدة أربعة أشهر بسبب سرطان المعدة الذي اُكتشِف في وقت متأخر. سافرت إلى أماكن عدَّة، كانت من القلة الذين يقدِّرون الفنون. كانت هي من أعطتني أول رواية لأقرأها: A Study in Scarlet "دراسة في اللون القرمزي" لـ"كونان دويل". حينئذٍ بدأت أكتب. كانت أكثر شخصية أعجبت بها.

قالت وهي تضع يدها فوق جبهتها:

- كما هو الحال دائمًا يا "أليس".. هناك مخاطرة في إجراء العملية ونتيجتها ليست مضمونة. لا أريد أن أمر بهذه الأمور مرَّة أخرى.

حاولتُ مرة أخرى:

- ستنجح يا أمي.. اهدئي.

ساد الصمت مرة أخرى، تتخلله تنهدات أمي.

أردفت كلامها وهي تجفف أنفها قائلة:

- لكن، لا داعي للبكاء يا "أليس".. هذه ستكون أفضل ستة أشهر في حياتنا، أتفهم؟ سنخرج لتناول الغداء يوميًّا، سنذهب إلى المسرح، إلى السينما، نسافر.. هيا نستمتع يا بني!

لم أرد، ماذا يجب أن أقول؟ "هذا صحيح يا أمي! هيا نستمتع قليلًا قبل أن تموتي؟!".

واصلتْ كلامها:

- أريد فقط أن أطلب شيئًا.. لا تخبر والدك.. لا أريده أن يعرف ذلك.. أنني مريضة.

أجبتها:

- لن أخبره يا أمي. لكن أرى أنكِ يجب ألا تتحدثي عنه ولا تفكري فيه.. تزوجي رجلًا آخر. تعرفين؟ هناك رجال آخرون. هناك رجال جيدون.

ضحكتْ وقالتْ:

- رجال جيدون؟ لم أقابل أحدًا منهم من قبل! عندما يظهر، عرِّفني إليه، اتفقنا؟

ضحكتُ أيضًا وقلتُ محاولًا تلطيف الجو:

- أنا رجل محترم سيدتي "ديبورا"!

ضحكت أكثر وقالت:

- أنت ابني يا "أليس".. سأفعل أي شيء من أجلك.. لكن.. لكنك رجل.. لا يوجد رجل يحترم المرأة.. حتى أنت!

أجبتها، ووضعتُ يدي على أحد فخذيها، قائلًا:

- أشعر الآن بالإهانة!

- انظر، أنت تشعرني بالذنب.. هل يصح ذلك؟

وافقتُ وعدتُ إلى مشاهدة الشاطئ. كانت أمي لا تزال تبتسم، وهي تحاول التغلب على الأفكار السلبية. كنَّا مثل بقية الأشخاص. عائلة تبحث عن الهدوء. تعاني رفاهية متقلبة، لا تخلو من المشكلات. نحاول أن نكون سعداء وأن نعيش لحظات لا تنسى، لحظات شاعرية وسينمائية. لكننا لم نستطع. ببساطة لم ننجح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

15

الفصل الرابع:

لم أتخيل أبدًا وجود كمية كبيرة من الدماء داخل الرأس. ففي حصة الأحياء، في أثناء مرحلة التعليم الثانوي، سمعتُ أن الرأس هي أثقل جزء في جسم الإنسان، وأنها مليئة بالدماء وأشياء أخرى.. مع ذلك، لم أتصوَّر أبدًا أنه كان ممتلئًا بقدر كافٍ من الدماء حتى يتدفق منه هكذا وكأنه نافورة في وسط ميدان أوروبي.

صرختْ "فاليريا" مذعورة وقالت:

- اللعنة! اللعنة! اللعنة! أنت! قتلت "أوتو"! فجَّرت رأسه!

لوَّح "زاك" بالمسدس الفارغ في الهواء، وهمس قائلًا: - ليس ذنبي!

وقد ظهر على وجهه هدوء لا يصدق.

- لقد كان دوره.. لقد ضغطت على الزناد فقط.

اقتربت "فاليريا" من "زاك" بجسمها الضخم تحيط به مثل العجل الجامح لتخوّفه، قائلةً: - "لقد ضغطت على الزناد فقط"؟! وهذه القصة التي حكاها لنا، وأنكما مثليان، ماذا عنها؟

لقد خفض رأسه، ورفض النظر إلينا، نظر إلى جثة "أوتو" الراقدة، مدعومة فقط بالحبل المربوط حول الرسغين، وقد تحولت الرأس إلى كتلة من العظام والدم.

"دان" ما زال جالسًا في الدائرة، يشاهد الجثة في دهشة، وفمه مفتوح قليلًا، ويداه مبتلة بالعرق. شعرت بالأسف تجاهه، والرغبة في حمايته من كل ذلك المشهد الغريب الذي لا معنى له.

قال "زاك":

- لم أفعل أي شيء! لقد أخذت المسدس وأطلقت النار على نفسي. ثم أطلقت النار عليه. وكان "أوتو" سيئ الحظ.. إنها الحياة!

تغير "زاك" بالتأكيد. قبل ذلك بأسبوعين، كان يذهب في رحلات، ويشترى أشياء تافهة ويقبل الفتيات. كانت تلك هي حياته. الآن، أطلق النار على حبيبه المثلي جنسيًّا وفجَّر رأسه.. فرق كبير.

رفعت "فاليريا" إصبعها السبابة في وجهه تتهمه قائلةً: - لقد جهزت المسدس من قبل لقتله.. عندما لم نكن نراك!

صرختْ "ريتينيا"، وقد نفد صبرها:

- لقد مات يا فتاة! هيا بنا نستمر في هذا الهراء!

اعترضت "فاليريا"، وهي تلوح بذراعيها في الهواء مثل المروحة، قائلة: - ألم تسمعي ما قاله؟ لقد مارسا الجنس معًا! وقتل "زاك" "أوتو" بسبب ذلك!

انحنى "زاك" أمام كومة الرصاصات المتجمعة في كيس من البلاستيك. متجاهلًا كلام "فاليريا"، وأخذ رصاصة أخرى ووقف قائلًا: - أنتِ سكرانة.. لم أقتل "أوتو".. لقد كان دوره! لقد كنتِ مشغولة بالقصة التي حكاها، لكن "أليس" كان منتبهًا.

نظر "زاك" إليَّ وتفحصني وأنا أدوِّن في الدفتر، قائلًا: - لم أفعل أي شيء، أليس كذلك يا "أليس"؟

أدرك أنني لاحظته وهو يضبط المسدس، كان وجهه نحوي! كان في حاجة إلى من يشاركه ذنبه. أجبتُ: - لم يفعل "زاك" شيئًا.. لقد رأيته.

وشعرتُ ببرودة شديدة في ظهري وكان العرق يتصبب من جبهتي الدهنية.

صرخت "فاليريا" معتقدة أنها شارلوك هولمز:

- اللعنة! أنت أقرب صديق له! أنا لا أصدقك!

اقتربت مني وحجبت عني الضوء بجسدها الكبير، لكنني كنت أحتفظ بالمصباح اليدوي. استغل "زاك" انشغال "فاليريا" عنه وفتح المسدس وبخفة أدخل الرصاصة وأدار أسطوانة المسدس كشخص محترف.

انحنت واقتربت مني قائلة:

- أكنت تعرف عن مغامرات "زاك"؟

حاولت ألا أتأثر، وأكون مثل قبر مغلق أمام أسئلة تلك الثرثارة. ولكن بالتأكيد فاتني شيء.. لأنها ابتسمت، مثل المحقق عندما يستطيع حل اللغز. وأكملت قائلة: - أعتقد أنك شريكهما أيضًا. أنتم الثلاثة شركاء في هذا.

صرختُ وحاولت إبعادها عني:

- اسكتي يا "فاليريا". لم أضرب امرأة أبدًا، لكنني لن أندم إذا فعلت ذلك.

صرخت "فاليريا" في مشهد درامي.

صاحت "ريتينيا":

- توقَّفِي عن هذا يا فتاة! توقفي!

وخرجت من الدائرة وداست بغضب على عقب السيجارة التي كانت تدخنها. تدخل "لوكاس" ليثبت أنه ما زال موجودًا في النقاش، قائلًا: - انتظروا يا شباب! إنها على حق! أقصد يجب على "زاك" تفسير ما قاله "أوتو".

أجبته وقد ألقيتُ الدفتر:

- هذا هراء! لم يفعل "زاك" أي شيء مع "أوتو".. أنتما تعرفان الكثير عن ميوله!

نظر إليَّ "زاك" نظرة شكر. كنت أعرف الكثير من الأشياء الخطيرة، وكنت أستطيع أن أقولها، وأتهمه كما فعل الآخرون، لكن لا. رغم كل شيء، بقيتُ إلى جانبه، كما يفعل الأصدقاء الحقيقيون.

صرخت "فاليريا":

- لا أعرف أي شيء! من الواضح أن "أوتو" كان يقول الحقيقة عندما...

اعترض "زاك"، واقترب من دائرة التي يجلس فيها "دان"، "نويل" و"جواو" قائلًا: - اسكتي، اللعنة! دعينا نواصل!

أطلقت "فاليريا" ضحكة أخرى وقالت:

- دعنا نجربها على هذا النحو يا "زاك"؛ سنجري قرعة بالعملة، ونجرب الحظ.

أخرجت من جيب البنطال الجينز تلك العملة اللعينة مرة أخرى. ولوحت بها في الهواء، فإذا بشعاع معدني صغير يلمع في وسط هذا الظلام.

- إذا ظهر ملك، فلن أطرح أي أسئلة أخرى وسأتخيل أنني لم أسمع مطلقًا تلك المحادثة.

ابتسمت وأكملت:

- لكن إذا ظهر الوجه الآخر للعملة، فستخبرني بكل شيء عن...

حركت "فاليريا" العملة المعدنية بين أصابعا السمينة ثم ألقتها في الجو. قبل أن تكمل العملة طريقها لتعود ليد "فاليريا" التقطها "زاك" بذراعه الطويلة. وصرخ وهو يبعد قبضته المغلقة عن العملة: - توقفي عن هذا الهراء! لن نقرر الأمور بعملتك المزيفة!

صاحت "فاليريا" وهي تبكي مثل الطفلة المدللة التي فقدت دُميتها: - أعد العملة!

- ستبقى معي حتى نبدأ!

قالت بغضب:

- عملتي!

تحداها "زاك" وهو يضع يده في جيبه الأيسر ثم أخرجها وفتحها أمام عينيها الغاضبتين، وهي فارغة، قائلًا: - الآن هي ملكي!

صرخت "فاليريا" حيث كانت العملة بالنسبة إليها تجلب الحظ أو الراحة أو شيء من هذا القبيل، قائلة: - إنها ملكي! أعدها إليَّ أيها الوغد!

ألقت بجسدها على "زاك"، لوحت بذراعيها في الهواء محاولةً لكمه. وتردد صوت الصراخ في القبو.

من الناحية النظرية، من السهل جدًّا احتواء امرأة. امسك ذراعيها في شكل من العناق القريب. وستوشك أن تسيطر على تلك المتوحشة. لكن مع "فاليريا"، كان الأمر مختلفًا.

حاولتُ أنا و"لوكاس" إيقافها، وقلت لها بطريقة ودِّية: - اهدئي!

لكنها لم تهدأ واستمرت التعيسة في الصراخ والركل واللكم.

سمعت "زاك" يقول بصوت هادئ وبطريقة النصح تقريبًا: - توقفي عن هذا الهراء يا "فاليريا".

حملقت وسكتت ثواني معدودة. كنت أراقب "زاك" في تلك اللحظة ورأيتُ ماذا كان يفعل.. ثم صوَّب المسدس نحوها، وكرر قائلًا: - توقفي الآن!

لم تدافع "فاليريا" عن نفسها أو تتراجع، بل ابتسمتْ فقط وعضَّتْ شفتها السفلية بينما كانت تفكر في شيء، واقتربتْ وتحدَّته بشجاعة وهي على بعد سنتيمترات من وجهه قائلةً: - أطلق الرصاص! هيا أيها الشاذ! أطلق الرصاص!

تردد "زاك". لكنها ظلت تصرخ:

- هيا! لستُ خائفةً! أطلق هنا تمامًا في وجهي.. أنا منتظرة!

ارتعد المسدس في يد "زاك". وصاحت مرة أخرى متحديةً بنبرة حزم: - أطلق الرصاص! هيا عليك اللعنة! عليك اللعنة! أم تفضل أن تصوب المسدس في بطني؟! أيها القذر!

أمرها "زاك" كما لو كان يترجاها، قائلًا:

- توقفي عن هذا!

صرختْ ووجهها الأبيض تحول إلى اللون الأحمر في ذلك الجو الحار، وجزت على أسنانها من الكراهية: - ما هي مشكلتك يا "زاك"؟ فقط لأنني لا أتوسل للبقاء على قيد الحياة؟ ولا أبكي مثل خروف صغير، على وشك أن يُضحَّى به؟ هيا! أنا هنا أنظر إليك، وجهًا لوجه وأنطق بكل الحروف: أ.. طـ.. لـ.. ق! أطلق الرصاص! لن تحتاج حتى إلى نتف رموشي، كما فعلت مع صاحبك القذر! فقط أطلق النار!

تأوه "زاك" ضاغطًا على شفتيه بشدة قائلًا:

- أنتِ لا تريدين أن أفعل هذا!

تفاجأ "زاك" من البلبلة التي أحدثتها، ثم أخفض المسدس. وأكملت "فاليريا": - وهل يهمك ذلك حقًّا؟ إذا لم أكن مخطئة، فذلك الموجود هناك، لم يكن لديه خيار! فقد توسل إليك ألا تقتله!

كانت "فاليريا" تشير إلى رأس "أوتو"، شعرتُ ببرد آخر عندما رأيت جثته والدم متخثرًا ومتجمعًا في بركة عديمة الشكل.

أجابها "زاك" بنبرة ودودة:

- لا تتظاهري بأنك قديسة.. أنت أيضًا كنت مستمتعة.

اقتربتْ منه وهي أكثر هدوءًا إلى حدٍّ ما، وسألته: - ما معنى هذا يا "زاك"؟ نحن هنا كي نلعب "الروليت الروسي".. وحتى الآن لم أرَ سوى تعذيب وقتل، والآن تصوب المسدس نحوي.. ماذا تريد من هذا كله؟ تريد أن تقتلنا جميعًا، واحدًا تلو الآخر؟

ما زال "زاك" ينظر إليها، سحب أمان المسدس الذي كان بيده. اقتربتْ منه وقالت بنبرة تهديد: - إذًا يا حبيبي، إذا كنت ستقتل كل واحد منا من الأفضل أن تبدأ بي. لأنني إذا بقيت على قيد الحياة سأتسبب لك بمتاعب كثيرة.

في نوبة غضب شديدة، رفع صديقي السلاح مرةً أخرى، وعيناه شبه مغمضتين، ويصدر صوتًا يظهر الكراهية والخوف.

- أنا...

أدركت أنه ارتبك، وسألته بنظرة هادئة لم أشاهدها من قبل، قائلة: - والآن هل ستجيب أم ستقتلني؟ هل حكاية "أوتو" حقيقية؟

نظر إليها ثم إلى كل واحد منا. توقف قليلًا عندي كما لو كان يعتذر. حينئذٍ بكى والدموع تنهمر على وجهه موجهًا المسدس صوب رأسه وقال: - لا تجبريني.. لا تجبريني على النطق بما تعرفونه بالفعل.

ثم أطلق الرصاص.

أغمضتْ "فاليريا" عينيها مسرعةً، ربما تخيلتْ أن رأسه انفجرت.

أخفيت وجهي، في انتظار رد فعل الآخرين لمعرفة ما حدث. لكنني سمعت صوت المسدس.

بدا "زاك" مرتاحًا لكنَّ عينيه ما زالتا مبللتين، وقال: - ليست هذه المرة.

مصَّ شفتيه وهو يستعيد صوته.

- من التالي؟

حدَّقنا إلى بعضنا بعضًا في صمت، في انتظار أن يأخذ أحد منا المسدس من يديه ويكمل الجولة. تبقت سبع محاولات. وستنتهي هذه الجولة بموت واحد منا.

اعترضتْ "جواو" وهي تأخذ المسدس، قائلةً:

- أعتقد أنه يجب أن نشكل الدائرة أولًا وننظم أنفسنا. أليس كذلك؟

وافقتها "ريتينيا":

- نعم. اجلسوا هنا، اللعنة!

غادر "لوكاس" جانب شقيقته، ولفت نظره السطر الصغير من الكوكايين الذي جهزته "ريتينيا" على الأرض القذرة. انحنى بشكل مُحرج، وقرَّب أنفه من البودرة. ثم أغلق إحدى فتحتي أنفه بإبهامه وأخذ نفسًا عميقًا.

تمتم وهو يرفع رأسه مثل الكلب، بعدما انتهى من شم جرعته سائلًا: - أتريد؟

أدرك "لوكاس" أنني كنت أنظر إليه، وعرض مرة أخرى:

- أتريد؟

هززتُ رأسي نافيًا، وأمسكتُ القلم بسرعة كي أسجل كل لحظة. جلس إلى جانب "ريتينيا" واضعًا ساقًا فوق الآخر وسألني محاولًا إخفاء المعاناة التي ستحدث من جراء الانتحار، بابتسامة: - أنت تحب هذه الأشياء، أليس كذلك؟

أجبته:

- نعم.

علّق "لوكاس" وهو يضغط على أنفه الأحمر مثل أنف المهرج، قائلًا: - أفضِّل "بوكوفسكي". لكنني قرأتُ أعمال "كونان دويل" ذات مرة.. وقرأت في مرحلة التعليم الابتدائي أعمال عزيزي "واتسون" وأشياء أخرى كثيرة.

سألته تلقائيًّا:

- هل أعجبك؟

وندمتُ مباشرةً، فقد كانت المحادثة معه على رأس قائمة الأشياء غير المستحب فعلها.

جلست "فاليريا" بين "ريتينيا" و"نويل"، منتبهةً إلى حديثنا، كما لو كانت قرأت شيئًا آخر غير مجلات الموضوعات العامة وكتب التاريخ.

قال "لوكاس" وكان يمرر يده فوق الوشم على ذراعه:

- أعجبني. واكتشفتُ شيئًا مهمًّا، يا رجل.

قررت عدم استكمال المناقشة وأخذتُ عهدًا ألا أسأله.

لكن "فاليريا" سألته:

- ما هذا الشيء المهم؟

فأجابها مفسرًا:

- كان "هولمز" يدمن الكوكايين إلى جانب حبِّه العزف على الكمان والقبض على القتلة. قرأت في أحد الكتب.. أنه كان يتعاطى قبل أن يخرج ليطارد اللصوص.. أنت أيضًا يجب عليك أن تجرب سطرًا، يا "أليس". مثل "شارلوك هولمز".

هل كان يعتقد أنني كنت سأتعاطى الكوكايين فقط لأن شخصية لندن الخيالية كانت تتعاطى؟ أكد لي هذا الشيء عدم حبي له.

جلستُ بين "زاك" و"نويل" في صمت، مكملًا الدائرة. وضعتْ "جواو" المسدس على الأرض ونظرت إلى كل منَّا وقالت وهي تدفع المسدس نحوي:
- الجولة الثانية! كان دور "زاك".. ووفقًا للترتيب.. حان دورك يا "أليس".

انزلق المسدس محتكًّا بالأرض محدثًا صوتًا مزعجًا، وتوقف عند ركبتي. غزت رأسي مجموعة من الأفكار عندما شعرتُ بأنبوب المسدس يلمس ساقي. تذكرت كل ما حدث في حياتي حتى تلك اللحظة. الأحلام والخوف حتى الأحداث غير المهمة. تذكرت أمي تسرد باكية ما قاله لها الطبيب، اللمعان شبه الطفولي في عينيَّ "ماريا كلارا"، ولثانية، شعرتُ بالرجفة التي انتابتني

منذ سنوات، عندما حاولنا دخول هذا القبو: دوَّرت السلك في القفل على حين يقف "زاك" عند السلم ليراقب الطرقة؛ كانت أعيننا مذعورة ومتوترة في الظلام.

قالت "ريتينيا":

- امسك المسدس بسرعة يا "أليس" وأطلق الرصاص.

ليس لديَّ أي عذر الآن. إنني في الحقيقة ما زلتُ خائفًا جدًّا ويراودني الشك؛ هل هذا حقًّا ما كنت أريده لنفسي! لكن إذا كان الهدف من هذا الأمر هو أن يقرأ أحدهم كتابي، فليس هناك مفر.

وأكملتْ "فاليريا" قائلة:

- لا تنس أن تقول آخر جملة لك.

تساءلتُ محاولًا كسب مزيد من الوقت:

- أي جملة؟

أوضحتْ قائلة:

- لا أعرف.. يمكن أن تكون هدفك من هذا الكتاب.

أنهيت الجزء الذي كنت أكتبه ونظرتُ إليها، وأكدتُ: - هدفي؟

- "أهدم الجيوش الخضراء أو أغزو أربعة وعشرين بلدًا".

قهقهتْ "فاليريا" وضحكت "ريتينيا"! وهي تنظر إليَّ نظرة بها إدانة. فقد كانت تعلم أنني أمزح.

هدفي! هدفي الوحيد لوجودي هنا مع هذا الكتاب هو الاستمتاع والمرح. بالنظر إلى الوجه السكران للجميع، أدركت أنه لا أحد منهم سيفهم دوافعي، لا "نويل" ولا "فاليريا" ولا "ريتينيا" ولا "لوكاس" ولا "جواو" أو "دانيلو" أو "زاك". لن يستطيع أحد أن يشعر بما أشعر به الآن، أو أن يصدق أحدهم ما أؤمن به. لا أعرف حتى إذا كنت على حق. لا أعرف ما إذا كان الأمر يستحق أن أكون هنا وأن أعيش هذه الحالة من الجنون، وأروي كل لحظة، مهووسًا بمشاهدة البشر يواجهون الموت، ويستسلمون للغريزة. ما الهدف من كل هذا؟ أن يُصبح كتابي مشهورًا في بلد نصف سكانه أميُّون. لتحقيق حلم قيل لي منذ سن مبكرة أنه خيالي ومجنون. إذًا أنا مجنون. أنا هنا، على استعداد للموت من أجل ذلك. لجنوني. لشغفي المجنون بالكتابة، لما يمكن أن يقدمه لي الأدب. أنا هنا من أجلك أيها القارئ. آمل بصدق أن تكون قد استمتعت حتى الآن.

من المؤسف أن نعرف أن هذا سيكون كتابي الوحيد الذي سأستطيع قراءته. ولن أكتب غيره. مع ذلك، آمل أن أكون قد حققت هدفي. الآن سوف آخذ المسدس وأطلق الرصاص على رأسي. إذا لم يكن للكتاب بقية، فأنت تعرف بالفعل.. سيكون هذا هو الفصل الأخير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

16

"ديانا":

- "إذا لم أعُد، فأنت تعرف بالفعل.. (وقفة) سيكون هذا هو الفصل الأخير".

(صمت مدة أربع ثوانٍ)

"أوليفيا" بنبرة حادة:

- حسنًا. كان ذلك الفصل الرابع، وليس لديَّ ما أضيفه. هل ما زال أمامنا الكثير أيتها الشرطية؟

"ديانا":

- هل تريد إحداكنَّ أن تقول شيئًا آخر؟

(صمت مدة ثلاث ثوانٍ) (صرير كراسي) "ديانا":

- ليس لدي الكثير من التعليقات على ذلك الفصل. في الواقع هما نقطتان سريعتان فقط. (حفيف أوراق) هيا بنا! "لستُ خائفةً! أطلق هنا تمامًا في وجهي.. أنا منتظرة!" (وقفة) حالة "فاليريا" تلك، مثيرة للدهشة. فإنها حتى هذه اللحظة لم تقم بأي موقف شجاع، بل كانت سيطرة "زاك" واضحة، كما ذكر "أليساندرو".

"فانيا":

- حسنًا، أعتقد أن هذه الحالة بالتحديد هي التي جعلتها تجرؤ على تحدي "زاك". (وقفة) ليس هناك شخص عاقل يفعل ما فعلت! فقد كانت تحت تأثير المخدرات. كما أن "زاك" كان يحمل المسدس!

"ديانا":

- حقًّا، ربما الكحول هو ما شجعها. (وقفة) وبالرغم من ذلك فقد قالت: "ما معنى هذا يا "زاك"؟ نحن هنا كي نلعب "الروليت الروسي".. وحتى الآن لم أر سوى تعذيب وقتل، والآن تصوِّب المسدس نحوي.. ماذا تريد من هذا كله؟ أتقتلنا جميعًا، واحدًا تلو الآخر؟" (وقفة) كانت تبدو أنها تتحدث بجدية شديدة. أعني، أنها لمحت إلى أن "زاك" سيبدأ في قتل واحد تلو الآخر.. كما لو...

"ريبيكا":

- ماذا تقصدين أيتها الشرطية؟

"ديانا":

- لا شيء. (وقفة) لكن يبدو أنها قد أدركت شيئًا ما عندما قالت ذلك الكلام. كما لو كانت أدركت حدوث شيء خارج الخطة ويجب إيقافه.

"أوليفيا":

- لكن واضح أن شيئًا ما كان يحدث.. كان الابن المدلل "زاك" يلعب لعبة التصويب مع الآخرين. وقد استطاعت هي فقط أن تكشف أنه لم يكن الأفضل كما كان يعتقد. كيف كانت تفكر؟ كانت حقًّا امرأة قوية!

"ريبيكا":

- كانت ابنتي قوية جدًّا وذكية أيضًا. تقرأ ما بين السطور. (وقفة) لقد لاحظتْ من الطريقة التي كانت تسير بها الأمور أن "زاك" سيقتل الجميع في النهاية.

"سونيا":

- لكن ماذا عن تلك العملة؟ ماذا كانت تعني بالنسبة إليها؟

(صمت مدة ثلاث ثوانٍ)

"ديانا":

- حدثتنا "ريبيكا" بالفعل عن عملة ابنتها. في التحقيقات الفردية.. ليست مهمة الآن.. سنذكر ذلك لاحقًا..

"ريبيكا":

- كانت ملكًا لوالدي الذي كان يعمل في مصلحة سك العملة. (بصوت باكٍ) قد أهداها إليها وطلب منها أن تحتفظ بها.. وقد حافظت عليها بالفعل. كانت مهمة جدًّا بالنسبة إلينا جميعًا، أتعلمين؟

(صمت مدة خمس ثوانٍ)

"ديانا":

- ما زال الأمر يتعلق بإدراك "فاليريا".. (وقفة) حسنًا، لقد استطاعت الحصول على اعتراف من "زاك". (وقفة) عندما قال: "لا تجبريني على قول ما تعرفينه بالفعل..." (وقفة) كان بمنزلة اعتراف.

"أوليفيا":

- حقًّا... و؟

"ديانا":

- لقد قالت تلميحًا آخر غير مباشر. (حفيف أوراق): "أعتقد أنك شريكهم أيضًا. أنتم الثلاثة شركاء...". (وقفة) كان هذا ما قالته لـ"أليساندرو".

(صمت مدة أربع ثوانٍ)

"أوليفيا":

- لا شكَّ أنها كانت على حق.. (وقفة). لقد ظل غاضبًا جدًّا من هذا الاتهام.

"ديبورا":

- لكن هذا شيء سخيف! أنتن تقصدن أن.. من لا يغضب عندما يُوصف ظلمًا بأنه مثلي الجنس؟

"ديانا":

- اسمعي يا "ديبورا"، نحن لا نؤكد شيئًا.. هو من كتب ذلك بنفسه.

"ديبورا":

- كذب! كذبة لعينة! ابني لم يرتكب تلك الأفعال.

"ديانا":

- كان "أليساندرو" صديق "زاك" المقرب.. (وقفة) إنه شيء غريب جدًّا ألا يشتبه في شيء و...

"ديبورا":

- أنا لا أقول إن ابني كان زير نساء. على العكس.. لكنه أيضًا.. لم يعشق رجالًا! لقد خدعه "زاك" ورسم لنفسه صورة ذكورية لإخفاء أنه مثلي.. ولكن.. لم يكن لدى ابني سبب لعدم الثقة به.. لم يكن ليشتبه أحد به!

"أوليفيا":

- يجب أن يكون الأمر صعبًا عليك.. ولكن هذه حقائق.. (وقفة) اثنان زائد اثنان يساويان أربعة.. (وقفة) لم يُخبر ابنك أي شخص عندما اكتشف أن "زاك" كان مثليًا. لقد كذب بسببه في وقت "الروليت الروسي". حينها فقط أجرى حساباته.

"ديبورا" بصوت ثائر:

- أنتن تتهمن ابني لأنه كان صديقًا مخلصًا! كنتُ أعرفه جيدًا.. لقد صُدم عندما علم أن "زاك" كان... (وقفة) في النهاية، أنه كان مثليًّا.. (وقفة) لكن قبل أي شيء فقد حافظ على الصداقة.. لم يحكِ ما كان يعرفه.. لأي شخص! ولا

لـ"زاك" نفسه! على عكس ما كان سيفعله الكثير من الأشخاص! حضراتكن يجب أن تتخذوه قدوة! قولكنَّ إن ابني كان مثيلًا هو حكم مسبق! احترامه للمثليين لا يعني أنه منهم!

"روزا":

- كان يحترم المثليين! (وقفة) يا "ديبورا"، هل تصدِّقين حقًّا الهراء الذي تقولينه؟ لقد تخلى ابنك عن ابني.. ترك "زاك" يقتله بكل برود! لا تقولي لي إنه كان يحترم الـ...

"ديبورا":

- لم يحب "أليس" "أوتو" لأسباب أخرى.. (وقفة) ما فعله ابنك معه ومع "زاك" كان غير أخلاقي! يذهب إلى منزله بعد يوم من وفاة والديه.. (وقفة) "أليس" أبدًا...

"روزا":

- وما فعلوه مع ابني؟! (تغير الصوت وأصبح مصحوبًا بالبكاء) ماذا كان؟ (وقفة) كان فعلًا جبانًا! عملًا غير إنساني! وحشيًا! كان... (بكاء شديد).

"ديانا":

- سيداتي من فضلكنَّ. أحتاج إلى أن...

"أوليفيا":

- إذا كنتِ لا تريدين أن تقولي، فلا تقولي. لكننا لسنا مغفلات.. يا "ديبورا"!

"ديبورا":

- لم يكن ابني مثليًا! (وقفة) لو كان كذلك، لقلت.. على عكس كلتيهما، لم أكن لأخجل منه!

"روزا":

- أنت وقحة.

(صرير كراسي) (صراخ وشتائم)

"ديانا":

- أمسكنها. من فضلكنَّ، امسكنها!

"ديبورا":

- لست خائفة منك يا "روزا"! (بصوت عالٍ) ألسنا هنا لنقول الحقائق؟ لذلك قلتُ الحقيقة!

"ديانا":

- اجلسي يا "روزا".. اجلسي!

"ديبورا":

- مات ابني ليكتب هذا الكتاب.. لن تمنعني حماقتك من تحقيق حلمه!

"أوليفيا":

- اهدئي يا عزيزتي.. ابقي هادئة.

"روزا":

- اتركوني.. دعوني أذهب.. أنا.. لن أفقد عقلي بسبب هذه المرأة غير المهذبة.. أحتاج.. (وقفة) يجب أن أستنشق بعض الهواء النقي.

"أوليفيا":

- كلنا نحتاج إلى بعض الهواء.. (وقفة) أيتها الشرطية لماذا لا تقرئين نهاية هذا الكتاب اللعين وننتهي مباشرة من هذا؟ ألا تحتوي النهاية على كل ما تريدين معرفته؟

"ديانا":

- كما قلتُ يا "أوليفيا"، تُسرَد الأحداث حتى لحظة وفاة "أليساندرو". (وقفة) لم يكن آخر من مات. (وقفة) ففي المدَّة الفاصلة بين وفاته حتى اللحظة التي عُثِر فيها على الجثث، حدثت أشياء جعلت كل شيء ينتهي بالطريقة التي تؤلمكنَّ معرفتها.. لست في حاجة إلى تكرارها.

"ديبورا":

- أنا لا أتذكر حتى...

"سونيا":

- انتظري، ما الذي تتحدثين عنه؟

"ديانا":

- لا نعرف بالضبط. (وقفة) لكن بالطبع لدينا افتراضات. سنقدمها في وقت لاحق.

-

“أوليفيا”:

- افتراضات.. أفضِّل ألا أكون على علم بأي شيء.. لا أريد البحث عن حقيقة هذه القصة بأكملها. (وقفة) هل سيرافقني هذا بقية حياتي؟

“روزا”:

- أنا.. أنا في حاجة للحصول على بعض الهواء.. (تنهدات).

“ديانا”:

- حسنًا.. أعتقد أننا جميعًا في حاجة إلى استراحة بعض الوقت.

“روزا”:

- عظيم!

(خطوات سريعة)

(صرير الباب)

(صمت - أربع ثوانٍ)

“ديانا”:

- سنعود بعد عشرين دقيقة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

17

من مذكرات "أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو"

قضية "منزل سيريل"، رقم 08 – 0109 - 15634

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: "جوزيه بيريرا أكينو"، قسم 12 للأحوال المدنية بـ"كوباكابانا".

الاثنين الموافق الأول من سبتمبر 2008

وفقًا للصحف فقد وقع الحادث تمام الساعة 12:17 ظهرًا، على طريق "BR-040" السريع بالقرب من معرض "شيفروليه" لقطع غيار السيارات بمدينة "دوكي دي كاسياس" في ريو دي جانيرو. لكن وفقًا لشهود العيان، لم يكن هناك الكثير من السيارات على الطريق، وفجأة صدمت سيارة مجهولة سيارة الـ"باجيرو" التابعة لـ"فاسكونسيليوس" وهربت. أكد شاب كان يمر بسيارته وقت الحادث أن شاحنة بلا لوحة معدنية ولونها برتقالي هي المسؤولة عن الحادث. وأكدت سيدة أخرى وجود سيارة "حافلة صغيرة" لم تتذكر أي رقم من لوحتها، ولونها برتقالي أيضًا، على حد قولها.

لم يُعتقد أن أيًّا من سائق الشاحنة أو الحافلة الصغيرة كان مخطئًا. فوفقًا لشهود العيان نفسهم فقد كان لدى "جيتوليو" وقت كاف للكبح قبل الاصطدام، لكن السيارة انحرفت عن الطريق واصطدمت بالسور وسقطت في الوادي وانقلبت.

لم يكن "جيتوليو" رابطًا حزام الأمان، فطار جسده بعيدًا قبل أن يصطدم بالأرض الترابية. فارق "جيتوليو" الحياة قبل أن يصل إليه أول شاهد عيان، فقد سقط على بعد أمتار من السيارة المقلوبة، وجبهته يغطيها الدم وشظايا زجاج السيارة.

أدركوا أن في السيارة شخصًا آخر فقط عندما بدأت "ماريا كلارا" تصرخ وتطلب المساعدة قائلة إنها لا يمكنها تحريك ذراعيها. وفقًا للرجل نفسه، فقد حاول هو وثلاثة أشخاص آخرون إخراجها من السيارة، لكن جسدها كان عالقًا بحزام الأمان إلى الأسفل. اشتعلت النيران في السيارة، قبل وصول سيارة الإطفاء، انتشر اللهب بسرعة بالمقاعد، وتحولت السيارة إلى كتلة نار خالصة.

كذلك أوضح أحد الشهود إلى القناة التليفزيونية المحلية:

“سمعتها تصرخ وكانت النيران تغطي السيارة، لم أستطع فعل أي شيء”.

تصدرت تفاصيل أخرى شنيعة عناوين الصحف أمس واليوم، بما في ذلك صورة للسيارة المقلوبة وجثمان “جيتوليو” مغطى بكيس أسود في مشهد يصعب رؤيته. تجنبت قدر المستطاع معرفة ما حدث لكنه كان أمرًا مستحيلًا، كنت متأثرًا عاطفيًّا جدًّا.

كان نشر تلك الكارثة في الصحف والمجلات هو ما يفسر ذلك السيرك الذي أُقيم في أثناء الجنازة. ومضات كاميرات وميكروفونات وأضواء كاشفة.. تتمتع الصحافة بموهبة لا تصدق في تحويل مراسم دفن إلى حفل. زوجان من الطبقة الراقية في مدينة “ريو”، تعرضا لحادث كان حديث الصحافة مدة خمسة أو ستة أيام.

هناك شيء مثير للاهتمام حول العلاقة بين الكارثة والأخبار. أقصد أنه عندما تتحطم طائرة ويموت مائتي شخص في ظروف غامضة، نجد آلافًا من حوادث سقوط الطائرات حول العالم تملأ عناوين الصحف والأخبار في الأسبوع التالي.

وينطبق الشيء نفسه على حالات اغتصاب الأطفال والقتل بالرصاص والأعاصير القاسية التي دمرت المنازل في الولايات المتحدة الأمريكية. ثم ينتهي الموضوع ويأتي موضوع آخر، فعند سقوط طائرة آخرى لا يكون خبرًا صادمًا هكذا مرة آخرى، بل كل شيئًا طبيعيًّا وتكراريًّا.

في حالة عائلة “فاسكونسيلوس”، بعد أن تهدأ الأمور، يمكنني بالفعل توقع أن يذهب عدد من الخبراء إلى البرامج الإذاعية ويتحدثون عن الشرب في أثناء القيادة، وكذلك شهادات عن الشباب الذين فقدوا ساقيهم في حادث، وسياسيون يقيمون حملة لمنع وقوع وفيات على الطرق. وبطبيعة الحال، المزيد من صور عرض الأزياء داخل مقبرة “ساو جواو باتيستا”.

كان هذا ما رأيته اليوم: سيدات يرتدين نظارات شمس ماركة “أرماني” لإخفاء البكاء. وحقائب “جوتشي” فخمة، وأحذية “برادا”. الجميع يتبع أحدث صيحات الدفن!

“بسم الأب والابن والروح القدس”

صوت القس بالكاد مسموع وسط حشد من المتفرجين الذين يشاهدون التابوتين كما لو كانا سفينتين فوق الأرض.

“أيها الإخوة، نحن هنا اليوم، في لحظة الحزن هذه، لنقول وداعًا...”.

وبقدر استطاعتي انتبهت إلى كلام القس، لكن شيئًا ما أقوى شتتني عن كلماته. كانت عيناي مثبتتين نحو فمه - شارب كبير مزعج كان يتحرك صعودًا وهبوطًا كلما تكلم - كان عقلي قد بدأ في السفر عبر عالم من الأفكار بعيدًا إلى حدٍّ ما عن تلك المقبرة.

لقد حدث كل ذلك بسرعة كبيرة. لم يكن لدينا وقت للتفكير، أو التصرف بشكل منطقي. اجتهدت أمي كثيرًا لتجهيز كل تفاصيل الجنازة منذ أن عرفنا بخبر الوفاة. لم يكن "زاك" في وضع يسمح له بفعل أي شيء، ولا حتى البكاء.

كما فهمتُ، فقد أعدَّت "ماريا كلارا" كل شيء قبل وفاتها؛ اشترت التابوت الذي أرادت أن تُدفن فيه منذ أربعة سنوات. فكرت مبتسمًا أنه شيء يليق بمستوى "ماريا كلارا".

لستُ من أولئك الذين يعددون على الموتى: قد يكون شخص ما سيئًا، لكنه بمجرد وفاته ترى الناس يقدسونه، ويحزنون كذلك على فقدان رجل كان صالحًا و... إلخ. أنا أكره ذلك.

لم تكن "ماريا كلارا" و"جيتوليو" قديسين. كانت هي مبذرة، سطحية، عديمة الفائدة، وغافلة عن الواقع البرازيلي المحزن. وكان هو ثرثارًا وساخرًا واتَّخذ أشخاصًا آخرين كوسيلة للوصول إلى القمة. بالرغم من كل هذا كنتُ أحبهما.

كنت أرى التفاهة في عيون "ماريا كلارا"، لكنها كانت شيئًا بريئًا، طفوليًّا، كما لو كانت لاتزال طفلة. فبدلًا من جمع الدمى، جمعت الحقائب المستوردة والأحذية والنظارات. كان "جيتوليو" طموحًا ولا يحترم قيم المجتمع، هذا حقيقي، لكن كان هناك شيء بطولي وشجاع في أفعاله. كان لديه هدف، هدف في الحياة، كان يشعرني بعطف الأب في كثير من المواقف.. حل محل والدي في نصائحه وتعليقاته.

"دعونا نصلي معًا. أبانا الذي في السماوات..."

لف "زاك" ذراعه حول ظهري المتعب. كان وجهه جادًّا وينظر بثبات إلى التابوتين داخل القبر. وقد سجلتْ ومضات الكاميرات مدى حزنه واحتفظت به إلى الأبد. لقد انهار عالمه في أيام قليلة، وكل ما أرادت هذه الكاميرات فعله هو إظهار الكارثة التي أحلت به، وجعلها عامة وقابلة للبيع.

رفع "زاك" وجهه وتمتم وهو ينظر إليَّ:

- أريد أن أذهب.

بالكاد أدركتُ أنه كان يبكي. لم تتدفق الدموع وتحجرتْ في عينيه، فقد شعر بالخجل أمام الحشد. حاول أن يتظاهر بأنه قوي، وأخفى مشاعره داخل

جسده الصحي والحيوي. فأين يمكنك أن ترى رجلًا طويل القامة مفتول العضلات يبكي بغزارة أمام الصحفيين؟ لا، لا، لا! حتى هناك، اضطر "زاك" إلى أن يخضع للقواعد والأعراف الاجتماعية، الرجال لا يبكون، بالرغم من المصيبة التي حلّت بحياته.

كرر متوسلًا:

- أريد أن أنصرف.

كانت أول مرة تحدثنا فيها منذ إغمائه. و... اللعنة، لم أكن أعرف ماذا أقول.. لا يمكننا الانصراف، نعم.. من المستحيل أن ننصرف دون تقديم مبررات.

القواعد.. اللعنة عليها.

الآن هو شخص مختلف تمامًا. من قبل كان "زاك" هناك، يعيش حياته الصغيرة، يوزع السعادة. الآن أراه قد انهار، ووجهه شاحب، وأكتافه منحنية، أدرك أن كل شيء سيكون أسوأ من الآن فصاعدًا.

كانت والدتي هي التي أخبرته عن الحادث، عندما أفاق من تأثير المهدئات. من حسن الحظ، لم أكن حاضرًا. لم أستطع. لم أملك القدرة على رؤيته ينهار أمام عينيَّ دون أن أتمكن من فعل أي شيء.

بحثت عن والدتي وسط الحشد وطلبتُ منه قائلًا:

- انتظر قليلاً! من فضلك.

خفض "زاك" رأسه، دون اعتراض.

قبل ذلك، عندما التقينا في المقبرة، كان أول شيء فعلته هو معانقته بشدة، وهو ما عبَّر عن كل شيء لا تستطيع الكلمات قوله. إنني كاتب ومحامٍ مستقبلي، لكن الرب أعلم أن الكلمات لم تكن حاضرة في ذهني لهذه اللحظة. إن كلمة "خالص التعازي" تبدو بلا فائدة بل تبدو ساخرة!

أي تبرير للموت يبدو بلا قيمة، بل سطحيًّا وطفوليًّا تقريبًا. كان من الأفضل التزام الصمت. تعزيز العواطف، ومشاركة الألم في صمت.

بينما كانت نظراتي تتجول بين الناس، وجدت "لوكاس" و"ماريا جواو" كانت تتشبث بذراع أخيها، وجسمها النحيف مضغوط بين الناس. أدركتْ أنني أنظر إليها وخفضتْ رأسها. كان "لوكاس" يحدق إلى التابوتين، كانت يداه مخفيتين في قفازين سوداوين مداعبًا شعر أخته القصير.

حاولت أن أتصور لماذا كان يرتدي القفازات السوداء الخاصة بالدراجات النارية، مع تلك الشمس الحارقة فوق رؤوسنا. ربما كان سيذهب إلى حفل

بعد ذلك مباشرة. هذا صحيح: فبمجرد أن نغادر الجنازة نتساءل أين سنتناول العشاء أو نفضِّل العودة إلى المنزل في التوقيت المناسب لمشاهدة الحلقة التالية من المسلسل. ننتقل من الحداد إلى التفاهة في غمضة عين.

استسلم "زاك"، ملقيًا رأسه فوق كتفي قائلًا:

- أنا.. لا أستطيع التحمل بعد الآن.

تراجعت تلقائيًّا. كنت لا أزال متأثرًا بالمحادثة مع "أوتو" في اليوم السابق. ماذا لو كانت حقيقية؟ ماذا تعني صداقتنا؟ تمويه للمغامرات الجنسية؟ لم أستطع أن أقول إنني كنتُ أعرفه حقًّا.

لم تكن لدي رغبة في مواجهته بالحقيقة. كانت الحياة بالفعل قاسية عليه. لم أكن أريد مساعدتها في سحقه، وتدميره. ولكن في يوم من الأيام، يجب أن أفعل ذلك.. كان المزيد والمزيد من الشكوك تتراكم في حلقي وتخنقني بقوة.

في يوم من الأيام يجب أن أعرف، أليس كذلك؟ وكان هناك شيء أكثر غرابة: ماذا لو بعد وفاة "ماريا كلارا" و"جيتوليو"، قرر "زاك" أن يمارس المثلية الجنسية؟ أعني، ماذا لو كان هو و"أوتو" يحبان بعضهما بعضًا؟ هل كان ذلك صحيحًا حقًّا؟ هل سنبقى أصدقاء؟

ابتعد عني "زاك" ببطء ومشى بين مجموعة من صديقات مجتمع "ماريا"، تاركًا الناس يثرثرون. ذهبتُ وراءه مسرعًا، وأمسكت ذراعه من جديد.

صاح "زاك"، وكان بعض الناس يلتقطون صورًا بالهاتف المحمول:

- دعني أذهب يا "أليس"! لا يمكنني أن أتحمل المزيد بعد الآن!

سقطت الدموع على خديه فوضع يده على وجهه، عانقته بشدة، وبدأت أبكي معه. اللعنة! لقد كنت صديق "زاك"! لا يهم ما فعله، وما كان يفكر فيه، وما أخفاه عني.. لقد كان صديقي.

لم أستطع تركه في تلك اللحظة. لا أستطع بطبيعتي. اضطررت إلى الوقوف معه، والدفاع عنه ضد تلك الحيوانات المفترسة المسلحة بالهواتف المحمولة والكاميرات كانت تقصفنا بأصواتها.

قلت:

- أنا بجانبك يا رجل.. أنا هنا.. معك.

كنتُ أدركُ أن حبس الدموع لن يفيد بشيء.

كانت رأسه تهتز على كتفي، وذراعاه القويتان ملفوفتان حول رقبتي.

فكرتُ، وأعدتُ التفكير.. ثم أخذتُ نفسًا عميقًا، ووضعتُ يدي على شعره وداعبته، وطلبتُ منه أن يبقى هادئًا، وألَّا يخاف. انزلقت أصابعي على رأسه، في عناق شديد. كنت خائفًا أيضًا. الخوف من الأيام القادمة. الخوف مما يمكن أن يحدث.

أنهى الكاهن الخطبة وترك المكان للصبيين لإغلاق القبر، وتغطيته بلوحة ثقيلة. ثم تحولت الكاميرات نحو القبر. ضمني إلى صدره العريض. وصاح بصرخة جافة، وعبس وجهه عند رؤية والديه مدفونين في ذلك القبر، ومستقبله الذي كان معلَّقًا بهما لا محال.

تمتمتُ في أذنه:

- تنفس يا رجل، خذ نفسًا عميقًا.

رفع رأسه ووقف أمامي. مدَّ يده نحو وجهي، يضغط على خدي. كانت شفتاه ترتجفان، وعيناه حمراوان أيضًا، وبدا لون عينيه الأزرق يلمع وسط الدموع. وقال: - شكرًا يا "أليس". أنا لا أعرف ما... أنت صديق عظيم يا رجل.

ابتسمتُ، وشعرتُ بالدموع في عينيَّ أيضًا. أجبته:

- أنت أيضًا يا "زاك".. صديق رائع.

بدا العالم ساكنًا في تلك اللحظة، منصتًا لحوارنا. الأشخاص، النور، المقابر الأثرية، كل شيء تجمد، تحول كل شيء إلى مجرد صبغات منتشرة وملونة.

شعرتُ برأسي تتأرجح، بداية ألم ملعون يحاول الظهور من حين إلى آخر على الجانب الأيسر من رأسي، وشعرتُ بدوار. سندتُ على ذراع "زاك"، محاولًا استعادة قواي. كان لا يزال ينظر إلى عينيَّ. اقتربت أمي منا وأمسكتْ بخصره ووضعتْ ذراعها حول ظهره لتقويته، وقالتْ: - هيا يا "زاك". هيا يا حبيبي!

مال "زاك" رأسه على كتفها، وأغمض عينيه، مما سمح لها أن تصحبه بين الناس الفضوليين. وقفتُ ثابتًا، وأنا أراقبهما وكانا يبعدان وهما يسيران في خطوات قصيرة حتى فقدتُ رؤيتهما.

جاء صوت من خلفي:

- جميل جدًّا يا بني.

بين نغزة وأخرى:

- جميل جدًّا بالفعل.

قبل أن أستدير لمعرفة من هي، مدت يدها وعصرت كتفي في عناق شديد، وقالت كما لو كنَّا أصدقاء منذ الطفولة: - تعال إلى هنا، عانقني!

كانت لهجتها ثقيلة من شمال شرق البرازيل. وعندما استدرتُ، تأكدتُ أنني لم أر تلك المرأة في حياتي قط. ودون مقدمات، ألقت جسدها الصغير السمين على جسمي واحتضنتني بشدة كشخص لم يرَ الآخر منذ عقود. ثم قبَّلت رأسي وكانت تبكي متأثرةً وقالت وهي تبتسم: - أنت.. أنت ملاك!

لم أتفاعل مع تلك المخلوقة المجهولة التي تعترف لي بحبها داخل مقابر "القديس جواو باتيستا".

- أعرف، أعرف.

استمرت السيدة وخرجت الكلمات من فمها على إيقاع موسيقي تقريبًا. وقالت: - بالتأكيد تظن أنني مجنونة..

أظن؟ أنا متأكد أنها ليست طبيعية!

واصلتْ بابتسامة قائلة:

- أرى أنك خائف. لكن.. بالطبع، بالطبع.. أنا حتى لم أقدم لك نفسي.. أنا "ماريا.. دي لورديس". "ماريا دي لورديس".

بقيتُ بلا حركة، أنظر إلى المخلوقة ذات الوجه المستدير بإيماءاته، والحقيبة المعلقة على ذراعها السمين.

- لكنهم ينادونني بـ"لورديس" على أي حال.. وما اسمك؟

- "أليساندرو". "أليساندرو".

كررتُ اسمي، دون أن أعرف لماذا.

- آه، نعم.. أنا...

بدأت تبكي مرة أخرى.

- سعدت برؤيتك بجانب الصبي.. "زاك".. إنه...

سقطت دمعة على وجهها بشكل حزين.

- بالتأكيد سيعاني كثيرًا.. وسيحتاج إلى الجميع.. إلى الأصدقاء، إلى صديقة، إلى عائلة..

أومأتُ برأسي. "صبي"! من الأفضل ألا أعلق على ذلك.

تمتمتْ تقريبًا لنفسها، ولكن بصوت عالٍ بما يكفي لسماعه:

- آه.. العائلة.. من المؤسف أننا نعيش بعًيدًا.

أخذت "لورديس" منديلًا أبيض ومسحت أنفها: - كانت "ماريا كلارا" أختًا رائعة، على الرغم من المسافة بيننا.

الآن بدأتُ أفهم إلى أين تنوي الوصول. مثل شكل مبهم أخذ يتبلور أمام عينيَّ. يمكنني أن أراهن على أن "ماري كلير" بذلتْ قصارى جهدها لزيادة تلك المسافة بينهما - عندما كانت على قيد الحياة - ومحو الماضي المتواضع، والأقارب أصحاب اللكنة الثقيلة.

سألتها كما لو كنت مهتمًّا:

- أهي أختك؟

صاحت وهزَّت ذراعيها الصغيرتين في الهواء:

- آه، نعم.. يا إلهي.. أنت لا تعرف.. بالطبع لا.. نحن أربع أخوات.. جميعنا اسمنا "ماريا". كما أطلقتْ أمي علينا، هل تعلم؟ "ماريا دي لورديس"، "ماريا دي فاتيما"، "ماريا أنطونيا" و"ماريا كلارا" كانت الصغرى.. كانت هي دائمًا الأذكى، هل تعلم؟ لطالما قالت: "إنني سأكون غنية، مشهورة، وجميلة".

ذرفتْ "لورديس" دمعة أخرى على الخدين المملوءين. واستطردت:

- وقد حققتْ ذلك، أليس كذلك؟ لقد نجحتْ.

نظرت إليَّ بمزيج من الضحك والبكاء على وجهها. وقفت مترقبًا كلماتها التالية. فقالت: - نحن لدينا الهدف ذاته يا فتى.

وأوضحتْ وهي تمسك يدي بإحكام:

- مساعدة الصبي.. الصبي "زاك".. في هذه اللحظة الصعبة للغاية.. أنا قلقة للغاية بشأنه.

حاولتُ أن أبتسم، لكن كل هذا الكلام البذيء بدأ يثير اشمئزازي.

- جئتُ وأحضرتُ معي أمتعتي.. سأقضي بعض الوقت هنا في "ريو"، في منزلهم.. لمساعدة الصبي.. ما رأيك؟ فكرة جيدة، أليس كذلك؟

لم أجب، ولكن يجب أن تكون قد فهمتْ ذلك على أنه "نعم"، لأنها قالت: - عظيم، عظيم.. أريدك أن تساعدني في إقناع "زاك"، وهذا الأفضل بالنسبة إليه أيضًا.. إن الصبي مشتت جدًّا.. من الطبيعي أن يكون صامتًا قليلًا في البداية.. ومع ذلك، فإن الأسرة مهمة جدًّا في تلك اللحظات.. حتى وأنا بعيدة كنت أتصل دائمًا بأختي. كان بيننا رابط قوي. لا أعتقد أن...

-

أردفت:

- من سيطبخ له الطعام؟ ويرتب أغراضه؟ لا يستطيع المال شراء.. العاطفة.. الحب.. هو يحتاج إلى أسرة يمكنه أن يثق بها.. وما يتعلق بالميراث وكل شيء آخر.

سكتنا بضع ثوانٍ.

لقد وصلت بالفعل إلى الكلمة السحرية: الميراث. الثروة، المال.

استطعت أن أرى عينيها وهي تلمع من التفكير في مشاركة ابن شقيقتها المليونير في ثروته. وبالنظر بعناية أكثر، بدأتُ ألاحظ أوجه تشابه بينها وبين "ماريا كلارا": الوجه المستدير والخدان والعينان الجاحظتان المعبرة والكاشفة. كانت مثل "ماريا كلارا" تقريبًا، لكن دون كريمات وأضواء وماكياج وملابس لماركات عالمية.

- آمل أن تساعدني في هذه المعركة، يا بني.

دون أن أقول أي شيء. ابتهجتْ، وهي تصفق بيديها:

- عظيم! الاتحاد قوة! مهم جدًّا، هل تعلم؟ لا يزال الصبي صغيرًا جدًّا. يحتاج إلى شخص أكثر خبرة في إدارة أموره في نواحي الحياة.

تنهدت وتابعتْ:

- من الواضح أنني سأحتاج إلى مساعدة مالية.. لا تسئ الظن بي. أعتقد أن ذلك لن يتسبب في أي مشكلة.

بدت طريقتها وهي تتحدث كأنها راعية قطيع من الغنم. كل ما أردت فعله هو الاختفاء. ثم جاء الخلاص، حيث دعتني "سونيا"، وهي تقترب: - "أليساندرو"، آسفة لمقاطعة محادثتكما.

ابتسمت لنا "لورديس"، عانقتني مرة أخرى وغادرتْ. وسألتني القاضية، وهي تشعر بالإحراج إلى حدٍّ ما وتمسك "دان" من ذراعه مثل صبي مذنب: - هل قطعت حديثكما؟

أجبتها:

- لا، لا.

كنت أود أن أشكرها على التخلص من تلك الكائنة الصغيرة الأنانية.

قالتْ مشيرة إلى "دان":

- هل تعلم أن “دانيلو” يخجل من احتضان “زاك”؟

كان يرتدي “شورتًا” لونه أخضر فاتح وتيشيرتًا أبيض منقوشًا على جسده السمين. ابتسم لي وهو خائف ورأسه منخفض. قلتُ له: - لا تخجل يا “دان”، تعال إلى هنا، عانقني.

اقتربتُ منه، وقلتُ له:

- الآن دعنا نذهب إلى هناك، ونعانق “زاك”.

أمسكتُ به ومررنا بين الناس الذين كانوا يتبددون الآن. وصلنا إلى نهاية ممر المقابر واستدرنا يمينًا، حيث اتخذنا مسارًا أضيق. مررنا بجدار من الشموع واستدرنا يمينًا مرة أخرى باتجاه المخرج.

نزلنا الدرج، ووجدنا “زاك” في الجراج، جالسًا في المقعد الخلفي لسيارة والدتي، ورأسه مستلقيًا على ظهر المقعد. قلت من خلال النافذة المفتوحة: - مرحبًا “زاك”، انظر من الذي جاء ليحتضنك.

نظر إلى “دان”، محاولًا أن يبتسم. فتح الباب واقترب الصبي، وحشر جسده في السيارة. وتساءل قبل أن يفعل أي حركة: - هل يمكنني أن أعانقك يا “زاك”؟

ابتسم “زاك”، ولا تزال عيناه مبللتين. وأجاب وهو يفتح ذراعيه: - نعم، يمكنك.

لا يزال “دان” خجولًا، أدار ذراعه، وعانقه. وظل كذلك مدة دقيقتين، ورأسه مستلقية على كتف “زاك”، دون أن يقول شيئًا. كان الجراج فارغًا الآن تقريبًا. ينقطع الصمت من وقت إلى آخر بسبب مرور السيارات أمام المقابر. جاءت “سونيا” وأخذت “دان” قبل أن أودِّعه. جلستُ في مقعد الراكب بجانب والدتي التي جلست خلف عجلة القيادة.

تساءلت وهي تحاول طرح موضوع:

- هل أنتم جائعون؟

وأدارتْ مفتاح السيارة حتى دارتْ. على بُعد، رأيتُ رجلًا يشير إلينا. سارع في نزول الدرج وجاء نحونا وهو يقول: - انتظر دقيقة.

أمسكتُ والدتي من ذراعها قبل أن تنطلق بالسيارة. عندما اقترب، رأيته مرتديًا قميصًا مخططًا فوق بنطال جينز قديم، وبشرته بيضاء مثل سكان جبال الألب، وعيناه خضراوان وغير معبرتين.

أخفضت أمي نافذة السيارة، فبدأ يقول:

- آسف، أنا.. أنا الضابط “جوناس” المسؤول عن التحقيق في الحادث.

سألتُه معربًا عن كل انزعاجي:

- ضابط؟

رفع “زاك” رأسه، كما لو أنه - حينئذٍ فقط - أدرك أن السيارة لم تتحرَّك بعد. ونظر إلى الرجل بشيء من الاستعجاب.

قال “جوناس”:

- مرحبًا يا فتى.. أنا آسف حقًّا.

خفض “زاك” وجهه مستلقيًا على المقعد الخلفي متجاهلًا ما قاله. ثنى ساقيه، وجلس على المقعد وهو يريح قدميه على النافذة الجانبية.

- حاولتُ التحدث معك في أثناء الجنازة، لكن...

قاطعتُه، وأنا نادم لأنني منعتُ أمي من الانطلاق بالسيارة، متسائلًا: - ماذا تريد؟

نظرتْ إليَّ أمي نظرة توحي بـ”منذ متى وأنت تتحدث هكذا مع الضابط؟”.

قال لـ”زاك” غير مبالٍ أنه لم ينظر إليه:

- أريد التحدث معك يا فتى. ربما غدًا.. سآتي إلى منزلك.

مرر الضابط بطاقة من النافذة وأعطاها إلى “زاك”. ثم سند يده إلى السيارة، في انتظار إجابة. أوضحت أمي قائلةً: - سيبقى في شقتنا في الوقت الحالي.

فأجاب:

- لا توجد مشكلة. أعرف العنوان أيضًا.. غدًا.

سألته، لأنني لم أرغب في أن أترك “زاك” بمفرده:

- هل يمكن أن أكون معه؟

وافق على ذلك قائلًا:

- لا توجد مشكلة. إنها مجرد محادثة غير رسمية.

اقترحتُ:

- توجد حانة في زاوية الشارع حيث نعيش. سنكون هناك في الساعة الحادية عشرة. هل يمكنك المجيء؟

لم أكن أريد دخول شخص مثله منزلي لمجرد امتلاكه شارة ضابط. سيكون المكان المفتوح أفضل بكثير لهذه المحادثات غير الرسمية. أجاب: - الساعة الحادية عشرة مناسب.

رفع رأسه من النافذة ونقر على الباب مودعًا.

- لن يطول اللقاء كثيرًا. لا تقلق، سألتقي بكما في تمام الحادية عشرة.

ثم غادر سريعًا. وانطلقت والدتي بالسيارة وكانت تحاول التحدث معنا لتهدئة الأجواء. غفا "زاك" في المقعد الخلفي، بينما كنتُ أشاهد المارة في الشارع، كنتُ أبحث عن شيء يشد انتباهي. ولكنني لم أجد شيئًا

ظل السؤال يدور في رأسي، وأعترف أنني حتى الآن لم أجد إجابة منطقية له. ماذا يريد ذلك الضابط من "زاك"؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

18

الفصل الخامس:

عُدتُ

لقد عُدتُ!

لقد عُدتُ!!!

إنه لأمر رائع أن ترتجف من الفزع. هذا الشعور؛ الإفلات من الموت بأعجوبة. كأنك ولدتَ من جديد، وحصلتَ على فرصة جديدة.. لا يعني ذلك أنني أرغب في البقاء على قيد الحياة. أنا متأكد من ذلك؛ فإذا كنت أرغب في البقاء على قيد الحياة، لما ضغطتُ على ذلك الزناد. إن هدفي أنبل بكثير من أي حياة جديدة. أنا هنا من أجل شيءٍ أعمق وأكثر شجاعة.

هذا أسلوب ممتع، في الكتابين الآخرين اللذين كتبتهما، خطَّطت لكل شيء سالفًا؛ عدد الفصول، عدد الصفحات، والصور الجمالية التي قد استخدمها. كان كل شيء مرتبًا مثل وصفة كعكة.. من كان يعلم أنني سأؤلف كتابًا عن حدث واقعي وعن شخصيات حقيقية، دون معرفة كيف ومتى سينتهي.. كل هذا يجعل الأمر أكثر إثارة ومفاجأة. أتمنى أن تشعروا بشعوري نفسه. مع تلك الرجفة التي تملكتني من أطراف شعري حتى أخمص قدمي دون سبب منطقي.

إن الشعور بتصويب فوهة المسدس نحو رأسك أمر سحري؛ يتخلل أنبوب المسدس خصل الشعر ويدلِّك فروة الرأس، ويثقِّل المسدس في يدك المتعرقة الممسكة به، ويضُخُّ القلب الدم بشدةٍ، ويُرسل المخ إشارات كهربائية إلى الجسم.. إنه شيء قريب إلى الشعور بالنشوة، النشوة الجنسية. يجب أن تجرِّبوا ذلك الشعور. في الواقع، يجب أن يجربه الجميع. ليس بالضرورة أن يكون المسدس محشوًّا. ستكون التجربة كافية؛ ذلك الشعور بأنه يمكنك إنهاء كل شيء، في تلك اللحظة، في غمضة عين. إنه شيء رائع بالفعل؛ الشعور بالسبَّابة وهي تلمس الزناد، وأنت تعرف أن ضغطة قد تغير كل شيء، إنها معجزة إلهية، خارقة للطبيعة.

صاحت "ريتينيا":

- مرر المسدس يا "أليس".

رفعتُ عيني عن الدفتر. كان المسدس لا يزال معي، ثقيل على فخذي، ما زلت في حالة ذهول وأنا أحاول استيعاب الواقع. تفحَّصتُ وجه كل واحد

منهم. عيونهم ناعسة وتظهر عليهم علامات التعب. كل واحد، بداخله سبب ليكون هنا. لا أتوقع منهم أن يفهموني.. يا إلهي، أنا لا أفهمهم أيضًا.

أعني، بالنظر إلى "ريتينيا"، ماذا أرى؟ فتاة جميلة ذات شعر أحمر مموج، وثديها الجميل يكاد يبرز من القميص، وترتدي بنطال جينز ضيقًا وتضع أساور تعكس مظهر الشباب الـ"هيبيز". لا أرى أمامي فتاة تريد الانتحار. لا أرى أي دافع. لا أستطيع العثور على ذرَّة بؤس في مظهرها، ولا حُزن في ابتسامتها. على الرغم من ذلك، جاءت إلى هذا المنزل لتلعب "الروليت الروسي".. على وشك أن تتلقى رصاصة في رأسها وتنهي حياتها..

و"فاليريا".. ماذا تفعل هنا؟ إنها حقًّا قبيحة، ولكن يمكنها أن تتبع نظامًا غذائيًّا بدلًا من أن تنتحر. خاصة الآن! لديها الكثير من الدوافع للعيش.. للتعلم.. ولكن لا. إنها هنا. وجودها يستفزني؛ تتحدى "زاك" لإطلاق النار عليها، لديها أسبابها الخاصة التي دفعتها إلى اختيار الموت، أيًّا كانت تلك الأسباب. لا يهمني أن أعرفها. لا يسألني أحد عن دوافعي.. وسأكون غبيًّا إذا شرحتها لأي شخص. أنا هنا لإرضاء شيء بداخلي يحفزني للبقاء. اللعنة على البقية. ليس من الضروري أن أفسِّر أي شيء.

كرَّرتْ ذات الشعر الأحمر مرة أخرى:

- المسدس!

تفحصت وجوههم مرَّة أخرى: "نويل"، "فاليريا"، "ريتينيا"، "لوكاس،" "جواو"، و"دان". ستَّة أشخاص، وستُّ حجيرات متبقية في المسدس. توجد رصاصة واحدة فقط بإحداهن. من الغريب أن نفكر أنه مع نهاية الجولة، سيموت شخص ما. لأن الأسوأ: أنه بحلول نهاية الليل سيموت الجميع. بمن فيهم أنا.

مدَّ "نويل" ذراعه وأخذ المسدس. ثم استقام وأغمض عينيه وهو يرفع المسدس إلى رأسه. كانت يده ترتعش. أغلق فمه وضغط على أسنانه.

ذكَّرته "فاليريا" قائلة:

- العِبارة الأخيرة!

لقد بَدَأَتْ تُزعجني بالفعل حِكاية العبارة الأخيرة تلك.

فجأةً، جحظت عيناه، كأنه يختنق. انهمرتْ الدموع على وجهه ذو النمش. لم يستطع.

أنا لم أحبَّه، لكنني كنت حزينًا. كنتُ أعرف مدى صعوبة أن تكون على وشك الضغط على الزِّناد. فرصة بنسبة واحد من ستة. قال وهو يبكي والمسدس مصوَّب إلى رأسه: - أريد فقط أن أقول شيئًا..

كنَّا صامتين، ننتظره. ثم أدار وجهه نحو "ريتينيا" التي كانت تتابع المشهد ممسكة زجاجة بيرة فارغة تقريبًا.

همس "نويل":

- أنا أحبك يا "ريتينيا". أنا أحبك جدًّا جدًّا.. أنا أفعل هذا من أجلك.

نَظَرَتْ بعيدًا وأخذتْ رشفةً من البيرة. ابتسمت وهي تنظر إلى الأرض، وأخذت تلعب بأربطة حذائها الرياضي.

- أنا أحبك.. اعرفي هذا.. آمل أن نكون سعداء في ذلك المكان الآخر حيث نذهب إليه بعد الموت، الجنة أو الجحيم، لا أعرف.. أريد فقط أن أكون معكِ.

هزَّت "ريتينيا" رأسها دون أن ترفع عينيها. ثم هزَّتْ كتفيها وكأن الأمر لا يهمها. تَضايق "نويل"، وكان متضرِّرًا من إهانته. أغمض عينيه مرة أخرى، ثم أخذ نفسًا عميقًا وضغط على الزناد. خرج صوت مطرقة المسدس "كليك"، ودارتْ أسطوانة المسدس، حتى الحجرة التالية من الأسطوانة.

فتح عينيه، وهو يتنفس الصُّعداء. ألقى المسدس على الأرض ووضع يديه على وجهه. فتح فمه وهو هائج، على وشك الصراخ، لكنه لم يُصدر أي صوت، فقط ارتعش جسده. فقد ارتفعت نسبة الأدرينالين في جسمه.

كان لا يزال على قيد الحياة..

حيٌّ.

ثم همس وهو يمرر المسدس بسرعة كما لو كان يحرق يديه: - خذي.

أمسكت "فاليريا" المسدس بتردد. بدت كئيبة.

كان من المدهش تغير موقفها عند تسلم المسدس. كان المسدس أكثر من مجرَّد جسم معدني، كان له أثرٌ معنوي ظهر في الخوف الواضح في العيون المرتجفة، والقلق بشأن المستقبل.

بدأتْ «فاليريا»:

- الجملة..

قبل أن ترفع السلاح، عَبَستْ وخفضتْ رأسها. كان واضحًا أنها تفكِّر فيما ستقوله. لكنني كنت أعرف ما تفعله؛ كانت تشعر بالخوف يغزو جسدها في اللحظات الأخيرة المحتملة، وهناك سائل ساخن حمضي يصعد إلى حلقها. كانت على وشك أن تتقيأ على الأرضية الخشبية.

اتَّسعت عيناها وهزَّت كتفيها. ثم رفعتْ المسدس في مستوى صدرها، وألقت رأسها للوراء. ثم نظرتْ إلى السقف، وعيناها ظلت مثبتة على السقف الخشبي، كما لو كانت ستقضي الليلة هناك، في السماء المرصعة بالنجوم يصاحبها صوت أكورديون يعزف موسيقى ريفية.

صاحت "ريتينيا" متلهفة لدورها في الجولة.

- أطلقي الرصاص بسرعة!

خفضت "فاليريا" المسدس دون حماس، وتفحصتني بعيون باردة. بالتأكيد، رأت فيلمًا يمر أمامها، يُشبه تلك اللحظات التي عشتها.

ابتسمتْ. كانت تعرف أنني أكرهها، وأنني أحتقرها كامرأة، وكصديقة، وكإنسانة..

لا.. لم أتمن أن يكون دورها.. ولكن بالنظر إلى الأشخاص الأربعة الآخرين المتبقين.. كانت "فاليريا" أقل واحدة سأفتقدها. فقالت بضحكة يائسة وهي تشاركني الكراهية المتبادلة مع ابتسامة مزيَّفة على وجهها المستدير: - هأنا ذا.

ثم أخذت نفسًا عميقًا وضمَّتْ شفتيها، وهمستْ:

- أخرج من الحياة لأدخل التاريخ.

أغمضتْ عينيها وهي ترفع المسدس وتضعه بارتفاع أذنها اليمنى. ثم أطلقت النار. كان قلبي يخفق. شعرتُ أن جسدي يَثقُل مع صوت طلقات المسدس، كان هناك صدى رنين غير محسوس يتردد عبر القبو ويضرب رأسي؛

كليك.. كليك.. كليك..

أبقت "فاليريا" المسدس مصوَّبًا على رأسها، ويدها اليسرى ترتجف على فخذها السمين. فَتَحَتْ عينيها، مبتسمة لا لأحد بعينه. وقالت: - أنا على قيد الحياة.

قال "زاك" بحسن نيَّة:

- هذا واضح.

عبست "فاليريا"، وقالت بحدَّة:

- لم يكن سؤالًا يا "زاك". يجب أن تدعني وشأني.. انظر إلى كمية البيرة والماريجوانا التي تناولتها في...، بدلًا من هذا الهراء.

ظلَّت الجملة معلقةً في الهواء المعبأ بالدُّخان.

وعلّقتُ لـ"نويل" الذي كان بجانبي:

- ونعمَ التربية!

أومأ لكنه لم يقل شيئًا. وصاحت في وجهي قائلة:

- هذا ليس من شأنك أنت أيضًا أيها الحقير. استمر في كتابة ذلك الكتاب أيها الطالب المجتهد، اذهب.

من تكون كي تتحدث معي هكذا؟ تلك البقرة. وجَّهتُ نور المصباح اليدوي في وجهها. أغمضتْ "فاليريا" عينيها، مختبئة خلف ذراعها المشعر. بشكل تلقائي، وجهتْ المسدس نحوي. خرجتُ من الدائرة، مفزوعًا.

هذا ما كان ينقصني؛ أن تطلق تلك الملعونة النار وتفسد كل شيء!

وبَّخها "زاك"، وهو يمدُّ يديه مسترخيًا ويقترب منها قليلًا، قائلًا: - اخفضي المسدس يا "فاليريا"!

ابتَسَمَتْ، وهي تنظر بوحشية إلى المسدس في يديها، كما لو أنها لاحظت حينئذٍ فقط، أنها كانت تشير إليَّ. وطلبتُ منها وأنا أحاول الاختباء خلف عمود دون جدوى: - اخفضي المسدس!

لا يبدو أن "فاليريا" كانت منتبهة إلى أن الجميع لم يكونوا في أماكنهم. أدرتُ وجهي إلى "زاك"، دون أن أستسلم. وسألتُه: - هل ترى ماذا فعلت؟ ليس صحيحًا أن تصوِّب على الآخرين.. هل تفهم يا "زاك"؟

هز رأسه، وهو يومئ بصمت، وهو غير مرتاح قليلًا.

وأكملتْ:

- أنا لستُ مثلك يا رجل. سأغادر هذا المكان دون أن أقتل أحدًا.

استرخت، وخَفَضتْ السلاح قليلًا.

- أريد أن أضمن مكاني في الجنة.

لعبتْ بالمسدس بين أصابعها على رنين أغنية فريق Rolling Stones "رولينج ستونز". ثم توقَّفتْ عن الدندنة وعادتْ إلى الدائرة، وألقت بالمسدس في حضن "ريتينيا".

- خذيه.

تردد صدى صوت اصطدام المسدس بأرضية القبو. تراجع الجميع في خوف. وصاح "نويل": - اللعنة!

- لن ينتهي ذلك الهراء! هذا لا يصح!

كنت متعجِّبًا من رد فعلها المقزز. انكمش «دان»، ولف ذراعيه حول ساقيه المثنيتين. ضحكتْ «فاليريا»، لكنها فوجئت بتوبيخ «نويل». وتساءلت وهي ترفع جسدها الكبير المرعب، بخفة مدهشة في مواجهة جسم «نويل» الهش:
- هل قررت أن تتكلم أيها السخيف؟

لكنه لم يكن خائفًا. وصرخ:

- عليكِ اللعنة! هل تعتقدين أنك يمكنك التحدث معي بهذه الطريقة فقط لأنك أكبر حجمًا؟ كدت تطلقين النار على "ريتينيا"!

وتبع ذلك صمت غير مريح. كان الجميع ينتظرون معرفة من سيتَّخذ الخطوة التالية. بدأت "فاليريا" تبحث عن كلام لتهدئة الوضع، فقالت: - تعلم يا "نويل"، إنه شيء جميل جدًّا؛ الدفاع عن "ريتينيا" بهذه الطريقة.

بدا أقل غضبًا. ثم همستْ له "فاليريا" وهي تقوس حاجبيها: - لكنها لا تحبك يا رجل. استسلم.

قال، وجسده يتحول إلى اللون الأحمر، وشعره المموج يلوح بلا توقف على جبهته: - اصمتي!

وعلَّقتْ "فاليريا"، كما لو كانت تروي قصة أطفال، قائلة: - أنت تعلم.. يمكنك أن تواعدها، وتخرجا من هنا في نزهة إلى الحديقة، وتنجبا أطفالًا، وتعيشا في سعادة إلى الأبد. لكن لا يا رجل.. إنها تفضِّل أن تفجِّر رأسها على أن تكون معك.

صاح "نويل":

- تبًّا!

وألقى بنفسه على "فاليريا". وضربها وركلها. وقبل أن يسوء الأمر، أمسكنا أنا و"لوكاس" ذلك المسكين الذي كان يئن من الغضب.

غضِبتْ "ريتينيا" أيضًا، وقالت:

- من أنتِ كي تتحدثي عني هكذا، أيتها العاهرة؟

ضحِكتْ "فاليريا"، وهي لا تزال ملقاة على الأرض، وتمتمت وهي تحاول استعادة توازنها: - آسفة، أيتها القديسة!

- لماذا لا تطلقين النار فحسب؟ حان دوركِ.

خطفتْ "ريتينيا" المسدس متحديةً "فاليريا"، وصوَّبته دون خوف نحو شعرها الناري. شاهدتُ سبابتها حول الزناد. تتناقض أطراف الأصابع المحمرة مع بياض وجهها، والأظافر ذات الطلاء الداكن المقشّر. أغمضتْ عينيها بجدية قائلة وهي مستعدة لإطلاق النار: - ليست لدي جملة أخيرة كي أقولها!

تجمدتْ الصورة في تلك الثانية. للحظة، كان بإمكاني رؤيتها تضغط على الزناد، وتخرج الرصاصة في طريقها إلى رأسها، ويتحطم وجهها الصغير إلى شظايا من الجلد والعظم والدم، ويصبح شعرها الأحمر لزجًا ومحروقًا. لكن لا. قبل أن تتاح لها فرصة إطلاق النار، قفز "نويل" الغاضب فوقها، ممسكًا ذراعها بإحكام. بحركة رشيقة، أخذ المسدس من يديها ودفعها بعيدًا.

رفع المسدس، ماركة "تاوروس"، ووضع خصلات شعره من على جبينه، إلى خلف أذنه، وأوضح وهو يلهث: - لا يمكنك فعل ذلك. لن أدعك تقتلين نفسك.. لن أدعك!

تعارك معه "زاك" واقترب قائلًا:

- اللعنة، "نويل"، أعد لها المسدس.

أمره "نويل" مشيرًا بالمسدس قائلًا:

- ابقَ بعيدًا. اذهب إلى هناك.. ابتعد عني.

تراجع "زاك" رافعًا ذراعيه. وعاد "نويل" يراقب حركة كل واحد منَّا. توترنا جميعًا. قال مستندًا بظهره على الحائط، وهو يوجه المسدس إلى من يقترب: - لن يموت أحد هنا اليوم.

عاد الصمت. وواصلتُ الكتابة في الدفتر.

كان "لوكاس" و"دان" و"جواو" يشاهدون في صمت، لا زالوا جالسين داخل الدائرة في أماكنهم، في انتظار دورهم لينتحروا. ثم كرَّر وهو يلهث: - لا أحد سيموت، هل فهمتم؟

تمتمت "ريتينيا"، وهي تقف بعيدًا عنه:

- أريد أن أموت يا "نويل". أريد أن أموت.. اللعنة، دعني وشأني!

قال "نويل" وهو يواجه الباب وأدار المقبض، لكن الباب لم يفتح: - أنا.. لا أستطيع المغادرة.

حاول بقوة مرة أخرى.

- اللعنة، أين المفتاح؟

لم يجب أحد. وصاح متجهًا نحو "زاك" ووجه المسدس نحو رأسه: - أين المفتاح؟!

تذكرت صورة "لوكاس" وهو يرمي المفتاح المعدني على الأرض ويخرجه من الغرفة من خلال عتبة الباب. كنت قد رأيت ذلك.. أنا فقط.

سأل "نويل"، بصوت هادئ، وهو يشعر بالقوة لأنه يمسك المسدس في يديه: - أين المفتاح اللعين؟

تمتم "زاك":

- تبًّا لك، "نويل".

ثم ألقى رأسه قليلًا نحو اليسار. بلا مبالاة لوجود رجل يوجه مسدسًا إلى رأسه.

- هل تهدد الموجودين هنا لينتحروا. اللعنة، ما الفائدة؟!

كنت أعلم أن "زاك" يخادع. لطالما ألقى رأسه إلى اليسار عندما كان يخادع. على الرغم من كل شيء، ومن جميع دوافعه، لم يكن يريد أن يموت هكذا، برصاصة من ذلك السكران.

ونجحتْ الكذبة. أغمض "نويل" عينيه، مرتبكًا، كما لو كان قد أدرك للتو التناقض في التهديد بالقتل لأشخاص يرغبون في الانتحار. ظل صامتًا بضع ثوانٍ، يفكِّر. ثم خفض المسدس ببطء. وعبس وبكى بشدة. كان العالم ينهار من حوله: - اللعنة يا "ريتينيا"! لا يمكنك. لماذا تريدين فعل ذلك؟ لماذا؟

كان "نويل" متعبًا، وانهار على ركبتيه.

ابتعدت «ريتينيا» عن العمود، وبإصرار، قرَّبتْ وجهها من «نويل»، دون أي تعبير عن شفقة، امتلأت عيناها بالغضب والازدراء. وتمتمتْ: - يجب ألا تفهم يا «نويل». لا يجب ألا يفهم أحد شيئًا.

وذرفتْ دمعةً واحدةً على خدها الوردي.

أكملتْ بصوت مبحوح وغير واضح، بعد أن مسحتْ الدمعة العنيدة قبل أن تسقط، بأكمام بلوزتها السوداء، قائلةً وهي تشير إلى صدرها: - هذه حياتي، ملكي أنا! أفعل بها ما أريد، عندما أريد، كيفما أريد، هل تعلم؟ لديَّ دوافعي، ومشكلاتي ولا أريد أن يشاركني فيها أحد..

ازداد بكاء "نويل".

أنهتْ "ريتينيا" كلامها بابتسامة - سعيدة لإحباط معنوياته أمام الجميع - قائلة: - خاصةً أنت!

ووقفتْ صامتة، في انتظار الرد، وعيناها مغمضتين، في محاولة للتغلب على الدوار الذي أصابها بعد تدخينها عدة سجائر من الماريجوانا وتنشُّق الكوكايين وشُرب الفودكا.

حاول "نويل" مرة أخرى:

- "ريتينيا"..

لكنه توقف. تفحص بعينيه المبتلتين وجه ملهمته التي تقف على بعد بضع سنتيمترات. مثل المسافر الذي وجد واحةً في الصحراء، أخذ يتفحص بعينيه ذلك الشعر الأحمر المتشابك، والشفاه المرسومة، والبشرة البيضاء، والرقبة الجذابة، وانتهى بصدرها البارز الذي يتحرك صعودًا وهبوطًا مع كل نفس.

أمرتْه، وهي تمد يدها، قائلة:

- أعطني المسدس يا "نويل"!

فوجئ، ونظر إلى المسدس، ثم إليها، ثم إلى المسدس مرة أخرى.

أصرَّت "ريتينيا"، هذه المرة بصوت أعلى:

- هيا! أعطني إياه!

فأجابها:

- أبدًا. لا أستطيع.

قررتْ استخدام أفضل سلاح لديها. أمسكتْ بيديه وأغلقتْ حولها بيديها، مداعبةً أصابعه.

طلبتْ "ريتينيا" هذه المرة بصوت حنون وعذب تقريبًا: - أرجوك!

لم يتحرك "نويل". ولف أصابعه حول يديها ممسكًا بهما، دون استسلام. كنت أعرف ما كان يفكر به.. أربع محاولات، لأربعة أشخاص. هناك ربع فرصة، ليس بالضرورة أن يكون مستواك جيدًا في الرياضيات كي تحسبها. قد تنتهي حياتك بنسبة خمسة وعشرين بالمائة، هذا كثير.

أصرَّتْ، وكانت تحاول أن تقترب من وجهه، قائلةً: - من فضلك.

إذا لم أكن أعلم بشأن اشمئزازها التام من "نويل"، كنت سأظن أنها ستعطيه قبلة.

- أنا...

خفض "نويل" رأسه، وشفتاه.. وعقله يعمل بأقصى سرعة. وفجأة ألقى بالمسدس على الأرض. وقبل أن ينحني أحد لأخذه، أمسك "ريتينيا" من ذراعيها وحاول تقبيلها. وبالفعل. وضع يده حول عنقها، وانقض على رقبتها وفتح فمه وأخرج لسانه القذر. أدارتْ "ريتينيا" جسدها، وذراعيها مكتفتين، في محاولة للهروب من "نويل" المجنون. ركلتْ ساقيه وقالت: - اتركني.

قفز "لوكاس" و"جواو" فوق "نويل"، وسحباه بشدة من خصلات شعره الناعم، وأبعدوه عنها. صاحتْ "ريتينيا" وهي تتراجع وتمسح، محاولةً تنظيف فمها بأكمامها، قائلة: - أنت قذر! أنت وغد مقزز!

انحنتْ على الحائط، وهي تبكي متشنجة. ثم صاحت "ريتينيا" وعروقها تبرز من عنقها: - أنا أكرهك، أنت مجنون! أنا أكرهك، أفهمت؟

بكى "نويل" أيضًا. وهو محاصر بين ذراعي "لوكاس"، انهار مثل طفل مدلل في أثناء سماعه الإهانات. وقال وهو يتنهد: - آسف، آسف.

صاحت بحدّة:

- آسف هو...!

كان شيئًا لا يصدق، كيف أن تصرف "نويل" أفسد أخلاقها. وارتعشتْ شفتا "نويل" عندما شاهد "ريتينيا" وهي تمشى ببطء تجاهه، وعلى بعد أمتار قليلة، انحنتْ لالتقاط المسدس من الأرض. وقالت، وهي تحرك شعرها: - حسنًا! دعونا نكمل ما جئنا هنا لفعله.

دون إعطاء أي منا وقتًا للرد، رفعتْ المسدس نحو رأسها. ولم تنطق الجملة الأخيرة، وضغطتْ على الزناد دون تردد. تنفَّس "نويل" براحة عندما غزا الصوت المعدني للحجرة الفارغة القبو، وبقيت رأس ملهمته الصغيرة الجميلة، سليمة.

صاحتْ وهي محبطة:

اللعنة!

ثم سلمت المسدس مباشرةً إلى يد «لوكاس».

«لوكاس».. لقد حاول المتعوس بالفعل الانتحار مليون مرة.. يجب أن يكون قد اعتاده.

قال دون أن ينتظر:

- هيا بنا إذًا! نحن هنا منذ أكثر من أربع ساعات!

وضعتْ «جواو» يديها على وجهها بمجرد رفع شقيقها المسدس. وضع يده على لحيته، مبتسمًا، وهو ما يتناقض مع عينيه الحمراوين وشعره المتموج، لكنه بدا جادًّا وعفويًّا.

تمتم قبل الضغط على الزناد:

- لماذا أنت جاد جدًّا؟

دارت أسطوانة المسدس مرة أخرى، مصحوبة بصوت طلقة فارغة ومليئة بالأمل. فتحتْ "جواو" عينيها بسرعة، وأمسكتْ شقيقها في عناق شديد. وتبدَّد الخوف من رؤيته وهو يموت، للحظات. بقيت حجيرتان فقط. اللعنة! "جواو" و"دان".. أيهما؟ إنني أحب كليهما. "جواو" بجمالها الريفي، وأنوثتها.. و"دان" بعفويته الطفولية، وبراءته.. أيهما؟ هناك فرصة خمسين في المئة لكل منهما.

قالت:

- إنه دوري.

تركت ذراعي أخيها. أخذتْ "جواو" المسدس. قبل أن ترفعه إلى رأسها، نظرتْ بعمق إلى عيني. أول مرة منذ وقت طويل، شعرتُ بشيء مثل الألفة. نظرتُ إليها بجدية.

قالت لنفسها، وهي تأخذ نفسًا عميقًا:

- هيا إذًا!

قبل أن أغمض عينيَّ، كانت "جواو" ترفع المسدس بالقرب من وجهها الجميل.

بقيتُ في الظلام، وتركتُ أذني تكشف عن مصيرها. سمعتُ همسًا في الخلفية، نفسًا مترددًا في الدائرة و...

صمت غير مريح وطويل.

كليك.

فتحتُ عيني، كانت مرة أخرى بين ذراعي أخيها، والمسدس بجانبها. قالتْ: - أنا على قيد الحياة. اللعنة، أنا على قيد الحياة.

كان صدرها يرتفع، وهي تلهث، كان جسمها الصغير المعتنى به جيدًا يثيرني بشدة.

مدة ثانية، كنتُ سعيدًا من أجلها، كنت أشاهدها تبكي متأثرة مثل الطفل. ولكن بعد ذلك.. كان الشيء الذي لا مفر منه أمامنا.. توجد طلقة في حجيرة واحدة. مائة بالمائة. تحول الاحتمال إلى اليقين. "دان".

قال "زاك":

- هيا!

وسلَّم المسدس إليه في يده. أخذه "دان" دون تفكير، ودون أي رد فعل، وبابتسامة شكر.

قلت له وأنا أمد له يدي:

- هذا شيء سخيف. أعطني المسدس.

ردَّتْ "ريتينيا" قائلةً:

- حان دوره، يا "أليساندرو".

غير مهتمة بأننا جميعًا نعرف أن الطلقة ستحطم رأسه. اعترضتُ قائلًا: - دعونا نلف أسطوانة المسدس مرة أخرى! من فضلكم، هذا مثل ارتكاب جريمة قتل! أنا...

ظل "دان" صامتًا، ولف المسدس في يده البيضاء الصغيرة. قلت له: - أعطني المسدس يا رجل.

لم يكن خائفًا، لم يظهر على وجهه أثر للتردد. أمسك المسدس بلا مبالاة، كان يبدو طفلًا فخورًا باستفزازه لوالديه. نظر بعيدًا. كان لا يزال غاضبًا مني بسبب الكوكايين.

- تبًّا، تبًّا، تبًّا!

طلبتُ منه بحدة:

- أعطني المسدس!

لقد تجاهلني، وكأنني لم أكن هنا. لم أعد محل ثقته. رفع المسدس إلى شعره. لم يكن لديه أي فكرة عما كان يفعله، وماذا كان يعني ذلك.

توسلتُ إليه:

- لا يا "دان".

لكنه لم يتحرك. لقد ابتسم قليلًا، مدركًا أنه بهذه الطريقة سيكون قادرًا على الانتقام مني. ثم، مع استمرار تصويب المسدس نحو رأسه، التفتَ إلى "زاك".

وسأله: - هل يجب أن أفعل هذا؟

سأله، وكانت عيناه البريئتان تبحثان عن دعم من الشخص الذي لا يزال يثق به.

أومأ “زاك” دون تردد، بنعم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

19

من مذكرات "أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو"

قضية منزل "سيريل"، رقم 15634-0506-08

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: «جوزيه بيريرا أكينو»، قسم ١٢ للأحوال المدنية بـ»كوباكابانا».

السبت الموافق ٧ يونيو ٢٠٠٨

هناك بعض الأشياء التي نفعلها في الحياة والتي ندرك لاحقًا أنها بلا طائل. ربما كان لديَّ نوع من المغناطيس القوي الذي يجذب هذا النوع من المواقف. لا أشك في ذلك. فليس لدي أدنى شك.

"Rave" هذه هي الكلمة التي كانت وراء معاناتي أحد أيام السبت من شهر يونيو.

ظل رأسي مزدحمًا بأصوات: مطارق، وشواكيش، وجرارات، وكسَّارات حتى يوم الأحد. بالمناسبة لا أعرف أين كان عقلي بالأمس عندما وافقتُ على قبول دعوة "زاك".

نعم.. أنا في الـ" Rave". أنا!

إنه شيء لا معنى له! مجموعة من الشباب السكارى في حفل للموسيقى الإلكترونية في نهاية العام يرقصون على صوت الآلات الصاخبة. ما الجيد في ذلك حتى؟ ومع ذلك، قبلتُ. لا بدَّ أنني مجنون. عندما وصلنا، كان المكان مزدحمًا بالفعل. كانت هناك سلسلة من الخيام البيضاء بين الأشجار تضم حشدًا، يرقصون على صوت الموسيقى الإلكترونية التي صدرت بصوت عالٍ من الصناديق المنتشرة حول ذلك المشهد الريفي.

عند المدخل، التقى "زاك" بصديقين آخرين. تعرَّفتُ أحدهم: كان "نويل". وبدا الآخر وكأنه أجنبيٌّ.

قال "نويل" وهو يصافحني ببرود:

- مرحبًا "أليس".

بادلتُه الشعور نفسه:

- هل كل شيء بخير؟

أومأ برأسه. سألنا الصبي الغريب، الذي لم أتعرَّفه، قائلًا: - هل رأيتم حادثة "الروليت الروسي" والرجال الأربعة التي حدثت في الولايات المتحدة؟

أنا، على وجه الخصوص، لم أستطع تحمل هذا الموضوع الذي أصبح الموضوع الرئيسي للمحادثات بين شباب لا يعرفون بعضهم، بعد "مرحبًا" و"صباح الخير".

لقد أصاب الرعب مجتمع أمريكا الشمالية. ظل المسؤولون الحكوميون يظهرون على التليفزيون لتقديم التعازي لأسر الضحايا، وكانت هناك ضجة هائلة بسبب شهادة أصدقاء وأقارب ومعارف الشباب الأربعة في الصحف في الأسبوع الماضي. لم أفكر أبدًا أن إطلاق النار على الرأس سيحظى باهتمام كبير. في اليوم الذي أريد فيه الظهور في وسائل الإعلام، فقط أمسك مسدسًا وأفجِّر رأسي. سألجأ إلى ذلك عندما أحتاج إليه.

أجبتُ، على مضض:

- رأيته.

تابع غريب الأطوار:

- شيء غريب، أليس كذلك؟

وافقت، كانت الموسيقى على وشك أن تضرب طبلة أذني.

قال "زاك":

- أعتقد أن ذلك كان سخيفًا.

وهو يجد لنفسه مكانًا بين الناس، مستفيدًا من الحشد ليدير يده على الخصور والأرداف الأنثوية الأكثر جاذبية.

- هل يذهب الرجال حقًّا للعب "الروليت الروسي" ويتركون تلك الحياة المليئة بالأشياء الجميلة؟ هل أنت جاد!

وأمسك بأول فتاة أمامه وقبَّلها، كمثال لما كان يتحدث عنه. بالنسبة إلى "زاك"، كان كل شيء مثاليًّا: سيارة أحدث موديل، وشقة باهظة الثمن، وأبوان مليونيران، ونساء تتلهفن عليه. لم يكن من المنطقي حقًّا أن يُفكر في الانتحار.

كانت الفتاة جميلة؛ عيون خضراء، شفاه نحيفة ورقيقة، خصر رفيع.. لولا التقاء الحاجبين بصورة غير مريحة.. وأخيرًا، تركها "زاك". وأوضح: - بسبب ذلك الجمال، لا داعي إلى الانتحار.

وغادر "زاك" للحصول على قبلة أخرى. كنت أنتظر. قال "نويل" في أذني وكأنه سيخبرني بسر: - أنا في حاجة إلى مساعدتك. الخميس هو عيد ميلاد "ريتينيا".. و...

عبس، ثم قال:

- أنا معجب بها. وأريد أن أجهِّز لها مفاجأة.

سألتُه:

- ماذا تريد أن تفعل؟

- لا أعرف.

فكرتُ فيما أقوله، كنتُ أشعر ببعض الأسف. فقلت: - إذا كان لديَّ ما أنصحك به لما بقيتُ عازبًا حتى الآن.

صحيح. لم تكن هي الإجابة التي توقع أن يسمعها، ولكن كان هناك بعض الراحة، أليس كذلك؟

بدت عليه خيبة الأمل واختفى وسط الحشد مع صديقه الغريب. قال "زاك" وهو يداعب خد الفتاة بعد القبلة: - شيء جميل.

بدت سعيدة، على الرغم من أن رائحة فم صديقي لم تكن في أحسن حالتها.

سألها وكان يغمز لي:

- ما اسمك؟

ابتسمتُ، وأدركتُ ما كان يريد "زاك" الوصول إليه. ففي عطلة يوليو من العام الماضي، في مدَّة الطيش الشبابي، كان يراهن معي بخمسمائة ريال برازيلي أنه سيكون قادرًا على ممارسة الجنس مع فتيات تبدأ أسماؤهن بحروف الأبجدية بأكملها في عام واحد. وبعبارة أخرى، إذا مارس الجنس مع فتيات بجميع الأحرف الأبجدية، فسوف يكسب خمسمائة ريال؛ خلاف ذلك، أفوز أنا بالمبلغ. لقد مارس الجنس مع "زوليكا" و"شينا" في بداية التحدي، وشطب بذلك أصعب حرفين في الأبجدية عن قائمته.

بعد "أنس" و"بروناس" و"كاميلاس"، كانت المشكلة هنا هي أن الرهان سينتهي بعد أقل من شهر ولم يكن ينقصه سوى حرف واحد فقط. بل هو الأسوأ: حرف الـ"W". أي أم عاقلة كانت ستسمي ابنتها اسمًا يبدأ بـ"W"؟ يجب أن تسمي الابنة في هذه الحالة "واندا" أو ربما "ويكا".

ردت الفتاة بابتسامة على وجهها، سعيدة بقبلة أخرى من صديقي، قائلة: - “رايسة”.

أردتُ أن أضحك. منذ أسبوعين، كان ينقصه حرفين: “R” و”W”. يوم الخميس الماضي، حصل على حرف الـ”R” عندما ذهب مع “ريتينيا” إلى غرفته. والآن بعد بحث يائس عن فتاة يبدأ اسمها بحرف الـ”W”، ظهرت له أخرى بحرف الـ”R”.

كان غاضبًا قليلًا، كما لو كانت الفتاة مذنبة، سار “زاك” بعيدًا حتى دون أن يقول وداعًا. واصلنا الدخول وسط الحشد. كان “زاك” يمشي، وبعد أن يلقي نظرة سريعة على أول فتاة يلاحظها، يسألها عن اسمها. “كاسيا”، “فابيانا”، “أماندا”، “ناتاليا”، “إمانويلا”، “كارول”، ليست بحرف الـ”W”، من حسن حظي.

سأل، “ما اسمك؟”، للمرة الثلاثين في ذلك اليوم، وهو يمسك بفتاة شكلها مرعب بالتأكيد: شعر أحمر مصبوغ بالكاد، وجه مستدير، محروق من الشمس، عيون منحوتة تحت زوج من الحواجب السميكة.

صاحت “فاليريا” وهي تحاول أن ترفع صوتها أعلى من صوت السماعات. ألقتْ جسمها الثقيل للخلف، كما لو أنها أرادت منع “زاك” من الإمساك بخصرها. أزال يده عنها بمجرد أن سمع الاسم. وأوضحت عندما بدأ بالابتعاد: - بحرف الـ”W”.

- هاه؟

كررت وهى تربط شعرها الأحمر:

- “فاليريا” يبدأ بـ”W”.

عاد “زاك” إليها، ولم يضيِّع الوقت، متسائلًا: - أي فتاة قالت إن اسمها يبدأ بحرف الـ”W”؟

رمت “فاليريا” رأسها إلى الخلف، كما لو لم يكن وسيمًا بما يكفي. مع الحركة، تناثر شعرها، وهذا ما جعلها تبدو مثل لبؤة مشوشة. اقترب منها “زاك” بشكل مغرٍ.

همس في أذنها:

- هل تعلمين أنك جميلة؟

قالت وهي مبتسمة، كما لو كانت تسمع هذه الجملة كل يوم: - أعرف.

وأكد:

- هل اسمك حقًّا يبدأ بحرف الـ"W"؟

قالت وهي ما زالت تدافع عن نفسها من محاولاته: - نعم.

"فاليريا" بحرف الـ"W"

أتعرفين.. كم أردت دائمًا تقبيل شخص يبدأ اسمه بحرف الـ"W".. ويتحدث الفرنسية في الغالب.. مثلك تمامًا.

لقد أدارت وجهها بعيدًا، وهي تعبِّر عن أسفها تجاه لهجة صديقي التي لم تفلح في اقناعها. وقالت: - حاول تقبيل "ويلسون".. أو ربما "فالتر".

ضحك "زاك" على تعليقها قائلًا:

- أنا لستُ مثليًّا.

- يمكنك البدء في البحث عن اسم "فانديرليا" أو أي اسم آخر، يا رجل.

أصرت، وهي ترفع يديه عن خصرها، قائلة:

- هذا لن يجدي معي حقًّا!

بصراحة، كنت سأفضِّل أن أفقد خمسمائة ريال، أو ألف، بدلًا من تقبيل امرأة قبيحة مثل هذه. لكن صديقي كان دائمًا قادرًا على تحقيق أعظم الإنجازات عندما يتعلق الأمر بالنساء.

حاول "زاك"، باستخدام نبرة حساسة أكثر:

- واو، "فاليريا بحرف الـ"W"، لماذا لا تعطيني فرصة؟

قالت بحدة وهي تعبث بشيء ما في جيبها، قائلة: - «فرصة»، أحب تلك الكلمة.

وكما لو كانت تفعل أكثر شيء طبيعي في العالم، أخرجت عملة معدنية من جيبها ولوَّحت بها أمام عيون "زاك" الساحرة. وسألتْه بشيء من الغموض والتحدي: - هل تؤمن بالحظ؟

- في بعض الأحيان يكون من الضروري...

- ولكن، هل تؤمن؟

- أؤمن.

قالت وهي تهز العملة بين أصابعها:

- إذًا، لنرى حظك اليوم. "إذا استقرَّت على وجه الكتابة، فهذا يومك المحظوظ وسأبقى معك. أما إذا استقرت على وجه الملك...

فكَّر "زاك". أراد أن يتأكد من أنه سيفوز برهانه معي. قبول الاقتراح كان مخاطرة. لكنه كان الخيار الوحيد الذي أمامه. كل شيء أو لا شيء.

- موافق!

شاهدتُ دوران العملة في الهواء، وهو شيء غريب، وسط العديد من الأشخاص الغرباء. سقطتْ العملة في يد الفتاة السمينة، التي أخفتها بيدها الأخرى، للتشويق.

- دعونا نرى إذًا!

سحبت "فاليريا" يدها:

ظهر وجه الكتابة على العملة.

قبل أن تتمكن من إعادة العملة إلى جيبها، أمسك بها "زاك". رأيتُ الخمسمائة ريال تضيع في البالوعة، وتلك السمينة هي السبب. تعبتُ من كل شيء. ركبتُ سيارة أجرة وعدتُ إلى المنزل. اتصلتُ بـ"زاك" صباح اليوم. لم يرد أحد. كان "جيتوليو" و"ماريا كلارا" مسافران. والخادمة في إجازة. وعلى ما يبدو، لا يزال "زاك" يستمتع بسمينته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

20

“ديانا”:

- سأل: “هل يجب أن أفعل ذلك؟”، أومأ “زاك” برأسه دون تردد.

(وقفة) تلك كانت نهاية الفصل الخامس. هل هناك أي تفاصيل أو تعليقات لإضافتها؟

قالت “سونيا” بنبرة دامعة وضعيفة قليلًا:

- إذًا كان “زاك”.. (صمت - أربع ثوانٍ) هو الذي جعل ابني يطلق النار.. هو... (تنهدات) “أوليفيا”:

- بدأت الأقنعة تتساقط.. (وقفة) اعتقدتُ أن “زاك” كان حبيبكنَّ الصغير. المسكين الذي فقد والديه وقرر أن ينتحر.

(أصوات مرتفعة)

“ديبورا”:

- اسكتي يا “أوليفيا”!

“أوليفيا”:

- هل ترين كيف تحدثت معي؟

“ديبورا”:

- هذا.. لم يكن هذا “زاك” الذي أعرفه. (وقفة) لم يكن “زاك” الذي شاهدته وهو يكبر، الذي عاش مع “أليساندرو” طوال تلك السنوات، ومعي.

“سونيا”:

- أنا... (صرير كراسي)

“ديانا”:

- لا، من فضلك لا تبكي يا “سونيا”.

“ديبورا”:

- إنها شاحبة!

“سونيا”:

- لقد وثقتُ به.. (وقفة) أنا.. كنتُ أحب "زاك"، هل تعلمين؟ (بنبرة باكية) ليس من السهل أن يكون لدي طفل معاق.. لقد أحببتُ "دان" كما هو، بالطبع.. لكن الأمر صعب للغاية، هل تعلمين؟ رؤية الأشخاص الذين تمتلئ نظراتهم بالشفقة. يعاملونك كما لو كنت مسكينة جئت إلى العالم لتعاني رعاية ابنك.. (تنهدات) غادر زوجي بمجرد أن اكتشف أن "دانيلو" مصاب بمتلازمة داون. لم ينتظر حتى الولادة، لم يرَ وجهه أبدًا.. (صمت - ثلاث ثوانٍ) أخبرنا الطبيب بحالة "دانيلو" المحتملة من خلال الفحص الجيني، وكان ذلكَ كافيًا. في اليوم التالي، عدتُ من المحكمة ولم يكن زوجي السابق هناك. غادر الوغد تاركًا رسالة تقول إنه لم يولد لرعاية طفل "مريض". وأنه لم يكن مستعدًّا. هرب المدَّعى العام الفيدرالي ذو السابعة والثلاثين عامًا، وركض إلى منزل والدته فور معرفته بالأمر. (ضحكة جافة) لم يكن مستعدًّا.. (وقفة) وتحمَّلتُ وحدي مسؤولية الحياة مع طفل عمره سبع سنوات يتبرَّز لا إراديًا في أثناء المشي في المركز التجاري، كان الناس يحدِّقون وأنا أحاول تنظيف المكان، وكنت أرجو منه الانتظار حتى يصل إلى الحمام. لكنه لم يستطع. لم يفهم لماذا ينظر إليه الناس بطريقة غريبة، ولماذا أدهشهم كل ذلك، ولماذا كنت عصبية. بالنسبة إلى "دانيلو"، لم يكن يعنيه شيء من ذلك.. كنت أنا من عليه أن يسمع من ثلاثة مديري مدارس مختلفة أن ابني لن يتمكن من الاستمرار في المدرسة. كان عليَّ أن أواجه السنوات التي كانت تمر، لكن ابني لم يكبر، واستمر في الاحتياج إلى الرعاية ذاتها، الدعم ذاته، كأنه سيبقى طفلًا مدى الحياة.. (وقفة) لا، أنا لا أشكو. (صمت - ثلاث ثوانٍ) ولكن.. من الطبيعي أنني كنتُ أشعر بالغيرة أحيانًا، أليس كذلك؟ (وقفة) وأنا أرى "زاك" يكبر، وهو أكبر من "دان" ببضع سنوات فقط. كنتُ أراه يأتي من المدرسة، يخرج مع الفتيات، يمارس الرياضة.. (وقفة) التحق "زاك" بجامعة ولاية ريو دي جانيرو "UERJ" بالكلية نفسها التي درستُ فيها عندما كنت أصغر سنًّا. (وقفة) كنت أعلم أن "دانيلو" لن يكون مثله أبدًا. كنت أعلم أن ابني يحتاج إلى أن يتلقى أكثر مما يقدِّم.. (وقفة) آه، نعم، لقد كنتُ أحسد "ماريا كلارا" و"جيتوليو". ليس بسبب المال، ولكن بسبب العائلة المترابطة، التي ذهبت في رحلات وعاشت في سعادة.. (وقفة) بكيتُ بسبب "زاك" عدة ليالٍ.. غالبًا ما كنت أسأل الرب لماذا لم يكن ابني مثله.. لكن الآن.. (وقفة) الآن أرى أن.. "زاك" كان وحشًا. مريضًا نفسيًّا. (بكاء شديد) كان "دانيلو" يحبُّه، وقد ورَّطه في جنونه ذاك! لقد.. استغل براءة ابني لتحقيق مصائبه ومشكلاته.. هذا أسوأ من عاقبة أي حسد! (وقفة) إنه شيطاني!

"أوليفيا":

- ماذا...

“ديانا”:

- دعي “سونيا” تتحدث.. دعيها تنهي كلامها.

“سونيا”:

- أنا.. لا أعرف ماذا أقول.. (بصوت يبكي) أنا مشمئزة من الناس.. لن أثق بأحد بعد الآن.

“ديبورا”:

- هذا ليس “زاك” الذي عرفته. تلك التصرفات...

“سونيا”:

- أملك منزلًا أمام الشاطئ، وأشغل وظيفة عامة يتمناها أي شخص وسيارة أحدث موديل.. كل هذا من أجل ماذا؟ (وقفة) ما فائدة كل هذا الهراء؟ (وقفة) ما الفائدة؟

“ديانا”:

- استمري في الحديث يا “سونيا” عن...

“سونيا”:

- حياتي مثل هذه الغرفة، أيتها الشرطية. (وقفة) جدران بيضاء، أرضية فاتحة، كراسي مبطنة ومضاءة جيدًا تشغلها نساء مختلفات.. للوهلة الأولى، تبدو رائعة، ولكن بعد مدَّة، تدرك مدى إحباطها. في نظر الآخرين، أنت تملك كل شيء، ولكن من الداخل أنت تعرف أنك لا تملك شيئًا. إنك فارغ، وأجوف.. (وقفة) لقد فقدتُ زوجًا، وابنًا، وكان “زاك”، الذي أعجبت به كثيرًا، لدرجة الحسد، مجنونًا ومهووسًا. هل يمكنني حقًّا أن أحكم على الأشخاص؟ لقد درست كثيرًا لأكون قاضية، وأثبتت لي الحياة أنني لا أعرف كيف أحكم على أي شيء! أي شيء على الإطلاق! (بنبرة دامعة قليلًا) لقد أخذ “زاك” الشيء الوحيد الذي تبقى لي في هذه الحياة.. ما كان يجعلها تستحق العناء. (وقفة) المنزل، السيارة، المكتب.. كل هذا لا يهم. (وقفة) الصعب هو فقدان ابني.

“روزا”:

- لقد قتل ابني أيضًا.. (وقفة) منتحرون.. (ضحكة جافة) بالطبع هذه نكتة أيتها الشرطية! (وقفة) ما حدث في ذلك المنزل، أيتها الشرطية، كان جريمة قتل. ارتكبها مريض نفسي! (وقفة) جريمة وليس انتحارًا!

“سونيا”:

- جرائم قتل!

“ديانا”:

- أفهم أن للسيدات هنا رؤية مختلفة. من الواضح أن “زاك” قد تغيَّر، كان تحت تأثير المخدرات، لم يكن مدركًا لما يفعل، ولكن لا يزال...

“ديبورا”:

- لم يكن ذلك “زاك” الذي أعرفه، يا إلهي! (وقفة) يوجِّه مسدسًا نحو أشخاص، ويستمتع بالتعذيب والقتل.. (وقفة) لم يكن “زاك” أفضل شخص في العالم، لكنه لم يكن ذلك الوحش أيضًا.. كان شابًّا مثل أي شاب آخر.. أي شخص طبيعي.

“روزا” (بصوت مرتفع):

- الشباب “الطبيعيون” لا ينتفون رموش الناس بسادية واضحة!

“ديبورا”:

- الحادث.. (وقفة) حادث والديه.. لقد تغيَّر كثيرًا.. ظل يسقط حتى ارتطم بالقاع.

“سونيا”:

- لكن ابني، ليست له علاقة بكل هذا! (بكاء) كان ابني بريئًا وساذجًا.. أشك حتى أنه كان يعلم أن “زاك” سيأخذه إلى هذا المنزل للانتحار.. هو.. حتى لم يعرف ما هذا!

“روزا”:

- الناس تواجه مشكلات كل يوم! هذا ليس دافعًا كافيًا للمشاركة في لعبة “الروليت الروسي” أو لتعذيب أصدقائهم! (وقفة) هذا اسمه جنون. هذيان!

“ديبورا”:

- أنا لا أحاول تبرير أي شيء.. لكن.. أرجِّح أن “زاك” كان تحت تأثير المخدِّرات! لقد.. اختلف مع ابني. وهو، نادرًا ما فعل ذلك. نادرًا جدًّا في الواقع. (وقفة) توسل “أليساندرو” إلى “دانيلو” حتى لا يطلق النار. لكن “زاك” تجاهل كل شيء.. (اندهاش) بكل سهولة.. تجاهل!

(صمت - ست ثوانٍ)

“ديانا”:

- يمكننا أن نلاحظ أن معظمهم، أربعة في الواقع، كانوا مترددين فيما إذا كانوا يريدون حقًّا مواصلة لعبة "الروليت الروسي".. (وقفة) على الرغم من قوله إنه مستعد للموت، ظهر "أليساندرو" سعيدًا تمامًا عند خوض الجولة الأولى.

"أوليفيا":

- أراد البقاء على قيد الحياة لأطول وقت ممكن لكتابة هذا الكتاب اللعين!

"ديانا":

- هذا صحيح. (وقفة) لم يكن الانتحار هو الغاية، ولكن الوسيلة التي تمكِّنه من تحقيق هدفه النهائي؛ تأليف الكتاب. (وقفة) إلى جانب ذلك، كان هو الشخص الوحيد الواعي بينهم. على ما يبدو، حتى "دانيلو" تناول كمية كبيرة من الخمر.

"سونيا":

- إنه.. لا يمكن أن يشرب.. "دانيلو" لا يمكن أن يشرب!

(صرير كراسي)

"ديانا":

- لا بدَّ أن شخصًا ما قد عرض عليه الشراب عندما كان في سيارة الـ"هايلوكس". (وقفة) على أي حال، بالعودة إلى "أليساندرو"، أود أن أقول إنه هو الشخص الذي كان في أفضل وضع يؤهله للتخلي عن كل ذلك. لقد كان عاقلًا ويرى أن ما يفعلونه سخيفًا.

"ديبورا":

- كان "أليساندرو" ذا عزيمة.. (وقفة) لم يتخلَّ عن الأشياء بسهولة و... (البكاء) أعتقد أن وعيه هو ما ساعده في تأكيد رغبته في الاستمرار في لعبة "الروليت الروسي".

(صمت - أربع ثوانٍ)

"ديانا":

- لقد اُصطحِب "دانيلو" إلى "منزل سيريل"، ويجب أن أتفق معك أنه ربما لم يكن يعرف ماذا سيفعلون هناك. تمكن فريق علم الأمراض النفسية لدينا من الوصول إلى تقارير د. "ساولو فيرمين"، طبيب وتربوي مسؤول عن "دانيلو" منذ الولادة.

"سونيا":

- نعم. (بكاء شديد)

“ديانا”:

- فقد قدِّرت نسبة الإدراك عنده بخمسة وخمسين في المائة. وهناك تقارير تفيد بعدم استقراره العاطفي والاندفاع ومعاداة المجتمع. هذا يفسر الغضب المفاجئ تجاه “أليساندرو”. (وقفة) ومع وجود الكحول في المعادلة، من الممكن أن نقول إن “دانيلو” قد انتحر دون أن يعرف حتى ما الذي كان يفعله.

“سونيا”:

- إن وفاة “ماريا كلارا” و”جيتوليو” لا يمكن أن تبرر كل هذا! شيء سخيف أن نكون متواطئين إلى حد القول إنه انتحار! لقد قتل “زاك” ابني! صحيح أن “دانيلو” هو من ضغط على الزناد، لكن واضح من هو المسؤول! (بكاء) ألا ترين ذلك؟

“أوليفيا”:

- نرى.. (وقفة) يبدو أن الشرطية غير قادرة على الرؤية جيدًا.. (صمت - خمس ثوانٍ) “ديانا” (بصوت هادئ):

- يبدو أن “فاليريا” أيضًا كانت غير متحمسة وخائفة. (وقفة) وبالطبع “نويل” هو من حاول إيقاف “الروليت الروسي”.

“أوليفيا”:

- لم يتورط ابني في هذه القصة بأكملها، إلا بسبب سمكة البيرانا المتوحشة تلك التي تُدعى “ريتينيا”.

“فانيا”:

- انظري كيف تتحدث! إن ابن...

“أوليفيا”(بصوت مرتفع):

- من بين فتيات العالم، تورَّط مع فتاة مجنونة ذات ميول انتحارية!

“فانيا”:

- اصمتي.. (صراخ)

“ديانا”:

- سيداتي من فضلكنَّ!

“أوليفيا”:

- سمكة البيرانا؟ حسنًا!

ديانا (بصوت حازم):

- "أوليفيا"، من فضلك! توقفي عن إحداث الفوضى! إنه العراك الثالث لكِ!

"أوليفيا":

- أنا فقط أقول الحقيقة.

"ديانا":

- نحن هنا للبحث عن معلومات مفيدة. مفيدة!

"أوليفيا":

- في الحقيقة كان عليهم أن يلقوا القبض على الأب.. (وقفة) كان "نويل" ابني، لكنه كان أحمق.. أعمى..

"سونيا":

- كيف يمكن لأم أن تتحدث عن ابنها هكذا؟ (وقفة) "أوليفيا"، أنت بلا قلب!

"أوليفيا":

- منافقات! (صراخ) جميعكنَّ منافقات! (وقفة) أنا أقول فقط ما لا تجرؤن على قوله. (وقفة) أم أنكنَّ فخورات بأولادكنَّ المنتحرين؟ (تضحك) أعتقد أن هذا هو أول ما يقول الناس.. "انتحر ابني. أنا فخورة به للغاية". أرجوكنَّ! لا تكنَّ مثيرات للشفقة!

"سونيا":

- أنت لا تقولين إلا الهراء.

"أوليفيا":

- لقد فشلنا! هذه هي الحقيقة! (بكاء) إذا لم يكن أطفالنا هنا اليوم، فهذا لأننا فشلنا! لم نكن أمهات جيدات كفاية حتى ننجح في أن نبقيهم على قيد الحياة!

"ديبورا":

- هذا أمر سخيف.

"سونيا":

- لا يمكنك.. (أصوات غاضبة)

-

“أوليفيا”:

- أعلم أنني فعلت كل ما بوسعي.. فعلت! كان “نويل” مخطئًا!

“ديبورا”:

- لا أشك في أن لديه أسبابًا قوية! يكفي وجود أم مثلك في المنزل.

“ديانا”:

- من فضلكنَّ! توقفنَّ! (بصوت قاسٍ) نحن في حاجة إلى مواصلة القراءة.. من فضلكنَّ!

(صمت - أربع ثوانٍ) (صرير كراسي)

“ديانا”:

- كان “زاك”، كما نعلم، مصرًّا على الاستمرار في “الروليت الروسي”. لم نجد لثانية واحدة أي علامة على تردده أو ندمه. (وقفة) وكذلك “ريتينيا” كانت ثابتة على موقفها.. حتى إن “أليساندرو” كان مندهشًا من ثقتها.

“فانيا”:

- كانت ابنتي رائعة.. (بكاء) لكنها شعرت بالضعف الشديد مع.. (بكاء) كنت سأساعدها.. لم أكن لأتعارك معها.. أبداً!

“ديانا”:

- يبدو أن “لوكاس” كان لا يخشى شيئًا. حاول الانتحار خمس مرات سابقة. الأولى في 6 أغسطس 2005. بعد ذلك كان يتردد على الطبيب النفسي الدكتور “جوسماو ألفارينجا”، أليس كذلك؟

“أماليا”:

- هذا صحيح.

“ديانا”:

- تمكنًّا من الوصول إلى تقاريره. (وقفة) كانت هناك محاولتي انتحارٍ في عام 2006، في 3 يناير و5 أكتوبر.

“أماليا”:

- عانى ابني اكتئابًا حادًّا. كانت تلك مراحل صعبة، حاولنا تجاوزها في المنزل.. (بكاء) خلف الإكسسوارات، والملابس السوداء والعيون المكحلة، كان

"لوكاس" نحيفًا للغاية. توفيت جدته، والدتي، في أواخر عام 2005، وانهار بعدها. لذا حاول قطع شرايينه في 3 يناير 2006.

"ديانا":

- وفي شهر أكتوبر؟ ماذا حدث؟

"أماليا":

- أنا... (وقفة) في شهر أكتوبر، لم يحدث شيء.. لا شيء يبرر.. (بكاء) نحن... حاولنا أن نأخذ "لوكاس" إلى عدة أطباء.. لا أعرف ماذا كان السبب.

"ديانا":

- وخلال بداية عام 2007 كما تتذكرين. (وقفة) كانت المحاولتان الأخيرتان لـ"لوكاس" متقاربتين، في ديسمبر 2007، يومي 9 و12. (وقفة) "أماليا":

- أنا ووالده كنَّا ننفصل فترات. (وقفة) لقد كنَّا نتشاجر كثيرًا.. لم يكن بوسع أي منا أن يتحمل الآخر. (بنبرة باكية) كان زوجي يضربني.

(صمت - ثانيتين).

"ديانا":

- ومن ثمَّ، في يوم الأحد الموافق 9 ديسمبر 2007، دخل "لوكاس" على موقع غير قانوني يشجع على الانتحار وحاول شنق نفسه في المنزل بحبل، وصورت "كاميرا الويب" كل شيء.

"أماليا":

- نعم.. (بكاء) هذا صحيح.

"ديانا":

- من حسن الحظ، عادت أخته "ماريا جواو" إلى المنزل قبل أن ينجح في ذلك.. (وقفة) ومع ذلك، انتشر الفيديو على الإنترنت، لذا...

"أماليا":

- كان "لوكاس" يائسًا! لقد عرف جميع من في الكلية القصة.. (وقفة) كانت "ماريا جواو" الوحيدة التي تفهمه. لقد كانا يحبان بعضهما بعضًا كثيرًا! كانا أكثر من أخوين، كانا صديقين.

(صمت - خمس ثوانٍ) (حفيف الأوراق)

"ديانا":

- لقد قلتِ الآن نقطة مثيرة للاهتمام، يا "أماليا". (وقفة) دوافع "ماريا جواو". (وقفة) خلال التحقيق بأكمله، بدا من الغريب أن موقفها قد تغيَّر بسرعة. (وقفة) كانت تستطيع التحكُّم في تصرفات أخيها من قبل، ومنعته من فعل أعمال خطيرة عندما كان مكتئبًا؛ ثم، لسببٍ ما، لم تسمح فقط لأخيها بالمشاركة في لعبة "الروليت الروسي" بل ذهبت أيضًا للانتحار معه.

"أماليا":

- لا أعرف. (وقفة) ما زلتُ لا أفهم لماذا فعلتْ ذلك. لا أعرف! (بكاء) لا معنى له.

"ديانا":

- نعتقد أن "ماريا جواو" كانت تعرف أكثر مما أظهرتْ. (وقفة) حدث شيء ما جعلها تتغير تمامًا.

"أماليا":

- ماذا تقصدين؟ ما الذي يمكن أن تعرفه؟

"ديانا":

- سنصل إلى هذه النقطة قريبًا. سوف تفهمن ماذا أقصد بشكل أفضل.

(صمت - ثلاث ثوانٍ)

"ديانا":

- هل يمكننا الاستمرار؟

"أوليفيا":

- دعينا ننتقل إلى هذه النقطة بعد ذلك. اقرئي.

(حفيف الأوراق) (صمت - أربع ثوانٍ)

"ديانا":

- "الفصل السادس. أعتقد أن هناك قوة خفية تدفعنا نحو الهاوية. تصل إلى الحافة بعد ساعة واحدة وتدرك أنك ستسقط لا محالة، بالرغم من الصعوبات.. لكن البعض لا يستطيع الانتظار، ويفضِّل الانتحار على انتظار البلاء..".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

21

من مذكرات “أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو”

قضية منزل “سيريل”، رقم 15634-0506-08

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: «جوزيه بيريرا أكينو»، قسم ١٢ للأحوال المدنية بـ»كوباكابانا».

الجمعة الموافق 22 أغسطس 2008

إن معرفة طريقة لعب البوكر فن في حد ذاته. أقول ذلك دائمًا، وإذا لم أكن مخطئًا، فقد كتبته هنا بالفعل. على أي حال، لا مانع من التكرار: معرفة طريقة لعب البوكر هي فن. قرأتُ هذه العبارة في بعض مواقع الويب، وتتبادر إلى ذهني كلما أمسكت أوراق اللعب في يدي، مراهنًا على الطاولة، محاولاً مضاعفة الرهان وذلك لشراء المزيد من الكتب والأسطوانات النادرة.

قالت «ريتينيا» وهي توزع الأوراق لي «الديلر»:

- أنسحب.

صرختْ “جواو” وهي تحتفل بالفوز بكل ما على الطاولة دون الحاجة إلى إظهار ما بيدها من ورق: - لقد فزتُ!

لم أكن قد اكتشفت خدعتها بعد. كانت تجلس أمامي بوجهها البريء، ويتدلَّى شعرها القصير على جبهتها مثل فتاة تبلغ من العمر خمسة عشر عامًا، ولم يظهر عليها أي تعبير ولم تتردد حتى.

سألتها، محاولًا تخفيف الشعور بالإحراج على الطاولة وأنا أوزِّع الأوراق: - هل ما زلتِ في ذلك السيرك، يا “جواو”؟

نظر “لوكاس” إليَّ موبِّخًا:

- أنا أكره التحدث في أثناء اللعب.

بدا “زاك” غير مهتم، كان مهتمًّا بكاسات الويسكي أكثر من الخمسين ريال التي خسرها منذ أن بدأنا في الساعة السابعة.

أوضحتْ بحدة:

- إنه ليس سيركًا. بل مدرسة لتعليم فنون السيرك.

تفحَّصتْ “جواو” الأوراق التي أخذتها ثم نظرتْ إليَّ.

قلتُ:

- أنا آسف.

- نعم، أتدرَّب على "رمي الكرات والأشياء إلى أعلى" مع واحد من أفضل المهرجين الذين عرفهم هذا العالم على الإطلاق.

أجبتها:

- أنا أيضًا أتدرب مع أفضل المهرجين في العالم. هناك في جامعة ريو دي جانيرو UERJ"".. الفرق الوحيد أنه يرتدي بذلة ولا يلوِّن أنفه باللون الأحمر مثلهم.

ضحك الجميع على مزحتي السخيفة، باستثناء "جواو".

إذا كانت لدي سيارة "فيراري" في موقف السيارات، وحساب مصرفي وجزيرة على البحر الكاريبي، فسوف تضحك، حتى لو حكيت لها قصة كتاب عن "هولوكوستو" الذي يحكي مأساة البرازيل. تعاملني "جواو" منذ أن اكتشفتْ أنها خُدِعتْ وأنني لستُ أميرًا ساحرًا، كخادم حقير مضطرة إلى أن تتعامل معه. العاهرة.

بدا أن "زاك" يقرأ أفكاري، واستفزها قائلًا:

- لعبة «رمي الأشياء» تلك لا تجني الكثير من المال عادةً. وأنتِ تحبين المال.

نظرتْ إليه دون أن تعلق بأي كلمة، وطرقتْ الطاولة، وطلبت أوراق اللعب، وأغلقتْ راحة يدها عليها.

وأوضحتْ قائلةً:

- أريد الزواج من رجل ثري.

عاشقة المظاهر.

- في الواقع، هذا حلم كل الفتيات، أليس كذلك يا "ريتينيا"؟

أجابتْ الأخرى بصوت منخفض، وكأنها لم تنتبه:

- نعم.

لا أجيد أبدًا إدراك مشاعر الناس الحقيقية. ولكن يمكنني أن أراهن أن بـ"ريتينيا" شيئًا ما خطأ. كانت نظراتها ثابتة على الورق، ولكن دون أي تركيز، وعقلها بعيد عن البوكر. عادةً أحب اللعب مع أشخاص في هذه الحالة. كلما كانوا منشغلين أكثر، كان ذلك أفضل.

جاءت الخادمة وسألت أنريد أي شيء. كانت ترتدي فستانًا أزرق داكنًا ومريلة بيضاء. طلب منها «زاك» إحضار زجاجة ويسكي أخرى مثل التي كان يشربها مع «لوكاس». طلبتُ أنا و»ريتينيا» ماءً، وقالت «جواو» إنها لم تكن عطشانةً.

ثم وضعنا رهاناتنا، وكسبت أنا ما كان على الطاولة. كان مالًا قليلًا. قال «زاك»: - كنت أخاف من المهرج.

سألته:

- ماذا؟

- قالت "جواو" إن لديها تدريبًا مع أفضل مهرج، و... أنا كنت أخاف من المهرج.

أنا.. كنت قد نسيت الموضوع بالفعل. وتابع محاولًا تبرير مخاوف طفولته: - بسبب المهرج القاتل، أتعرفه؟

تمتم "لوكاس" وهو غير مهتم، مثل طالب أجبر على إجابة سؤال المعلم وهو ساخط: - "جون جسي".

تفاجأت "جواو":

- ماذا؟

وكرر قائلًا:

- "جون جسي"، القاتل المتسلسل.

رفع عينيه عن أوراق اللعب. ورفع حاجبيه، ورسم ابتسامة على وجهه الطويل، لا تتناسب مع الموضوع. وتابع: - عندما قُبِضَ عليه، عثروا على أكثر من ثلاثين جثة في قبو منزله. معظمهم أطفالًا كان قد اغتصبهم أو مارس معهم اللواط، وضحايا آخرين.. بالإضافة إلى العديد من ألعاب الجنس.. وأصفاد.. ومقصلة.

تمتمتُ:

- ابن العاهرة!

طالما كتبتُ قصصًا بوليسية، كانت مسلية بالنسبة إليَّ في عالم الخيال فقط. لكن الحقيقة يمكن أن تكون مؤلمة للغاية.

وأضاف "لوكاس" مدركًا أنه قد لفت انتباه الجالسين بهذه الطرفة المقززة: - كان بينهم نحو عشر جثث مشوَّهة.

تساءلتْ "جواو"، وقد كانت مهمتها - كأختٍ لشابٍ انتحاري - تتلخص في عدم السماح له بالتحدث عن الأمور المروعة أو المحبطة. وهي مهمة مستحيلة: - وما أهمية ذلك؟

رد "لوكاس" بابتسامة أكبر:

- لقد كان مهرج المدينة، كان يقيم حفلات ومناسبات خيرية باسم "بوجو". لقد أحبه الأطفال كثيرًا لدرجة أنه، كان يأخذهم إلى منزله لـ"حفلة خاصة" اعتمادًا على خفة ظلِّه.

كان يحكي قصة القاتل المتسلسل، كما لو أنه يروي سيرة عبقري، ويركز على كل التفاصيل القذرة والمضحكة بشكلٍ خاص.

- لقد أمضى أربعة عشر عامًا في انتظار تنفيذ حكم الإعدام قبل أن يتم حقنه بحقنة مميتة في مايو 1994.

لاحظتُ القليل من الكآبة في عيون "لوكاس". مجرد رعشة جفنيه، كانت كافية للكشف عن أنه حزين لوفاة القاتل. بدأتُ أتحدث قائلًا: - ليس كافيًا. إن حقن ابن عاهرة مثل هذا لا يكفي. إنه عقاب سهل جدًّا. مجرد حقنة وينتهي أمره. دون أي ألم. لم يشعر بالمعاناة التي سببها للآخرين.

رد "لوكاس":

- عقوبة الإعدام ليست انتقامًا.

قالت "ماريا جواو":

- أعتقد أنه يجب أن تكون هناك عقوبة الإعدام في البرازيل.

دافع "لوكاس":

- لم يفهمه أحد، لقد كان سابقًا لعصره.

- هل تقول إن مستقبل البشرية سيشمل المهرجين الذين يقتلون الأطفال؟

ابتلع ريقه. من خلال النظرات، أدركتُ أن "زاك" و"جواو" كانا يوافقانني الرأي. أما "ريتينيا" بدتْ في غيبوبة، متجاهلةً الموضوع. كانت توقف المشهد بين الحين والآخر، تنظر بتركيز إلى الطاولة وتلقي الأوراق بيدها شديدة البياض بعصبية.

أوضح "لوكاس":

- قصدت أن ذلك كان يعني شيئًا بالنسبة إلى الرجل، ولم تكن جريمة بل شيئًا أقوى.

أجبتُه:

- هذا اسمه: “جنون”.

- كثير من العباقرة مجانين.

صرختُ مغتنمًا الفرصة لاستعادة انتباه الجمهور الصغير: - تبًّا! إذًا فالرجل عبقري؟

على الطاولة، بجانب الأوراق، كانت توجد زجاجتا ويسكي فارغتين، لمحت رشفتين تقريبًا في كأس “لوكاس” أخذته وشربتهما دون أن أستأذنه، شعرتُ بمرارة في حلقي، ولم أبدِ أي رد فعل. ثم وضعتُ الكأس الزجاجية على الطاولة بطريقة مثيرة، وتابعتُ: - هل تعرف ما الذي تمنيته؟ تمنيتُ لو كان هذا السفاح قد قابل والدتك. كان سيمارس الجنس معها ويدفنها في الطابق السفلي، ألم تكن لتحبَّه هكذا.

عدنا إلى الصمت. كانت “ريتينيا” غافلة عن كل شيء، بدأتْ في النقر بأظافرها الطويلة على الطاولة، وهذا ما أحدث ضوضاء. منذ ذلك الوقت سادت أجواء من القلق على الطاولة. قال “لوكاس”: - كنت سأتفهم.

سألتُه مصدومًا:

- ماذا؟

- إذا أخذ أمي.. كنت سأتفهم.

مجنون. سكران. غبي لا أحد طبيعي يقول هذا الكلام.

قال “زاك” بعيون متثاقلة وهذا ما يدل على أن وعيه يودِّعه: - أعتقد أيضًا أن عقوبة الإعدام ليست كافية. أشخاص مثله يستحقون التعذيب.

أجبته:

- عقوبة الإعدام ليست هي الحل.

- آه، نعم! التعليم، تغيير النظام لبناء مجتمع أفضل، مع تقليل نسبة عدم المساواة الاجتماعية.. وماذا بعد؟

صرختْ “جواو”:

- دباديب جميلة وبابا نويل؟!

السفَّاح ليس إنسانًا. إنه حيوان. يجب أن يعامل مثل الحيوان. هذا الهراء الذي يسمى “حقوق الإنسان” جاء فقط للتعاطف معهم. لكن الأمر ليس كذلك

خاصة عندما يوجِّهون سلاحهم نحونا.

الكلام المتكرر عن حقوق الإنسان وعدم تطبيقها على المجرم.. حقًّا لم يعد لديَّ صبر بعد الآن. كنت مستعدًّا لتوبيخها، وشرح أن "العين بالعين، والسن بالسن" هي مسألة فطرية، وأن الإحصائيات أظهرت بالأدلة أن عقوبة الإعدام لم تُفِد بشكل جيد في الدول التي تطبقها.

كانت الحقيقة الواضحة أنه لم يكن لدي ما أخسره.. منذ الليلة الأولى - والوحيدة - لم تكن "ماريا جواو" سهلة. فكرتُ أن أجذب انتباهها بحديث طويل، وإن كان بشكل غير إيجابي.

اقترح "لوكاس" تغيير الموضوع فجأة، قائلًا:

- هل ترغبان في طلب بيتزا؟

قال "زاك" بنهم:

- بيتزا "بيبروني"!

قالت "جواو" بتأنٍّ:

- أنا لا آكل الـ"بيبروني". اطلب أربعة بيتزات بالجبنة أو "مارجريتا". ولا تطلب بيتزا بأي لحوم.

انفجر "زاك" ضاحكًا:

- تبًّا للنباتيين. أنتم لا تعرفون ما تفتقدونه.

قبل أن نتمكن من مواصلة المناقشة، عادت الخادمة بالمشروبات. تركت زجاجة الماء مع كأسين طويلين على الطاولة. عندما وقفت بجانبي، رأيت وجهها الشاحب في ضوء الأباجورة بالبهو. ربما كانت أكبر مني ومن أصدقائي بسنتين أو ثلاث سنوات فقط. مجموعة شباب فاسق من الإقليم الجنوبي يلعبون القمار مساء الجمعة.

قال "زاك" وهو يراقبها وهي تقدم لي المشروب:

- الويسكي يا "يارا"، لي!

أجابت:

- نعم.

ووضعتْ الزجاجة على الطاولة على الفور، وهي خائفة تقريبًا، وأخذتْ كأس "زاك" لتملأه من الزجاجة الثالثة التي ابتاعوها في عرض على الويسكي

بمناسبة مرور 12عامًا على بداية نشاط الشركة.

ضحك "زاك"، وأخذ الكأس بين أصابعه الهزيلة. مررها من اليد اليسرى إلى اليمنى وصاح، وهو يضرب الطاولة: - "يارا"، "يارا"! أكثر خادمة جذابة في البرازيل!

كانت هذه هي طريقته لقول "شكرًا".

حنت الشابة المرتدية المريلة رأسها - والتي كانت بعيدة كل البعد عن كونها أميرة - دون أن تعرف ماذا تفعل. انتهت من تقديم المياه لـ"ريتينيا" ثم أمسكت كأس "لوكاس" لصب الويسكي. صاحت "جواو": - هيا حالًا!

هل تعرف من هم أسوأ من الأثرياء المغرورين؟ الفقراء المتكبرون الذين يحاولون أن يبدوا مثل الأثرياء المغرورين. تنتمي "جواو" إلى هذا النوع.

أمسك "لوكاس" الكأس وشرب رشفة ثم قال:

- انتظري. أنا خارج.

خطفتْ الخادمة الصينية، وكانت تسرع في خطواتها، عندما رن جرس الباب. عادت مرة أخرى لفتح الباب.

كنت جالسًا مواجهًا للباب، رأيت فتاة سمينة تدخل البهو بتربُّص. في البداية، وقفَتْ بثبات، وعيناها تجوبان بإعجاب كل شبر من البهو الضخم في شقة "زاك". من رد فعلها، استنتجت أنها المرة الأولى لها في هذه الشقة. على الرغم من أنني لم أرها منذ شهر أو شهرين، فقد تذكرتُ اسمها بسهولة. لم أستطع أن أنسى الاسم الذي خسرتُ بسببه خمسمائة ريال برازيلي.

صاحت بطريقة مفاجأة:

- "زاك"!

ألقى "زاك" أوراق اللعب التي كانت بيده، على الطاولة، لكنه لم يلتفت. واسترخى في كرسيه، دون حتى أن يتنازل وينظر إلى "فاليريا". صاحت مرة أخرى ووكزته لجذب انتباهه: - لقد اتصلتُ بك طوال الأسبوع.

لم يلتفت "زاك". وأخذ الأوراق، وأمسكها على شكل مروحة وتفحصها بعناية، ثم أجاب: - لم أجب على أي من الثلاثمائة مكالمة.. اعتقدتُ أنكِ فهمتِ أنني لا أريد التحدث معك بعد الآن.

قالت وهي تلقي حقيبتها الفضية على الطاولة:

- لكنني أريد أن أتحدث لك، تبًّا لك!

خفض “زاك” وجهه، وأغلق عينيه وضحك ثانية واحدة. وأجاب: - اذهبي يا “فاليريا”! اذهبي بعيدًا، اللعنة!

- أنا...

- اللعنة، لا أريد التحدث معك!

نهضت “جواو” - بطريقتها الذكورية - من الكرسي واقتربت من المشهد المرتبك، وحاولت استرضاءها: - مرحبًا يا رفاق! لنأخذ الأمر ببساطة!

ردَّتْ “فاليريا”، وأخرجت علكة من جيبها وبدأت في مضغها بغضب: - لا يمكنك التحدث معي بهذه الطريقة! ليس لديك هذا الحق، أيها الأحمق!

- لديَّ كل الحق في التحدث كما أريد.. أنتِ في بيتي! لقد نفد صبري! وعطَّلتِ سير لعبتي! يمكنني إطلاق النار عليكِ من هنا.

بدأت تتحدث بصوت أكثر هدوءًا، كما لو كانت ستستخدم الخطة الثانية البديلة: - “زاك”.. ما حدث في ذلك اليوم...

أسقطت “ريتينيا” الأوراق على الطاولة، وحوَّلتْ كل اهتمامها إلى “فاليريا”: - ما حدث في حفل الموسيقى الإلكترونية انتهى هناك.. ليس هناك شيء بعد يا “فاليريا”! كنت مخمورًا، ضائعًا وأنا لا أعرف ماذا حدث! وانتهى الأمر!

قالت بغضب:

- لا يا “زاك”، ليس بهذه البساطة!

طلب منها بهدوء غير متوقَّع:

- اذهبي بعيدًا يا “فاليريا”. من فضلك.

هزَّت رأسها بالنفي وشعرها المصبوغ يرفرف في الهواء مثل لبدة الأسد: - دعنا نتحدث يا “زاك” خمس دقائق. نحن الاثنين فقط.

- ولا حتى نصف دقيقة، يا “فاليريا”. أريد فقط الاستمتاع بيوم الجمعة مع أصدقائي.. هل يمكنني ذلك؟

- القدر يا “زاك”. هل تذكر محادثتنا السابقة عن الحظ؟

حاولتْ “فاليريا” - على الأرجح - أن تبدأ بتنفيذ خطتها الثالثة. مشت إلى الطاولة التي توجد عليها الأوراق، وأخذت تقلب في جيوبها بعصبية. عندما وجدتْ ما تريده، أخفته في يديها الممتلئتين.

وأوضحتْ وهي تهزَّ قبضتها المغلقة أمام عينيه المذهولتين: - هذا الشيء الموجود هنا، يا "زاك".. هو ما حدَّد مصيرنا.. وربطنا ببعض.

كان الوضع ساخرًا بالتأكيد. امرأة كهذه تقتحم منزله وتفضحه أمام أصدقائه وتقول إنها مارست الجنس معه، وأنها تريد المزيد. لأن تلك المرة لم تكن كافية. كنتُ في شدة الخجل.

- هل أنت سكرانة يا "فاليريا"؟

- هذا، يا "زاك"، غيَّر حياتنا!

تعبتْ من التلويح بذراعها في الهواء، ضربت كفها على الطاولة، تاركةً شيئًا ما على الطاولة: عملة معدنية.

- ملك أم كتابة. أتذكر يا "زاك"؟ سقطت العملة على وجه الكتابة، ونحن.. قضينا ليلة معًا.

حنى "زاك" رأسه، غاضبًا من مسرحيتها. في الواقع، لقد سئمنا جميعًا منها. واصل "لوكاس" النظر إلى الأوراق التي في يديه، يفكِّر في الخطوة التالية. تابعتْ "ريتينيا" المحادثة بفضول شديد، حتى احمرَّ وجهها. جلستْ "جواو" على الكرسي المريح بالطرقة وكانت تقضم أظافرها، مستمتعة بالمناقشة.

كررتْ وعيناها مملوءتان بالشفقة القسرية:

- خمس دقائق، يا "زاك". لا أريد التحدث أمامهم.

صاح "زاك":

- يمكنك التحدث! هيا!

مشى نحوها فاتحًا ذراعيه مهددًا إياها:

- دون كذب. دون خوف. ليس لدي ما أخفيه عن أصدقائي. تكلمي يا "فاليريا"!

تراجعتْ. للحظة، بدتْ وكأنها ذابلة وعاجزة. حملقت وقضمتْ شفتيها، وكانت غير متأكدة مما يجب فعله. فالتحدث أمام الجميع، مهما كانت عواقب ذلك الأمر، لم يكن ضمن الخطة.

تمتمتْ:

- من الأفضل لك، ألا أتحدث أمامهم يا "زاك".

ذهب إلى الباب وفتحه:

- لذا أرجوكِ ارحلي!

- "زاك"، أنا...

- يا إلهي، ماذا فعلت لأستحق هذا؟

أغلق "زاك" الباب بغضب وسار إلى "فاليريا". وأكمل:

- لا يمكنني العيش في سلام! تتصلين بي كل يوم، وتطاردينني في الكلية، وتراسلينني دائمًا.. هل يمكنكِ التوقف عن مطاردتي؟

ساد الصمت البهو. ابتلعتْ "فاليريا" ريقها وبدتْ مذهولةً واستندتْ إلى ظهر كرسي. وهي تنظر إلى الأرض، وقالت: - أنا حامل.

كان صوتها ضعيفًا، لكننا سمعناه جميعًا. أظن أننا لم نكن لنصدم هكذا، لو كانت خلعتْ ملابسها مثلًا أو ظهر لها رأس ثالث. تغير جسد "زاك" فجأة؛ انحنت أكتافه، وتحجرتْ مقلتاه في ذهول. وسألها مندهشًا: - ماذا؟

كانت راضية الآن. يبدو أنها تستمتع برؤية المفاجأة على وجوه الناس. وكبر حجمها فجأة في نظرنا. أزاحت شعرها إلى الخلف ورفعتْ ذراعيها، كما لو أرادت أن تقول: "لقد قلتُها أيها الفتى العظيم!".

- أنت تكذبين!

كان هذا كل ما استطاع "زاك" أن يقوله. لكن وجهه كان يشير إلى أنه يصدق كل كلمة قالتها.

- لماذا تظن أنني قضيتُ كل هذا الوقت في البحث عنك؟ تظن أنني وقعتُ في غرامك، وأنك تجيد ممارسة الجنس لهذه الدرجة؟ أنت لست الأفضل يا "زاك"، وأداؤك في الجنس لا يستحق حتى الإشارة إليه.

- "فاليريا"، أنا...

واختتمت:

- مبارك! "ستكون أبًا!

- من قال إنني أب هذا الجنين؟

- أعرف من هو والد ابني، يا "زاك". إنه أنت. لسنا هنا لمناقشة هذا الأمر.

تمتم وهو مصدوم:

- حامل! لكن...

- لا أريد أن أجهض طفلًا من أب ثري.. لقد حدث الأمر، يا "زاك". علينا أن نتقبل الوضع الحالي. يمكنني أن أجري اختبار الحمض النووي، كي لا تفعل.

انفجر “زاك”:

- عليكِ اللعنة!

ومشى نحوها، ولثانية، كان يمكنني أن أقسم إنه سيصفعها على وجهها، لكنه كرر: “عليكِ اللعنة!” ثلاث أو أربع مرات أخرى. كما لو أن مرة واحدة لم تكفِ، وسمعتُ المفاتيح تفتح الباب. في لحظة، دخل “جيتوليو فاسكونسيلوس” بوجهه العبوس إلى البهو. ارتبك الجميع.

سأل:

- ما الذي يحدث هنا يا “زاك”؟

كان من المثير للفزع ذلك التأثير الذي أحدثه هذا الرجل الذي يبلغ طوله أكثر من متر ونصف بقليل. كنتُ قد اعتدته، لكنني ما زلت أشعر بأن شعري يقف عند رؤية نظرته الصارمة.

تجمد صديقي حيث كان واقفًا بجانب “فاليريا”.

قالت وسط هذا الصمت:

- حضرتك “جيتوليو”.. أنا...

قاطعها قائلًا:

- أنا لا أتحدث معكِ.

- وماذا يحدث هنا يا “زاك”؟ سمعت صوتك من المصعد؛ سمعتك وأنت تغلق الباب بقوة. ثم أطلقت العديد من الكلمات البذيئة.. هل يمكن أن توضح لي ما هي المشكلة؟ من كل هؤلاء الأشخاص؟

حاول “زاك” قائلًا:

- يا أبي، نحن.. كنَّا نلعب البوكر و...

ضاع منه الكلام.

- تابع يا “زاك”!

- لا شيء.

قالت “فاليريا” دون أقل قدر من الحياء:

- ستصبح جدًّا. انتظر طفل “زاك”.

“جيتوليو فاسكونسيلوس”، ذلك الرجل الذي بنى إمبراطورية، وحارب الكثير من المنافسين، الذي داس على الأعداء ولعب دور الإله في وسط ريو دي جانيرو.. تردد. ونظر إلى “فاليريا”، ثم إلى ابنه، على أمل أن ينكر شخص ما هذا الهراء.

- إنها الحقيقة.. لن أُضطر إلى...

- اخرسي! الزمي الصمت!

ولوَّح بسبابته بصرامة. لمعت عيناه من الغضب، واحمرَّت رقبته كما لو كانت القلادة المعلقة بها تخنقه: - هذا الحديث مع ابني!

سألت “فاليريا”، وهي تتعارك، وقد بدت قادرة على إسقاطه بلكمة واحدة: - من تكون أنت كي تتحدث معي بهذه الطريقة؟

- يا بنت، أنتِ في بيتي، وتتحدثين عن ابني، وتواجهينني بالمزيد من المشكلات، كما لو لم تكن لدي مشكلات كافية بالفعل.. لماذا لا تذهبي إلى منزلك وتفكرين في ما ستفعلينه؟

حاولتْ، لكن الكلام اختفي:

- أنا...

بدأ أثر “جيتوليو” يظهر.

- “زاك”، هل هذه الفتاة تقول الحقيقة؟

لم يجب. وأغلق عينيه للتو.

دافعتْ “فاليريا” عن نفسها:

- إنها الحقيقة!

مشتْ بسرعة إلى طاولة البوكر وأخذت العملة من على الطاولة.

- هذه هي عملتي للحظ.. إذا ظهر وجه الكتابة، فأنا أقول الحقيقة.. إذا كانت ملك، فهي كذبة.

- ماذا؟

قبل أن يقول أي شخص شيئًا، ألقتْ “فاليريا” العملة في الهواء وفتحتْ راحة يدها، لتظهر النتيجة؛ كتابة.

ذُهل “جيتوليو”، بقبضتها المغلقة، ونظر في عيون “فاليريا” باحثًا عن أي علامة تؤكد أن هذه كلها مزحة سخيفة. لا يحدث كل يوم أن يجد فتاة في منزله

تقول إنها حامل من ابنه، وترمي عملة نقدية في الهواء كدليل.

سألتْه:

- هل تأكدت؟

كانت تشعر بخيبة أمل إلى حدٍّ ما بسبب عدم ظهور رد فعل "جيتوليو".

صاح "جيتوليو" وهو يصفع يدها:

- أخرجي من هنا!

طارت العملة بعيدًا، متدحرجة عبر أرضية الـ"باركيه".

- هيا، اخرجي من هنا!

وصفق في الهواء مرتين أخريين لإبعادها.

ذُهلت "فاليريا"، وكانت على وشك أن تبكي. ثم انفجرت: - لا تلمسني مرة أخرى، يا ابن العاهرة يا عجوز!

صرختْ وركضتْ نحو الكرسي حيث كانت تجلس "ماريا جواو". انحنت "فاليريا" بصعوبة والتقطت العملة التي سقطت أسفل طاولة القهوة الموجودة في وسط البهو.

- لا تكرر هذا مرة أخرى، هل سمعت، يا ابن العاهرة؟

كررتْ "ابن العاهرة"، وكانت توضِّح بشكل قاطع كل مقطع من هذه العبارة البذيئة.

ظل "جيتوليو" ثابتًا، يشاهد "فاليريا" وهي تقدِّم عرضها. انتظر أن تتعب من هز ساقيها، وقال بابتسامة على شفتيه: - اخرجي من منزلي يا فتاة، لمصلحتك.

أجابت:

- أعرف جيدًا ما يجب أن أفعله، أيها العجوز الأحمق!

رفعتْ العملة مرة أخرى، ولوحتْ بها أمام عينيه:

- هذه هي عملة الحظ خاصتي.. يجب ألا تشك فيها.. وألا تتحدث معي بهذه الطريقة.

لثانية، اعتقدت أنها ستقول كل العبارات المؤثرة من الأفلام البوليسية الرخيصة لـ"جيتوليو". لكنه سئم كل ذلك. أخذ عملة "فاليريا" بسرعة، ولعب بها في يديه. انزعجتْ الفتاة عندما رأت عملتها في حوزة العدو.

- أعدها إليَّ! أعطني عملتي!

صرختْ مترددة في الهجوم عليه:

- أنت لا تعرف مع من تعبث.

قال دون تغيير لهجته الحادة:

- أعرف. أعرف جيدًا مع من أتحدث، يا فتاة. مع سمكة البيرانا غير المهذبة التي تعتقد أنها يمكن أن تخدعني بعملة مزيفة.

احتجَّتْ قائلة:

- لا.

قاطعها "جيتوليو" بنبرته الجادة بلا هوادة:

- أنت تصنعين حظك الخاص. هذه العملة لها وجهان متشابهان! وجهان كتابة. هل اعتقدتِ حقًّا أنكِ استطعتِ أن تخدعيني؟ عاهرة جامعية تحاول سرقة أموالي.. ما زال ينقصك الكثير لتتعلميه، يا بنت!

_ العاهرة هي أمك!

دون أن يرمش، رفع "جيتوليو" يده وصفع وجه "فاليريا". ونتيجة لتلك الصفعة الشديدة سقط جسمها على الأرض بجانب كرسي "جواو". وضعتْ "فاليريا" يدها على وجهها، دون أي رد فعل. نهضتْ "جواو" من الكرسي حيث كانت تشاهد كل شيء، وساعدتها على الوقوف. لطالما كانت مدافعة عن الضعفاء والمضطهدين. إن النساء الحوامل، حتى لو كنَّ عاهرات، تجب حمايتهن.

صاحت "جواو" مستنكرة ما يحدث، وكانت تسأل "فاليريا" إذا كان كل شيء على ما يرام: - مهلًا! لا يحق لك أن تفعل هذا! إنها حامل!

تابع "جيتوليو" الحديث مع "فاليريا":

- اسمعي هنا، يا فتاة! انتبهي لكلامك جيدًا عند التحدث عن أي شخص من عائلتي. لا أريدك أن تأتي إلى هنا بعد الآن. سيكون هذا أفضل للجميع.. إذا أخطأ "زاك"، فسوف يتولَّى هو المسؤولية.. ولكن ليس أنا، لن تأخذي أموالي.. لم أعمل طوال حياتي من أجل فتاة رخيصة مثلك.

تذكَّرتُ، تلقائيًّا، لحظات الخوف في "منزل سيريل"، ومحاولة غزو القبو وتوبيخ "جيتوليو" البارد لنا، وفرضه أوامره وجعلها تدور مدَّة طويلة في رأسي.

- أعرف نوعكِ. ومن الأفضل أن تعرفي أنني أكره الأشخاص من هذا القبيل. أمثالكِ لا يمضون قدمًا، ليس لديكِ مستقبل.. وجودك شؤم على كل من

حولك.. لهذا السبب بالذات، من الأفضل أن تغربي عن وجهي.. عن حياتي يا فتاة. لدي بالفعل صداع شديد.. وصدقيني، أنت السبب.. لقد نفد صبري، وإذا أتيت لعمل فضيحة في بيتي مرة أخرى، فستكون نهايتك. في غمضة عين، سيفقد والداك وظيفتيهما، سواء كانا موظفين مدنيين أم بائعي سجق أم رجال أعمال. لا يهمني. فقط سأجري بعض المكالمات الهاتفية، وسأجعل حياتك جحيمًا. لذا اخرجي من هنا!

ظلَّت "فاليريا" على الأرض، تلهث وشعرها مفرود على كتفيها. لذا، يبدو أن كلمات "جيتوليو" لها بعض التأثير. لكنه تأثير مخالف لما توقعه والد "زاك": فقد نهضتْ برشاقة غير متوقعة بالنسبة إلى وزنها وهجمتْ عليه.

صاحت وهي ترد له الصفعة:

- سأقتلك أيها الوغد! إذا سلبت من والدي وظيفته، سأقتلك! هل تعتقد أنه يمكنك التحكم في حياة الآخرين هكذا؟ وأنه يمكنك أن تفعل ما تريد؟ تدخَّل في حياتي وسأقتلك! سأذهب إلى الجحيم لإنهاء حياتك، وحياة ابنك ابن العاهرة الكذَّاب!

حاولتُ أنا و"لوكاس" إبعادهما عن بعضهما. كانت "فاليريا" تمسك بيد "جيتوليو" بحزم، محاولةً استعادة عملتها المعدنية. عندما أخذتها، ابتعدت بغضب. نمنم المليونير بهدوء مثير للدهشة بالنسبة إلى شخص كان قد تعرض للتو لصفعة على وجهه: - لم يكن عليك فعل ذلك يا فتاة.

صرختْ "فاليريا"، وهي تأخذ الحقيبة التي تركتها على طاولة البوكر: - يمكنك أن تفعل ما تريد، تجري اتصالاتك وتستخدم نفوذك، أيها العجوز الأحمق! ولكن إذا أذيتني، فسأقتلك دون تفكير. سأنهي حياتك، ولن يتبقى أحد ليروي القصة، هل سمعتَ؟ لا يكفيني مال الدنيا. ولا أموالك!

سارت نحو الباب وفتحته بغضب. وغادرتْ، لكنها عادت لإنهاء حديثها، في مواجهة "جيتوليو": - في غضون بضعة أشهر، سأعود وبطني أكبر. ويمكننا إجراء اختبار الحمض النووي. أريد أن أرى أين ستخفي وجهك ابن العاهرة هذا!

خرجتْ وضربت الباب. كنَّا عاجزين عن الكلام، وننظر إلى بعضنا في خجل. لم نتمكن من تجاهل كل ما حدث ونعود إلى لعب البوكر.

صوت الباب الذي أُغلق بوحشية لا يزال يتردد صداه، كما لو كان قد خدرنا. قال «جيتوليو»: - سأستحم. آمل ألا أجد أي شخص آخر هنا عندما أعود.

دون ذوق، قطع البهو الأمامي متجهًا نحو غرف النوم. وأكدتْ "جواو": - لقد سمعتم ذلك يا رفاق. لقد طُردنا.

نهضتْ من الكرسي وأخرجَتْ حقيبة ظهرها المليئة بالشخبطة الناتجة عن أقلام الحبر الملونة. سحبتْ شقيقها من ذراعه وغادرت قائلة: - وداعًا يا رفاق.

تبعتها "ريتينيا" إلى الباب كما لو كانت تحت تأثير التنويم المغناطيسي. وبقيتُ أنا و"زاك". في ذلك البهو الشاسع يفصلنا جدار من الغضب الصامت. كانت تلك هي اللحظة التي كان من المفترض أن أطمئنه فيها، بكلمات لطيفة، لأهدئ من روعه. قلتُ: - كن ثابتًا، يا "زاك". أخبر والدك أنك ستتولى مسؤولية الابن. وستجد طريقة لدعم الطفل. إن إظهار الثقة في هذه الأوقات هو الخيار الأفضل.

قال "زاك":

- شكرًا يا "أليس".

فضَّل أن يشكرني على أن يستمع لكلامي.

كان محني الرأس وذراعاه مشبكتان، كان يسير متمايلًا. ربما كان عليَّ أن أحضنه أو أخبره بأنني سأكون بجانبه وقتما يحتاج إليَّ. ولكن لم أكن أعرف كيف أفعل تلك الأشياء. ولم يعد لديَّ ما أقوله، خرجتُ من الباب، صامتًا، تاركًا إياه مع مشكلاته وحده.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

الفصل السادس:

أعتقد أن هناك قوة خفية تدفعنا نحو الهاوية. في لحظة ما، تكون في موقف يحتاج إلى اتخاذ قرار مصيري، على الرغم من الصعوبات.. ولكن يعجز البعض عن ذلك، ويفضلون الانتحار.. وأنا فضَّلتُ الانتحار.

عند تحليل الخيارات المتاحة وتوقع ملامح المستقبل، أدركت أنه لا يوجد شيء في حياتي يستحق العيش من أجله: كنت مضطرًّا إلى أداء خدمة عامة سخيفة، كنت منسيًّا وسط الأوراق والقواعد العامة الروتينية. لا أريد هذا المصير لي. إنه خيار. ربما يجلب الموت شيئًا لم توفره لي الحياة: الشهرة والاحترام والاعتراف بموهبتي.

لم يكن لدى "دان" خيارات. لم يختر أبدًا. عندما سقطت رأسه إلى الوراء، وسقط على الأرض، لطخت دماؤه الأعمدة، كان الأمر مثل إيقاف تشغيل الآلة. لعبة مفككة دون بطاريات. لكنه كان أكثر من ذلك.

كان "دانيلو" إنسانًا. تبًّا للإنسان الذي دفعته قوة خفية نحو الهاوية. تبًّا للإنسان عندما يكون في موقف صعب ولا يعرف ماذا يفعل.. طلب "دان" من أصدقائه المساعدة.. ونحن دفعناه إلى الهاوية.

تبًّا! عندما بدأنا في إعداد كل شيء في بداية الأسبوع، قررنا أننا لسنا مجبرين على فعل أي شيء! كان إحضار "دانيلو" معنا خطأً كبيرًا. لم يكن الانتحار اختياره أبدًا، بل كان قرارنا. تبًّا!

حتى ثانية واحدة، كل ما أردت فعله هو أن أعطي "زاك" صفعة قوية، على الرغم من أنني كنت أعلم أنه لن تكون لديَّ أي فرصة للفوز في أي جدال معه، لكنني أردت أن أظهر له الهراء الذي كان يفعله ويتجاهله عن عمد! ما الهدف من إنهاء حياة شخص بريء؟ فأنا مسؤول عن حياتي. يمكنني اختيار ما إذا كنت سأنهيها أم لا. لكن "دان".. تبًّا، تبًّا، تبًّا!

ومع ذلك، بالنسبة إلى "زاك"، لم تكن الطلقة سوى مصير. منذ أن حدث كل شيء - وفاة "ماريا كلارا" و"جيتوليو" في حادث – فقد "زاك" إحساسه بالإنسانية وتغيّرت نظرته إلى الموت. تجمَّد "زاك" من الداخل.

دون إظهار أي انفعال، أمسك "زاك" ساقي "دان" القصيرتين، كان بنطاله ملطخًا بسبب تجمع الدم الذي تشكل حوله، وسحب جسده ووضعه قرب الحائط الأيمن بسهولةٍ، تاركًا أثرًا أحمر عبر الأرضية الخشبية.

قال “زاك” عندما أدرك الفوضى التي أحدثها:

- اللعنة!

انتشرت كتل دم على طول المسار الذي مر فيه الجسد. لقد تحطمت رأس “دان” وتحولت إلى شيء ليس إنسانيًّا، لا يمكن تعرفه. شعرتُ بثقل في معدتي، ودوار خفيف، وتقيأت، وهذا ما زاد من القذارة على الأرض. فتحتُ عيني، لأرى من جديد غدائي قد تحول الآن إلى خليط أصفر اللون. قالتْ “فاليريا” من خلفي: - ما الأمر يا “أليس”؟ أنا الحامل هنا ولست أنت.

أجبتها بغضب، وكنتُ أتقيأ:

- الزمي الصمت!

سأل “لوكاس” مشيرًا بلامبالاة إلى المشهد الدامي:

- من سينظف هذه القاذورات؟

احتجَّت “جواو” وهي مستندة إلى أحد الأعمدة القليلة التي لم تصلها بقع الدم: - والآن القيء. ستفوح رائحة هذه القذارة قريبًا.

تساءلت “ريتينيا”:

- هل لديك مكنسة هنا؟

وخلعت رباط الشعر المطاطي من معصمها وربطت به شعرها في كعكة. وقالت: - سأنظف هذا بسرعة.

تبًّا! يتحدثون وكأنه بقايا زجاج مكسور أو عصير مسكوب! لم يبد لي ثانية واحدة أنهم كانوا يشعرون بأي شيء سوى الشعور بالاشمئزاز. هل أنظِّف هذا بسرعة؟!

اعتذر “زاك” وهو يمسح جبينه بعد أن ترك جثة “دان” جانبًا، وقال: - اللعنة على الرائحة! سننهي كل شيء على الفور!

خلع قميصه بمهارة، واستعرض عضلاته التي بناها في صالة الألعاب الرياضية. تظاهرت “ريتينيا” بعدم تأثرها بصدره العاري، لكن نظرتها الخجولة والسريعة أكدت أنها لا تزال تتذكر اللحظات التي قضياها معًا. وبدت “فاليريا” ليست متأثرة، كانت أكثر اهتمامًا بالدم المتناثر على بعد أمتار قليلة من عينيها.

بمهارة ربة المنزل التي تكره الفوضى، ألقى “زاك” قميصه فوق الدم، محاولًا دفع الأجزاء المتجلطة جانبًا. واستخدم قميصه كقطعة قماش لتنظيف الأرض،

وتبلل القميص بالسائل الأحمر. سألته “فاليريا”: - لن ترتدي هذا مرة أخرى، أليس كذلك؟

أجاب “زاك” بهدوء:

- سأبقى هكذا، على أي حال، الجو حار هنا.

فكرتُ في خلع قميصي أيضًا. فالمزيج الضبابي من الدخان والأشخاص المتوحشين في قبو خانق لا يجعلا المكان مناسبًا للإقامة مدَّة طويلة. ومع ذلك، لا أفضِّل أن أبقى بلا قميص أمام الآخرين. خاصةً الفتيات.

على عكس جسد “زاك”، لم يعتد جسدي نظراتهن الخبيثة.

بطريقة تلقائية، نظرتُ مرة أخرى إلى جثة “دان”، الملقاة بجوار الحائط، زاد غضبي من “زاك”. ومن نفسي حقًّا. لم أستطع أن أكون مثل هذا الجبان. لا يمكنني استيعاب ذلك. سألت “زاك” هامسًا في أذنه، وكنت أمسك ذراعه، لم أرد أن يسمع الآخرون. لم أرغب في حدوث أي لبس: - هل تعتقد أنك فعلتَ الصواب؟

أجاب:

- ماذا فعلتُ؟

وكأنه لا يعرف حقيقة ما نتحدث عنه.

- لا تدَّعي أنك لا تعرف.

أجاب، وهو يلوح ذراعه بعنف، قائلًا:

- لا أعرف.

سار “زاك” خطوتين متعثرتين للهرب مني. وضع يده في جيب بنطاله الجينز، وأخرج سيجارة ملفوفة بالماريجونيا وأشعلها. وتابع قائلًا: - توقف عن هذا يا “أليس”.

أخرج السيجارة من شفتيه وأردف:

- إذا كنت تريد حقًّا أن تنتحر، فمن الجيد أن تحافظ على وعيك حتى تلك اللحظة، ألا تعتقد ذلك؟ تبًّا يا “أليس”!

مع هذه الكلمة البذيئة، أدركتُ أن الأنظار قد تحولت إلينا. سينكشف السر.

- فكر في الأمر يا “زاك”! فقط فكِّر قليلًا!

ألقى السيجارة وسحقها على الأرض.

- انظر إلى ذلك الهراء الذي تفعله..

- أنت مُمل يا "أليس"، ومتردد جدًّا. قلقٌ للغاية على كل شيء.. أنا لا...

- لقد أطلقتَ النار على رأس "أوتو". تركت "دانيلو"، الذي وثق بك جدًّا، ينتحر. والآن تسب صديقك المقرب. هل أنت متأكد من أنني المخطئ هنا يا "زاك"؟

صمتَ، متكئًا عليَّ وهو يكافح من أجل الوقوف. بدا أنه يعاني ليستوعب كلماتي.

- المشكلة، يا "أليس"، هي أنك تعتقد أنك على حق. سأخبرك بشيء يا رجل: أنت لست كذلك! أنت تحاول أن تتظاهر بأنك...

أجبته بحدَّة:

- أنا لست على حق؟!

كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لإعادته إلى صوابه. وتابعت: - لا أصدِّق أنك عاجز عن استيعاب ما فعلته! هل هذا ما أصبحت عليه تحت تأثير الكحول والمخدرات؟ مستحيل، لم تعد "زاك" الذي أعرفه. صديقي!

بقينا واقفين هناك. شعرتُ بنظرات الآخرين نحو ظهري، لكنني لم أستدر. بقيتُ حيث كنت أنتظر رد فعل "زاك"، حتى يكون لكلامي تأثير فيه.

قال مصممًا على إلقاء اللوم عليَّ:

- أصبحت قديسًا، يا "أليس"، لكن لا تخدعني.. لقد أحضرنا "دان" معًا. نحن الاثنان! لا تقل لي إنني المذنب الوحيد في موته.

- لقد قلتُ إنها كانت فكرة سيئة! وطلبتُ منك أن تدير أسطوانة الرصاصات مرة أخرى! لكنك سمحت له أن يطلق النار!

أجاب "زاك" بنبرة صارخة كما لو كان سيبكي:

- هل هذا يجعلني قاتلًا؟ هل أنت جاد يا "أليس"! لماذا نحن هنا؟ للحديث عن الحياة؟ كي نشعر بالأسف على الآخرين؟!

لم أجب.

- منتحرون يا "أليس". هذا هو وضعنا. منتحرون! جبناء جدًّا لمواجهة العالم اللعين. جبناء جدًّا لإنهاء حياتنا بمفردنا. نحن في حاجة إلى هذا، أفهمت؟ لكل هذا الهراء في هذا القبو، لشرب البيرة الساخنة المقززة، بصحبة أشخاص يائسين مثلنا.. ليس لدينا حتى الشجاعة لتصويب رصاصة في رأسنا. أنا غير متفق معك.. ولست في حاجة إلى فلسفتك.. مات "دانيلو" لأنه كان عليه أن

يموت.. في الواقع، لم يكن على قيد الحياة. لا تطلب مني أن أندم على ذلك. أنا لست نادمًا على أي شيء.. لا شيء على الإطلاق!

سألته محاولًا التأثير في عواطفه:

- لماذا أنت هنا يا "زاك"؟ بسبب والديك، أليس كذلك؟

حتى ثانية واحدة، بدا وكأنه سوف يستسلم، يفيق، يبكي.

- غير مهم!

- تخيل كيف سيكون حال والدك لو بقي على قيد الحياة. لقد علَّمك أشياء كثيرة.. لم يكن ليرغب في أن يراك هكذا.

قال "زاك" بسخرية:

- لقد ماتا.

- وحقيقة أنهما لن يعودا تسمح لك بفعل ما تريد؟ هل هذا ما ستفعله بعد كل شيء تعلمته منهما؟

- لم أتعلم أي شيء يا "أليس"! لا يهمني ذلك. من أنت لتعلِّمني الصواب من الخطأ؟ أو لتحكم على ما أفعله؟ ممن تعلمت يقينك هذا؟ من عائلتك المضطربة؟

ضحك "زاك" وكانت رائحة كريهة تخرج من فمه وهو يوجه إليَّ الإهانات. كان يتحدث بقذارة.

- لا تتحدث عن عائلتي. أنت تعرف أن...

حاولت أن أبقى هادئًا، حتى لا أضربه في وجهه.

- الجد الذي كان يضرب زوجته وابنته! الجدة التي تعرضت للضرب الشديد، وأصيبت بالجنون. والأم التي نشأت على اللكمات ثم صارت زوجة مخدوعة ومحبطة. وأب لم يتصل أبدًا بابنه.. من أنت كي تعطيني درسًا في الأخلاق، يا "أليس"؟

- لا يمكنك التحدث بهذه الطريقة، يا "زاك"! تبًّا، هذا لا يصح! أنا صديقك.

- أنت ممل يا "أليس"! ممل! لقد قال "جيتوليو" ذلك. هل علمك "جيتوليو"! لا تثر أعصابي بكلامك! اهتم بشؤونك!

- أنا صديقك يا "زاك". أنا ملزم بـ...

صاح مرة أخرى:

- دعني.

ثم اقترب من مكان جثة "دان"، والتقط المسدس المشبَّع بالدم من الأرض ومسحه على طرف شورته.

علقتْ "ريتينيا" وهي تخرج من أحد الأركان المظلمة بالقبو: - إنه على حق، "أليس" على حق.

اتكأت على أقرب عمود، شبكت ذراعيها. وتابعت:

- لا يمكنك الاستمرار في فعل ذلك.

انفجر "زاك" قائلًا:

- أنتما تمزحان بالتأكيد! هل تعتقدان أنكما تأمرانني؟ لا مجال، تبًّا!

قالت "ريتينيا" في تحدٍّ:

- من التالي، يا "زاك"؟ أنا؟ لأنني أزعجك هنا؟ أو ربما "أليس"؟ هل تعتقد أن الأمر بهذه السهولة؟ هل ستطلق رصاصة على رأس كل من يزعجك؟

- "دانيلو" لم يزعجني.

- وماذا عن "أوتو"؟ هل أغضبك؟

- "أوتو" كان ابن عاهرة!

- لقد أحبَّك يا "زاك". والرب وحده يعلم كم هو صعب عليَّ أن أقول ذلك، ولكن ليس لدي شك في أنك أحببته أيضًا!

- لا أريد التحدث عن ذلك!

- الأمور لا تسير هكذا، يا "زاك"!

وتابعتْ:

- لا يمكنك أن تختار ما تريد التحدث عنه، ولا يمكنك تجاهل آراء الآخرين، لمجرد أنها ليست كما تريد!

أصبح "زاك" معزولًا ومحاصرًا، ومسدسه فارغًا، ووجهه شاحبًا. كان في حالة سكر، ويحاول إيجاد الحجج في بحر من الاتهامات. ثم سار بصعوبة نحو السبع رصاصات الموجودة في الكيس البلاستيكي. تقدمتْ "ريتينيا" إلى الأمام، والتقطتها وأغلقتْ قبضتها اليمنى عليها. ثم قالت: - أنا من سيحمل المسدس هذه المرة.

ومدتْ يدها لتأخذ المسدس من يده. تراجع "زاك". وأبقى المسدس بالقرب من خصره. أصرت "ريتينيا".

- هيا، أعطني المسدس!

لم تكن مستعدة لفتح يده التي تمسك بالمسدس. توقف "زاك" بضع ثوانٍ. كان جسده يرتجف عندما حاول العثور على شيء مقنع ليقوله. قال وعيناه ذابلتان: - أنا فقط من يستطيع حمل المسدس هنا.

- لا.. هذا ليس صحيحًا! أريد أن أضع الرصاصة في المسدس الملعون!

- تبًّا لما تريدين ذلك! أنتِ مملة!

صاح، محاولًا ترهيبنا بالمسدس الفارغ.

- أنا من أحضر المسدس إلى هنا، اللعنة. لا تزعجيني ودعيني أحمل هذا القرف.

- هل أنت أحمق يا "زاك"؟ ألا يمكنك أن ترى أنك تلعب بالنار؟ لا أحد هنا يثق بك! أقصد الجميع؛ أنا و"لوكاس" و"فاليريا" وحتى صديقك المقرَّب "أليس". الجميع.

للحظة، أزعجته كلمات «ريتينيا». لكنها تحدثت بوضوح وبنبرة أمومة. سأل وهو عابس: - ماذا تقصدين؟

- أقول إن كل هذا مريب للغاية. كما قلت، نحن في منزلك، ونستخدم مسدسك. هل هذا يعني أنك لديك الفرصة لنصب فخ كما أردت؟

- أنصب فخًّا كما أريد!

بدا "زاك" ساخطًا، وعيناه غائرتان في وجهه المحبط.

- ماذا تقصدين بأنني أنصب فخًّا؟

- لا أعرف. دعنا نشاهد. ونسمع. ونستجمع أفكارنا.

- أية أفكار؟!

كان "زاك" يصرخ مع كل جملة بصوت أعلى.

- أولًا "أوتو". مات في الوقت المناسب لك. كان يخبر الجميع عن قذارتكما، وخرجت الرصاصة عندما أطلقت أنت النار. ثم "دان"، المسكين. هو الوحيد الذي عندما ضغط على الزناد، كنت تعلم أن المسدس سوف يطلق النار.

- اخرسِي، يا "ريتينيا". أنا أيضًا ضغطت على الزناد. لذا أمرت "دان" أن يُطلق النار. وقد صوَّبتُ المسدس على نفسي! أم نسيتِ أننا هنا لنموت؟

ترددتْ "ريتينيا"، ولكن سرعان ما اكتسبتْ الشجاعة:

- نعم! نحن هنا لنموت! لكن ليس هكذا! ليس وفقًا لأوامرك! نحن لسنا حيواناتك الأليفة، تبًّا!

- لكن...

قاطعتْ "زاك" وتابعتْ:

- كنتُ أفكر يا "زاك"، في كل الكلام الذي ذكرته عندما وصلنا إلى هنا. في قواعد "الروليت الروسي" والتي تقول إن آخر شخص يمكنه أن يختار بين أن ينتحر مع الآخرين أو يعيش.

- نعم.

وافقها، كما لو كان الأمر الأكثر وضوحًا في العالم.

- لن يتواجد أحد، ليجبر آخر شخص على الانتحار.

قالت:

- بالتأكيد، لقد فهمتُ الأمر. لكن هذا بالضبط ما كنت أفكر فيه.. لا أعرف.. إنها مجرد فكرة.

سأل:

- ما الذي تريدين الوصول إليه؟

أردتُ أن أعرف أيضًا.

- اهدأ.. سأشرح.

تابعتْ "ريتينيا":

- إنه فقط.. أعتقد أنك ستكون أنت آخر شخص يا "زاك". أعني، بطريقة أو بأخرى، أنك تتحكم فينا، وتقتل واحدًا تلو الآخر، لتكون وحدك في النهاية و...

صاح صديقي غاضبًا:

- تبًّا! ما الذي تقولينه؟!

- أن تبقى أنت وحدك في النهاية و...

صاح صديقي مستاءً:

- وماذا؟

تراجعتْ "ريتينيا":

- لا أعرف.. إنه ليس منطقيًّا حقًّا.. لقد كان مجرد شعور غريب.

- هل تعتقدين أنني أقتلكم؟! أنا لست إلهًا يا "ريتينيا"! كان "أوتو" و"دان" سيئي الحظ! ليس خطئي! إذا أردت قتلكم، فسيكون ذلك سهلًا للغاية.. هل نسيتِ أن المسدس معي؟

قالت، وهي تعود إلى نبرة التحدي:

- نعم.. لكن الرصاص معي الآن.. وأريد المسدس.

قال "زاك"، مصوبًا المسدس نحو "ريتينيا" وأصابعه تلتف بإحكام حول المقبض: - أنتِ سكرانة ومخدرة، ولا أعرف ماذا أصابك!

- ربما أنا في حالة سكر.. ربما كل ما قلته هو هراء وأنت رجل مسكين مظلوم.. ولكن لا أعرف. لا أستطيع تجاهل ذلك الشعور الغريب. لذلك، أريد فقط أن أحمل المسدس هذه المرة.

صاح "زاك":

- تبًّا! لقد قلتُ لا بالفعل! هل فهمتِ؟ لا!

صاحت "جواو":

- سنستمر في هذه المناقشة حتى الفجر ولن نصل إلى أي حل!

وافق "لوكاس":

- هذا صحيح.

تابعتْ "جواو" مشيرةً إلى جثتي "أوتو" و"دان":

- لقد تجاوز "زاك" حدوده حقًّا مع الاثنين، لكنني لا أعتقد أنه يريد أن يقتلنا. وأرى أنه يجب أن يستمر في حمل المسدس.

اعترضت "ريتينيا" قائلة:

- هل أنتم عُمي؟ سيقضي علينا واحدًا تلو الآخر.

علق "لوكاس" قائلًا:

- أتفق مع أختي، لقد أحضر "زاك" المسدس، ويحمله حتى الآن ويجب عليه أن يستمر في هذا الأمر.

قلتُ وأنا لا أرغب في المشاركة في هذا الجدال:

- وأنا أيضًا أرى ذلك.

ثم سألتْ "جواو":

- وأنتِ يا "فاليريا"، ما رأيك؟

- بالنسبة إليَّ فإن ذلك كله هراء! لا يهمني من يحمل المسدس.

قال "نويل" بصوت ضعيف:

- أتفق مع "ريتينيا"، كل ما قالته عن "زاك" منطقي.

غضب "زاك"، وكان العرق يتساقط من وجهه، وقال:

- اخرس أيها الأحمق. أنت تحبها! تصويتك متحيِّز!

أجابت "ريتينيا":

- وهل يوجد هنا تصويت ليس متحيزًا؟! إنهم أصدقاؤك يا "زاك"! إنهم بجانبك لأنهم أصدقاؤك!

قالت "جواو":

- لقد فزنا يا "ريتينيا". أربعة إلى اثنين. أعطي الرصاصات لـ"زاك".

قالت "ريتينيا" لأول مرة، وهي تحكم قبضتها على الرصاصات: - اللعنة! هذا هراء!

أجاب "لوكاس":

- هذه هي الديمقراطية! سأشكو للفلاسفة السياسيين على الجانب الآخر.

قالت "ريتينيا":

- تبًّا!

ألقتْ الرصاصات على الأرض، وتدحرجت على الأرضية الخشبية. لعنها "زاك". والتقط الرصاصات بسرعة، دون أي صعوبة، لأنه لم يذهب بعيدًا. احتفظ بها في جيبه، وترك واحدة في يده. جاءت "ريتينيا" للتحقق مما سيفعله. دون عناء، أدخل "زاك" الرصاصة في الخزنة ولفها بسرعة. وسألها وهو يغلق المسدس: - هل أنتِ راضية؟

انصرفت دون أن تجيب، وأصرَّت على شكِّها فيه وجلستْ في الجزء الأقل قذارة من القبو. وجلس "نويل" و"فاليريا" بجانبها.

قال “زاك”:

- لن نشكل أي دائرة ملعونة، نحن لسنا أطفالًا للجلوس هكذا.

وافقه “لوكاس”:

- حسنًا. سأبدأ أنا.

أخذ المسدس من يد “زاك” دون أن يبدي أي قلق. ووقف في وسطنا، وعيناه مغمضتان، وصوَّب المسدس نحو رأسه. وتمتم وهو يضغط على الزناد: - هذه المرة ستكون بلا جملة أخيرة!

ودوى نفس الصوت الجاف في القبو. دارت الأسطوانة دورتها التي لم تؤذِه، بانتظار التالي في تحدٍّ.

سألتْ “جواو”:

- هل يمكنني، يا “زاك”؟

وافقها. وقال بتردد قليلًا:

- لذا هأنا!

وأخذتْ المسدس من أخيها. أمسكتْ “جواو” المسدس بطريقتها الرجولية، ذراعاها مفرودتان وقويتان مثل “لوكاس”، لم ترمش. صوبتْ المسدس نحو رأسها وسحبتْ الزناد.

كليك.

دور جديد.

خفضتْ ذراعها، وهي تلهث. استندتْ إلى كتف أخيها. أظهر شعرها القصير مزيجًا من الراحة والخوف على وجهها. وصاحت وهي تشعر بالأدرينالين في عروقها: - واو!

ثم طلب “زاك”:

- أعطني المسدس.

الحقيقة العظمى هي أننا كنَّا منهكين. مع كل طلقة، كانت تذهب الرغبة في الموت. كانت هناك رغبة في ترك كل شيء يذهب إلى الجحيم، ومنح فرصة أخرى للحياة، للمحاولة مرة أخرى. لكنني لم أرغب في المحاولة مرة أخرى. ولا “زاك”.

انحنى على أحد الأعمدة وساقه اليسرى مثنية، وهذا ما جعل التوازن صعبًا. رفع مسدسه في الوقت نفسه الذي أغمضتُ فيه عيني. لم أكن أرغب في الاحتفاظ بصورة "زاك" وهو يموت، وتتحول رأسه إلى كتلة لزجة. فضلتُ الظلام. والأصوات.

صمت.

كليك.

صمت.

فتحتُ عيني لأجد "زاك" ليس مصدقًا وحزينًا. نظرتُ إليه في عينيه، محاولًا إظهار أنني ما زلت هناك لما يحتاج إليه، وأن شجارنا لم يغير صداقتنا بأي شكل من الأشكال. لكنه لم يلحظ. لم يعد عقله المليء بالدخان يرانا بوضوح. كنَّا ظلالًا مظلمة، كائنات تتجول في قبو خانق.

قال وهو يمرر المسدس:

- "ريتينيا"!

حاول "نويل" منعها مرة أخرى، لكنه توقف. لن ينجح. فإنها أرادت أن تموت. أخذت المسدس بشجاعة وتصميم. نظرت إلى "زاك" نظرة متعالية، كانت تخفي ترددها بتكبرها. لقد استغرق رفع المسدس وقتًا طويلًا. كانت تسير عبر القبو، وتوقفت في زاوية مظلمة، وكأنها تهرب من انتباه الجميع. ثم رفعتْ المسدس إلى رأسها، واختفتْ ماسورته بين خصلات الشعر الأحمر. نظرتْ إلى كل واحد منا وسبابتها تلامس الزناد. عندما نظرتْ إليَّ، نظرتُ بعيدًا. لم أستطع رؤيتها تموت. لم أستطع رؤية أي شخص يموت هنا. كانت صورة "دان" وهو يسقط بجواري – عقب أن نظر إليَّ بتحدٍّ - لا تزال تدور في رأسي. بإصرار.

أغمضتُ عيني.

صمت.

غلبني الفضول، وفتحتُ عيني لرؤية ما حدث، مثل الطفل الذي يخفي وجهه في أثناء مشاهدة مشهد رعب، لكنه يفتحها في النهاية لينتهي به المطاف إلى مشاهدة الوحش وهو يتحرك...

كان لا يزال لديَّ الوقت لرؤية "ريتينيا" وهي تميل على الحائط، فقد استطعتُ تمييز جلدها الأبيض في الزاوية المظلمة. ثم، كما لو أن نظراتي هي التي ضغطت على الزناد، أطلقتْ النار. في ذلك الوقت، لم أسمع الكليك. ولم يكن هناك صمت.

بوو!

في جزء من الثانية، ترك المسدس يدها، وسقط على الأرض. سقط جسدها إلى اليسار، وانبعث الدم من الرأس وصبغ الحائط باللون القرمزي. سقط وجهها إلى أسفل، وشعرها المجعَّد مغمور بالدم ويغطي وجهها. التوتْ أرجلها من تأثير السقوط.

صاح "نويل" مستيقظًا من سباته:

- "ريتينيا"!

وركض نحو جسدها، كما لو كان بإمكانه إحياؤه، وإرجاع الشريط ومنعها. مسح شعرها بيده، وكانت يداه ترتجفان، مصبوغتين بالدماء، وبكى. كان بكاءً حقيقيًّا. ركل الهواء مثل طفل يرى جروًا وهو يصطدم بشاحنة. تنهدات. صرخات. فقدان.

وصاح "نويل" وهو يضع الجثة هاجمًا على "زاك" دون خوف:

- أنت السبب يا ابن العاهرة! يا ابن العاهرة!

جثم "زاك"، ورفع ذراعيه بنبرة مهدئة. رأيتُ في عينيه أنه صُدِم مما شاهده للتو.

- أنا لم...

- كانت "ريتينيا" على حق! لقد كشفتك! أنت كنت تحمل المسدس وسلمته لها أيها الوغد!

لم يعرف "نويل" أكان يبكي أم يتعارك. بدا ضعيفًا، وكأن دمه هو الذي انتشر على الأرضية الخشبية. كان يأخذ نفسًا عميقًا، محاولًا التعافي مما حدث. عاد إلى ضرب "زاك"، وركله مثل الكرة. أوقفه "لوكاس"، ممسكًا به من الخلف.

- يا ابن العاهرة! أنت المذنب! كل هذا بسببك!

أجاب "زاك" ثائرًا:

- لقد كنتَ واقعًا في حب "ريتينيا"، لكنها كانت تتجاهلك! لم تتصل بك أبدًا! لم تكن لتذرف دمعة واحدة على موتك.. وتقول إنني أنا المذنب؟

رفع "زاك" قميصه من على الأرض وسار باتجاه الجثة. وألقاه على رأسها، مخفيًا الوجه المشوَّه بالرصاص.

كرر "نويل":

-

- أنت ابن عاهرة!

كان قد تحرر من يدي "لوكاس"، ولكن لا يزال في المكان نفسه، مخدر.

- يا ابن العاهرة!

صاح "زاك"، بوجهه الأحمر، المتعرق. بلطفٍ:

- اهدأ يا "نويل"! ألا ترى أن الحياة أعطتك فرصة لن تتكرر؟ لقد ماتت "ريتينيا".. ماتت قبلك.. هذه فرصتك!

مدَّ "زاك" يديه على قميص "ريتينيا"، وفتحه بقوة ممزقًا إياه، وكشف عن ثديها الأبيض المثير.

- هيا يا "نويل"! أليس هذا ما كنت تريده دائمًا؟ مضاجعة "ريتينيا"؟ هذه المرة، لن تكون قادرة على منعك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

23

فانيا (وهي تبكي):

- يا إلهي، لا يمكنه.. كيف.. (بكاء) كيف يمكن لأي شخص أن يقترح ذلك؟ (تنهدات) ماذا فعلت له ابنتي؟

"سونيا":

- إنه شخص متوحش! مقزز! غير إنساني! (وقفة) أنا.. لا أعرف نهاية كل هذا؟ لا أعرف ماذا أتوقع من "زاك" بعد الآن.. يبدو أنه قادر على أي شيء! كل شيء!

"ديانا":

- كانت هذه نهاية الفصل السادس. هل توجد بعض الـ...

"فانيا":

- لن نجلس هنا ونستمع لهذه الأشياء.. هل من الممكن أن أحزن على فقدان ابنتي وحدي؟ (بكاء شديد) هل كل ذلك ضروري؟

"ديانا":

- لقد تحدثنا بالفعل عن هذا يا "فانيا". من الضروري أن...

"فانيا":

- لا يهمني ما هو الضروري، تبًّا! (وقفة) هذا خطأ كبير! ماذا أراد "زاك"؟ من كل هذه المواقف؟! هذا العنف غير المبرر.. (وقفة) بالطبع أنا لا أعرفه.. لكن كيف يمكن لشخص أن يخفي هذا الشر مدَّة طويلة؟ كيف لم يلحظ "أليساندرو" أي شيء مطلقًا؟

"أوليفيا":

- ربما كان يعلم.. لكنه لم يخبر أحدًا.

"ديبورا":

- نشأ ابني مع "زاك". أصبحا صديقين منذ طفولتهما. كنت أعرف "زاك" جيدًا. لم يكن هكذا.

"فانيا" (بصوت عالٍ):

- وكيف تفسرين كل هذه الوحشية؟ هل.. هل رأيت ما اقترحه على "نويل"؟!

“ديبورا”:

- لا أستطيع التفسير.

“ديانا”:

- كان “زاك” محاصرًا واتهمه الجميع بما فيهم أفضل صديق له. (وقفة) كل هذا العنف المتفشي هو طريقته للدفاع عن نفسه؛ يهاجم ويعذب ويقتل، خائفًا مما قد يحدث إذا لم يبدِ رد فعل.

“فانيا”:

- لقد تسبب في موت ابنتي، واقترح على “نويل” أن يمارس معها الجنس! هذا ليس دفاعًا! (تنهدات) إنها وحشية!

“ديانا”:

- لا أحاول تبرير أي شيء. (وقفة) كانوا جميعًا في حالة سكر، وتحت تأثير المخدرات، وعنيفين.. شعر “زاك” بالتهديد، وواجهه الجميع بأسئلة وشكوك.. وبدلًا من التراجع، هاجم. لا يبدو وكأنه جنون، بل هو أقرب إلى الخوف. الخوف من تلقي صدمة أخرى، مثل صدمة الأسبوع الماضي الخاصة بحادث والديه.

“ريبيكا”:

- مرة أخرى يكون ذلك الحادث القذر بمنزلة دافع إلى ارتكاب فظائعه.. (بصوت مرتفع) وفاة والديه لا يمكن أن تبرر هذا العنف! إنه لأمر سخيف!

“ديانا”:

- لم يذكر “أليساندرو” مطلقًا أن “زاك” حمل المسدس وسلمه إلى “ريتينيا” عن قصد. على العكس، قال إنه صُدِم عندما سمع صوت إطلاق النار.. (وقفة) من المحتمل أنها ماتت عن طريق المصادفة. لا يمكننا تأكيد شيء.

“فانيا”:

- أيتها الشرطية، إذا كنت تعتقدين أننا أغبياء، فلماذا لا تقولين ذلك فحسب؟ (وقفة) لقد أطلق “زاك” النار على “أوتو” عمدًا فور كشفه بعض الحقائق. ثم مات “دانيلو”. كما قالت ابنتي، هو فقط من كان عليه إطلاق النار في تلك اللحظة. وبعد ذلك، بعد كل ما قالته في وجه “زاك”، ماتت ابنتي عندما ضغطتْ على الزناد بعدما وضع ذلك الملعون المسدس في يدها. (وقفة) ماذا تريدين بعد؟

“ديانا”:

- قلتُ للتو إننا لسنا متأكدين.

“فانيا”:

- يكفي ربط الحقائق ببعضها!

“ديبورا”:

- لا أريد سماع المزيد. (وقفة) هل يمكنني الذهاب؟

“ديانا”:

- “ديبورا”، من فضلك انتظري.

“ديبورا”:

- رأيتُ “زاك” وهو يكبر أمام عينيَّ، أيتها الشرطية. ضممته في حضني، وضعته في سريره لينام.. يستحيل أنني كنت عمياء لهذه الدرجة. (وقفة) إنهنَّ على حق.. لقد اعتدى على أولادنا. “زاك” هو من يتحمل ذنب موتهم. لكنني لا أستطيع! (وقفة) لا أستطيع سماع هذه الأشياء، وأفكر في أنها قد تكون حقيقية! وأنني عشت مع مثل هذا الشخص مدَّة طويلة! وأن ابني كان صديقًا لشخص فاحش وفاسد! (بكاء) لا.. لا أريد أن أظل هنا حتى ينتهي هذا الكتاب.. عندما يُطلق “زاك” النار على ابني.. اللعنة، لقد كانا أفضل صديقين.

“ديانا”:

- “ديبورا”.. (وقفة) لا يمكننا إجبارك على البقاء هنا. هذه جلسة غير رسمية، ليست إجبارية. (وقفة) ومع ذلك، أطلب منك أن تفكري جيدًا قبل أن تذهبي. بصفتك والدة “أليساندرو”، وجودك هو المفتاح المحتمل للغز. كنت تعرفين “زاك” أفضل منَّا جميعًا. وكنتِ صديقة رائعة للزوجين “فاسكونسيلوس”.

“ديبورا”:

- ما علاقة “ماريا كلارا” و”جيتوليو” بالأمر؟!

(صمت - أربع ثوانٍ)

“ديانا”:

- لقد كان مجرد تعليق. (وقفة) أحاول أن أظهر مدى أهمية حضورك في هذا الاجتماع. كنتِ صديقة مقربة لمعظم المتورطين في هذا الحادث. يمكنك ملاحظة أي تفاصيل قد لا نلتفت نحن إليها.

“ديبورا”:

- أنتنَّ تردن أن تفهمن كيف انتهى الأمر، أليس كذلك؟ أليس هذا سبب وجودنا هنا؟ (وقفة) حسنًا، انتبهي أيتها الشرطية. لا أعرف “زاك” الذي يفعل كل هذه الأشياء! ولا حتى “أليساندرو”! ابني! لا يهم عدد السنوات التي عشتها معهما.. إنني لا أعرفهما. لم يكن ابني ليتصرف بشكل سلبي أمام ما فعله “زاك”. لكنه تركه يطلق النار على “أوتو”.. (وقفة) أنا لا أعرفه! لا أستطيع أن أقول أي شيء عن أي منهما.. وجودي هنا لا فائدة منه.

“ديانا”:

- لكن...

“ديبورا”:

- دعيني أنهي كلامي، أيتها الشرطية. (وقفة) هل تعلمين ماذا سيحدث في النهاية؟ لن نكتشف أي شيء! أي شيء على الإطلاق! لقد قضينا مساء اليوم اللعين هنا، نشاهد أولادنا يموتون واحدًا تلو الآخر، بلا فائدة.. (بكاء) أنتن تبحثن عن دافع منطقي لذلك الأمر. أنتنَّ تردن أن تفهمن سبب العثور على الجثث في تلك الحالة.. ولكن لا يوجد سبب. لا يوجد دافع منطقي. لا يوجد دافع عقلاني أو إنساني حيال ذلك. وأنا لا أتحدث فقط عن “زاك”. أنا أتحدث عن ابني أيضًا. وأولادكنَّ جميعًا.

“أوليفيا”:

- رائع! (ضحكة صفراء) لقد كان خطابًا جميلًا، يا “ديبورا”.

“ديبورا”:

- لا تضايقيني.

“أوليفيا”:

- لماذا هذا التغير المفاجئ؟ هل أزعجك شيء في كتاب كلبك الصغير؟ (وقفة) ربما لأن “زاك” تحدث عن والدك.. أو لأنه وصفك بالزوجة المخدوعة.. كما قال بنفسه؟ المخدوعة المحبطة.

“ديبورا”:

- أيتها الوقحة، لا أسمح لكِ بالثرثرة.

“أوليفيا”:

- لا داعي إلى الإساءة، يا عزيزتي. (وقفة) أعتقد أنه من المهم توضيح هذه النقاط عن ماضيكِ فقط.. أخيرًا، إن "زاك" هو من قالها، ولستُ أنا.

"سونيا":

- "أوليفيا"، يبدو أنك تحبين افتعال المشكلات!

"أوليفيا": - أنا...

"ديانا":

- "ديبورا"، لا داعي للرد. (وقفة) لا نعتقد أن لهذه الحقائق أي علاقة.

"ديبورا":

- كان والدي متوحشًا. (بنبرة بكاء) كان رجلًا عسكريًّا صارمًا وعنيفًا. كان يضرب والدتي، ويضربني. وبعد أن تزوجتُ وأنجبتُ "أليساندرو"، ضربه أيضًا. لم يستطع أحد منعه. عمل والدي بالسياسة في الثمانينيات وأصبح نائب دولة.. للأسف كانت لديه حصانة، لم ينجح القانون معه. (وقفة) مات عندما كان "أليساندرو" في الثانية عشرة من عمره، إثر نوبة قلبية في أثناء الإفطار.. (بصوت باكٍ قليلًا) كان ذلك أسعد يوم في حياتي. لقد كان أقسى شخص في حياتي على الإطلاق، ولم تغيره الشيخوخة. والدي. (وقفة) أصيبت والدتي بالجنون بعد ذلك بوقت قصير، كانت تحلم بأنه سيعود خلال الليل ليعنِّفها. كان لا بدَّ من إدخالها دارًا لرعاية المسنين. (وقفة) تزوجتُ أيضًا من وغد تركني من أجل سمكة البيرانا الأصغر سنًّا تلك. (وقفة) بالتأكيد لم تكن لديَّ حياة رائعة.. لكنني لم أشكُ. (وقفة) كنتُ راضيةً، يا "أوليفيا".

(صمت - ثلاث ثوانٍ)

"ديانا":

-"ديبورا"، أنتِ غير مضطرة...

"ديبورا":

- قلت ذلك لأنني أردت أن أحكيه. لإزالة نظرة الاحتقار التي تنظرن بها جميعًا إليَّ.

"أوليفيا":

- أنا لا أنظر إليكِ بأي احتقار. (بصوت مرتبك) إنه فقط...

"ديبورا":

- ليست هناك حاجة إلى التبرير يا "أوليفيا". (بصوت قاسٍ) لقد قلتِ كل شيء بالفعل. كان والدي عنيفًا، وأصيبت والدتي بالجنون، وكان زوجي وغدًا، وكاد السرطان يقتلني وكان ابني انتحاريًّا. يبدو أنها مصائب كثيرة لشخص واحد، أليس كذلك؟ (صمت - ثلاث ثوانٍ) لكنني هنا. أقل حزنًا منكنَّ. أقل بكثير.

"ديانا":

- من فضلك، دعينا لا ندخل في نقاش آخر.

"أوليفيا":

- لم أقصد أن أكون وقحة. ظننت فقط.. (وقفة) أن "أليساندرو" صدم تمامًا عندما قال "زاك" ذلك أمام الجميع. اعتقدت أنها قد تكون ذات صلة أو... (وقفة) أعتذر إذا كنتُ قد أسأتُ إليكِ.

"ديبورا":

- أنت لم تسيئي إليَّ يا "أوليفيا". اهدئي. لا تقلقي بشأني إنها مجرد... (وقفة) كل ما حدث لا يصدقه عقل. أنا أجلس هنا، أستمع وأرى "زاك" تقريبًا وهو يقتل هؤلاء الشباب ويسيء إلى عائلتي. يكفي هذا. لقد تعبت.

(صرير كراسي) (خطوات مضطربة)

"ديانا":

انتظري، يا "ديبورا"، من فضلك. أعيدي التفكير في كل شيء ناقشناه. المغادرة الآن ليست في مصلحة هذا الاجتماع.

"ديبورا":

- من المحتمل أن يفشل هذا الاجتماع. أنتِ شرطية وتعرفين ذلك.

"ديانا":

- "ديبورا"، سيدة مثلك مرت بكل ما مررت به في حياتك لا يمكن أن تنسحب هكذا! إذا بدأنا بالفعل التفكير في الفشل، فلن نحقق أي شيء، ألا تعتقدين ذلك؟

"أوليفيا":

- هذه نظريات تنمية بشرية رخيصة.

"ديانا":

- لا تتعجلي.

“ديبورا”:

- أشعر بالغثيان، أيتها الشرطية. رأسي تؤلمني. أحتاج إلى قليل من... (خطوات) استمري من دوني. سأعود.

“ديانا”:

- من الضروري حضور الجميع حتى...

“ديبورا”:

- ماذا بحق الجحيم! ألا يحق لي ألا أسمع أن الفتى مارس الجنس مع فتاة ميتة؟! (بصوت عالٍ) لا أريد أن أكون هنا لهذا السبب!

(أصوات غاضبة)

“ديانا”:

- أرجوكِ كوني هادئة!

“فانيا”:

- سأخرج أيضًا.

“أوليفيا”:

- اخرجي أنتِ! إذا كنت لا تريدين الاستماع، اخرجي! (وقفة) لقد قالت الشرطية بنفسها إنها جلسة غير رسمية. ابقي في الخارج وانتظري مع “ديبورا” استريحا في الممر.. لا يهمني! سأجلس هنا. أريد أن أسمع كل التفاصيل.

(خطوات مضطربة) (صرير الكراسي)

“ديبورا”:

- أنت سادية!

“أوليفيا”:

- لا يهم. أنا سادية. (وقفة) والسادية تريد أن تسمع الفصل التالي.

“روزا”:

- لا أعتقد...

“أوليفيا”:

- لا تكونا سخيفتين! لقد سمعت “روزا” أن “أوتو” تعرض للتعذيب والقتل. ولم تهرب “سونيا” عندما روى “أليساندرو” وفاة ابنها. لماذا نتخطى فصلًا الآن؟ فقط لأن الضحية فتاة؟ (وقفة).. ليس غريبًا أنهم يعتبروننا أقل شأنًا.

“روزا”:

- أتفق مع “أوليفيا”.

“فانيا”:

- لقد سئمت من كل هذا. إلى اللقاء! (خطوات سريعة) عندما يتحسن الوضع قليلًا، اتصلِي بي، سأنتظر في القاعة المجاورة.

(صوت غلق الباب)

“ديبورا”:

- سأذهب أيضًا. أنا في حاجة إلى بعض الهواء.

“ديانا”:

- إذًا.. عندما ننهي هذا الجزء، سأتصل بكما أنتما الاثنتين.

“سونيا”:

- أتفَّهم موقف “أوليفيا” حقًّا. كنت أريد أن أستمع، أقصد... (وقفة) ولكن لأن لديَّ خيار.. أفضل أيضًا المغادرة.

(خطوات) (صوت غلق الباب)

“ديانا”:

- هل ستبقين أنتن الأربعة؟

(صمت - ثمان ثوانٍ) (حفيف الأوراق)

“ديانا”:

- حسنًا إذن. لننتقل إلى الفصل السابع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

24

من مذكرات “أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو”

قضية منزل “سيريل”، رقم 15634-0506-08

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: «جوزيه بيريرا أكينو»، قسم ١٢ للأحوال المدنية بـ»كوباكابانا».

الخميس الموافق 12 يونيو 2008

“ليس للحب نهاية”.

هذه الحقيقة مكتوبة على مصدِّ الشاحنات في جميع أنحاء البرازيل. لم أكن رومانسيًّا على الإطلاق. ربما بسبب الوحدة التي تجري في عروقي، فقد ورثتها عن أسلاف والدي. ربما لأنني في الحقيقة لم أحب أحدًا أبدًا. أعني، أنا أحب أمي، جدتي.. لكنه حب بالفطرة، أليس كذلك؟

الحب المقصود هنا يرتبط بشيء جسدي، ومادي. وهذا الحب، المشحون بالرغبة الجنسية. شعرتُ به مرة واحدة فقط. لا أستطيع أن أقول حقًّا إنني كنت أحب، لكنه كان أمرًا مختلفًا. فهو حب المراهقة، فقد تسبب في أني سهرتُ بضع ليال وتملكني الخوف من هذا الحب القادم.

كنت في الثالثة عشر من عمري، وكانت هي في الخامسة عشر. كانت عيناها الخضراء تجذب المراهقين في الثامنة عشر. لم تفكِّر حتى في النظر إليَّ. كنت بالنسبة إليها مجرد صبي. لا أعتقد أنها عرفت من قبل أنني أحببتها. تواعدنا مدة سنتين كاملتين رائعتين، كل ثلاثاء وخميس، في حجرة صغيرة خلال دورة اللغة الإنجليزية. كانت تجلس في الأمام، بالقرب من المعلم، وكانت تجيب عن جميع الأسئلة بحماس، مع تحريك خصلات شعرها الأشقر. كنت أجلس منسيًّا في آخر الصف وسط الطلاب الأكبر سنًّا.

اليوم، عندما قرأت العبارة على النافذة الخلفية لسيارة “أوبل كورسا” حمراء، تذكرت هذه القصة بأكملها. خُزِّنت بصورة دائمة في مكان ما في الذاكرة، في انتظار استرجاعها في ثانية، عادت الأفكار والأحاسيس في ذلك الوقت: العاطفة السرية، المخبأة خلف الصمت مدَّة طويلة. المكالمات الغرامية ليلًا؛ الكلمات السخيفة التي قلتها وندمت عليها بعد مدَّة وجيزة. كان بإمكاني أن أقسم إن هذه المشاعر قد انتهت. انتهت دورة اللغة الإنجليزية، ولم أرها منذ أكثر من ثلاث سنوات. لم أعد أشعر بالجاذبية التي كانت تجذبني نحوها من قبل: لقد فقدت هالة المثالية التي تخيلتها تمامًا. ولكن مع ذلك، عندما قرأت

الجملة عن الحب، كانت هي التي تتبادر إلى ذهني، واثقًا أنها إذا اتصلت بي، فسوف أركض خلفها مثل الأبله. على الأقل مدَّة طويلة.

ربما كنت سأمشي وراء حب المراهقة لولا خوفي من التأخر عن محاضرة علم الاجتماع القانوني. كان عليَّ تقديم بحث عن "فوكو". كانت الشمس حامية، وكان الناس يدخلون الجامعة مرتدين نظارات شمسية. مشيت وعيني مغمضة تقريبًا، وغير مرتاح بسبب الضوء الذي يغزو نظارتي.

هكذا رأيت سيارة "أوبل كورسا" الحمراء تدخل موقف سيارات جامعة ريو دي جانيرو.. معلق على السقف مكبر صوت. وبالونات ملونة كانت مربوطة بزجاج النافذة، تصطدم ببعضها بعضًا. ثم رأيت الملصق ملتصقًا بالنافذة الخلفية، مع قلبين في نهاية الجملة. كنت أريد مشاهدة العرض في موقف السيارات، ربما كانت هناك موسيقى صاخبة وتعارف وعناق وسجادة حمراء. لكن لم يكن هناك وقت. صعدت السلم ووصلت إلى المصعد.

بدأت أغنية "عيد ميلاد سعيد! في هذا اليوم الغالي!"، واخترقت الجدران واجتاحت أذني. "الكثير من السعادة! أتمنى لك سنوات عدَّة!"، انتهت الأغنية التي كانت تصدر من السماعات بصوتٍ عالٍ. بالرغم من أنني كنت في الطابق السابع - حيث كانت محاضرتي قد بدأت بالفعل - فهذه الضوضاء الاحتفالية أزعجتنا. فُتح باب المصعد، لكنني لم أستطع الخروج منه. غادر الطلاب مسرعين نحو البوابة. سألتُ "زاك" وأنا أشده من ذراعه: - ما هذا؟

بدا مضطربًا ولم يتوقف. استمر في المشي واضطررت إلى أن أتبعه.

- هل غاب "سيزر"؟

كان عدم حضور محاضرة في جامعة حكومية بريو دي جانيرو يعد شيئًا شائعًا جدًّا. قال دون أن يلتفت إليَّ: - تعالَ يا "أليس"! ألم تسمع الموسيقى؟ ماذا عن الأغاني؟

همس وهو يتابع مثل الطفل الذي يركض وراء الطائرة الورقية: - سترى.

عدنا إلى موقف سيارات الكلية حيث تشكلتْ دائرة صغيرة من الناس حول السيارة الحمراء. كان السائق رجلًا سمينًا وأصلع، وبدا منزعجًا وهو يفرش سجادة حمراء مصنوعة يدويًّا، على الأرض القذرة. بعد ذلك انتظر حتى تنتهي أغنية المطربة "شوشا"، وأخذ الميكروفون وورقة صغيرة من تابلوه السيارة.

قرأ أمام الميكروفون:

- تهانينا، تهانينا! اليوم هو عيد ميلادك، يا "ريتينيا"! أحمل لك بكل المشاعر رسالة ود وحب ومودة..

للحظة، شعرت بالدوار. ثم غزتني سلسلة من الأفكار المتفرقة. صوت الرجل الأصلع الرتيب: "اليوم هو عيد ميلادك، يا "ريتينيا"!".

قال "نويل" في حفلة الموسيقى الإلكترونية يوم السبت الماضي: "يوم الخميس هو عيد ميلاد "ريتينيا".. أنا معجب بها. وأريد أن أجهز لها مفاجأة".

شعرتُ بالرغبة في الضحك، القهقهة كما لم يحدث من قبل. لقد استأجر "نويل" تلك الخدمة للرسائل المتنقلة بواسطة أفراد، ليعلن لـ"ريتينيا" حبه لها! كان شيئًا مثيرًا للسخرية والضحك في الوقت نفسه! لكنني تمالكت نفسي. لم يهتم "زاك"، بل أخذ يضحك بصوت عالٍ وكان الرجل الأصلع يقرأ النص الضحل.

- وهذه الفتاة أصبحت امرأة رائعة الجمال. امرأة جميلة ومتحمسة تسعد كل من حولها. "ريتا أنطونيس بيكسوتو"، أو "ريتينيا" التي أتمت العشرين من عمرها اليوم، تستحق الكثير من التصفيق!

وضع الميكروفون تحت ذراعه وبدأ يصفق، في انتظار أن نصفق معه. بحثتُ عن وجه "ريتينيا" بين الناس. في هذه الأوقات، يكون تعبير صاحب عيد الميلاد لا يقدر بثمن: مزيج من الخجل والسعادة والخوف. لكنها لم تكن بالقرب من السيارة، ولا عند بوابة المدخل. بينما كنت أبحث عنها، وجدت "نويل". وقف عند آخر السلم، يُتابع ردود أفعال الناس، دون أن يبدو قلقًا. بدا وكأنه يتذوق كل كلمة قالها الرجل الأصلع، وهو يومئ بشكل غريزي.

- ثم تعرفنا أنا و"ريتينيا"، استمتعي! اليوم هو ملكك! قبلة كبيرة!

وأكمل الرجل دون حماس:

- الآن معنا صديقة عاشقة تريد أن تقول بعض الكلمات.

ظهرت "ريتينيا" وسط الحشد. كان وجهها محمرًا مثل لون شعرها، لم تكن سعيدة أو شاكرة، بل غاضبة. كانت ترتدي بنطال جينز ضيق وبلوزة صفراء بسيطة دون زخرفة. كان من الممكن أن تمر دون أن يلاحظها أحد في ذلك الوقت لولا ذكر اسمها في الميكروفون داخل الجامعة بأكملها.

أنهى الرجل الأصلع كلامه:

- "نويل"، دورك الآن لتتحدث في الميكروفون!

اقترب نويل من السيارة الـ"كورسا"، وانكمش جسده، وتاهت عيناه أمام جمال "ريتينيا": - حسنًا.

بدأ باختبار صوت الميكروفون قائلًا:

- أنا لا أعرف ماذا أقول.. أنا فقط...

هزت "ريتينيا" رأسها ببطء، وأغمضت عينيها. كانت لمسة واحدة كافية لتنفجر.

قال "نويل"، والميكروفون يرتجف بين يديه:

- اليوم هو عيد ميلادك.. وأنا أحبك بشدة! بشدة، بشدة! أردت فقط أن أوضح لك هذا.. أنت غايتي. وأنتِ كل شيء بالنسبة إليَّ.

كان "نويل" متأثرًا. عيناه مليئة بالدموع. كان عدد الأشخاص في تزايد، حاملين حقائب ظهر، على استعداد للتأخر عن حضور المحاضرات لمشاهدة العرض.

- كان هذا هو الشيء الوحيد الذي استطعت فعله.. أعرف أنك تخجلين. لكنني لا أشعر بأي خجل.. أحبك يا "ريتينيا". ويمكنك أن تراهني على أنه لا يوجد من يحبك مثلي.

أنهى "نويل" كلامه بتنهيدة. أعرف حال الرجال عندما يقعون في الحب؛ يصبحون ضعفاء، وحمقى.

أخذ "نويل" نفسًا عميقًا، وتشجع قائلًا:

- في الواقع.. أردت أن أطرح سؤالاً. واحدًا فقط.

صاح الحشد الصغير متعجبين من هذا الحب، ومتوقعين الطلب.

- "ريتينيا".. هل توافقين على الارتباط بي؟

كان ذلك بمنزلة الفتيل. هزت رأسها مرة أخرى. يبدو أنها كانت تتجاهل الجميع، من الفتيات الصغيرات المبتهجات إلى الرجال الكبار الذين انفجروا ضاحكين.

سارت بسرعة نحو "نويل" وأمسكته بقوة من ذراعه. سألته بحدة: - هل أنت مجنون يا "نويل"؟

تكلمت بنبرة منخفضة، لكن الميكروفون التقطها وأذاعها في السماعات.

- أطفئ هذا الهراء!

أخذت "ريتينيا" الميكروفون من يديه الخاملتين وأوقفت تشغيله. كان يجب عليَّ أن أقترب لسماع بقية المناقشة.

- هذه ليست الطريقة المناسبة التي تعبر بها عن حبك. هل لديك فكرة عن الموقف المحرج الذي تسببت فيه؟!

- لكن يا "ريتينيا"...

بدأ يحاول أن يجادلها.

- أنا أحبك. أنا أحبك حقًّا.. أردت أن أقدم لكِ شيئًا في عيد ميلادك.

لقد حاول أن يداعب ذراعيها وهو يتحدث، لكن "ريتينيا" كانت تبتعد.

- كل هذا خطأ يا "نويل". لا فائدة.. أنا لا أحبك.. و... أنا مرتبطة بشخص آخر.

سألها، وهو يختنق، وتنبعث الكراهية من عينيه:

- "زاك"؟

- لا.. ليس "زاك".. وهذا الأمر لا يعنيك!

- رأيت أنكما اختفيتما في الأسبوع الماضي، بمنزله. وكنَّا نُعِدُّ البحث..

- لا تكن سخيفًا، يا "نويل". لا يمكنك التحكم في حياتي بهذه الطريقة. لن تنال أي شيء مني بهذه الطريقة!

تمتم "نويل" وكأنه يهاجمها:

- أعلم أنك تحبينه! لمجرد أنه غني، وقوي.. لكنه لا يحبك يا "ريتينيا".. "زاك" لا يحبك مثلما أحبك أنا.

- وأنا لا أحبك كما تحبني يا "نويل". افهم ذلك! ابعد السيارة من هنا. إذا كنت تريدني أن أواصل معاملتك جيدًا، مثل صديق، انهِ الأمر! سنعيش بشكل طبيعي، هل هذا ممكن؟

انهار في البكاء قائلًا:

- لا أستطيع.

للحظة، شعرتُ بالأسف. ولكن بعد ذلك، وجدته يؤدِّي حركة مهينة: ركع أمامها، وثبَّت عينيه على عينها، وشبك يديه، كما لو كان يستجدي إلهًا.

- أعطيني فرصة يا "ريتينيا"، فرصة واحدة لإظهار حبي لك. إذا نجحت، سيكون شيئًا رائعًا.. وإذا لم أنجح.. نكون قد حاولنا على الأقل.

- مستحيل يا "نويل". قِف. الناس ينظرون إلينا!

غمغم قائلًا:

- لا يهمني الناس. أعطيني فرصة.. قبلة واحدة. ليس أكثر. قبلة.. لا يمكن أن تكوني بهذه القسوة، هل يمكن أن تكوني هكذا؟

قالت متهكمة:

- أكثر مما تتخيل يا "نويل".

ولوَّحتْ "ريتينيا" بذراعيها بشدة، هربًا من المشهد المثير للشفقة. ألقت بشعرها الأحمر إلى الوراء، وأدارت ظهرها له، وسارت باتجاه بوابة الجامعة. وصاح الرجل الأصلع وهو يصفق بيديه ليذهل الجمهور: - انتهت الحفلة!

ثم التقط السجادة الحمراء، ورماها بشكل عشوائي من النافذة الخلفية. وأسرع إلى الـ"كورسا" وأدار مفتاح التشغيل.

قال "نويل" وهو يطرق على الزجاج الأمامي:

- انتظر دقيقة. سأعود حالًا.

حاول الوصول إلى "ريتينيا". كانت بالفعل تصعد الدرج إلى المصعد. في لفتة غير مفهومة، لف "نويل" ذراعيه حولها من الخلف، وشل حركتها. وقال بنبرة رجاء: - لا تهربي مني هكذا.

اقترب "نويل" من وجهها. فخفضت "ريتينيا" رأسها، في محاولة للهروب منه وهو يقبِّل خدها، لكنها لم تستطع. وتردد صدى الصرخة قبالة سلالم الجامعة.

- اتركني!

نفذ "نويل" الأمر. فأي محاولة أخرى له سينتهي احتفاله هذا في مركز الشرطة.

- أنا آسف، أنا...

صاحت:

- أنت قذر، يا "نويل"!

احتشدت الناس في الجامعة يتابعون هذه الدراما.

- أردت فقط...

- أنت أحمق! تبًّا لك! هل تعتقد حقًّا أن أي إنسان طبيعي قد يرغب في أن تذيع سيارة اسمه للكلية كلها في عيد ميلاده؟

- آسف.. أردت فقط إرضاءك.

كان على وشك البكاء.

- أردت فقط أن أغتنم الفرصة.

- أبدًا! هل سمعت؟ لن أكون معك أبدًا! لن أقبِّلك أبدًا أبدًا! على جثتي! على جثتي!

- لا تقولي هذا.

صعدتْ إلى الطوابق العليا، وقالت:

- في اليوم الذي أقرر فيه إعطاءك فرصة، يمكنك عندها أن تجدني في مستشفى للأمراض العقلية، لأنني سأكون مجنونة. مجنونة! لا أستطيع أن أنظر إلى وجهك أكثر من ذلك. ولا تفكر في أن تلاحقني.

بقي "نويل" ثابتًا، يراقب ملهمته وهي تختفي من أمامه. لم يأتِ أحد ليواسيه. تلاشت الهمسات وقل الحشد تدريجيًّا. انحنى "زاك" تجاهي، يضحك بشدة. وصرخ قائلًا: - كان هذا ألطف شيء رأيته على الإطلاق!

ولم يبالِ بأن "نويل" سمعه. جذبته من ذراعه نحو المخرج. إذا أراد الضحك بصوت عالٍ، على الأقل ليس أمام "نويل". قلت، محاولًا أن أجعله يتوقف عن الضحك: - يعتقد "نويل" أنك المسؤول.

- ماذا؟

- ألم تسمع؟ يعتقد أن "ريتينيا" لا تريد أن ترتبط به لأنها في علاقة معك.

- أنا لست في علاقة مع "ريتينيا".

- سواء كنت أنت أم لا، لا يهم. المشكلة هي أنه يظن أن ذلك بسببك.

- ثم...

- ثم إنه يحبها، إنه مجنون. الرجل الذي يفعل ما فعله مجنون حقيقي.

فقال بين الضحكات:

- الرجل الذي يفعل ذلك هو إنسان خفيف الظل. يتمتع بالكثير من روح الدعابة!

- أنا لا أمزح يا "زاك". كن حذرًا. إنه مهووس بها. وأنت عقبة تعترض طريقه. يمكن أن يحاول "نويل" فعل شيء ما ضدك.. لإخراجك من الأمر.

- قل يا "أليس"! ماذا في رأيك يمكن أن يفعله هذا الأحمق ضدي؟

- أنا لا أعرف، ولكن.. من الأفضل أن تكون حذرًا.

أنهى المناقشة وقال:

- ممكن.

كانت الشمس حامية. ذهب "نويل" للتحدث مع سائق الـ"كورسا". وتحدثا مدة تقل عن خمس دقائق. بعد ذلك غادر التعيس محني الرأس.

شاهدتُ السيارة وهي تسير وتختفي معها جملة: “ليس للحب نهاية”. للوهلة الأولى، بدا لي أنه شيء رومانسي للغاية. ولكن، بعد التفكير، توصلت إلى أنه يمكن لهذه الكلمات البسيطة أن تعكس معاني مختلفة. يمكن أن تكون نهاية قصة الحب سادية ومأساوية ومَرَضية وحتى مضحكة.

في ذلك اليوم، كانت مضحكة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

25

الفصل السابع:

تردَّد "نويل". أدار رأسه وهو يبكي. كان الاقتراح سخيفًا وغير إنساني. ابتعد عنها قليلًا. انحنى، صمتَ وتوقف عن الاتهامات ضد "زاك". وجود "ريتينيا" بين ذراعيه جعله يبدو ثملًا. ثم تمتم وصوته يختنق: - لا أستطيع.

سند "نويل" ظهره إلى الحائط. ظلَّ هكذا بعض الوقت، كما لو كان ينتظر أن توقظه الشمس من كابوس الفجر. وأخذ يبكي حتى احمرَّتْ عيناه المملوءتان بالدموع وكانتا تجوب المكان، وتنظران بين الحين والآخر إلى ثدي "ريتينيا" الذي ظل مكشوفًا.

تابع "زاك"، ملاحظًا مظهر "نويل" الضائع:

- أعلم أنك تعشقها، أنت تريد هذا يا رجل.. ميِّتة أم حيَّة. لا فرق. إنها فتاة أحلامك.

بدا كأنه يتلذذ بكلمات "زاك". ضم شفتيه. فكَّر بأقصى سرعة، مرت رجفة غير متوقعة عبر جسده لإمكانية ممارسة الجنس مع المرأة التي يحبها.

حينئذ قرر "نويل". انحنى نحو الجسد، كان على وشك أن يسقط. وهو يسحب رجليه. وتوقف على بُعد أقل من متر من الجسد الغارق في الدم. ساد الصمت في القبو. كشف الضوء الخافت عن "نويل" الفظ، الأناني، وشعره غير المهندم، رأسه متدلٍّ. وجسد "ريتينيا" يتمدد أمامه، عائمًا في بركة من الدم، وثدياها مرفوعان، بطريقة مغرية.

شجعه "زاك":

- هيا يا "نويل"! ليس لدينا مزيد من الوقت!

همس "نويل" مرة أخرى، دون أن يتحرك وهو مفتون أمام جثة حبيبته: - لا أستطيع.

نهض "زاك" مسرعًا:

- تبًّا!

غضب من "نويل"، ودفعه بقوة إلى الجانب. واقترب من الجسد الدموي وركع، ولم يهتم بتلطيخ شورته. وأخذ يشرح: - الأمر ليس صعبًا يا "نويل"!

ووضع يديه على ثديي “ريتينيا”. داعبهما بفظاظة، ولمس الحلمتين وضغط عليهما.

- مع هذا الثدي الكبير يا “نويل”، لن يكون الأمر صعبًا على الإطلاق.

هز “نويل” ساقيه ودفع “زاك”:

- دعها! اترك “ريتينيا”!

فقد صديقي توازنه. وسقط جسمه الضخم في بركة الدم، وانتشر الدم في كل مكان.

صاح “نويل” وهو يلهث:

- إنها لا تستحق هذا. لا تلمسها بإصبعك الفاسد بعد الآن، أيها الوغد!

يمكنني أن أراهن أن “زاك” سيلكم “نويل” في وجهه. لكن لا. ظلَّ مستلقيًا هناك، يراقبه، وانفجر ضاحكًا بعد ذلك، يصفق بيديه بسخرية. وكرر “زاك” مستهزئًا: - “إنها لا تستحق هذا”. كم أنت ظريف! يا رومانسي.. أنت أحمق! لقد أهانتك هذه الوقحة طوال الوقت.. أتعبتك، جعلت منك أضحوكة. لقد أهانتك أمام الكلية بأكملها.. لقد كنت لعبتها الصغيرة، تبًّا! الآن حان دورك لتحصل على ذلك الحب الذي تستحق. يمكنها أن تكون لعبتك.

ظل “نويل” واقفًا بلامبالاة، محاولًا النطق بإجابة. تراجع عندما نهض “زاك” خائفًا من تعرضه للضرب. اتجه “زاك” إلى الطرف الآخر من القبو، حيث يوجد كيس به الزجاجات. أخذ زجاجة “الفودكا” - المفتوحة بالفعل - وشرب رشفة.

- هيا “نويل”! إنها لك! كلها ملكك!

قال “نويل” مسرعًا:

- لا أريد.

لكن نظرته كشفت عدم صدقه. كانت أصابعه الشاحبة تلتوي بشدة من التوتر.

ضحك “زاك” ضحكًا هستيريًّا وقال متحديًا:

- لا تريد ذلك؟ لكن واضح أنك تريد! إنه واضح على وجهك. مكتوب بأحرف كبيرة. أنك تريد!

انضمتْ “فاليريا” أخيرًا إلى المناقشة وسألتْ:

- لماذا لا تتوقف عن هذا يا "زاك"؟ أنا لا أعرف ماذا تريد من كل هذا.. لم أكن أعرف "ريتينيا" جيدًا.. ولكن لا أريد أن أرى أي شخص هنا يمارس الجنس مع جثة! إذا كنت ترغب في رؤية أشياء من هذا القبيل، فلماذا لم تستأجر عاهرة محترفة قبل مجيئك إلى هنا؟

أوضح "زاك" وهو يتألم من لكمة "نويل":

- أنتِ لا تعرفين ماذا فعلت به هذه الوقحة. لم أقضِ السنة كلها في الاستماع لهذا الرجل التعيس وهو يندب حظه لكي يضيِّع فرصته الكبيرة الآن. الوحيدة.. الأخيرة.

- أنا...

قال "لوكاس" وهو يجلس في مكانٍ من القبو لا يزال خاليًا من الدم: - دعنا نواصل لعبة "الروليت الروسي" حالًا. لا يهمني من سيضاجع من. لكن دعونا نقرر حالًا! سرعان ما سيحل النهار.

وافقته "جواو"، كانت لديها الفرصة لتمنع اغتصاب امرأة ميتة. لكن بدلًا من ذلك، رفَّهت عن نفسها بلف سيجارة "الماكونيا". أصر "زاك" وشرب رشفة أخرى من الفودكا: - هيا يا "نويل".. حاول فقط.. لن يوقفك أحد، لن يوبخك أحد. إنها الجنة يا رجل. لا عواقب. إذا لم تعجبك، فتوقف. لكنني أعلم أنك لن تتوقف.

لم يندهش "نويل"، وظهرت ابتسامة على طرف شفتيه. تغلغل الإغراء في عقله المشوش، والخجل الذي كان يمنعه من الاستمرار قد تبخر مع العرق. ضبط نظارته على أنفه الصغير. اقترب "زاك" مرة أخرى من جسد "ريتينيا"، وكانت عيناه تتفحصان بطنها الرقيقة وكأنه يتأمل تمثالاً من الخزف. قرَّب وجهه من الثديين المتيبسين، وشفتاه تلامس حلمتيهما المثيرتين.

سأل "زاك" وقد أدار وجهه إلى "نويل" وهو منزعج:

- هل ستكتفي بالمشاهدة؟

أعترف أنني كنت متحمسًا. لكن رأسي الذي يوشك أن ينفجر لم يعد يتحمل استمرار هذا المشهد ثانية واحدة، ولم يكن بإمكاني رؤية السيقان المكسوة بالجينز، والبطن العاري بلون الحليب، الذي يتخلله بعض الوشم الداكن. والسرة التي بها قطعة معدنية تزينها.

- حسنًا!

توقف "زاك" وقال:

- ماذا قلت؟

لم يجد "نويل" ما يقوله:

- ابتعد.. أنا سوف... أنت تعرف.

- حسنًا!

سارع "زاك" بعيدًا، فخورًا بفوزه.

كادت "فاليريا" تدخل في المناقشة مرة أخرى، لكنها وقفت هناك تنتظر الخطوة التالية. هذه المرة، لم يتردد "نويل". كان يسير بإصرار إلى الجثة، بأنفاس لاهثة، ونظرة خائفة، يتفحص بعينيه كل جزء من جسد حبيبته. سقط على ركبتيه، واقترب من "ريتينيا". ووضع وجهه فوق بطنها، وأنفه على بعد سنتيمترات فقط من ثديها المتيبس. ثم أخذ يبكي مرة أخرى مثل الطفل.

تمتم، كما لو كان يتحدث مع الجثة: "لا أستطيع أن أفعل هذا". بدا كأنه سيغطيها، ممسكًا بأجزاء البلوزة الممزقة، لكنني أدركت أنه انتهز الفرصة لمداعبتها. لمسة خفيفة. أمسكتْ الأيدي المتعرقة حلمات الثدي المتحجر. ثم مسح العرق الغزير من جبينه، لكنه عاد إلى ثدييها. دون خجل. فقد تغلب على أي خجل أو اشمئزاز من أجل المتعة الوشيكة.

شعرتُ برغبة في التقيؤ. سرتُ على الأرض في صمت، غاضبًا من "زاك"، ومن تلك اللعبة الحقيرة التي ابتكرها في القبو، مع تلك اللامبالاة الظاهرة على وجوهنا، كانت تنتشر في الهواء الملوث بالسموم. علينا اللعنة هل فقدنا إنسانيتنا؟ هل أصبحنا وحوشًا جانحين؟ كيف يمكن لجرعات قليلة من الكحول والمهلوسات وقبو خانق بائس، أن تؤثر فينا هكذا؟

نعم، أنا مشترك معهم؛ فعلى الرغم من أنني وجدت كل هذا مثيرًا للاشمئزاز، لم أرغب في مغادرة هذا المكان، ولم أحرك عضلاتي لمنع حدوث كل هذا. يمكنك إدانتي إذا أردت. لا يهم.

القلم يخطُّ في الورقة مرارًا وتكرارًا. دون سهو أو تدخلات، وبكل التفاصيل. لا يمكنني تغيير أي شيء. أنا هنا لأروي الحقيقة القذرة لهذا القبو، حيث يطلب بعض المعاقين ذهنيًا السماح لهم لتفجير رؤوسهم، وعشاق يمارسون الجنس مع الموتى. هذا هو العالم الصغير الذي دخلته منذ بضع ساعات - ربما دقائق - لمواجهة الموت. هنا يتمتع الإنسان بالإرادة الحرة. لا توجد قواعد ولا حدود.

عمل الكحول والمخدرات على خلع الأقنعة وكشف الوجوه الحقيقية لأشخاص بلا مبادئ. عقلاء، ولكن - قبل كل شيء - حيوانات.

ابتسم “زاك” ابتسامة الانتصار في أثناء مشاهدة أداء “نويل”. استند إلى أقرب عمود، وقال بابتسامة شيطانية فرحًا برؤية هدفه يتحقق: ظهرت غريزتك البشرية.

كان “نويل” يلهث بطريقة جعلتني لا أستطيع نسيان عنف اللحظة. حاولت أن أنظر بعيدًا، لكنني لم أستطع. جرعتي من السادية جعلتني أريد أن أرى كل تفصيلة للحدث. أنا فضولي. مثلك أيها القارئ الذي يمر بهذه السطور بشغف، أردت أن أعرف بالضبط ما الذي سيحدث. شيء أكثر فسادًا مما مضى، أم أكثر جنونًا. لا يهمني. وأنت أيضًا لا تمانع. لا أحد يرانا.. لن يديننا أحد على هذه الثواني القليلة السيئة.

في الظلام، مرر “نويل” أنفه عبر جلد “ريتينيا”، وهو يلهث، يشم عطرها. سيطر صوت التنفس، الذي يشبه صوت الخنازير، على القبو، وهذا ما أدى إلى كسر صمت الجمهور. وهكذا بقينا بضع دقائق.

ضحك “زاك”، وقال بين الضحكات:

- ليست “ريتينيا” مسحوقًا كي تشمه يا “نويل”! ضاجعها يا فتى سريعًا! قبل أن يتجمد جسدها. النساء باردات بالفعل في الفراش وهن على قيد الحياة.

لم يبدِ “نويل” أي إشارة على أنه سمع نكات “زاك”. كان منتشيًا. العيون مغمضة، والأنف الحاد يحاول شم رائحة كل جزء: الخصر، السرة، البطن البارزة قليلاً، الذراعين الرقيقتين، الأيدي الناعمة، الأصابع الطويلة، الثديين، الرقبة، بداية العنق.. وقد أزال القميص الذي ألقاه على وجهها المشوه، عانق شعر “ريتينيا” الأحمر، ولم يهتم بالدم الذي غمره. اختار بعض الخصلات الأقل رطوبة، وقربها من أنفه، أخذ نفسًا عميقًا. ابتسم لرائحة شعرها. فإنه العطر نفسه الذي اشتمَّه مرات عدَّة، في الكلية. الآن كانت كلها بين يديه. لم يعد يبكي. بدا راضيًا.

انتقل “نويل” إلى بطنها. تمكنتُ من رؤية لسانه يبرز إلى الخارج، وهو يمسح الحلمة اليسرى برفق ويعود بسرعة إلى الفم، مثل السلحفاة التي تختبئ في قوقعتها. ظل هناك بضع ثوانٍ، قابعًا فوق “ريتينيا”، كما لو كان يتوقع أي رد فعل منها. خلع قميصه الأخضر بشكل عشوائي وألقاه بعيدًا، وكشف عن بطنه المشعر، وسرته البارزة.

طار القميص فوق بركة الدم عند قدمي “أوتو”، الذي لا يزال مربوطًا بالعمود، وعيناه مفتوحتان بوحشية، دون رموش، كما لو كان، أيضًا، يشاهد المشهد. لم يهتم “نويل”، التفت إلى حبيبته. لقد لاحظتُ حجمه الضخم المثير للاشمئزاز في ذلك الشورت القصير عندما حاول محاولة جديدة على ثدي “ريتينيا”. مرر

لسانه فوق جسدها، على الجلد الناعم، وكان اللعاب الزائد بالفم يسقط عليها. ووزَّع القبلات وقضم الحلق المعلق بسرتها برقة، كما لو كان خائفًا من إيذائها. ثم عاد إلى ثدييها.

توقف بعد مرور بعض الوقت، وهو متعب. أعاد نظارته إلى وضعها نتيجة احتكاكها بجلدها. بقي هكذا، ولا تزال عيناه مغمضتين. فجأة، سمعتُ صرخة حزينة باكية، والدموع تنهمر من عينيه وتسقط على جثة "ريتينيا" الهامدة. ألقى قميص "زاك" بعيدًا، وكشف عن وجهها الدموي. ظهر الجانب الأيمن من وجهها مشوهًا نتيجة إطلاق النار. كان الدم وفيرًا على الجانب الأيسر. وهو لا يزال يئن مثل الطفل، اقترب بفمه من أذنها اليسرى، كما لو كان سيخبرها بسرٍّ. ثم همس بين تنهدات: - آسف. عذرًا يا "ريتينيا".

سمعنا كل كلمة نتيجة الصمت الذي كان يسود القبو.

- أنا أحبك. أنا آسف.. لكن...

ثم أخذ نفسًا عميقًا، وتشجع لما سيقوله بعد ذلك.

- لكنني في حاجة إلى القيام بذلك.. في حاجة إليه!

ترك "نويل" رأس "ريتينيا" وحاول مسح يديه الملطختين بالدم في شورته. كان وجهه متسخًا أيضًا. الخد الأيمن به خطٌّ أحمر، كما لو كانت ناتجة عن شفرة الحلاقة. دون إضاعة الوقت، مد يده إلى بنطال "ريتينيا" ولفظ اعتذارًا خجولًا آخر عندما فك سحاب بنطال الفتاة.

اقتربتْ "فاليريا" منه لمنعه:

- ماذا! لن تفعل ذلك! إنه شيء شنيع!

لكن يبدو أن "نويل" لم يسمع. وبدأ في سحب بنطال "ريتينيا" إلى أسفل بصعوبة، وكشف تدريجيًا عن ملابسها الداخلية البيضاء.

- توقف! لن أشاهد هذه الأشياء..

قال "زاك"، دون الابتعاد عن المشهد:

- أغلقي عينيك إذا أردتِ.

كررتْ وهي تدفع «نويل» بعيدًا، ملقيةً جسده المرتجف إلى الجانب، وسقط في بركة الدم: - هذا مثير للاشمئزاز.. توقف!

صاح "زاك" وهو يمسك "فاليريا" من كتفيها:

- اتركيه وشأنه.

- اتركني!

حررتْ "فاليريا" نفسها. وقالت:

- يا إلهي، إنها انسانة. ليست جمادًا! إنه شيء مقرف! لا يمكنني الوقوف هنا!

اقتربت من "جواو" وانحنت على ساقيها، وجثمت.

- أنتِ أيضًا فتاة.. كيف يمكنك أن تجلسي هناك تراقبين كل هذا بصمت؟

لفت "جواو" سيجارتها وفتحت عينيها بازدراء. وتمتمت: - أنتِ تؤلمين ساقي.

- كيف يمكنكِ المشاهدة بهذه السلبية؟!

تجاهلت "جواو" ولم ترد.

- هل أنا وحدي من يرى أن هذا خطأ؟! يا "لوكاس"؟ يا "أليس"؟

تظاهرتُ بأنني لم أسمع اسمي واستمررت في الكتابة. بقي "نويل" على الأرض، في المكان نفسه الذي سقط فيه، على بُعد أقل من متر من "ريتينيا". كان يبدو مذهولًا، ربما خجولًا. من حين إلى آخر، كان ينظر إلى بنطالها شبه المفتوح، إذ إنه لم يكمل فتح السحاب بسبب كلام "فاليريا" الأخلاقي.

- مستحيل، لا يمكن أن يشاهد أحدكم العبث في...

قال "لوكاس":

- إنها الديمقراطية يا "فاليريا". سبق أن قلت ذلك اليوم. دع "نويل" يفعل ما يريد.

استأنفت "فاليريا":

- إنها ليست مصادفة أن يموت ثلاثة في المكان نفسه. أنتما لا تدركان؟ لقد كانت على حق. أولًا أخبرنا "أوتو" كل شيء عن "زاك" ومات. ثم "دان"، كان الشخص الوحيد الذي أطلق النار على نفسه. لقد تشككتْ "ريتينيا" في كل هذا وانتهى بها المطاف بالموت أيضًا. ثلاث مصادفات. الثلاثة كافية جدًّا لـ"زاك" كي...

لم يُثمر شرحها عن أي نتيجة، ظل صديقي مستندًا إلى عمود، مشبكًا ذراعيه، وعاجزًا عن الكلام.

بدأ "نويل" أيضًا في استجواب "زاك"، كما فعل الآخرون: - أنا لا أعرف ما يحدث هنا، ولكن هناك شيء ما غريب يحدث، اللعنة! ألا ترون؟

لكنه لم يستثنِ أحدًا هذه المرة.. سيكون واضحًا جدًّا.. لقد انتصر على نقطة ضعفه. استخدم صيغة الجمع في الحديث عن هذا العبث الذي تواطأ الجميع فيه! ممارسة الجنس مع فتاة ميتة!

أمر "زاك":

- اخرسي، يا "فاليريا". أنتِ سخيفة..

- أنا؟ سخيفة؟

مشتْ إليه مسرعة، وقربتْ وجهها منه. للحظة، تذكرتُ حفلة الموسيقى الإلكترونية التي تعرفا فيها.

- أنا حامل بطفلك يا "زاك". من دمك.

أكملت وعيناها مملوءتان بالدموع:

- منذ ذلك الحين، صرتُ منبوذةً.. من أصدقائي، ومن ذلك الأب الملعون.

- لا تتحدثي عن والدي.

- ومنك أنت! وفظاظتك! وتهديداتك! لقد جعلت حياتي جحيمًا يا "زاك".

لم يتحرك صديقي. بل ظل واقفًا هناك، يحدق إلى عينيها.

- أنت حقير، يا "زاك". أنت حقير للغاية. إنك تدمر حياة الناس الذين تعرفهم، وتدمر آمالهم، وتزرع الخوف والقلق فيهم.

تابعتْ، والدموع تنهمر على خديها:

- أنا لا أعرف ما الذي تنوي فعله. لا أعرف ماذا تحضِّر هذه المرة. لا أعرف أتنوي رؤيتنا جميعًا نموت قبل أن تنتحر أنت.. لا أعرف حقًّا. ولكن، إذا لمس هذا الصبي إصبعًا آخر للفتاة، صدقني، لن أقف وأشاهد.

دون أن ينطق، ذهب "زاك" إلى جسد "ريتينيا" وانحنى لالتقاط المسدس من على الأرض، بجواره مباشرة. أخذ رصاصة من جيبه الصغير وفتح أسطوانة الرصاصات، وأدخل رصاصة وأغلقها. لم تتراجع "فاليريا" عندما صوب "زاك" المسدس ناحيتها، حتى إنها ضحكت بصوت عال. وقالت: - واو، "زاك".. هل ستقتلني بهذه البساطة؟ لقد كنت أكثر لطفًا من قبل.. لماذا لا تقترح عليَّ أن نجلس على هذه الأريكة ونغير الموضوع الذي يزعجك؟

اقترب، مصوِّبًا المسدس على بعد سنتيمترات من رأس «فاليريا». تمتمت وهي مليئة بالسخرية والاستفزاز: - أطلق النار، يا «زاك».. لست خائفة. لكن فكِّر في العواقب.. نعم، لا تزال هناك عواقب هنا. تخيل ما سيظنُّه أصدقاؤك

عندما يرون رأسي ينفجر.. سيتأكدون أنك أنت الذي يقرر من سيموت. اليقين الذي كانوا يفتقرون إليه للقضاء على أمثالك.. تخيل ما سيظنه صديقك العزيز «أليس» عندما يدرك أنك ستوجِّه السلاح ذاته نحوه.

نظر "زاك" إليها بكل كراهية. ثم، نظر بعيدًا. وخفض المسدس إلى الأسفل حول إصبع السبابة، ووجه المقبض نحو "فاليريا". قال بجفاف: - خذي المسدس.

انصاعتْ. وتابع "زاك":

- أطلقي النار عليَّ. إذا كنت متأكدة جدًّا، في رأسك المريضة، من أنني قتلت هؤلاء الثلاثة، وأنني أخطط لشيء ما، اقتليني، أيتها القذرة.

أمسكتْ "فاليريا" المسدس بقوة واستهدفتْ جبينه، مع لمس السبابة الغليظة للزناد. لم يخف "زاك"، وتحدث مرة أخرى: - كان "نويل" يحبها. هل تعرفين ما هذا؟ ربما لا.. لم يحبك أحد أبدًا.. أنت لا تعرفين ما هذا.. أخبرته أن يمارس الجنس معها ليس للهروب من الاتهامات، ولكن بدافع الشفقة. الشفقة، يا "فاليريا".. أشعر بالأسف على الأحياء أكثر من الموتى.. أنت لا...

- إن الأمر لا يتعلق بالشفقة.

أوضح:

- لقد كنت هناك طوال الوقت. رأيت كل محاولات "نويل". رأيت أن إحساسه حقيقي.. ورأيت احتقارها إياه. رأيت كل شيء، لكنك لم ترِي أي شيء.. لا شيء، يا "فاليريا".. كانت "ريتينيا" سمكة بيرانا. سمكة بيرانا كبيرة.. ضاجعتها من أول ليلة. في الأسبوع التالي، ذهبت مع ابن بواب عمارتي، الذي قابلتْه في اليوم الذي كانت معي فيه، فقد حضر إلى الكلية ليبحث عن الفتاة لأنه كان يضاجعها أيضًا. إنها هذه الفاسقة الصغيرة التي تدافعين عنها.. من أجلها، تمنعين صبيًّا ولهانًا من أن يكون سعيدًا ولو مرة واحدة على الأقل في حياته. بسبب تلك الوقحة تريدين قتل والد طفلك!

أجابت ببرود:

- لن يكون لديَّ طفل. لن يكون بسببك. لأنك دمرتني!

- إذا كنت متأكدة جدًّا من أنني هذا الشخص السيئ، فاقتليني. لا تفكري مرتين. فقط أطلقي النار. ثم خذي الرصاصات المتبقية في جيبي واقتلي الآخرين أيضًا. نفذي عدالتك المليئة بالكرامة.. عدالتك البرجوازية الغبية المليئة بالقواعد والأخلاق الحميدة.. بالنسبة إليَّ، كل ما يحدث هنا هو عدل.

ماتت "ريتينيا" ولن تشعر بأي شيء. أما هو فإنه حي وسيكون أكثر سعادة إذا ضاجعها. هذا عدل.

- أعتقد أنك لم تتعلم ذلك في محاضرات القانون الخاصة بك.

- أنت التي تتهربين من هذا الموضوع الآن، يا "فاليريا". أطلقي النار سريعًا. فقط اضغطي على الزناد. الرصاصة في الغرفة الأولى للمسدس.

أبقتْ "فاليريا" عينيها ثابتتين. ثم ابتسمتْ، وكأنها ستفَّجر مفاجئة: - كيف عرفت ذلك يا "زاك"؟

- ماذا؟

- قلت إنه عليَّ فقط الضغط على الزناد لأن الرصاصة في الغرفة الأولى.. كيف تعرف ذلك؟

- رأيتها عندما كنت أضعها. ولم ألف الأسطوانة.

- بل كنت تنظر إليَّ عندما وضعت الرصاصة يا "زاك".

أجاب بهدوء:

- لا، لم أنظر إليك.

نظر الاثنان إلى بعضهما بعضًا، صامتين.

- لقد تدرَّبتَ، أليس كذلك يا "زاك"؟ تدربت كي تكون قادرًا على وضع الرصاصة أينما تريد دون أن تنظر. تدربت لمعرفة من سيموت في كل جولة. أنت تفعل ذلك سريعًا حتى إننا لا نلاحظك. لكنك تعرف دائمًا مكان الرصاصة. تختار من سيموت. كل شيء مخطط له.

لم يتأثر.

- إذا كنتِ تعتقدين ذلك يا "فاليريا"، فالأمر بسيط.. أطلقي النار. حققي عدالتك الحقيرة.

- أنا لن أحقق العدالة بنفسي.

قال:

- هذا جميل. أنا أيضًا. أنا أؤمن بالعدالة الحقيقية.. من العدل أن يفعل "نويل" ما يريده مع "ريتينيا". هذا هو العدل.

تمتمتْ:

- أنا لا أوافقك. لا أريد أن أرى أي شخص يمارس الجنس مع فتاة ميتة. إنها امرأة مثلي.

- المسدس في يدك، يا "فاليريا". انظري فقط إلى رأسي وأطلقي النار.

ظهرت ابتسامة صغيرة على شفتي "زاك".

- أضمن لك أن لا أحد هنا يرغب في انتهاك جسدك.

لا يبدو أنها شعرت بالإهانة.

- جئتُ إلى هنا من أجل "الروليت الروسي" يا "زاك". إذا كنت سأنتحر هكذا، لكنت فعلت ذلك في المنزل. وحدي.

تركتْ المسدس على الأرض ومشيتْ إلى الحائط ووقفتْ هناك، وظهرها لنا. وقالت دون أن تدير وجهها: - يمكنكم أن تفعلوا ما تريدون. لن أمنع أي شخص. ولن أشاهد.. وعندما تقررون العودة إلى ما جئنا إليه، أخبروني.

ساد القبو صمت رهيب. اندفع الأدرينالين عبر أجسادنا، وتصبب العرق على وجوهنا. العبارات التي قيلت خلال المناقشة، لا يزال صداها يتردد حولنا. لم يكن "نويل" في حاجة إلى أمر. اقترب من "ريتينيا"، بعيونه اليقظة، وفمه لاهثًا. ووضع يديه المتعرقتين على بنطالها الجينز، وسحبه بقسوة. كانت ساقيها ملتويتين من الصعب فردهما. حاول الضغط على ركبتيها القاسيتين للأسفل. لقد نجح في المحاولة الثالثة. كانت عظامها تتشقق من الضغط عليها. اتسعت عيناه عندما غزت يده اليمنى الملابس الداخلية للفتاة ذات الشعر الأحمر. توقف بضع ثوانٍ، كما لو كان ينتظر بعض الرفض، ولكنه أدرك الصمت من حوله وشعر بالحرية في الاستمرار. وبابتسامة طفولية، خفض سروالها الداخلي ببطء، وتركه عند منتصف فخذيها الممتلئتين. وحدق في شعر عانتها القصير، المحلوق بعناية. ثم انزلقت يده على المهبل. الإحساس لم يعد كافيًا. كان في حاجة إلى التحام الجسدين. جسده مقابل جسدها. تمتم لنفسه: "هيا".

فكَّ حزامه في عجلة من أمره، وترك سرواله الداخلي فقط. لم يكن يخجل من كونه شبه عار أمامنا. في الواقع، تجاهل وجودنا. لقد انحصر عالمه فقط في جسدين: هو وهي. عندما أخفض سرواله الداخلي، كان الضوء الخافت يومض فوق عضوه المنتصب. دون أي مهارة، فتح ساقي الجثة، وعيناه الخائفتان تتفحصان التجويف المراد ليُخترَق. حاول في المرة الأولى والثانية، لكنه أخطأ. في الثالثة، بدا أنه يتصل بها في تأرجح متناسق، كلاهما يتحرك. هز جسد "ريتينيا" مثل دمية من القماش في وجه هجمات عنيفة بشكل متزايد. أعرب "نويل" عن نشوته بأنين خافت. كان يعمل بجد، كما لو كان مهتمًّا

بإرضائها. نظرتُ بعيدًا، مشمئزًّا من رؤيته مستمرًّا في ذلك. كانت "فاليريا" لا تزال واقفة وظهرها إلينا، ويديها تغطي أذنيها. كانت "جواو" تلف سيجارة أخرى بـ"الماكونيا"، وليست معنا. شاهد كل من "لوكاس" و"زاك" ما حدث، وهما منتبهان، مثل مراهقين في سن البلوغ يستأجران فيلمًا قذرًا دون علم والدتهما. انتهى بي الحال بتعوُّد ذلك الصوت. الآهات.. والحركات.. والمزيد من الآهات.

دون أن أدرك، غادر ذهني الواقع. تذكرتُ لحظات الطفولة، الخطط المذهلة التي رسمناها لغزو القبو، أحلام طفل في عالم من الصعوبات والمشكلات. كنَّا سعداء جدًّا في ذلك الوقت. دعاني فراغ غير مريح إلى العودة إلى القبو الصغير من جديد. توقف الأنين. الحركات أيضًا. حدث كل ذلك بسرعة كبيرة. لا يزال ملتفًا حول جثة "ريتينيا" الهامدة، مد "نويل" يده لالتقاط المسدس الملقى على بعد سنتيمترات منه. حاول "زاك" أن يقول شيئًا، لكن "نويل" لم يستمع. لم يبدُ عصبيًّا ولا نادمًا. لمعت عيناه، كانت تفيض بالسعادة. نشوة محرجة يحسد عليها. انتفض جسده في نشوة مرة ثم أخرى. وبعدها رفع المسدس إلى رأسه، دون أن يقول أي شيء، وضغط على الزناد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

26

(حفيف الأوراق) (صمت - أربع ثوانٍ)

"روزا":

- ذلك... كان ذلك...

"ديانا":

- ليس هناك الكثير لقوله، يا "روزا". إنه أمر صادم و...

"أماليا":

- لذا انتحر الصبي بينما... كما تعرفين.. (مندهشة) في أثناء ممارسة الجنس مع الفتاة؟

"ديانا":

- نعم.

"أوليفيا":

- إن "نويل" نفسه، (بصوت حاد) لم يكن لديه دافع إلى الانتحار.. لم يعد لديه دافع. لقد تورط في هذا الأمر كله بسبب الفتاة.. (وقفة) بعد كل هذا، ما كان يجب عليه الانتحار! كانت الفتاة ميتة بالفعل.

"أماليا":

- كيف يمكن أن تكوني هكذا يا "أوليفيا"؟ (وقفة) باردة جدًّا.

"أوليفيا":

- إنه ليس برودًا يا "أماليا". إنها العقلانية. (وقفة) نفذ "نويل" باختياراته. لقد علمته وربيته على الأخلاق وكل شيء. لكنه كان اختياره دائمًا. (وقفة) وفي هذه الحياة، هناك قرار خاطئ واحد يكفي لضياع كل شيء. لقد اتخذ "نويل" القرار الخاطئ. واختار هذا الطريق. لا أستطيع أن أعاني بسبب اختياره.

"أماليا":

- كان ابنك! (بصوت عال) ابنك!

"أوليفيا":

- حقًّا. وما زلت أحب "نويل" ابني. (وقفة) ولكن عندما ضغط على ذلك الزناد، فقد اختار أن يترك الحياة. وهكذا تخلى عن حبي له.. تخلى عن كل شيء.

(تبلع ريقها) لا تنتظري دموعي.

"ريبيكا":

- هذا لن يغير شيئًا. (بكاء)

"أوليفيا":

- بالطبع أعاني بشدة. (وقفة) أشعر بالخجل من أنني لم أكن أمًّا جيدة بما يكفي. لكنني لا أعرف ماذا كان عليَّ فعله.. لقد فعلتُ كل شيء وفقًا لإرادته و.. (وقفة) نعم، أنا أتألم. يجب أن أواجه الناس الذين يعرفونني. أنا لم أعد "أوليفيا" بعد الآن، أنا أم لابن منتحر، أتعلمين؟ ينظر الناس إليك بشفقة. شفقة مقرفة. بغيضة.

"روزا":

- لا يمكن أن تكوني جادة!

"أوليفيا":

- أنا جادة للغاية. أما صراخكنَّ هذا، وكل تلك الدموع.. كل هذا يجعلني غير مبالية. (وقفة) لأنها تبدو مزيفة.

"ريبيكا" (بصوت عال):

- مزيفة؟

"أوليفيا":

- مزيفة! كل هذه الأشياء حدثت منذ أكثر من عام. أكثر من عام! (وقفة) ليس من الممكن أنكنَّ لم تبكين بما يكفي من قبل! كل هذه الدموع هي استعراض صغير لإظهار أن لديكنَّ قلبًا.. لكنه ليس حقيقيًّا. هذا مستحيل. لقد مرَّت الأشياء، واستمرت الحياة، ودُفن الماضي مع أولادنا.

"ريبيكا" (بصوت متغير ودموع):

- اصمتي يا "أوليفيا"!

"ديانا":

- سيداتي من فضلكنَّ دعونا نركز.

"ريبيكا": - اخرسي! (وقفة) كنت أحب ابنتي! كانت "فاليريا" أغلى شخص في حياتي.

"ديانا":

- “ريبيكا”، من فضلك حاولي أن تهدئي، أليس كذلك؟ هل تريدين بعض الماء؟

“ريبيكا”:

- أنا بخير.. إنه فقط...

“أوليفيا”:

- حقائق غير مريحة.

“ديانا”:

- “أوليفيا”، من فضلك! انتبهي أكثر إلى ما تقولينه! (وقفة) يمكنك التعبير عن رأيك، لكن افهمي أنه من حق الناس أن يختلفوا معكِ. واحترمي ذلك.

“أوليفيا”:

- أعرف..

“روزا”:

- أنا.. كان الصبي يمارس الجنس بالفعل مع الفتاة الميتة.. أنا سعيدة أن والدتها غادرت.. (وقفة) لم أكن لأتحمل.

“أوليفيا”:

- لقد كانت ميتة، قلتها بنفسك. لم تشعر بشيء على الإطلاق. ولكن لا بدَّ أن ابني كان مجنونًا.. (وقفة) مع جثة؟ اسمحوا لي! هناك الكثير من العاهرات.. (وقفة) إذا كان لأي شخص أن يشعر بالفزع هنا، فهي أنا. أنا التي يجب أن أقبل أن ابني وجد المتعة في الجماع مع جثة. وبطريقة مخزية! بعد كل تربيتي له!

“روزا”:

- كان يحب “ريتينيا”! أو بالأحرى مهووسًا بها.

“أوليفيا”:

- آه، نعم.. الحب الحقير التقليدي.. (بازدراء) يذهب الحب أسرع مما يأتي. فقط، اللهم ألهمني الصبر.

“روزا”:

- كان أمرًا مروِّعًا! سلبية الجميع، كانوا يشاهدون فقط..

“أماليا”:

- لا أستطيع أن أقول الكثير.. لا أفهم كيف أن أولادي لم يفعلوا شيئًا! كان "لوكاس" يعاني الاكتئاب، لكنه كان صبيًّا جيدًا.. وبعد ذلك "ماريا"! كانت تحميه بشدة، مثل الأم تقريبًا. لا أعرف كيف سمحا بكل ذلك.

"أوليفيا":

- آه، دعونا لا نكون كالحيوانات! كما قال "أليساندرو"، إنهم كانوا فضوليين. لم تعد هناك حاجة إلى القمع. (وقفة) لقد كانوا يراقبون بالسبب نفسه الذي دفعنا نحن الأربعة إلى البقاء في هذه الغرفة لسماع قراءة الشرطية.. الفضول.. الفضول الخالص! (وقفة) كلنا بشر.

(صمت - أربع ثوانٍ)

"ديانا":

- من المثير للاهتمام في هذا الفصل تسليط الضوء بشكل رئيسي على النقاش بين "زاك" و"فاليريا". ربما يمكننا العثور على بعض المعلومات المفيدة.. (وقفة) يا "ريبيكا"، هل لاحظتِ أي شيء معين، هل لفت نظرك أي شيء، في كلمات ابنتك؟

"ريبيكا":

- لا.. (وقفة) أعني، أنني قلت بالفعل إن "فاليريا" كانت فتاة ذكية جدًّا ويقظة.. لقد وجدت تفاصيل لم يلاحظها الآخرون.. (وقفة) هي... لقد اتهمتْ "زاك" من قبل. عندما أوقفته إلى الحائط، لا أعتقد أنها كانت مخطئة كليًّا. فهو كان يخطط لشيء ما.

"ديانا":

- أفهم ما تعنيه. (وقفة) مواقف "زاك" تجعله يبدو وكأن شيئًا ما قد حدث. القتلى الثلاثة...

"روزا":

- والاقتراح الدنيء. لتحويل الانتباه عن الموضوع الرئيسي.

"ديانا":

- نعم. هذا منطقي. هذه احتمالية، سنأخذها في الاعتبار عند تحليل الموقف. (وقفة) نحن في حاجة إلى أن ننظر بطريقة جديدة إلى الأحداث. نحن في حاجة إلى محاولة إدراك الجانب الآخر، الجانب الخفي، الجزء الذي يبدو لنا أنه غير مهم من النظرة الأولى، ومن ثَمَّ يهرب منا.

“روزا”:

- لا أفهم ما تعنينه.

“ديانا”:

- دعونا نرى. كل هذه الاتهامات ضد “زاك”، على سبيل المثال.. (وقفة) إنه مقنع تمامًا إذا حللنا كل حجة. ثلاثة قتلى. أربعة إذا أدرجنا “نويل”. إنها بلا شك وجهة نظر وثيقة الصلة بالموضوع. (وقفة) ولكن لا يوجد تفسير آخر لكل هذا؟

“أماليا”:

- لا أرى..

“ديانا”:

- فهمت. (وقفة) كانت العلاقة بين “زاك” و”فاليريا” متوترة للغاية. بدأت بلعبة في حفلة.. ثم جاء موضوع الحمل. طفل غير مرغوب فيه. (وقفة) ثم الخلاف. العراك مع “جيتوليو”. وقاحة وتهديدات بالقتل، كما قالت “فاليريا” نفسها.

“ريبيكا”:

- أنا لا أفهم ما الذي تنوين الوصول إليه

“ديانا”:

- قالت “فاليريا” إن “زاك” جعل حياتها جحيمًا. أنه “يدمر حياة الناس الذين يعرفهم ويقضي على آمالهم ويزرع الخوف والرعب في نفوسهم”. (وقفة) كان لديه كره عميق، بلا حدود.

“ريبيكا”:

- لقد عانت “فاليريا” كثيرًا بسببه، أيتها الشرطية.. ولكن.. (بكاء) في ذلك الوقت لم تكن قد أعطت المشكلة أهمية.. (بكاء) لقد فكرتُ... اعتقدتُ أنها كانت مجرد مشكلة عابرة.. عراك بين الشباب. لكن “زاك” لم يكن شابًّا عاديًّا. كان شيطانًا. هو وعائلته. (تنهدات) لقد أساءوا معاملة ابنتي، ولم ألاحظ ذلك. في ذلك الوقت، لم نقف أنا وزوجي بجانبها.. بل على العكس، وبَّخناها بسبب الحمل المفاجئ. لقد ضغطنا عليها كثيرًا دون أن ندرك كم كانت ضعيفة.

“روزا”:

- لقد تحدثت عن الخبث وسوء المعاملة.. ماذا فعل لها “زاك”؟

“ريبيكا”:

- كان والد ذلك الوغد، "جيتوليو" فظّا معها! هددها! (وقفة) كان زوجي يعمل وكيل عقارات. في الأسبوع التالي للمشاجرة، فُصِل من الشركة. زعموا فصل الموظفين. (وقفة) لكن "فاليريا" كانت متأكدة من أن "جيتوليو" هو الذي فعل ذلك.. لقد شعرتْ بالضغط والاضطهاد.. في لقاءاتها مع "زاك"، كانا يتجادلان دائمًا، كانت تبكي.. وكان يصفها بالسمينة، الشنيعة.. واللعنات المختلفة التي تهز كيان أي شخص.

"روزا":

- وماذا فعلتِ؟

"ريبيكا":

- أنا.. كنت غاضبة منها أيضًا! (تنهدات) على الرغم من الحالة التي كانت بها.. أردت أن تواجه المشكلة بمفردها، لتتعلم وتكون أكثر حذرًا.. وتتحمل المسؤولية، أفهمتِ؟ اعتقدت أنها ستكون قادرة على مواجهة كل شيء دون مساعدتي. (بكاء) وزاد الأمر تعقيدًا، تخليت عن ابنتي التي كانت لا تزال ضعيفة من أجل... (بكاء) "ديانا":

من أجل ماذا؟ (وقفة) ماذا كنت ستقولين، يا "ريبيكا"؟

"ريبيكا":

- في.. في اليوم السابق للـ"روليت الروسي"، يوم السبت.. كان "زاك" هناك في منزله.. لم أره منذ أسبوع.. علمت من الصحف أن والديه قد توفيا في ذلك الحادث و.. أعترف أنني اعتقدت أن الأمور ستتحسن بعد كل شيء. ولكن لا.. (وقفة) كان "زاك" هناك يوم السبت. كان محطمًا. كان يرتدي ملابس سوداء. افترضت أنه قادم من قداس اليوم السابع لوفاة والديه. وطلب التحدث إلى "فاليريا". وأنا.. لم أستطع الرفض، أليس هذا صحيحًا؟ قبل كل شيء، كان والد ابنها الذي تنتظره. وكان وجهه شاحبًا، وبدا محبطًا. اعتقدت أنهما سيتفاهمان معًا في مواجهة هذه اللحظة الصعبة معًا. (وقفة) بقيا يتناقشان في الغرفة أكثر من ساعتين. في بعض الأحيان، سمعتها تصرخ.. وكانت ابنتي تبكي في أحيان أخرى.. حاولتُ الدخول، لكن الباب كان مغلقًا. (وقفة) عندما خرج، لم يتحدث معي. لم ينظر إليَّ. وكانت "فاليريا" غريبة. هادئة لكنها لم تعد تبكي. (وقفة) حاولت التحدث، لكنها كانت تتهرب.. قالت إنها اتخذت قرارًا.. وسألت بالطبع ما هو القرار. قالت إن.. إنني سأعرف قريبًا. (بكاء) كان يجب أن أصر على معرفة القرار. كان يجب أن أصر! (تنهدات) "ديانا":

- هل تعتقدين أن...

“ريبيكا”:

- في ذلك اليوم دعا “زاك” ابنتي إلى المشاركة في لعبة “الروليت الروسي”. أنا متأكدة تمامًا من ذلك. (وقفة) ولكونها ضعيفة فقد وافقتْ. قبل أن تدخل في هذا الجنون. (وقفة) لو كنت قد تحدثت معها قليلًا.. (بنبرة بكاء) ربما...

“ديانا”:

- ليست هناك جدوى من التفكير بهذه الطريقة الآن يا “ريبيكا”. كان “زاك” متحدثًا جيدًا. ليس لدي شك أنه استغل حب ابنتك كي تشاركهم في لعبة “الروليت الروسي”. ولكن مع ذلك.. (وقفة) عندما كنت أطلب منكنَّ البحث عن نظرة جديدة للأحداث، وعن الجانب الآخر من القصة نفسها.. ما أردت أن أعرضه هو أن اتهامات “فاليريا” لـ”زاك” كانت تحمل شيئًا من العاطفة. علمًا بأنني لا أريد أن أقلل من قيمة انتقاداتها، ولكن إذا فكرت في الأمر، فقد بدت شريكة له. فقد كان “زاك” سيئًا معها. كان “زاك” مصدر مشكلاتها. بطريقة ما، كانت “فاليريا” هناك من أجله.

“ريبيكا”:

- هل تقولين إن ابنتي قالت كل ذلك فقط للانتقام من “زاك”؟ (وقفة) أعرف ابنتي جيدًا أيتها الشرطية. لن تفعل مثل هذا الشيء. لقد كانت ذكية، وكل ما قالته كان الحقيقة الخالصة.. تلك الأسرة بأكملها لا تستحق الاحترام. هم جماعة من الساديين الأغنياء!

“ديانا”:

- “ريبيكا” من فضلك!

“أوليفيا”:

- رائع! خرج الجميع عن صمتهم!

“ريبيكا”:

- آسفة، أيتها الشرطية.. كنت في حاجة إلى قول هذا.. معذرةً. (وقفة) من حسن الحظ أن صديقة هؤلاء الأوغاد ليست هنا.. والدة “أليساندرو”. ما اسمها مرة أخرى؟

“ديانا”:

- “ديبورا”.

“ريبيكا”:

- هو ذلك.. لا أريد أن أسيء الظن بها أو الإساءة إلى أي شخص أو التسبب في الارتباك. (وقفة) ولكن، بصراحة، هؤلاء الناس لم تكن لديهم رحمة. لا أعرف كيف يمكن لأي شخص أن يكون صديقًا لأشخاص مثلهم. (وقفة) لقد أتيحت لي فرصة للتحدث إلى والدة "زاك" مرةً واحدةً عبر الهاتف.. الصوت المتسلط، المتعالي.. تحدثتْ عن ابنتي بنبرة احتقار.. كما لو أن "فاليريا" أصبحت حاملًا بمفردها!

"ديانا":

- أفهم.

(حفيف الأوراق) (صمت - ست ثوانٍ)

"ديانا":

- هل لديكنَّ أي تعليقات أخرى؟ هل يمكنني النداء على الأخريات من هناك للاستمرار؟

"أماليا":

- في الواقع، لدي، آخر سؤال. قد يبدو سخيفًا، في نهاية الموضوع، أنا لا أفهم أي شيء، ولكن.. هل ممكن حقًّا أن "زاك" كان يخادع وهو يضع الرصاصة في المسدس؟ (وقفة) هل من الممكن أنه كان يختار من سيموت؟

"ديانا":

- لا يمكننا إثبات أي شيء حيال ذلك. كان اتهام "فاليريا" متسرعًا جدًّا في هذه النقطة. (وقفة) ولكن، مع بعض التدريب، من الممكن معرفة مكان الرصاصة.

"أماليا":

- آه، نعم.. هذا كل شيء. شكرًا لك.

"ديانا":

- أي أسئلة أخرى؟

(صمت - خمس ثوانٍ)

"ديانا":

- عظيم. سأذهب لإحضار الأخريات.

(صرير الكراسي) (خطوات سريعة)

"ريبيكا":

- لا يعجبني ما يجري هنا.. تجد هذه الشرطية دائمًا طريقة للدفاع عن "زاك". (بصوت قاسٍ) "كان اتهام "فاليريا" متسرعًا في هذه النقطة". (بازدراء) إن الطريقة التي تحدثتْ بها، تجعل "زاك" قديسًا!

"أوليفيا":

- انتبهي لما تقولينه.. إنهم يسجلون كل شيء.

"ريبيكا":

- أنا لست خائفةً من...

"أوليفيا":

- إذا قلتُ كل ما أفكر فيه، يمكنها الخروج من هنا والذهاب مباشرة إلى المحكمة لتورطني في قضية مناسبة. (وقفة) حاولي التحكم في نفسك.

"أماليا":

- "روزا"، أنت الأقرب.. أوقفي تشغيل هذا المسجل.. (وقفة) عندما تعود، سنشغله مرة أخرى.

"روزا":

- أنا لا.. لا أعرف إذا كنت أستطيع.. بالإضافة إلى ذلك، إنها قادمة بالفعل.

"أوليفيا":

- دعيني أوقف هذا الهراء.

(خطوات)

(لعنات)

(إيقاف)

"ديانا":

- أنا الشرطية "ديانا جيمارايش". كان المُسجل مغلقًا لمدة ست دقائق بالضبط، أليس كذلك؟

"أماليا":

- نعم.

"ديانا":

- أطلب منكن ألا تكررن هذا الشيء. (بصوت حازم) أنا المسؤولة عن هذا الاجتماع، ولهذا السبب، من الأفضل أن أكون المسؤولة الوحيدة عن هذا الجهاز، حسنًا؟ يمكن أن تؤدي هذه الوقفات إلى المساس بسلامة التسجيل.

"أوليفيا":

- آسفة. لن تتكرر.. إنها فقط...

"ديانا":

- لا توجد مشكلة. لنترك هذا الأمر ونستمر. (حفيف الأوراق) لقد قرأنا للتو الفصل السابع. بالنسبة إلى أولئك اللاتي لم يحضرن، سأقدم ملخصًا موجزًا لتسهيل فهم الفصول التالية. (وقفة) اغتصب "نويل" "ريتينيا". حاولت "فاليريا" منعه قائلة إنه كان عبثًا. شجع "زاك" "نويل" على الاستمرار وناقش المسألة معها باستفاضة. وفي أثناء المناقشة، وضع الرصاصة في المسدس، ووضعها في الغرفة الأولى. واتهمته "فاليريا" بأنه مسؤول عن القتلى الثلاثة. قالت إنه اختار الغرفة التي ستكون فيها كل رصاصة، ومن ثَمَّ، من سيموت بعد ذلك. وقالت أيضًا إن "زاك" شجَّع على ممارسة الجنس مع الجثة كطريقة لإثارة "نويل" وتحويل الجميع عن القضية ذات الصلة: مسؤوليته عن القتلى الثلاثة السابقين. رد "زاك" على جميع التهم بشكل مُرضٍ.

"ريبيكا":

- بشكلٍ مرضٍ؟

"ديانا":

- دعيني أنهي كلامي يا "ريبيكا". (وقفة) في نهاية المناقشة، اغتصب "نويل" "ريتينيا" مرة أخرى. وفي لحظة معيَّنة، لسوء الحظ ليس لدينا طريقة لتحديد المدة، أخذ المسدس المحشو وانتحر.

"فانيا":

- هذا.. هذا كله فظيع للغاية.

(بكاء) (أصوات مرتفعة)

"ديانا":

- أريد منكنَّ أن تحافظن على الهدوء حتى نتمكن من الاستمرار. إذا أردتنَّ، يمكنكنَّ شرب كوب الماء الموجود على الطاولة.. (وقفة) كذلك فإن بداية الفصل الثامن أيضًا عن وفاة "نويل". وكما أفاد تقرير الطبيب الشرعي، فقد كانا عاريين.. ومات كما هو "متصل" جسديًا بها، إذا كنتنَّ تفهمن ما أعنيه.

“فانيا”:

- نحن نفهم، أيتها الشرطية.. نفهم.. نفهم.

(صمت مدة ثلاث ثوانٍ)

“ديانا”:

- هل يمكننا الاستمرار؟ (وقفة) أي تعليقات أخرى؟

(صمت مدة خمس ثوانٍ)

“ديانا”:

- حسنًا. لننتقل إلى الفصل الثامن، لذلك...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

27

من مذكرات "أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو"

قضية منزل سيريل، رقم 15634-0506-08

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: «جوزيه بيريرا أكينو»، قسم ١٢ للأحوال المدنية بـ»كوباكابانا».

الأربعاء الموافق 12 ديسمبر 2007

ذات يوم، تحدثت مع مجموعة من الأصدقاء، سألوني عما أخاف منه. قلت: لا شيء. في ذلك الوقت، لم تكن لديَّ إجابة مفيدة، ولهذا السبب بدت جملة "لا شيء" صادقة تمامًا. الآن، وبإعادة التفكير، أعتقد أن لديَّ إجابة أخرى: أخشى الإنترنت. الحقيقة الكبرى هي أنني لم أكن أبدًا من المعجبين بالهواتف المحمولة متعددة الوظائف والـ"iPod" والأجهزة من هذا النوع. بطريقة ما، أعتقد أن الإنترنت يمثل كل التطور الذي لا حدود له. لهذا أشعر بالخوف. الخوف من عدم توافر الخصوصية داخل منزلي. الخوف من الأشخاص الذين يرتدون أقنعة خلف الشاشات الصغيرة. الخوف من التعلق بأجهزة الكمبيوتر، لذلك، قبل النوم، نشعر كأننا ملتزمون (تقريبًا مثل الممغنطين) بفحص رسائل البريد الإلكتروني أو الدردشة مع صداقات افتراضية. الخوف من سرعة انتشار الأخبار، بطريقة عملية في الوقت الفعلي. افعل أي شيء اليوم، وسيعرفه العالم كله غدًا. أعترف أنني أفضِّل الماضي. موسيقى الخمسينيات، والرومانسية التي أجدها عند كتابة الرسائل، والغرام مع الرحيل.. وحتى العلاقة الأسرية الصعبة، دون الوعود الحالية المزيفة. أنا شاب، لكن لدي روح رجل عجوز.

بالأمس، بعد كتابة انطباعاتي عن الحفلة الغريبة للمطربة "بريسيلا" يوم السبت، شغَّلتُ مباشرةً الكمبيوتر وفتحت الإنترنت. لقد كنت أشعر بالنعاس وكنت بالفعل أرتدي البيجامة، ولكن لم يكلفني شيئًا الدخول بسرعة لمعرفة ما إذا كان هناك شخص موجود الآن على الإنترنت للدردشة فجرًا. ذهبت لتنظيف أسناني في أثناء تشغيل الكمبيوتر. وعندما عدت إلى الغرفة، كان الإنترنت متصلًا تلقائيًّا بالفعل، وكانت نافذة الدردشة مفتوحة، تومض باللون البرتقالي.

- مرحبًا. لديك محاضرة غدًا يا فتى! اذهب إلى النوم! هههههههههههه!

ُ

هذه كانت الرسالة. أرسِلت من صديقة جيدة بالكلية، "هيناتا"، التي كانت تستخدم اسمًا مستعارًا: "قبيحة، ولكن لطيفة".

سألتْ:

- ماذا تفعل في هذه الساعة؟

كتبت الرد بسرعة:

- لقد وصلت للتو إلى المنزل. فتحتُ لأتفقَّد بريدي الإلكتروني.

كذبتُ عليها لأنني قضيتُ اليوم في الكتابة بالغرفة. ولكن إذا قلتُ ذلك، فستعتقد أنني غريب الأطوار.

- هل ستذهب إلى المحاضرة اليوم؟

أجبتها وكانت عيني تغمض أمام الشاشة:

- اليوم؟

- نعم اليوم. لقد انتصف الليل.. هههههههههههه!

أجبتها:

- نعم سأذهب.

كان الأمر مضحكًا بعض الشيء. عادةً، يبدأ يومي بعد الاستيقاظ من النوم، ويسمى غدًا.

- قال "هيرارا" إنه سيوزع نتيجة الاختبار.

كانت "هيناتا" بطيئة في الرد، فانتهزتُ الفرصة لشرب كوب من الماء في المطبخ. عندما عدتُ، كانت نافذة المحادثة تومض مرة أخرى. لقد كتبتْ أربعة أسطر أخرى: - سأراك غدًا ... أو اليوم، أليس كذلك؟ أريد أن أحصل على تسع درجات في الاختبار. لكنهم يقولون إن "هيرارا" يمنح عشرة درجات للكل، يا ليته! كم درجة تريدها أنت؟ هاي.. أين أنت، مُتَّ هناك؟ هههههههههه!

جلستُ وكتبتُ:

- آسف. ذهبتُ لشرب الماء. أحتاج إلى ست درجات في مادة "هيرارا".

كان "جوزيه مارتينيز هيرارا"، أستاذ القانون الجنائي، نابغة في مجال الجرائم في ريو دي جانيرو.

تساءلتْ وهي تغير الموضوع:

- هل شاهدت فيديو "لوكاس"؟

بادلتُها الحوار:

- أي فيديو؟ ومَن هو "لوكاس"؟

- هههههههه.. عليك أن تراه! لقد رفعه على الإنترنت بعد ظهر أمس.

طلبت منها:

- أرسلي الرابط.

أرسلتْ، ونقرتُ. ظهرتْ صفحة جديدة على الشاشة، مع مستطيل داكن في المنتصف. رفعت مستوى صوت الكمبيوتر وانتظرتُ تحميل الفيديو. عندما بدأ، حاولت تحديد شيء ما في الألوان المتداخلة قليلاً. كنت أرى أنه تسجيل رديء، دون صوت، ربما تم تصويره بواسطة كاميرا الويب، الإضاءة الضعيفة تجعل من الصعب تحديد المكان. كانت الصورة مهتزة، كما لو كان المصور لا يزال يبحث عن الزاوية النموذجية. ثم توقف. ظهر ضوء أكثر إشراقًا في الزاوية اليسرى العليا (ربما أباجورة أو مصباح خلف الكاميرا)، وكان المكان واضحًا. ومع ذلك، لم تتحسن الصورة كثيرًا. كانت كاميرا الويب مثبتة على ما يبدو على طاولة خشبية. لا تزال الصورة غير واضحة.

ظهرت لوحة مفاتيح للكمبيوتر في المقدمة ومقعد كرسي دوَّار في أعلى الشاشة. عندما انزعجت من قلة الحركة وفكرت بجدية في إغلاق النافذة، ظهرت يد رجل في الفيديو. دون أن يجلس على الكرسي ذو المسندين، كتب الشخص الغامض شيئًا بسرعة واختفى عن الأنظار. لقد أثار فضولي. ماذا يمكن أن يكون؟ من يكون "لوكاس" الذي تتحدث عنه "هيناتا"؟ انتظرتُ حتى ظهر الشخص على الشاشة مرة أخرى. لم يكن وجهه واضحًا حتى الآن. ألقى نفسه على الكرسي الدوار. لذا تمكنتُ من رؤية قدر كبير من جسده. لقد كان صبيًّا، نحيفًا إلى حدٍّ ما، متوسط الطول. كان يرتدي بنطال جينز داكن اللون وقميصًا مخططًا بدرجات مختلفة من اللون البني. مرة أخرى ظهرت اليدان، تكتب بخفة على لوحة المفاتيح، والأصابع الطويلة المزينة بحلقات معدنية، وسوار أسود على كل معصم. بدا أنه يتحدث إلى شخص ما على الجانب الآخر من الكمبيوتر، لأنه بعد مدَّة قصيرة توقف عن الكتابة وانتظر. بعد دقائق، غادرتْ اليدان لوحة المفاتيح وقلب كاميرا الويب إلى أعلى، وتغيرت الزاوية. ظهر الوجه في المقدمة، مع دولاب غير مرتب في الخلفية. بجانبه كان يوجد باب خشبي مغلق. في الزاوية اليسرى كان هناك شيء يشبه حافة السرير. في البداية، استغرق الأمر مني بعض الوقت لتعرفه. كانت

الصورة غير واضحة. إلى جانب ذلك، أنا أحفظ الأسماء، ولكني لا أستطيع حفظ الوجوه.

تمتمتُ: "لوكاس".. بشكل لا إرادي أصبحتُ مهتمًا الآن بمعرفة ما سيحدث بعد ذلك. كان يدرس معي. على الرغم من أنني كنت مع الصبي يوميًّا تقريبًا مدة عام ونصف، لم أكن أتحمل أبدًا تبادل أكثر من خمس كلمات معه. كان دائمًا متعبًا، وكان يضع حلقًا في أنفه ولسانه وحاجبيه، ويتدلى شعره على عينيه الواسعتين، وينتشر الوشم الأسود على جسده النحيل وكان دائمًا ما يرتدي ملابس رياضية سوداء مرعبة من نوعية "Gothic».

لم أرغب في بدء أي محادثة مع شخص من هذا القبيل. ظللتُ أشاهد الفيديو. ألقى «لوكاس» نظرة سريعة على كاميرا الويب، كما لو كان يحيي المشاهد على الجانب الآخر من الكمبيوتر، ثم التفتَ إلى الشاشة. اختفت اليدان في الأسفل في أثناء كتابة شيء آخر. كان وجهه جادًّا، وبدا واثقًا بنفسه ومبتسمًا، ويهمس الكلمات التي كان يكتبها. من حين إلى آخر، كان يبتسم وينظر إلى الكاميرا سريعًا. استمر الوضع مدَّة كافية بالنسبة إليَّ لإعادة النظر في إمكانية إغلاق هذا الهراء والنوم. لكن شيئًا ما جعلني مقيدًا. ربما بسبب معرفة من كان هو. وربما توقع حدوث شيء مفاجئ.

ولقد حدث.

فجأةً، وقف «لوكاس» وأعاد الكرسي للخلف. واختفي وجهه من الشاشة، وبدأتُ أراه فقط من عند الخصر إلى الأسفل. رفع يديه مرةً أخرى، لجعل كاميرا الويب لأعلى ومن زاوية جديدة. اختفت حافة السرير من الجانب. وظهر الجزء العلوي من الدولاب، عليه سلسلة من ملصقات لفريق «Nightwish". كما اختفى مقعد الكرسي ذو المسندين من الشاشة، لكن ظهره المنجد كان لا يزال في الصورة. نظرًا إلى سوء جودة الفيديو، لاحظت بعد ذلك خطًّا رفيعًا يظهر في أعلى الشاشة ويمتد إلى المنتصف. في البداية، اعتقدت أنه كان عيبًا في الصورة، ولكن عندما لمسه "لوكاس"، استنتجتُ أنه كان حبلًا. مثبتًا في السقف. بخفة يد لا تصدق، صنع حلقة على الحبل ووضع الكرسي تحتها. لقد تخيَّلت بالفعل ما كان على وشك الحدوث، لكن ذهني رفض تصديق ذلك. يمكن أن يكون "لوكاس" غريبًا، ومروعًا، لكنه لم يكن انتحاريًّا! أم كان كذلك؟

ألقى نظرة أخيرة على الكاميرا. وصعد على الكرسي وأدخل رأسه في دائرة الحبل وأخرج شريطًا لاصقًا طويلًا من جيبه. وبمهارة محترف ربط يديه خلف ظهره وأغمض عينيه وهو فوق الكرسي ذو العجل الذي كان يهدد وقوفه بثبات فوقه بشكل خطير. وبدأ ينتظر أن تمر الدقائق وهو يتدلى من حبل

المشنقة مثل دمية متحركة تلعب فوق كرسي هزاز. وفجأةً، انزلقت قدماه. وانزلق الكرسي فوق الأرض نحو الباب، بينما ظلّ جسده معلقًا في الهواء، مثل راقصة الباليه التي تتدرب على العرض الأخير. حمله الحبل في الهواء. اتسعت عيناه الدامعتان، أمام كاميرا الويب. فاتحًا فمه، محاولًا بشكل غريزي استنشاق بعض الهواء. كان جسده المتدلي، يرتجف مثل الحشرة التي تكافح بعد التقاطها مباشرةً.

تدريجيًّا، تحول وجهه إلى اللون البنفسجي، وتغيرت ملامحه. يمكنني بالفعل توقع اللحظة التي يتوقف فيها جسمه عن الحركة ويظهر شخص آخر على الشاشة لإنقاذه. كل شيء خدعة. ولكن لا: استمر "لوكاس" يعاني. ولم تعد مزحة. كان يهز ساقيه في الهواء في حركات عنيفة على نحو متزايد. وعندما يشنقه الحبل سينتهي كل هذا الألم. كنت أتصبب عرقًا باردًا. إذا كان ذلك ممكنًا، كنت سأقفز داخل الشاشة لأنقذ الرجل من هذا الرعب.

حدثت المعجزة، وفُتِح الباب من خلفه وظهر شخص. أمسكته من الخصر. وأخذت تخفف لفة الحبل حول عنق "لوكاس" بعناية. على الرغم من الصورة غير الواضحة، كنت أرى الخوف على وجه الفتاة التي لا أعرفها وأنقذته. كان شعرها قصيرًا وكانت جميلة. سحبت الكرسي بقدمها إلى الوراء تحت "لوكاس" وتمكنت من تثبيته. حررته من الحبل وألقت جسده على الأرض. اختفى من الشاشة، لكن لا يزال بإمكاني رؤية الفتاة وهي تحاول إفاقته. كانت تصرخ بشيء ما. للحظة، تمنيتُ لو لم يكن الفيديو صامتًا.

ثم نظرت الفتاة إلى الكاميرا، مدركةً الفضيحة، لأن كل شيء تم تسجيله. نهضت بسرعة، وسارت إلى كاميرا الويب وغطت العدسة بيديها. وأصبحت الشاشة سوداء. وانتهى الفيديو.

سألتُ "هيناتا"، وبدأ الأدرينالين يمر عبر عروقي: - ما هذا بحق الجحيم؟ كانت تلك الدقائق العشر من الفيديو الرديء أكثر رعبًا من أي فيلم لـ"هيتشكوك". إنها خدعة، أليس كذلك؟

- هههههههههه.. لا! هذا حقيقي.

- كيف ذلك؟ هل حاول الشاب أن ينتحر؟

لقد صدمتُ. في عالمي الصغير، ينتحر الناس فقط في الأفلام. وليس في الواقع.

- نعم، حاول أن ينتحر.. إنه زميلنا في الجامعة. هل رأيته؟

أجبتها:

-

- رأيته.

وطرأتْ على ذهني آلاف الأسئلة، لكن لم أكن أعرف من أين أبدأ.

سألتها:

- لكن لماذا؟

- لا أعرف! لا أعتقد أن شخصًا ما ينتحر لسبب معين.. يجب أن يكون هناك العديد من الأسباب، ألا تعتقد ذلك؟

- أجل. قد يكون غير قادر على التفكير بشكل صحيح.

- آه يا رجل.. من المؤكد أن حياة الشاب كانت مليئة بالمشكلات. ويبدو أنه ليس طبيعيًّا أيضًا.. إنه يعاني الاكتئاب.. يعاني تفشي المرض وأشياء من هذا القبيل.

كتبتُ:

- أفهم، إنه غريب، أليس كذلك؟

كان لدي المزيد من الأسئلة لطرحها:

- متى كان ذلك؟ لماذا كان يصور الانتحار؟ كيف تسرب الفيديو؟

- يبدو أنه كان يوم الأحد. كان بمفرده في المنزل ودخل على أحد المواقع التي تشجع على الانتحار. هناك العديد منها على الإنترنت.. كان يتكلم مع شخص عبر الإنترنت، أقنعه بالانتحار وتصوير كل شيء. وافق الأحمق وجهَّز كل شيء. ورفع الشاب نفسه الفيديو على الإنترنت بعد ظهر أمس ليشاهده أي شخص. وجده "سيرجينيو" مصادفة وأرسله إليَّ.. أعتقد أن الدفعة بأكملها شاهدته بالفعل.

لقد كتبتْ كل ذلك مرة واحدة.

- اللعنة.. أي لعنة هذه؟

- أعتقد هذا أيضًا.. لكنني لاحظت أنه غاب يومي الاثنين والثلاثاء. لا بدَّ أنه في مصحَّة لعلاج هذا الجنون.

أجبتها:

- نعم.

كان "لوكاس" من النوع الذي لم يلاحظه أحد. لم يسأل أي سؤال. لم يتكلم بصوت عالٍ. لم يكن معروفًا بين الناس.

سألتْ:

- أعتقد أنني يجب أن أنام، يا "أليس".. فبعد أربع ساعات يجب أن أستيقظ! هل سيحضر اليوم؟

- لا أعرف.. لو جاء، فسوف أختفي من الكلية بعد ذلك.

- ههههههههه. أنا أيضًا! قبلاتي لك وأراك لاحقًا!

سألتها بفضول:

- انتظري دقيقة! ما هو الموقع الخاص بالانتحار الذي تصفحه؟

أرسلت لي الموقع وأضافت:

- أنت لن تفعل شيئًا من هذا القبيل، أليس كذلك؟ ههههههههه!

عندما كنتُ على وشك الرد، كانت بالفعل غير متصلة بالإنترنت.

نقرتُ على الرابط، وفُتحتْ شاشة جديدة. ظهر مضاد الفيروسات الخاص بي، محذرًا من أن العنوان غير آمن. يا لها من سخرية. كبَّرتُ الموقع في وضع ملء الشاشة. كانت الخلفية سوداء والأحرف حمراء. وضَّح عدة طرق للانتحار، مع شرح مفصل، مصحوبًا بصور ومقاطع فيديو. في النهاية، توجد لافتة مضيئة تدعو الشخص للدخول في محادثة. لم أكن في حاجة إلى عمل تسجيل دخول. فقط أنشئ اسم مستخدم وكلمة مرور وهذا كل شيء. وستكون داخل اللعبة.

على الرغم من تفهمي مع إدانة المسيحية للانتحار، لكني كنت أعتقد دائمًا أن العالم بأكمله لديه ميول انتحارية وبنسبة كبيرة. فكلنا لنا نهاية. وهناك خط وهمي للمشكلات، إذا تجاوزناه، جعل الحياة بلا معنى. معظمنا محظوظون بما يكفي للموت بشكل طبيعي قبل أن نصل إلى الانتحار. ولكن بالنسبة إلى البعض، الأمر ليس بهذه السهولة. وأنا أفهم.

لا أعتبر نفسي رجلًا ضعيفًا لأسباب عاطفية وأزمات الحياة. إذا كنت سأنتحر، فسيكون ذلك لسبب عقلاني. ربما قضية نبيلة. لا شيء متهور ولأسباب عاطفية. قررتُ إنشاء اسم مستخدم وكلمة مرور لتسجيل الدخول للمحادثات. من المفترض أن أكون قد ذهبت في النوم بالفعل، وكل ما أردت فعله هو معرفة تفاصيل تلك القصة. على الرغم من أنني كنت أعرف أنني يجب أن أكون في الكلية بعد خمس ساعات. فتحتُ صفحة جديدة واستخدمتُ اسمًا "مستعارًا". في أعلى اليمين، كانت هناك قائمة بالمستخدمين عبر الإنترنت. في النصف، جرت عدة محادثات في الوقت نفسه. في الأسفل، سمح لي مربع بالكتابة لدخول المحادثات. قلت "مرحبًا".

لم يجبني أحد. عند قراءة الرسائل السابقة، حاولت أن أفهم ما يحدث هناك. كانوا يحاولون إقناع شخص استخدم اسم "ريكي 15 سنة"، بقطع شرايينه أمام كاميرا الويب. علّق "ريكي 15 سنة" أنه يكره والديه وانفصل عن صديقته. وحث شخص يدعى "زي" الصبي على الانتحار، قائلًا إنه سيختصر معاناته إذا أنهى كل شيء. أردت أن أسأل "زي" لماذا لم ينهِ حياته، لأنه قال إن إنهاء الحياة شيء جيد للغاية. لكني لم أفعل.

بعد ذلك بوقت قصير، أدركتُ، من خلال النقر على رمز أحد المستخدمين من القائمة، أنه قد ظهرت شاشة صغيرة لكاميرا الويب الخاصة به، قيد التشغيل. نقرتُ على "زي" وظهرت شاشة سوداء. أغلق الوغد الكاميرا. واختبأ وراء اسم مثير للضحك لممارسة المثلية. لا أشك في أنه رب أسرة، وموظف، ومواطن مثالي خلال النهار. وخلال الليل، كان يزيل قناعه ويضع قناعًا افتراضيًّا آخر للعب مع القذارة التي بداخله. نقرت على "ريكي 15 سنة". على الرغم من الإضاءة الضعيفة، أظهرت الكاميرا بوضوح صبيًّا يجلس على كرسي، يكتب على الكمبيوتر في غرفته الخاصة. كان يرتدي شورت بيجامة دون قميص. قال إنه في الخامسة عشرة من عمره، لكنه بدا في الثانية عشرة أو الثالثة عشر على الأكثر. كان يسلي نفسه بتحريك الكرسي من جانب إلى آخر بينما كانت عيناه تفحص الرسائل بعناية. مسترخيًا بخجل أمام الطاولة، بجوار الفأرة، كان هناك سكين مطبخ، في حال أقنعه "زي".. تخيلتُ ما يمكن أن يحدث.

فكرتُ في التدخل. وأن أرسل إلى "ريكي 15 سنة" أطلب منه أن ينام. وأن يتحدث مع طبيب نفسي في اليوم التالي. لإفساد خطط "زي" والجميع كي يجدوا شيئًا أفضل لفعله.. لكن بلا فائدة. كانوا يزعجونني فحسب. كانوا محميين تحت القناع الظاهري، سيخرجونني من هذا الموقع في النهاية. وسيعودون في اليوم التالي لنشر شرهم مرة أخرى.

حتى ثانية، تساءلتُ أين كان والدا الصبي. كيف كان من الممكن لشخص أن يترك ابنه البالغ من العمر خمسة عشر عامًا يستخدم الإنترنت في الساعة الثالثة صباحًا يوم الأربعاء؟ أين سيكونان؟ هل الشعور المتبادل؟ هل يكرهون الصبي أيضًا؟ هل كانوا ينتظرون انتحاره؟

عندما قرأت تلك الرسائل، ورأيتُ ذلك الصبي الأشقر وحب الشباب على وجهه وهو يلعب بالسكين، ولاحظت أولئك الأشخاص الذين قضوا الليلة وهم يحاولون إقناع بعضهم بعضًا بقتل أنفسهم، شعرتُ بالاشمئزاز. الاشمئزاز من كونك إنسانًا أيضًا. كبشر مثل الذين يختبئون خلف أسماء مستعارة. كنت على وشك إغلاق الموقع عندما ظهرت نافذة جديدة. دعاني شخص يدعى "السيد

الوحيد" إلى إجراء محادثة خاصة. قررتُ القبول. في البداية، قال لي مرحبًا وسأل عن مكاني. أجبته: - ريو دي جانيرو.

فقد قررت أن أكذب كلما أمكن حتى لا أتورط بعد ذلك. قال إنه أيضًا "كاريوكا" أي من مدينة ريو دي جانيرو. وسأل عن عمري.

- أربعة عشر. ماذا عنك؟

- ثلاثة وثلاثين.

ابن العاهرة كان رجلًا بالغًا. سأل "السيد الوحيد": - ما الذي يفعله ولد مثلك هنا في هذه الساعة؟

آثرت احتمال أنه من الأشرار الطيبين. شخص، مثلي، دخل الموقع مصادفة وحاول الآن منع شاب آخر من الانتحار.

- سافر والداي. الخادمة نائمة. وأنا لا أشعر بالنعاس.

لقد كذبتُ.

- ها.. لكن لماذا انضممت إلى هذه المحادثة؟ هل أنت حزين بسبب شيء ما؟

- لا أدري.. الفتيات لا يحبونني. ومات كلبي "بيجودو".

كتبت مدركًا مدى سهولة الكذب في محادثة مثل هذه. بعد مدَّة، يصبح الأمر تلقائيًّا تقريبًا.

- فهمتُ. ما الحي الذي تعيش فيه يا فتى؟

أجبت الحقيقة:

- "كوباكابانا". لماذا؟

- أنا أعيش في "جراجيا". في يوم من الأيام يمكننا أن نتقابل، وتخبرني عن مشكلاتك.

كتب "السيد الوحيد". وبالطريقة التي كانت تسير بها الأمور، لا بدَّ أنه كان ابن عاهرة من "المتحرشين بالأطفال". أجبت بسرعة متهربًا: - لن يسمح لي والداي.

- ألم تقل إنهما مسافران؟

- نعم. لا أستطيع مقابلتك من دونهما.. أنا في الرابعة عشرة، هل نسيت؟

- يمكنني اصطحابك بالسيارة إلى المدرسة. ربما غدًا.

- يمكنك.

كتبتُ، محاولًا معرفة إلى ما ينوي الوصول.

- هل لديك كاميرا ويب يا فتى؟

ابن العاهرة!

- عندي. هل لديك؟

- أنا أيضًا لديَّ.

- هل حاولت قتل نفسك من قبل؟

أجاب:

- لا.. في الحقيقة، أنا ضد الانتحار.. أدخل تلك المحادثة لذلك السبب.. لمنع الفتيان مثلك من فعل هذا الهراء.

- فهمت.

- عقلك مرتبك، لا تعرف حقًّا ما تريد. كنت كذلك وأنا في عمرك.. لذا أتيت إلى هنا للمساعدة.. اكتشفت نفسي تدريجيًّا وأعتقد أنني أستطيع مساعدتك، هل تفهمني يا فتى؟

- أعتقد ذلك.

انتظرت أن يستمر في كلامه.

- قلت إن الفتيات لا يحبونك.. أفهم.. لم يحبونني أيضًا، هل تعلم؟ لذلك حاولت مع الأولاد.. هل فكرت في فعل ذلك؟

اللعنة! شعرتُ بقشعريرة في جسدي. أجبته:

- لا، مطلقًا.

- لقد رفضتُ أنا أيضًا ذلك في البداية، هل تعلم؟ ولكن في النهاية كانت جيدة. يجب أن تحاول.. يمكنني مساعدتك في ذلك أيضًا. شغِّل كاميرا الويب الخاصة بك وأنا أيضًا سأشغِّل الكاميرا.. دعنا نبدأ الأمر تدريجيًّا.

أغلقتُ النافذة وأطفأت الكمبيوتر بسرعة. شعرتُ بألم في معدتي، وشعرتُ برأسي وكأنه سينفجر. اختبأت تحت الغطاء الثقيل، والأنوار مطفأة. حاولت أن أنام، لكن الصورة الغامضة للـ"السيد الوحيد" كانت تؤرقني. أصلع. أشقر. سمين. موسيقي. طويل القامة. شاب. أسود. قصير. عيونه زرقاء. غني. محامٍ. عجوز. طبيب. فقير. يمكن أن يكون أي شخص. يمكن أن يكون جاري.

يمكنني أن أقابله في طابور السينما، في ممر فندق أو على الشاطئ. شخص عادي؛ لا يلفت الأنظار. يتظاهر بأنه ليس كذلك. هو من يستغل ضعف الطفل المرتبك لممارسة بعض المثلية الجنسية.

بقيتُ أفكر في ذلك مدة طويلة، غير قادر على أن أغمض عيني. مرت أمامي قائمة وجوه مألوفة وغير معروفة، كما هو الحال في الأفلام. جميع المتحرشين بالأطفال.. كلهم أبناء العاهرة الملعونين.. كل الأوغاد الذين أمضوا الليل يحرِّضون الناس على الانتحار.. الفاسدون.. الزناة.. الساديون.. المنحرفون.. المرضى النفسيون.. عالم فاسد. أشخاص فاسدون.

في لحظة ما، نمتُ.

استيقظتُ متأخرًا، بالطبع. نظرتُ من النافذة وأدركت أنه سيكون يوم أربعاء سيئًا. كان المطر يتساقط. رأيتُ أنه من الأفضل أن أعود إلى الغطاء الناعم وترك العالم. لكن ذلك لم يكن ممكنًا. لن يسمح بذلك "جوزيه مارتينيز هيرارا" وتسليم الدرجات. بدت الخمسين دقيقة من "كوباكابانا" إلى الكلية وكأنها زمن طويل، بالرغم من مكيف الهواء والصوت اللطيف للمرأة التي تعلن وصول القطار عند كل محطة من محطات قطار الأنفاق. استغللت بعض الوقت لقراءة كتاب، ولكن كانت هناك دائمًا سيدة عجوز تجبرني على أن أكون رجلًا صالحًا وأن أترك لها مكاني.

انتهيت من قراءة كتاب لـ"جون جريشام" واعتقدتُ أنه إذا كان هؤلاء المحامون المذكورون بكتبه موجودين في الواقع، فإن المهنة القضائية ستكون أكثر إثارة للاهتمام. لطالما كنت أرغب في كتابة فيلم قضائي مثير، لكن النظام البرازيلي لا يساعد كثيرًا. أعني أن النظام الأمريكي يسمح بعقوبة الإعدام، ويمكن للمحلفين التحدث مع بعضهم بعضًا لاتخاذ قرار. عادل أم أقل عدالة؟ لا يهم. النقطة هي أنه من الصعب تأليف محتوى تشويقي جيد دون أن يوشك أحد أن يُعدم على الكرسي الكهربائي ودون مداولة هيئة محلفين، كما هو الحال في فيلم "12 رجلًا غاضبًا".

بالابتعاد عن الموضوع الرئيسي، عبرتُ فوق كوبري عبور المشاة إلى جامعة ريو دي جانيرو. بالقرب من البوابة، كان هناك شيء ما يحدث: عزلت سيارة إسعاف وسيارتان للشرطة منطقة من الحديقة. وصلتُ إلى المصعد وصعدتُ إلى الطابق السابع. لم يكن عليَّ حتى أن أذهب إلى نهاية الممر، حيث كانت محاضرتي. كان الجميع محتشدين في القاعة، يتحدثون بحماس. آخر حشد رأيته في حياتي، كان بداية إضراب ما. في زاوية قريبة من النوافذ الزجاجية، كانت "هيناتا" تتحدث مع "زاك". قال: - تبًّا يا "أليس" دائمًا تفوتك الأشياء الجميلة!

قد رحب بي بالضغط على كتفي.

- ما هذا؟

أجابت "هيناتا" دون أن تعرف أتضحك أم تبكي:

- إنه "لوكاس". لقد حضر إلى الكلية اليوم. بدأ "كادو" يضايقه. ومن ثَمَّ...

- ومن ثَمَّ ماذا؟

- لقد كان غاضبًا جدًّا لأنه سُرِّب مقطع الفيديو الخاص به. صعد إلى الطابق العاشر، وتسلق السور وهدد بالقفز.

- تبًّا! هل كانت لديه الشجاعة؟

سألتها مصدومًا وأنا ألقي حقيبتي على الأرض. وقد اتضح سبب وجود سيارة الإسعاف والشرطة والارتباك عند المدخل. قالت وهي ما زالت تضحك: - بالطبع لا! إنه يتراجع دائمًا في اللحظة الأخيرة.

في فيديو الشنق، بدا أن "لوكاس" لم يتراجع. من حسن الحظ، ظهرت تلك الفتاة وأنقذته.

تابعتْ:

- لكن الطريقة هنا مختلفة! لقد وقف هناك يصرخ. ويهدد بالقفز وإحداث الضرر. كان هذا سيكون الانتحار السادس هذا العام في جامعة ريو دي جانيرو.

بجانب كونها جامعة حكومية، أصبحت مسرحًا للانتحار.. وذلك كله بسبب سهولة صعود السلالم الخرسانية، والوصول إلى الطابق العلوي، والوقوف على السور المنخفض ومحاولة الطيران التي تجذب الكثير من حالات انتحار محتملة. في البداية، كانت الصحافة تنشر خبرًا عن الوفيات حتى هذه اللحظة، ثم تحول الأمر إلى جناية، لعدم وجود بروفيسور وحظر على الحمام. يكفي ست حالات انتحار في عام واحد. لقد رأيت جثتين. إحداهما لسيدة مسنة كانت غارقة في الدماء وملقاة على الأرض، حيث أخذ رجل المطافئ كيسًا بلاستيكيًا أسود لتغطيتها. والثانية كانت لفتاة صرخت وقالت إنها ستنتحر، ثم رأيتها وهي تسقط نحو الأرض. أعتقد أنها كانت طالبة، لكن السيدة العجوز، لا أحد يعرف من أين جاءت.

سألتها:

- كيف حدث ذلك؟

- لقد كان مشهدًا كما في الأفلام، يا رجل. صعد إلى هناك وبدأ بالصراخ. اتصلوا بالشرطة. جاء رجال الإطفاء أيضًا. جاء رجل للتحدث معه، حاول التفاوض، هل تعلم؟ لكنه لم يتزحزح. وصلت الأم فيما بعد وهي تبكي يائسة. جاء الأب أيضًا. حاولا التحدث، وبدأ "لوكاس" في البكاء عندما قالت له والدته إنها تحبه. لقد بكى يا رجل! أمام جموع الناس، كان الجميع ينظر إليه، وظل هو واقف هناك كالطفل!

- وكيف انتهى الأمر؟

- كما فهمتُ، فهو كان يشعر بالاكتئاب والغضب من كل شيء.. ووالداه منفصلان. لقد قال ذلك في الفيديو، وعندما وصل إلى الكلية اليوم ورأى أن الجميع عرف قصته، وجد نفسه في وضع حرج وقرر أن يحاول الانتحار مرة أخرى. لكن طبيبه النفسي وصل وأقنعه بالتخلي عن هذه الأفكار الغريبة بأكمله. اسم الطبيب النفسي هو "جوسماو ألفارينجا".

أخرجتُ رأسي من النافذة ورأيت سيارة إسعاف صغيرة هناك. شعرتُ بدوار عندما تخيلت نفسي على وشك السقوط من هذا الارتفاع. لقد عدتُ إلى المحادثة: - هل سلم "هيرارا" درجات الاختبار؟

أوضح "زاك":

- لقد قال إنه لم يكمل تصحيحها، ووزَّع بعضها. أنا لم أتسلم درجتي.

صرخت "هيناتا"، بسعادة:

- حصلتُ على ثمان درجات ونصف، لكنه رفعها إلى تسعة! إنه شيء جميل. سأذهب وأتحدث معه. يجب أن يكون في غرفة الأساتذة.

أومأتُ وودعت كليهما. مشيتُ في الممر. لم يكن في غرفة الأساتذة. لقد وجدته في "الكافيتريا" يشتري مشروبًا. اعتذرتُ منه، وقلتُ لقد تأخرت، وتحدثتُ عن اختباري.

- لا داعي للاعتذار يا فتى. لقد كان يومًا غير عادي.

لقد انتظرته حتى أخذ المشروب واختار الطاولة. أزال الأستاذ ورقة من الملف الذي كان يحمله تحت إبطه. وقال: - كانت الدرجات جيدة جدًّا. ما اسمك مرة أخرى؟

- "أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو".

- حسنًا. انتظر دقيقة.

قلَّب بسرعة الاختبارات بحثًا عن اسمي وقال:

- آه، نعم. ها هي.. يا للأسف لم أصححها بعد.

أجبته:

- لا توجد مشكلة.

- كنت أنوي الانتهاء منه الليلة الماضية. لكن كان لدي بعض المشكلات الشخصية التي شغلتني حتى الصباح، أتعلم يا فتى؟ أعتقد أنني لن أتمكن من مواصلة تصحيح الاختبارات إلا في يناير. لقد تسببت تلك الجلبة في تأخير كل شيء.

قال ذلك مبررًا، وأشار بغمزة ودية. لكنني لم أعد منتبهًا إليه. بدا هذا الشيء مألوف؛ تلك الجمل التي تنتهي بـ"فتى"، تبريرات لعدم تصحيح كل الاختبارات بسبب مشكلات شخصية عند الفجر، والغمزة.. كان يشبه "السيد الوحيد"! كما اعتقدت، كان شخصًا بعيدًا عن الشبهات، رجلًا عزبًا ورائعًا ذا مهنة قوية وناجحًا، يفهم القوانين جيدًا، ويكشف خلال الليل عن وجهه الحقيقي في عالم بلا قوانين.

- هل هناك مشكلة يا فتى؟ هل هناك شيء يزعجك؟

أعتقد أنه لاحظ أنني أتصرف بغرابة. أجبته بسرعة بأنه لا يوجد شيء يزعجني وانصرفتُ من هناك. إنه ليس أستاذ القانون الجنائي بل هو المتحرش بالأطفال الذي كنت أتحدث معه ليلة أمس. إذا لم يكن قد شاهد فيديو "لوكاس"، مثلي أنا، ودخل على الموقع بدافع الفضول. لم أكن جيدًا، استمررت في تخيل احتمالات شيطانية.

كان وجه "السيد الوحيد" يراود خيالي بنظرة شيطانية، وأحيانًا بملامح البروفيسور "هيرارا".

قررتُ أنه من الأفضل العودة إلى المنزل. ركبتُ المترو وعندما وصلت ارتديتُ البيجامة. أغلقتُ ستائر النافذة ودخلتُ تحت الغطاء ونمتُ. استيقظتُ الساعة السابعة مساءً ومنذ ذلك الحين وأنا أكتب وأفرغ كل ما مر بحلقي. ربما سيصبح كل شيء أفضل الآن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

28

الفصل الثامن:

سقط جسد "نويل" فوق جثة "ريتينيا" الخاملة. سقطت رأسه على صدرها العاري. فركض "زاك" نحوهما، وحاول منعه، لكنه لم يصل في الوقت المناسب.

قال وهو ينظر إلى المشهد:

- تبًّا.

ووضع يده على وجهه محاولًا تنظيف الدم الذي لطخ جبهته وشعره. عبَّرت عيونه الواسعة عن دهشته. لم يتوقع أحد أن يُطلق "نويل" الرصاصة في رأسه وينهي حياته بعد ممارسة الجنس مباشرةً. هو نفسه ربما لم يتوقع ذلك.

شعرتُ بالقشعريرة عندما أدركتُ أنني كنت سأفعل الشيء نفسه لو كنت مكانه، وكنت سأنهي حياتي أيضًا عند ذروة المتعة.

الآن، تلتقي روحهما معًا.

لم يلمسهما "زاك". كانت الأجساد متشابكة، والأعضاء التناسلية في حالة اتصال، وظهر "نويل" العاري مسنودًا إلى جذع "ريتينيا". وكان الدم مثل حجاب أحمر اللون. كان منظر قذارة البقع على الجدران ورؤوسهم المحطمة، يتعارض مع حب "نويل" المهووس.

وبدلًا من الشعور بالاشمئزاز، شعرتُ بالعار، لأنني لن أموت من أجل أحد. العار لكوني واقعيًّا، وطموحًا ومستبدًّا. العار لعدم التفكير في الموت من أجل الحب.. حتى ثانية، كل ما أردت هو أن أعيش لحظة كهذه، تتاح لي الفرصة للشعور بالشبع. أنا الذي كنت أعتقد دائمًا أنني متفوق على "نويل"، أحسده الآن على تلك الابتسامة على وجهه، المحفورة بقوة في ذاكرتي، والتي تُظِهر مدى سعادته، كم كنت أستطيع (وينبغي) أن أستمتع بالحياة. لكنني أدركت ذلك بعد فوات الأوان.

خمسة أشخاص، خمس رصاصات ويستمر "الروليت الروسي".

تمتم "زاك"، دون أن يبعد عينيه:

- هو.. لا يمكن أن يفعل ذلك.

لم تفوِّت "فاليريا" فرصة العودة إلى الاستفزاز. التفَّتْ إلى "زاك" وقالت: - مبارك، لقد نجحتَ.. لا داعي لهذا الوجه العابس، هذا لن يخدعني.. أنت ماكر،

ذكي جدًّا.

لم يرد ولم يهتم بـ"فاليريا". واستمر في مشاهدة الجثث.

تابعتْ بإثارة:

- أربعة قتلى، هاه؟ أربعة! كلهم بسبب لعنتك.

قالت "جواو" وهي تجلس كأنها في حديقة بين الماكونيا والفودكا: - اخرسي! لا أتحمل رؤيتكما تتجادلان بعد الآن.

أضافت "فاليريا" دون أن تلتفت:

- وما زلت تستطيع خداع أولئك الحمقى الذين يواصلون ذلك. لكن لن تخدعني يا "زاك". لستُ أنا من يمكنك خداعها!

- هل تقولين إنني قتلت "نويل" أيضًا؟ هل تعتقدين أنني دبرت كل شيء لينتحر في النهاية؟ انظري في عيني، من تظنينني "فاليريا"؟ الرب؟

ضحكتْ عمدًا، وقالت:

- أنت لن تكون الرب يا "زاك".

- وما رأيك؟ هل أتوقع ردود أفعال الأشخاص؟ من كان يعلم أن "نويل" سينتحر في أثناء ممارسة الجنس مع "ريتينيا"؟!

- أرجوك يا "زاك"! لا تخدع نفسك.. الأمر ليس بهذه الصعوبة. نعم.. كان من الواضح أنه سيقتل نفسه. ماذا كنت تعتقد؟ أن يغلق السحاب ويعود إلى لعبة "الروليت الروسي"؟

دافع قائلًا:

- هذا ما كنت سأفعله! سأغلق السحاب وأعود إلى لعبة "الروليت الروسي".

- أعرف. سوف أدَّعي أنني حمقاء مثلهم وأعتقد.. ولكن فيما يتعلق بي، سينتهي بك الحال عند أربعة قتلى يا "زاك". لن أسمح بسقوط قتيل خامس. لن أسمح.. إذا وضعت رصاصة أخرى في هذا المسدس، سأغادر.

وقف، يحدق إليها.

- ولا تفكر في فعل مهزلتك هذه مرة أخرى! لأنني لو كنت مكانك لفكرتُ مرتين قبل أن تملأ هذا المسدس وتسلمه لي، لأنني سأوافق هذه المرة يا "زاك".. وسأطلق النار عليك!

قال "لوكاس" بغضب، وقد نهض من جانب أخته واقترب منهما: - ماذا بحق الجحيم يا "فاليريا"! لماذا تصرين على هذا الهراء؟ سبق أن قلتِ إنها ديمقراطية. إننا أربعة ضد واحد وهذا كل شيء!

فأجابت ولوحت بذراعيها وكادت تلمس وجهه:

- اللعنة على الديمقراطية! لم أحب أبدًا الديمقراطية! إنها إرادة الأغلبية، لكن ما هي الأغلبية التي لدينا هنا؟ فتى مكتئب، فتاة تبدو مثل مدمني الماريجوانا، وذلك المتخلف الذي يواصل الكتابة! وبقرة سمينة – أنا - تعتقد أنها صاحبة الحقيقة. سواء صاحبة الحقيقة أم لا، أنا أفضِّل الديكتاتورية. دكتاتورية "فاليريا". أنا آمر وأنتم تطيعون. إما ذلك، وإما سأخرج!

تساءل "زاك" بازدراءٍ:

- أتخرجين؟

- هذا صحيح. أنا بالخارج. سأترك هذه القذارة و...

كرر "زاك":

- تبتعدين، وماذا بعد؟! وماذا، أنت غبية؟ هل ستخرجين وتقولين إنك نادمة على المجيء؟ كيف ستفسرين وجود ثمانية جثث في القبو؟ كيف تفسرين وجود بصماتك على المسدس؟ التحريض على الانتحار هو أيضًا جريمة، أيتها المتوحشة. سيُقبضَ عليكِ. ستُحتقرين. وستظلين نادمة على البقاء على قيد الحياة.. سوف تربين طفلك وحدك. في الحضيض!

- اسكت!

- إنه طريق اللاعودة يا "فاليريا". بمجرد الدخول، لا توجد طريقة للتراجع.

انكمشتْ، وعيناها مملوءتان بالدموع. وتحدثته قائلة:

- أنت تتجاهل قواعدك الخاصة، يا "زاك".

وتابعتْ وشفاهها ترتجف:

- لقد قلت إن الأخير يمكنه أن يختار بين الحياة أو الموت.. ماذا لو كنت أنا الأخيرة واخترت أن أعيش؟

- أنا لا أتجاهل القواعد، يا "فاليريا". ولكن لا أحد سيفعل ذلك. من يكون غبيًّا للبقاء على قيد الحياة بعد كل هذا. إذا خرج شخص حيٌ من هنا، عليه أن يسلم نفسه للشرطة، للعدالة، للمجتمع.

وأكد:

- إذا كنتُ أنا آخر شخص، لن أفكر، سآخذ الرصاصة المتبقية وسأضغط على الزناد في الحال. دون خوف. وأنصحك أن تفعلي الشيء نفسه.

ضاع كلام "زاك" هباءً. فبعد مرور وقت من الصمت، اتجهت "فاليريا" نحو الباب وحرَّكتْ المقبض، لكنه لم يفتح. وحاولتْ مرة أخرى، كما لو أن المقبض سيستجيب لها. استجمعتْ قوتها وكانت تمسك الباب، محاولةً كسره بأي طريقة.

- أين المفتاح يا "زاك"؟ أين مفتاح هذا الباب؟

قبل أن يحظى "زاك" بوقت للتحدث، رد "لوكاس":

- إنه لا يعرف. في الواقع، لا أحد يعرف.. أنا فقط من يعرف. لقد أعطاني المفتاح، وتخلصت منه.

سألتْ "فاليريا" محاولةً التمسك بالصبر:

- أين وضعته، يا "لوكاس"؟

توقفتْ عن لكم الباب وأخذتْ نفسًا عميقًا، كانت تتمالك نفسها في صبر.

- لقد ابتلعته.

كذب عليها. وفتح فمه وأخرج لسانه كما لو كان عند الطبيب. وقال: - هل تريدين أن تأخذيه؟

قالت بدهشة:

- هل بلعت المفتاح؟!

أجاب "لوكاس" مبتسمًا:

- من المحتمل. كما أنه من المحتمل أن يشعر شخص ما بغيابنا ويبحث عنا.. في وقت ما، سيصل إلى هنا.. وحقيقة لا أريد أن أكون على قيد الحياة عندما يحدث ذلك.. لذا، ما رأيكم في الاستمرار حالًا؟

- لقد قلت بالفعل إنه إذا حشا "زاك" المسدس، فسأخرج.

هاجمتها "جواو" ونصف سيجارة معلقة بين شفتيها:

- تبًّا! أنتِ حقًّا مملة، هاه، يا ابنتي؟

تجاهلتْ "فاليريا" هجومها وتابعتْ وهي تمسك ذقنها:

- وهناك مشكلة أخرى. كما لو فكرتم، نحن خمسة هنا. والمسدس به ثمان حجيرات.. ماذا إذا ضغطنا نحن الخمسة على الزناد ولم تكن بهذه الحجيرات

رصاصات؟ أعني ماذا لو أن الرصاصة كانت في واحدة من الحجيرات الثلاث الأخيرة؟ ماذا سنفعل؟

قال "زاك ":

- سنواصل إطلاق النار حتى النهاية! لكن الثلاثة الأوائل لن يكونوا في وضع جيد، لأن عليهم إطلاق النار مرة أخرى، والاثنان الأخيران لن يطلقان النار.

شكتْ "جواو":

- اللعنة! اللعنة على الاحتمالات! سنموت جميعًا على أي حال!

وافقتُ، وقلتُ:

- كل ما قالته "فاليريا" صحيح. ولدي فكرة عنه. إذا لم تخرج الرصاصة مع الطلقات الخمس الأولى، عليك فقط أن تفتح المسدس وتدوِّر الأسطوانة مرة أخرى. إنه أمر سهل.

ووافق "زاك" قائلًا:

- إنها فكرة جيدة. نحن نفعل ذلك حتى تخرج الطلقة.

واقترح "لوكاس":

- لماذا لا نضع أكثر من رصاصة واحدة؟

- ماذا؟

- مثلًا.. إذا وضعنا رصاصتين في الأسطوانة بدلًا من واحدة، ستزيد فرص وجود رصاصة واحدة على الأقل في الخمس غرف الأولى.

واقترحت "جواو":

- لماذا لا نضع ثلاث رصاصات على الفور؟

ردتْ "فاليريا":

- إذا وضعنا ثلاث رصاصات، فإن فرصة خروج رصاصة من الحجيرات الخمس في المرة الأولى ستزيد كثيرًا! ستخرج الثلاث رصاصات وسيموت ثلاثة أشخاص مرةً واحدة.

غضب "لوكاس" وقال:

- لا! سنضع المزيد من الرصاص فقط لزيادة فرص خروج الرصاصة حتى المحاولة الخامسة. في هذه الحالة، بمجرد أن تخرج الطلقة، نفتح الأسطوانة

مرة أخرى، نضع رصاصة أخرى ونلفَّها من جديد. بحيث لا يزيد عن واحدة لكل جولة، أفهمت؟

كان "زاك" لا يزال واقفًا، يراقب جثتي "ريتينيا" و"نويل" العاريتين والمتشابكتين. ويبدو أنه لم يعد يتابع المناقشة. وسأل: - ماذا قررتم في النهاية؟

قالت "جواو":

- سأصوت على وضع ثلاث رصاصات.

وافق أخوها:

- أنا أيضًا.

قبلتُ أنا و"زاك".

ووافقتْ "فاليريا":

- حسنًا. لكن يجب أن يكون هناك بالفعل ثلاث رصاصات، وثلاثة أشخاص مختلفين يضع كل منهم رصاصة وأعينهم مغلقة.

صاح "زاك":

- لقد قلتُ من قبل، إنني سأضع الرصاص بنفسي في المسدس اللعين! الأمر بسيط: المسدس ملكي، وأنا الذي أحمله!

كانت "فاليريا" على وشك الرد عندما تدخَّل "لوكاس" قائلًا: - آه، هيا يا "زاك"! يكفي هذا النقاش! هذه المرة هناك ثلاث رصاصات، أنا وأنت و"فاليريا" كل واحد منا يضع واحدة! لا داعي للعراك! دعنا ننتهي من هذا، حسنًا؟

هزَّ "زاك" كتفيه، ونزل على ركبتيه ليمسك المسدس الملقى على الأرض بجانب جثة "نويل". نظف مقبضه الملطخ بالدم في طرف الشورت، ثم وضع يده في جيبه وأخرج ثلاث رصاصات على مضض، وسلم إحداها إلى "فاليريا" وأخرى إلى "لوكاس". ثم فتح المسدس، وكشف الأسطوانة الدوارة والثماني غرف الفارغة. وألقى نظرة غاضبة أخيرة على "فاليريا" التي كانت تحملق إليه بتركيز.

فحص المسدس بعناية. لقد لمس الاسطوانة وتحسس حجيرات الرصاصات بأصابعه، وأدخل الرصاصة في واحدة منها. ثم مدَّ ذراعه لتسليم المسدس إلى "لوكاس"، الذي كان ينتظر بالفعل وعيناه مغمضتان.

كان ذلك يحدث ببطء، مثلما يرتب شخص كفيف منزلًا غير مألوف له. بعد أربع محاولات فاشلة، تمكن "لوكاس" من أخذ المسدس. لقد تلمسه ووضع الرصاصة في أول حجيرة فارغة وجدها. ومرر المسدس إلى "فاليريا"، وعيناها مغمضتان أيضًا. أمسكته، وأخذت نفسًا عميقًا كما لو كانت على وشك تحقيق إنجاز كبير.

كانت "فاليريا" بطيئة في إدخال الرصاصة في الحجيرة. وعندما فعلتها، لفتْ الأسطوانة وأغلقتها. وقالت وهي ترفع المسدس إلى شعرها ذي اللون السيئ: - سأبدأ.

نهضتْ "جواو"، وكانت تشعر بالدوار، وقالتْ:

- مهلاً، اهدئي!

ثم أغمضتْ عينيها بضع ثوانٍ، في محاولة لاستعادة توازنها، وتابعتْ: - لدينا مشكلة أخرى نريد حلها. من سيبدأ هذه المرة؟ بجدية يا رفاق.. انظروا إلى حالة هذا القبو.. إنه قذر!

نظرتُ حولي: كان "أوتو" مربوطًا في الأنبوب، بالقرب من الطاولة المكسورة وقطعة من الخشب أسفلها؛ على الجانب الآخر، كانت هناك جثتا "نويل" و"ريتينيا" العاريتان والغارقتان في دمائهما. وبجانب الجدار كانت جثة "دان" التي كلما رأيتها تذكرت أنني فشلت في محاولة إنقاذه؛ يوجد المزيد بالقرب من الباب، كانت هناك أريكة منتفخة و"جواو" المشمئزة.

- فكروا في الأمر. هناك دم في كل مكان على الجدران وعلى الأرض وحتى السقف الملعون!

مازح "لوكاس" بابتسامة غاضبًا:

- ماذا تريدين؟ هل أتصل بالخادمة؟

أجاب "زاك":

- لا يمكنك! لن يعمل هاتفي المحمول هنا!

واعتبرها مزحة سخيفة.

قالت "جواو" بوجهها العابس الذي أحببته:

- أنا جادة يا رفاق! مزيد من القتلى يعني المزيد من الدم. والمزيد من الدم يعني أننا لن نجد مكانًا نخطو عليه! ناهيك بالرائحة التي لا تطاق!

اقترحتُ:

- لماذا لا ننقل الأريكة بعيدًا عن الحائط ونضع الجثث خلفها؟ ستكون هناك مساحة متبقية لإنهاء "الروليت الروسي".

بدتْ "جواو" تهتم بفكرتي. وتمتمتْ وهي ليست متحمسة للغاية: - يمكن ذلك.

لو كنتُ غنيًّا، ربما كانت ستقول: "يا إلهي! يا لها من فكرة رائعة يا حبيبي!".

سأل "زاك" وهو يقترب من الباب، قائلًا:

- لم أفهم أي شيء. لكن إذا كنتم تريدون.. ساعدني يا "لوكاس".

وفتح ذراعيه وأخذ شهيقًا وزفيرًا. مع الحرص على عدم الانزلاق في الدم الذي كان يغطي الأرضية، أمسكا بالأذرع الجانبية للأثاث وحاولا رفعها. قال "زاك" بانزعاج: - اللعنة! هذا القرف ثقيل! من الأفضل أن يأتي شخص آخر ليساعدنا.

ونظرًا إلى وجود فتاتين فقط وأنا، فتركتُ الدفتر جانبًا وتطوعتُ. كانت الأريكة ثقيلة حقًّا. أخذنا ندفعها إلى الأمام، لتحريكها على بعُد متر من الحائط. وكان التراب يغطي مكانها على الأرضية.

أخذت الدفتر، وجلستُ على أحد مسندي الأريكة. وتساءلتْ "فاليريا" بمجرد أن بدأتُ أكتب: - هل يمكننا الاستمرار؟

واقترح "لوكاس" بجانبها:

- ابدئي أنت.

كما لو كانت في عجلة من أمرها، رفعت "فاليريا" المسدس وصوبته نحو رأسها، وقالت وهي تنظر إلى "زاك" وهو متكئ على عمود بالقرب منها: - أتمنى أن تنقذني العدالة الإلهية، وأن تسمح لي أن أظل على قيد الحياة بعد إطلاق النار حتى أتمكن من رؤية اليأس في عينيك وأنت مضطر إلى التصويب دون أن تعرف مكان الرصاصة.

لم يرد "زاك". لكنها لم تنتظر جوابًا. ونقرتْ. دارت الأسطوانة، وانتقلت إلى الحجيرة التالية والتحدي القادم.

قالتْ "فاليريا" وهي ترسم ابتسامة عريضة على شفاهها: - نعم، إن الرب عادل!

قال "لوكاس"، وهو يأخذ المسدس منها:

- هذا دوري.

بشكل درامي، صوب المسدس نحو قلبه.

- ماذا تفع...

أجاب “لوكاس” قبل أن يسمع باقي السؤال:

- مثل “جيتوليو فارجاس”.. كي لا أفسد وجهي.

وأطلق النار.

عندما تعتاد سماع صوت المسدس، أنت لا تنتظر أبدًا حتى ينفجر الهدف حين تخرج الرصاصة. لقد فزعتُ وسقطتُ على الأريكة، في الوقت نفسه الذي سقط فيه المسدس من يد “لوكاس” وهو يرتطم بالأرض.

صرختْ «جواو»، ووضعتْ يديها على وجهها، رافضةً أن ترى صدر شقيقها غارقًا في الدماء. كانت ساقاها ترتجفان وهي تبكي بيأس. وركضتْ نحو الجسد، أحاطت رأسه بذراعيها. بين تنهداتها، كانت تداعب شعره المفرود وسحبتْ جفنيه على عينيه.

تمتمت مرارًا في أثناء الضرب على خد الجثة، محاولةً إحياءه: - ماذا.. يا إلهي، ماذا فعلت؟ “لوكاس”، يا إلهي! من فضلك استيقظ! تحدث معي يا “لوكاس”! يا إلهي! من فضلك! أنا آسفة!

فكرتُ في الاقتراب منها وضمها إلى صدري في محاولة لتعزيتها. لكنها ستكون غير مجدية. إنها تحتقرني. ويجب أن أحتقرها أيضًا. عليَّ أن أفعل مثل الآخرين: أشاهد حزنها بلا مبالاة كما لو لم يحدث شيء غريب.

كانت تبكي، والدموع تتدفق على خديها وتسقط على وجه أخيها: - “لوكاس”.. أنا أحبك! انا أحبك كثيرًا! ولكن هل هذا.. يا إلهي، ماذا فعلت؟

علقت “فاليريا” بصوت هادئ:

- أعتقد أنه من الأفضل أن نضع الجثة خلف الأريكة قبل أن يتسرب الدم منها.. ألم يكن هذا ما اتفقنا عليه؟

اقترب “زاك” من “جواو”، وهو مستاء. لقد كان يحب “لوكاس”، كان الاثنان صديقين لا أكثر ولا أقل. ثم ربتَ “زاك” بحنان على كتف “جواو” وهمس في أذنها بشيء ما، صرخت “جواو” وابتعدت عن الجثة.

أمسك “زاك” الجثة من ذراعيها، وطلب مني أن أمسك ساقيها، فساعدته.

كان “لوكاس” ثقيلًا. على الرغم من النحافة الواضحة، يجب أن يكون وزنه نحو سبعين أو ثمانين كيلو جرامًا. حملنا الجثة بصعوبة وألقيناها خلف الأريكة. تردد ضجيج جاف خلال القبو. وبالنظر عن قرب، أدركت أن لوحًا من ألواح الأرضية قد خرج من مكانه، قد تحرك نتيجة ارتطام الجثة به. عندما جثمت لتصليحه،

شُلت حركتي، كانت الأرضية غير ثابتة. وطلبتُ من "زاك": - أعطني تلك العصا!

أعطاني "زاك" رجل الطاولة المكسورة، دون أن يفهم ما أنا فوقه. لقد كسرت الألواح بعنف إلى جانب تلك التي كانت مكسورة. وبتكسير مساحة أخرى من الأرضية الخشبية، في أقل من دقيقتين، أصبحت هناك حفرة كبيرة بجانب "لوكاس"، في المكان الذي كانت الأريكة فوقه من قبل.

صاح "زاك"، مندهشًا مثلي تمامًا:

- واو!

مشيرًا إلى أنه لا يعرف شيئًا عن هذا المخزن. حتى ثانية، عدتُ إلى الطفولة، لفضولي الشديد والرغبة في اكتشاف ما احتفظ به "جيتوليو فاسكونسيلوس" مغلقًا. قبوٌ غامض. الآن علمت. لا توجد جنيَّات ولا عفاريت.

كانت توجد أكياس بلاستيكية شفافة، بها حزم من الأوراق النقدية فئة المئة دولار، مربوطة برباط مطاطي أسود، على مساحة متر مربع واحد على الأقل. لم يكن من الممكن رؤية العمق ولكن عندما أزلتُ كيسًا، تأكدتُ من وجود العديد من الأكياس الأخرى أدناه، كانت مكدسة.

سألتْ "جواو" وعيناها محملقتان، بدا أنها نسيت موت أخيها: - كم من المال لديك؟

لقد وجدت ورقتين مدبستين أعلى الأكياس البلاستيكية. كانت بهما ملاحظات مكتوبة بخط اليد كشفت عن عمليات حسابية لآخر ثلاث سنوات. يبدو أن "جيتوليو" كان يسجل كل إيداع أو سحب أموال من هذا المخزن المؤقت. كان آخر إيداع هو ثلاثمائة وأربعون ألف دولارًا، يوم الجمعة الموافق 29 أغسطس 2008. وهو اليوم السابق لحادث "جيتوليو" وهو في طريق العودة إلى ريو دي جانيرو.

في الورقة الثانية، كانت هناك سلسلة من الحسابات بين جمع وطرح. لقد بحثت عن التاريخ الأخير ووجدته في أسفل الصفحة. حيث كانت هناك إجابة عن سؤال "جواو".

اثنان وعشرون مليون دولار.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

29

“ديانا”:

- “في الورقة الثانية، كانت هناك سلسلة من عمليات الجمع والطرح. بحثت عن آخر تاريخ ووجدته عند بداية الصفحة. كان هناك جواب لسؤال “جواو”. (وقفة) اثنان وعشرون مليون دولار”.

“ريبيكا”:

- واو، اثنان وعشرون مليونًا؟

“روزا”:

- من الدولارات؟ هذا.. هذا شيء خيالي!

(تعليقات جانبية)

“ديانا”:

- سيداتي من فضلكنَّ، (بنبرة حادة) أعلم أن ذلك الاكتشاف سيثير الفوضى، لكننا سنحاول الحفاظ على النظام، رجاءً. بالدور.

“روزا”:

- 22 مليونًا أيتها الشرطية؟ إنها أموال كثيرة!

“ديانا”:

- نعم! (وقفة) كما لاحظتنَّ، إنها نهاية الفصل الثامن (وقفة) الآن تم الرد على سؤالك يا “أماليا”. لهذا السبب كان القبو مغلقًا مدَّة طويلة، استخدمه “جيتوليو” كخزنة، ويبدو أن الولدين كانا صغيرين عندما لم يستطيعا دخوله.

“أماليا”:

- أنا.. (بكاء) لست بخير.. ابني.. لماذا لم تمنعه “ماريا جواو” أيتها الشرطية؟ لماذا؟ كما لو كانت متورطة في ذلك؟ ثم هي! عاقدة العزم ولديها النيَّة!

“ديانا”:

- نود أيضًا أن نعرف يا “أماليا”، أنتِ مصدومة.. هل تريدين بعض الماء أو مهدئًا؟

“أماليا”:

- لا.. لا.. أنا بخير، (بنبرة بها بكاء خفيف) لقد كان مجرد تأثير اللحظة، شعور كما لو كنت أعيش اللحظة في الوقت الحقيقي، ومرت كفيلم أمام عيني. كما لو كان بإمكاني دخول الشاشة وإنقاذ ابني. (بكاء).

"ديبورا":

- ابقي هادئةً يا عزيزتي.. سوف يمر.

"أماليا":

- إنني أتحسن.. نستطيع.. (وقفة) نستطيع الاستمرار.

"ديانا":

- في الواقع، يا "أماليا"، كنَّا نأمل أن تستطيعي مساعدتنا لمعرفة سبب دخول "ماريا جواو" لعبة "الروليت الروسي"؟ واتفاقها مع شقيقها.

"أماليا":

- لكنني قلت مرارًا: لا أعرف. (بنبرة صارخة) لقد سألوني في التحقيق هذا السؤال مرارًا وتكرارًا. (وقفة) أنا حقًّا لا أعرف! ليست لدي أي معلومة.. كنَّا بخير في المنزل. كان "لوكاس" على علاقة بفتاة، على ما أعتقد.

"ديانا":

- هل تعرفين اسمها؟

"أماليا":

- لا.. لا أعرف. لم يخبروني الكثير عن ذلك، هذا، في الواقع، لقد سمعته مصادفة.

"ديانا":

- و"ماريا"؟

"أماليا":

- كانت بخير أيضًا. كالمعتاد، هل تعلمن؟ (وقفة) كانت عصبية بسبب بعض المشاريع التي شاركت فيها. عاشت في هذه الأشياء. أفلام قصيرة وتقديم عروض السيرك في الشارع وما شابه.

"ديانا":

- هل كان لديها أصدقاء؟

“أماليا”:

- لم تكن ابنتي ترتبط بأي شخص بسهولة. كانت دائمًا مكتفية بذاتها، ولم تستسلم على الفور.. لكن في بعض الأحيان كانت تخرج مع بعض الأولاد، مثل “أليساندرو” نفسه.

“ديانا”:

- فهمتُ.

“أماليا”:

- كما قلتُ أيتها الشرطية.. لقد كانا مصدومين قليلًا من حادث والدي “زاك”.ظللنا كلنا مصدومين، كما لو كان المتوفى شخصًا قريبًا منَّا، أليس كذلك؟ (وقفة) ولكن، خلاف ذلك، كانا بخير.

“ديانا”:

- هل فوجئا بالحادث؟

“أماليا”:

- نعم! (وقفة) في الواقع، لم أقل فوجئا.. لكنهما صدما حقًّا. إنه الشيء الذي يجعلنا ندرك كم نحن ضعفاء، وكم أن الدنيا فانية.. (وقفة) فقد “زاك” والديه بين عشية وضحاها. من الطبيعي أن تفكر: ماذا لو حدث هذا لي؟ ماذا لو مات والداي فجأة أيضًا؟ أعتقد أنهما فكرا في هذا الأمر. لقد رأيا الموت هناك.. وصدمتْ “ماريا جواو” أكثر من “لوكاس”، ظلت تتحدث عن الحادث، وتقرأ التقارير.. (وقفة) ولكن هذا أمر طبيعي، أليس كذلك؟ بعد كل شيء، كانا هناك عندما تلقى “زاك” الخبر عبر الهاتف..

“ديانا”:

- دعينا نحاول التركيز على دوافعهما، يا “أماليا”، نفكر بعقلانية معًا، ربما نصل إلى نقطة ما، أليس كذلك؟

“أماليا”:

- لكن سبق لي أن قلت إنه لا جدوى من ذلك، (بنبرة عالية) كم مرة يجب أن أكرر هذا؟

“ديانا”:

- فقط ...

"أماليا":

- حتى "لوكاس" نفسه لم يكن لديه دافع! قال الدكتور "الفارنجا" إنه كان يتحسن في الجلسات، وأن حالته بالفعل لم تعد خطيرة للغاية. كانت محاولته الأخيرة للانتحار منذ أكثر من ثمانية أشهر. ثمانية أشهر، أيتها الشرطية! لم يكن هناك شيء يدل على أنه سيحاول مرة أخرى!

"ديانا":

- ولكن يمكننا القول إنه عانى انتكاسة غير متوقعة، أليس كذلك؟ صدمة رؤية صديقه يتلقى نبأ وفاة والديه.

"أماليا":

- نعم هذا جائز. لكن لا، "ماريا جواو" لم تفعل ذلك. لم تتأثر بسهولة. كانت عقلانية. وتفكر قبل أي تصرف.

"ديانا":

- فهمتُ. لكن دعيني أعيد قراءة جزء من الفصل السابق. استمعِن جيدًا (وقفة) "لوكاس".. كانت تبكي وتنهمر الدموع على خديها وتسقط على وجه أخيها. أحبك! أحبك كثيرًا! ولكن هل هذا.. يا إلهي، ماذا فعلت؟" (وقفة) كان "أليساندرو" يكتب هذا في الوقت الفعلي للحدث. من المحتمل أن تكون العبارات التي تحدث بها كل واحد خلال "الروليت الروسي" جاءت كما قيلت، أو مع بعض التغييرات، التي يا للأسف لا يمكننا تحديدها. (وقفة) لاحظتُن أن "ماريا جواو" كانت ستقول شيئًا، و"لكن هل هذا..."، لكنها توقفت في منتصف الجملة، وبدلًا من ذلك، أعربتْ عن أسفها وصدمتها بموت أخيها: "يا إلهي، ماذا فعلت؟."

"أوليفيا":

- ونسيتْ كل شيء بعد مدَّة وجيزة.. (وقفة) بمجرد أن اكتشفوا الأموال المدفونة في القبو...

"أماليا" (بصوت قوي):

- اصمتي!

"أوليفيا":

- لا شيء يحتوي الدموع مثل المال.

"أماليا" (بصوت عال):

- اخرسي! كانت "ماريا" تحب شقيقها! لقد مات للتو! كيف تجرُئين على الحديث عن أولادي؟ (بكاء) "أوليفيا":

- لم أقل شيئًا، يا "أماليا"، "أليساندرو" هو من كتب.. توقفتْ عن البكاء وذهبتْ مندهشة من الكنز الذي وجدوه. وأنا أعترف أنني أفهم تلك الحالة، ففي النهاية كان الأخ قد مات بالفعل. وكانت هي هناك، على قيد الحياة، مع اثنين وعشرين مليون دولار أمام عينيها.

"ريبيكا":

- اثنان وعشرون مليونًا! لا أستطيع تصديق ذلك حتى الآن! ما الذي كان يفعله كل هذا المال هناك؟ ما فائدة البنوك إذًا!

"أوليفيا":

- هناك الملاذ الضريبي لذلك. المال المدخر في قبو المنزل الريفي غير قانوني بالتأكيد يا "ريبيكا".

"ديانا":

- كل ما يمكننا فعله هو التخمين. (وقفة) نعم، إنه مبلغ مجهول المصدر دون شك.

"ريبيكا":

- ألم تحاولوا التحقق من مصدر المال؟

"ديانا":

- نعم، حاولنا.لكن هذه المسألة ليست ذات صلة بالقضية. (وقفة) كان "جيتوليو فاسكونسيلوس" يعمل بشكل أساسي في جميع قطاعات الاقتصاد. (تقليب الأوراق) "فاسكونسيلوس" جروب. وهي مجموعة شركات ومصانع منتجة للحديد والأثاث تحمل اسم العائلة. بالإضافة إلى ذلك، كان "جيتوليو" شريكًا، في عدة شركات أخرى، مثل الفنادق والمنتجعات والسفن والمزارع.. تحركنا مع إدارة الضرائب الفيدرالية في البرازيل وما زلنا نعمل. (وقفة) الحقيقة هي أنه إذا أخذنا في الاعتبار كل صافي الثروة، فإن اثنين وعشرين مليون دولار تمثل نسبة ضئيلة من ثروته الفعلية، (وقفة) فقد بيع «منزل سيريل» قبل ثلاثة أشهر مقابل خمسة ملايين دولار.

"روزا":

- يا إلهي! الكثير من الأموال!

"ريبيكا":

- ولكن، بعد كل شيء، لماذا يوجد هذا المخبأ في القبو؟ فشخص مثله لديه الكثير من الشركات، من الطبيعي أن يراوغ قليلًا هناك ويتهرب قليلًا هنا.. لكن لماذا لا يضع أمواله في الدول التي بها ملاذ ضريبي؟ لماذا يخفيه تحت الألواح الخشبية في القبو؟

"ديانا":

- كما قلت، لسنا متأكدين من أي شيء. (وقفة) من الممكن أن يكون هذا المكان المختبئ طريقة "جيتوليو" ليحصل على أموال نقدًا في حالة احتياجه إليها بشكل عاجل. فالمعاملات في الملاذات الضريبية وحتى في البنوك، عندما تكون القيمة كبيرة، فهي شاقة وبيروقراطية. (وقفة) نحن نعتقد أن ذلك المبلغ المحتجز في القبو كان لتلبية الاحتياجات الفورية، والمشتريات التي تتطلب نقدًا وبسرعة. ذكر "أليساندرو" أن الأوراق مدون بها تواريخ الإيداع والسحب. هذا يدل على أن "جيتوليو" لم يدخر المال فقط، ولكن كان يسحب أيضًا في بعض الأوقات.

"ريبيكا":

- جائزٌ.

(صمت - أربع ثوانٍ)

"أوليفيا":

- "ديبورا"، ألم تكونِي صديقة للزوجين؟ ألم تسافرِي معهم إلى "منزل سيريل"؟ (وقفة) ألم تري أو تسمعي شيئًا عن هذا الأمر؟

"ديبورا":

- كلامك صحيح يا "أوليفيا"، كنت صديقة للزوجين. صديقة. (بنبرة قاسية) لم أتدخل في أعمالهما أبدًا، لا أعرف شيئًا، (وقفة) ولم أقضي معهما كل الوقت.

"أوليفيا":

- تبًّا، هل فكرتِ يومًا إذا اكتشفتِ؟ (وقفة) اثنين وعشرين مليونًا!

"ديبورا":

- إذا اكتشفتُ، لا شيء كان سيتغير.. المال ليس ملكي.

"أوليفيا":

- إنني أتخيل كيف كان رد فعل هؤلاء التعساء أمام هذا الأمر كله.. (ضحك جاف) اثنان وعشرون مليونًا هناك بجانبهم، وهم على وشك الانتحار! مفارقة هائلة، أليس كذلك؟

"ديانا":

- "أوليفيا"، من فضلك، فلنحاول التركيز.

"روزا":

- كنت أفكر.. من الواضح أنني لم أكن أعرف "ماريا جواو".. لكن والدتها قالت إنها كانت عاقلة وحازمة.. (وقفة) من المحتمل أن دافعها، مهما كان، فهو شيء عقلاني، أليس كذلك؟ (بصوت متردد) أعني أنها على الأرجح لم تكن ستنتحر لأنها كانت مكتئبة أو عاشقة.

"أماليا":

- هذا صحيح.

"روزا":

- سبب عقلاني فقط يمكن أن يفسر الندم عندما رأت أخاها ميتًا، ألا تعتقدين ذلك؟ (وقفة) قد يبدو ما أقوله هراءً ولكنه منطقي بالنسبة إليَّ.

"ديانا":

- نعم، نعم، يا "روزا". ما تقولينه هو شيء مهم.

"أوليفيا":

- عقلاني؟ بحق السماء، ما السبب الذي يبدو عقلانيًّا بما يكفي لجعل شخص ما ينتحر؟

"روزا":

- ليس ضروريًّا أن يكون عقلانيًّا بالنسبة إلينا، يا "أوليفيا".. ولكن بالنسبة إليـهم.. يجب أن يكون له معنى في رؤوسهم، وليس رؤوسنا نحن.

"أوليفيا":

- إنها إجابة جيدة، لكنها لا تقنعيني. (وقفة) ليست هناك جدوى من الرغبة في الدخول إلى رؤوس الأولاد. نحن لسنا متخصصين في علم التخاطر وإلى جانب ذلك، لم يبدُ لي أن أيًّا منهم يتصرف بعقلانية هناك.

"سونيا":

- "أليساندرو"، نعم.. (وقفة) كان لديه دافعٌ عقلاني تمامًا وهو تأليف كتاب للشهرة بعد وفاته هذا معقول، وإن كان وهمًا.

"روزا":

- "نويل" أيضًا.. كان يعتقد أنه يحمي الفتاة التي يحبها. إنه عقلاني كما هو عاطفي.

"أماليا":

- في الواقع، لا يتناسب الانتحار مع "ماريا جواو"، لا بدافع معين ولا بعاطفة.. (وقفة) لكن هذه ليست المشكلة، أتفهمن! لا يمكنني أن أتخيل ابنتي تنتحر! كانت آخر شخص أتخيله قد يفعل ذلك (بكاء) فقد عاشت مع أخيها، وتابعتْ مأساته، ومحاولاته الفاشلة للانتحار، وحجزه في المستشفيات وكل شيء.. كانت تشمئز من كل هذا (وقفة) مثل الابن الذي يعيش مع الأم المدخنة ومن ثَمَّ يكره السجائر.. كانت ترفض فكرة الانتحار. لا معنى لمشاركتها في لعبة "الروليت الروسي" هذه. ولا للسماح لأخيها بالمشاركة!

"ريبيكا":

- أليس من الممكن أن تنعكس علاقتهما؟ (وقفة) أعني، أنها كانت تسيطر على ميوله الانتحارية سابقًا، ولكن بعد ذلك أقنعها بتغيير موقفها إلى الانتحار؟

"أماليا":

- لا.. لا.. مستحيل! (وقفة) كانت "ماريا" أقوى بكثير من "لوكاس". لم تكن مقتنعة في الأساس بهذا الموضوع. كان لديها مبدأ سابق.

"روزا":

- ماذا لو كانت مهددة؟

"أماليا":

- ماذا تقصدين؟

"روزا":

- آه، لنفترض أن "زاك" دعا "لوكاس" إلى "الروليت الروسي". وقد سمعته. وهددتْ بأنها ستخبر الجميع، وستبلغ الشرطة. فهددها "زاك"، ربما هددها "لوكاس" نفسه.

"أماليا":

- لم يهدد "لوكاس" أخته! (وقفة) وراء مظهره الثائر يوجد فتى جيد.. لم يفعل ذلك! أعرف أولادي جيدًا وأعرف ما أقوله.

"أوليفيا":

- لستِ متأكدة يا "أماليا". فقد قلتِ إن "ماريا جواو" لن تنتحر أبدًا.. و... حسنًا.. فقد كانت هناك، أليس كذلك؟

"أماليا" (بصوت عالٍ):

- توقفي عن مضايقتي!

"ديانا":

- من فضلكما، من فضلكما، لا تتعاركا (وقفة) حتى ننهي جدالك يا "روزا"؛ سنفترض، على الرغم من أن "أماليا" تدَّعي أن ذلك مستحيل، أن يكون "لوكاس" أو "زاك" هددا "ماريا جواو".. (وقفة) هذا يفسر لماذا تركت أخاها يدخل في لعبة "الروليت الروسي" لكنه لا يفسر وجودها هناك، تشارك في كل شيء!

"روزا":

- لا أعرف.. من المنطقي أن يكون "زاك" قد دعا "لوكاس" وسمعته "ماريا جواو" وقالت إنها ستندد بالفتى، فهددها بالموت.

"ديبورا":

- سبق أن قلت إن "زاك" ليس وحشًا! أنتنَّ تُصِرَّنَّ.

"ديانا":

- "ديبورا"، أرجوكِ دعي "روزا" تنهي ما تفكر فيه.. إنها مجرد تصورات، أكملى يا "روزا".

"روزا":

- حسنًا.. هدد "زاك" "ماريا جواو" بالموت إذا تكلمت وفضحته كانت الفتاة في حيرة، تترك أخاها ينتحر أم تخبر الشرطة وتعرِّض حياته للخطر.. (وقفة) انتهى بها الأمر إلى أنها قررت أن تذهب أيضًا إلى لعبة "الروليت الروسي" بهدف منع كل شيء من الحدوث، منع الأخ من قتل نفسه.. (وقفة) ولكنها فشلت، وعندما أدركت ذلك، انهارت في البكاء، كما روى "أليساندرو".

"ديانا":

- ولكن ليس لدينا أي دليل على أن “زاك” أو “لوكاس” هددا “ماريا جواو”. (وقفة) علاوة على ذلك، في أثناء لعب “الروليت الروسي” لم تفعل أي شيء لمنع أخيها من أخذ المسدس. ولم تحاول “ماريا جواو” إيقاف “لوكاس” في أي وقت. (وقفة) أخيرًا.. نعتقد أن “زاك” دعا إلى “الروليت الروسي” يوم الأربعاء الموافق الثالث من سبتمبر، أليس كذلك؟

“أماليا”:

- نعم هذا صحيح. كما قلت، كان ولداي طبيعيين، لم تظهر عليهما أي مشكلة واضحة، ما عدا ذلك اليوم، بعد زيارة “زاك”، في وقت الغداء تقريبًا، أصبحتْ “ماريا” غريبة.. غادرت بعد مدَّة وجيزة وعادت ليلًا. أما “لوكاس” لم يتناول العشاء.

“ديانا”:

- حسنًا، قلتِ إن “زاك” جاء إلى منزلك في الثالث من سبتمبر وطلب التحدث إليهما، أليس كذلك؟

“أماليا”:

- نعم.

“ديانا”:

- طلب “زاك” التحدث إليهما! ذلك يعني أن الدعوة كانت لكليهما! فإن دعوة أحد وتهديد الآخر في الوقت نفسه، ليس لها معنى.

“روزا”:

- نعم.. أنا آسفة، لقد كانت مجرد فكرة سخيفة.

“ديانا”:

- لا، لقد أسأتِ فهمي! كانت الفكرة رائعة! (وقفة) هذا هو الغرض من اجتماعنا، ومن مراجعة القضية.

“أوليفيا”:

- هيا اقرئي هذا الفصل التاسع على الفور! لا أريد ان أضيع ما تبقى من ليلتي هنا!

“ديانا”:

- سأقرأه الآن، يا "أوليفيا" (وقفة) لكن قبل ذلك أريد أن أعرف هل كان أحد المشاركين في "الروليت الروسي" يعرف بالفعل "ماريا جواو" أو "لوكاس"؟

"سونيا":

- "دانيلو".. (وقفة) كان قد ذهب إلى بروفة فرقتهم في شقة "فاسكونسيلوس"، يوم الحادث.

"ديانا":

- شكرًا.. (وقفة) من أيضًا؟

"فانيا":

- ابنتي.. (وقفة) كانت تعرف "لوكاس"، على الأقل. درسا في الكلية نفسها. (وقفة) لا أعرف إذا كانت تعرف "ماريا جواو" أم لا.

"أوليفيا":

- "نويل" أيضًا. كان يعرف "لوكاس". أما شقيقته، لا أدري.

"أماليا":

- انتظري! (وقفة) كانوا يلعبون البوكر في شقة "زاك"! عندما ذهبت "فاليريا" إلى هناك وقالت إنها حامل. أخبرتني "ماريا" القصة بأكملها بمجرد وصولها إلى المنزل.. كان هناك خمسة أشخاص يلعبون: "زاك"، "أليساندرو"، "ريتينيا"، وهي وشقيقها. كانت "فاليريا" قد وصلت في وقت لاحق.

(صوت شخص يكتب)

"ديانا":

- وماذا عن "أوتو"؟

"روزا":

- على حد علمي، لم يكن يعرف أيًّا منهم. فقط "زاك" و"أليساندرو". (وقفة) لعب ابني البوكر عدة مرات في شقته.. لا أعرف أكان "لوكاس" أو "ماريا جواو" هناك في تلك الأوقات. من الممكن أن يكون كذلك.

"ديانا":

- حسنًا.

(صوت شخص يكتب)

“ديانا”:

- هل يمكنكنَّ التأكيد من فضلكنَّ، أن “زاك”، “أليساندرو”، “ريتينيا” و”نويل” كانوا يعرفون الأخوين بالفعل من خلال كلية الحقوق. وتعرفهما “دانيلو” في أثناء بروفة الفرقة، أما “فاليريا” تعرفتهما في أثناء لعبة البوكر. ربما حدث الشيء نفسه لـ”أوتو” (وقفة).

(صمت - خمس ثوانٍ)

“ديانا”:

- عظيم.

“أوليفيا”:

- اقرئي الفصل التالي الآن.

“ديانا”:

- أولاً، لديَّ سؤالان فقط لـ”أماليا”، هما كاشفان للسر تقريبًا، لكنهما مهمان.

“أماليا”:

- اسألي.

“ديانا”:

- نعلم أن “ماريا جواو” كانت على علاقة عابرة مع “أليساندرو”.

“أماليا”:

- نعم.. و؟

“ديانا”:

- هل هناك احتمال أنها كانت على علاقة بـ”زاك” أيضًا؟ هل ربطتهم علاقة سرية أو شيء من هذا القبيل؟

“أماليا”:

- لا، أبدًا! أعرف شخصية الفتى الذي تحبه ابنتي.. هي لا يعجبها أصحاب العضلات، من أين لكِ هذا؟ لا معنى لهذا الكلام.. بالتأكيد، لا! كانت مجرد صداقة.

“ديانا”:

- حسنًا.

“أماليا”:

- ما هو السؤال الثاني؟

“ديانا”:

- حسنًا.. معذرةً، لكن عليَّ أن أسأل.. (وقفة) هل هناك احتمال لوجود علاقة تربط “زاك” بـ”لوكاس”؟ أقصد جنسيًّا.

“أماليا” (بصوت مرتفع):

- كيف ذلك؟

“ديانا”:

- أنت تفهمين يا “أماليا”.. (وقفة) هناك احتمال أن “لوكاس” كان مثلي الجنس؟ ربما كانت ميلوه مزدوجة.

“أماليا”:

- لكن هذا شيء سخيف! لا لا أبدًا! (وقفة) ابني يحب الفتيات.. (وقفة) في الواقع، كان حتى ضد المثلية.

“أوليفيا”:

- كل شخص عاقل يتحامل ضد المثليين جنسيًّا، يا عزيزتي.

“أماليا”:

- اطمئني! أنا أعرف ما أقوله.. كان هو و”زاك” مجرد أصدقاء جيدين، لا علاقة لهما بالجنس.

“ديانا”:

- فهمتُ. معذرةً على محاولة كشف ما أذا كان هناك سرًا.. (وقفة) لكنها كانت ضرورية.

“أماليا”:

- حسنًا.

“ديانا”:

- هل لديكنَّ أي تعليقات أخرى؟

(صمت - خمس ثوانٍ)

“ديانا”:

- دعونا ننتقل إلى الفصل التاسع.. (حفيف أوراق)

- أود أن أطلب من السيدات المزيد من الانتباه الآن وتجنب أي نوع من المقاطعة أو التعليقات، واضح؟ (وقفة) في الواقع، هذا هو الفصل الرئيسي لهذا الاجتماع. لذا من فضلكنَّ.. (حفيف أوراق) ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

30

من ملاحظات "أليساندرو بارينتونى دي كارفاليو"

قضية "منزل سيريل"، رقم 15634-0506-08

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: «جوزيه بيريرا أكينو»، قسم ١٢ للأحوال المدنية بـ»كوباكابانا».

الثلاثاء الموافق الثاني من سبتمبر ٢٠٠٨

أحيانًا تستيقظ وكأنك إنسان جديد. يشبه النوم في الليل نقطة فاصلة بين الماضي البعيد والمستقبل الواعد. كانت قدماي تطفوان بعيدًا عن الأرض. هناك أيضًا الشعور المناقض، عندما تشعر وكأنك شخص مُنهَك. هذا هو التعريف المثالي لحالتي عندما رنَّ المنبه الساعة التاسعة، معلنًا بدء يوم الثلاثاء. عندما أزلت الغطاء، ولمستُ الأرض بقدميَّ، شعرتُ أنهما ثقيلتان وكتفيَّ متصلبان. ذهبتُ إلى الحمام، وكنت ألعن تلك الليلة التي لم أنم فيها بسبب الألم. وغسلتُ وجهي. كانت الإضاءة الضعيفة تنعكس على المرآة فجعلتني أتذكر فجأةً، لقطاتٍ من الأمس. وبدأتْ تتسلسل صور الماضي والأحداث التي وقعت إلى رأسي المتعب: حادث السيارة، اعترافات "أوتو"، ومراسم الدفن السينمائية لـ"فاسكونسيلوس"، وكذلك وجه "زاك" البائس.. تناولتُ دواءً للصداع وابتلعته دون ماء فانقبضت معدتي.

كانت أمي جالسة على كرسي في المطبخ، وهي تتصفح مجلة بحسرةٍ، تفاجأت بي واقفًا عند الباب أنظر إليها.

قالت:

- صباح الخير يا بنيَّ.

لم تكن تحيتها قوية بما يكفي لجعل الأمور أفضل، ومع ذلك، بادلتها التحية، وكان يوجد على طاولة المطبخ، حليب بالشوكولاتة، كعكة الجزر، شرائح لحم الخنزير، جبن، حليب رائب، "توست"، صدر ديك رومي، وسلة خبز طازج، وكأنني دخلت مطعمًا. تساءلتْ، وهي تحاول رسم ابتسامة على شفتيها: - الطاولة جميلة، أليس كذلك؟

- نعم.

جلستُ، وحينئذٍ فقط أدركتُ مدى سوء حالتها، كانت سيئة للغاية مثلي وربما أسوء، كان شعرها الأبيض ملفوفًا على شكل كعكة في عجالة. بدت شاحبة،

مرتخية، مع انتفاخ تحت العينين والأنف محمر نتيجة البكاء طوال الليل.

ظللنا في صمت، كانت تنظر إليَّ وأنا أضع الزبد فوق الخبز وتناولت قطعة، وسألتني وهي تتفحصني بنظراتها المليئة بالحب: - هل نمت جيدًا ليلة أمس؟

كان الجواب "لا". لم يكن الأمس يومًا جميلًا، فقد شهد أوله الدفن، ثم الضابط "أكينو" الذي طلب التحدث مع "زاك". وأخيرًا جدار الشك والغضب الذي أصبح بيني وبينه، لم أكن أعرف كيف أتعامل مع تلك الأشياء، فأنا لا أعرف ماذا أقول لشخص فقد والديه للتو، لذلك بدا أي موضوع عديم الجدوى، لأن أي محاولة عزاء يمكن أن تحيي الذكريات، وتزيد من المعاناة. شئنا أم أبينا، كانت قصة "أوتو" لا تزال عالقة في حلقي. كيف خدعني "زاك" طوال هذا الوقت؟ كيف استطاع أن يخفي أنه يستمتع أيضًا مع الرجال؟ كنت في حاجة إلى معرفة الحقيقة وسماع ذلك منه شخصيًّا، لكنني لم أستطع أن ألوم شخصًا بعد دفن والديه مباشرةً، كان أمرًا مستحيلًا وغير إنساني. كاد التفكير بداخلي يؤذيني، ظللت أتألم بداخلي، فكان الفضول يتغلب على الحس السليم. ولكنني بالأمس لم أستطع الحديث معه، حيث ذهب "زاك" ليرتاح بعدما وصلنا من الجنازة، وذهب "زاك" لينام. فانتهزت الفرصة لتدوين ملاحظاتي عن المراسم، وقريبته، ودعوة الضابط. ثم حاولت قراءة أحد الكتب حتى يمر الوقت بسرعة.

حضر "زاك"، فأصبحت مترددًا في الحديث معه، لذلك بقينا في صمت وسيطر الحزن على نظراتنا. استمر حاجز التردد اللعين بيننا، لذا دعوته إلى لعب البوكر لكسر التوتر، ولكنه رفض وقال إنه سيعود للنوم. حاولت إطالة الوقت وأن أكون مضحكًا، فكشفت له أنني عرفت عادته السخيفة للمراوغة، وأخبرته أنني خائف من الخداع، وانتهى بي الأمر بالحديث عن اللعب في ذلك اليوم مع "أوتو"، ولكنه لم يعلق لأنني لم أسأل عن أي شيء، واكتفى برسم ابتسامة خجولة على شفتيه عندما ذكرت اسم ذلك التعيس. تسببت ابتسامته في ألمي أكثر من صفعة على وجهي، فقد كان ذلك بمنزلة تأكيد لما في رأسي. سألتني أمي، وقد أخرجتني من أحلام اليقظة، قائلةً: - هل ما زلتَ نائمًا؟

أجبتها، وواصلتُ تناول الطعام:

- نعم نمت جيدًا. كنت أفكر فقط.

- ألن تشرب أي شيء؟ ولا حتى حليب؟ أو عصير؟

قلت، على الرغم من أنني لا أرغب:

- عصير.

نهضتْ مسرعة لإحضار الزجاجة من الثلاجة. كنتُ أفهمها تمامًا، كانت في حاجة إلى البقاء نشطة، وأن تشغل نفسها بمحاولة نسيان المشكلات، محاولةً نسيان وفاة صديقتها، وتجاهل إجراء جراحة خطيرة بعد خمسة أيام.

قالت وهي تعطيني كأسًا:

- ها هو.

أخذتُ رشفة وأضفت زبدًا على قطعة خبز أخرى، فتساءلتْ وهي متوترة: - ألم يستيقظ "زاك" بعد؟

أجبتها:

- لا أعتقد ذلك!

في الحقيقة، كنتُ عصبيًّا أيضًا. الموعد مع الضابط سيكون بعد أقل من ساعتين، ولديَّ فضول لمعرفة ما يريده ذلك الرجل من "زاك"، هذا الشك كان هو المسؤول عن أرقي طوال ليلتي. وبالرغم من استلقائي في السرير، ظللت أفكر ساعات طويلة ماذا يريد الضابط، فلم أنم حتى الثالثة صباحًا. ضبطتُ المنبه على التاسعة، ولم أنم سوى ست ساعات، وهذا جعل جسدي يؤلمني.

تمتمت وهي تنظر باضطراب إلى الساعة:

- من الأفضل أن أذهب وأوقظه، لا يمكنكما أن تتأخرا على مقابلة الضابط ويجب أن يستحم "زاك"، لم يستحمَّ بعدما عدنا من الجنازة.

يبدو أنها كانت تنتظر موافقتي، لكن عندما لم أتحدث، نهضتْ واختفتْ في الطرقة وعادت بعد عشرين دقيقة، ممسكةً بـ"زاك" من ذراعه، وقد بدا شاحبًا. قلت: - مرحبًا.

لم أستطع أن أقول "صباح الخير"، كلانا يعرف أنه لن يكون خيرًا. تركتُ مقعدي وذهبتُ إلى غرفة النوم، وعندئذٍ أدركت أنني كنت أتجنبه، لأنني لم أستطع مواجهته، فأنا لم أنطق أكثر من عشر كلمات معه بسبب وجود شيء ما من الخزي والخوف أيضًا، على ما أعتقد. الخوف من أن تكون تلك المصيبة معدية، فمجرد لمسة بسيطة تنهار حياتي كما انهارت حياته.

عند الساعة الحادية عشر إلا ربع، عدتُ إلى المطبخ، رأيت رأسه على صدر أمي التي كانت تلمس بيدها شعره.

ناديته:

- هيا "زاك" لقد حان الوقت.

كانت منطقة "كوباكابانا" بمنزلة عالم مصغر في حي؛ عائلات، عاهرات، باعة متجولون، السكارى، السيدات المسنات، المربيات، الأجانب، والصيادون، يتعايشون في وئام في الحي نفسه. في الأيام المشمسة، يشهد سكان هذا الحي ازدحامًا مذهلًا، فالضاحية تطل على الشاطئ من خلال ثلاث محطات مترو.

من خلال نافذتي، يمكنني رؤيتهم تحت الخيام بأغراضهم، يبدون وكأنهم جيش من النمل الذي خرج من جحره. ويبقى ذلك الزحام حتى بعد الظهر، عندما يُصفَّق بالإعلان عن غروب الشمس.

عادةً، بمجرد أن أعود إلى غرفتي أشعر ببعض الاكتئاب، يبدو أن الرغبة في مواجهة اليوم بدأت تتلاشى، وكل ما أريده هو خفض الستائر والعودة إلى النوم، وهذا ما كنت سأفعله لولا الموعد مع الضابط. فللحظة، فكرتُ في ترك "زاك" يذهب بمفرده بعد كل شيء خاصةً أنني لم أكن مدعوًا إلى هذا الاجتماع، لكنه لا يصح، لأن الأصدقاء الحقيقيين لا يفرون في الأوقات الصعبة، وعلى الرغم من غضبي منه، لا أزال أحبه كثيرًا.

بمجرد أن خرجتُ إلى الشارع، ازداد شعوري بالاكتئاب، وأصبح جسمي المخدر ثقيلًا، وبدأت رأسي تدور. شاهدتُ الناس يمرون نحو الشاطئ ليستمتعوا بحياتهم، مبتسمين أو يتحدثون في الهواتف المحمولة، فشعرت بالفراغ، وضياع الوقت من بين يدي لأن الذاكرة فارغة، دون لحظات ممتعة لنتذكرها، لذلك شعرتُ بالحاجة الملحة إلى العيش بشكل أفضل والتغلب على قيود الحياة. استمررنا في المشي بين أحياء سكنية بصعوبة كما لو كنَّا سجينين، فكان "زاك" يتبعني في خطوات منتظمة. لم أعد أعرف ذلك الطريق بالرغم من اعتيادي إياه، بسبب تلك النظرات الخفية من وجوه غير مألوفة تمر بجانبنا، وكأن حالتنا النفسية قد طُبعت على جباهنا، فكل هذا كان يزعجني.

شعرتُ بتحسن عندما وصلنا إلى الحارة التي يوجد بها المطعم، ونظرت إلى الوجهة الزجاجية التي تزينها الثمار الاستوائية المتدلية من السقف، وعلى الرغم من المرور هناك كل يوم، كنت أبحث عن بعض الفاكهة التي لم أعرفها، أو النادرة. بحثتُ بعيني في المكان ووجدتُ الضابط "جوناس" جالسًا إلى طاولة بجوار النافذة، يشرب عصيرًا لونه أخضر ويتحدث مبتهجًا مع رجل جالس بجانبه. وبمجرد أن اقتربنا، وقف لتحيتنا، واستعاد بسرعة الجدية المتوقعة من ضابط الشرطة. لا يبدو لي ضابطًا، فالبنطال "الجينز" الضيق، الجاكيت المزركش، لون عينيه الفاتح، وشعره الرمادي جعله يبدو سائحًا من أوروبا الشرقية. قدم صديقه بطريقة مهذبة: - هذا هو "جوزيه أكينو"، صديقي ويعمل في قسم 12 هنا في "كوباكابانا".

ولكن "أكينو" لا يبدو ضابطًا أيضًا، كما يبدو أنه في أوائل الخمسينيات من عمره، فكان وجهه نحيفًا، عيونه غائرة، ورقبته نحيلة. تصافحنا بقوة، ورسم ابتسامة لا تتناسب مع أجواء الطاولة.

- أنا أشرب عصير كيوي، وطلب "أكينو" عصير بطيخ مع الجوارانا. هل تريدان شيئًا؟

قلت:

- لا.

ظل "زاك" خافضًا رأسه ويلعب بأصابعه في مفرش الطاولة، غافلًا عن المحادثة. وكان صمته بمنزلة إجابة عن سؤال "جوناس".

بدأ الضابط يتحدث وقد لمس ساعد "زاك" للفت انتباهه، قائلًا: - يا "زاك"، لم تتحدث حتى الآن، متى سنبدأ، إنني أحتاج إلى إجابات منك، أليس كذلك؟

تساءل "زاك" وهو يضرب الطاولة بقبضته:

- لماذا لا نكمل هذه القذارة إذًا؟

أومأ الضابط، لكن اقترب النادل محضرًا العصير لـ"أكينو"، وسألنا إن كنَّا نريد المزيد أو شيئًا آخر، ولكننا رفضنا، فابتعد.

- أعلم أن هذا صعبًا بالنسبة إليك يا "زاك"، صدق أو لا تصدق، أنا في مجال الشرطة منذ أكثر من عشرين عامًا وما زلت لا أدري كيف سأتعامل مع هذا الموضوع، فأنا لا أجيد الحديث، لذا دعوتُ "أكينو" ليساعدني.

سأل "زاك":

- وماذا تريد مني إذًا؟

- أريدك أن ترفع رأسك. وتنظر إليَّ.

نظرت إلى "زاك"، في انتظار رد فعله، لكنه ظلَّ كما كان، يداه فوق فخذيه في تأرجح مستمر.

بدأ "أكينو":

- أعمل ضابطًا منذ أربعة وثلاثين عامًا بالضبط! يجب أن تتخيل أنه طوال تلك المدة مر عليَّ كل شيء، كل الفظائع التي تتوقعها، كل أنواع العنف أو القتل، فأنا رجل متمرس. وكذلك "جوناس" أيضًا، فنحن نعرف واجبنا وأنت ستساعدنا حتى لا تُضَرَّ، أفهمت؟

سألته:

- هل هذا نوع من التهديد؟

حاولت أن أحمي "زاك" من تلك الحيوانات المفترسة ذات المظهر الرسمي.

أجاب:

- مستحيل.

شرب الضابط رشفة من العصير ووضع الكأس على الطاولة، وتابع: - سوف أخبركم قصة حقيقية، حدثت منذ نحو سبع أو ثمان سنوات: كنت بالفعل كبير الضابطين هنا في قسم 12، في يوم ما حضر أب إلى مركز الشرطة للإبلاغ عن الابن البالغ من العمر ثلاثة وعشرين عامًا، ويدعى "فابريسيو"، وأوضح أنه أرمل، وربى الصبي وحده ويشك أنه سرق مجوهرات العائلة والأشياء الثمينة وحتى الملابس لشراء المخدرات، فذهبتُ للتحقيق فاتضح أن الموضوع أكبر بكثير، فقد تورط "فابريسيو" في تجارة المخدرات، وأراد الحصول على بعض المال لشراء كيلوجرام من البودرة لبيعها في الحفلات في منطقة الجنوب. كان بمنزلة سمكة صغيرة، وسط حيتان كبار، لأنني اكتشفت أنه حصل على الشحنة بالاتصال بزعيم منطقة "كاسياس" وذهبت للتحدث مع الضابط هناك، وعندما قابلت "جوناس"، وضعنا خطة للقبض على المجموعة كلها، والوصول إلى التجار الكبار. وكانت العملية ناجحة إذ قبضنا على "ديديم"، تاجر المخدرات الذي أدار جميع المبيعات في تلك المنطقة، ومن ثمَّ قضى "فابريسيو" عامين في السجن، ولكن القصة لم تنتهِ بعد.

كان صوت "أكينو" المتقطع يحمل نبرة أبوية، وتابع:

- فعندما خرج الصبي من السجن، بعد خمسة عشر شهرًا، خطف والده، وأخذه إلى مكان بأحد الأحياء العشوائية، وأحرقه حيًّا في وسط مجموعة من إطارات السيارات، ويقال إنه بعد ذلك أخذ الرماد، ووضعه بورق المناديل ودخنه. ابن العاهرة يدخن والده!

كنت أستمع وتخيلت المشهد، ولكن "زاك" كان لا يزال خاملًا.

- هذا ما نعيش فيه. نحن مضطرون إلى التعامل مع ذلك النوع من القضايا كل يوم، وعلينا أن نواجه المجتمع الذي يقول إننا مجموعة من الفاسدين ونتعامل بإنسانية مع الذين يتصرفون دون أي إنسانية، وبعد كل شيء، يجب علينا تقبل أن عملنا لا فائدة منه، فالسياسي يعود إلى السرقة، المدمن يتعاطى المخدرات مرة أخرى، والقاتل يقتل ثانيةً. ففي النهاية تسير الأمور كالمعتاد ولا تتغير طباع الناس.

صفق بيديه، موضحًا أنه أنهى القصة. ثم قال "جوناس":

- ومع ذلك نواصل عملنا على أمل أن تتحسن الأمور يومًا ما، صدق أو لا تصدق، أفعل بذلك لأنني أحب عملي، أعمل ضابطًا لأنني أحب ذلك ولا أتخيل نفسي أعمل شيئًا آخر.

فجأة سأله "زاك" وهو يرفع رأسه وعيونه المليئة بالكراهية: - وماذا تريد؟ الفوز بالكأس؟

أوضح "جوناس" بهدوء:

- لهذا السبب أنا هنا اليوم، رغم إجازتي، لأنني أحب أن أؤدي واجبي بشكل صحيح. أحب أن أفهم كل شيء، وأتحقق منه، ولا شك أن في يوم من الأيام ستغتالني إحدى الميليشيات أو تجار المخدرات، لقد حاولوا عدة مرات، ولكنني عقبة في طريقهم وسأحاربهم ما دمتُ حيًّا.

انفجر "زاك" قائلًا:

- ما الذي تريد تحقيقه بكلامك هذا؟

رد "جوناس":

- كما قلتُ، أود أن أوضح الأمور، فأنا أحبها عندما تكمل بعضها بعضًا.

ثم أنهى العصير ببطء وتابع:

- بالنسبة إلى حادث والديك، يا "زاك"، لم تتكامل الأحداث معًا.

سألته، وقد شعرتُ بغضب مفاجئ:

- ماذا تقصد؟

اعتدل "أكينو" في مقعده وعبس قائلًا:

- دخلنا منطقة خطيرة.

قال "جوناس":

- اسمعا فقط، كان طريق "باجيرو" مغلقًا بواسطة سيارة بها حمولة كبيرة، شاحنة ذات لوحة معدنية دون أرقام، ولم يُعثَر على سائقها. وقال شهود العيان، إنه على الرغم من إغلاق الطريق غير المتوقع، كان بإمكان "جيتوليو" أن يتوقف في الوقت المناسب لتجنب حدوث المأساة، ولكنَّ هذا لم يحدث، فلم تكن هناك آثار احتكاك للإطارات في موقع الحادث، ولا أثر.. إذًا السؤال هو: "لماذا لم يستخدم "والدك" المكابح؟".

رفع “زاك” رأسه. بدا عليه شيء من الفضول، ممزوجًا بالخوف أو الحزن.

ابتسم “جوناس” راضيًا:

- افترضتُ أنه ربما تعطلت المكابح، وطلبتُ من الخبير فحصها، فاكتشفنا أنه تم تعطيلها.

- ماذا؟

- لم يكن حادثًا يا “زاك”، بل جريمة قتل.

سأل “زاك” فجأة:

- ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم؟

كان مضطربًا، ثم تغيَّر لونه من الشاحب إلى اللون الأحمر الفاتح واتسعت عيناه: - قتل؟ والداي؟ لا أفهم.

- صدق ما يقوله “جوناس”، لقد قيَّمنا الوضع من جميع الاحتمالات، فإنه لم يكن من قبيل المصادفة. تمت بفعل فاعل، أن تغلق الشاحنة المجهولة طريق “باجيرو”، وتُعطل المكابح كي يفشل في الوقوف المفاجئ. كان كل شيء مخططًا.

لم أستطع أن أفكر، حتى لم أعد أشعر بألم، ولكنني شعرتُ برجفة في ساقي. وبدا “زاك” أيضًا تائهًا ثم قال أخيرًا: - السبب.. ما السبب الذي يجعل أي شخص يقتل والديَّ؟

ابتسم الضابط ابتسامة أخرى.. لقد أزعجني بالفعل.

حرك الكأس الفارغ مشيرًا إلى النادل أن يملأه بالعصير:

- آه، نعم، السبب.. في الواقع، المشكلة هنا ليست بالضبط عدم وجود المشتبه فيهم، ولكن كثرة عددهم.

بدا “زاك” ليس موافقًا، لكن الضابط تابع:

- امتلك والدك العديد من الشركات، يا “زاك”، وكان يستثمر في الكثير من الأعمال بشكل يومي، من ثمَّ أصبح له الكثير من الأعداء. صدقني هناك الكثيرون ممن أرادوا إزاحة “جيتوليو” بعيدًا.. المشكلة هي معرفة من لديه سبب كاف للقتل، أعني أنني يمكنني أن أكره شخصًا، وأريد أن أبعده من حياتي، لكن ليس بالضرورة أن تصل رغبتي إلى القتل، أليس كذلك؟

سأل “زاك” بيأس وقد حملق إلى عيون الضابط، منتظرًا إجابة تخفف من محنته: - من قتل والديَّ؟

قال:

- كان أعداء والدك معظمهم منذ زمن طويل.. والقاتل، مهما كان، يجب أن يكون لديه دافع محدد لارتكاب الجريمة سريعًا في ذلك اليوم، وكانت هناك فرصة كبيرة لحدوث خطأ. في النهاية، تم اكتشاف مشكلة المكابح وقُبِضَ على السائق، ولكنها خطوة محفوفة بالمخاطر.

كنَّا صامتين، والاحتمالات تدور في رؤوسنا. تابع "جوناس" قائلًا: - لم يكن الأمر سهلًا على الإطلاق، صدقاني، لكن بعد عدة تحقيقات، وصلنا إلى شخص ما لديه دافع.. دافع منطقي لارتكابه الجريمة.

كنت أرغب في القفز على عنق الضابط وإجباره على قول كل شيء على الفور دون العبث. يبدو أنه كان يستمتع بقلقنا. أحضر النادل العصير وغادر دون أن يقول شيئًا.

- يوم الاثنين الموافق 25 أغسطس، كان هناك عشاء في منزلكم يا "زاك" هل تتذكر؟

لم يجب فأومأتُ لأنني كنت موجودًا في هذا العشاء. شرب "جوناس" رشفة من العصير وتابع: - حسنًا، يا "زاك"، في ذلك اليوم، في أثناء العشاء، جاءت مكالمة هاتفية لـ"جيتوليو" وردَّ على المحامي "جولار" أمام الحاضرين على العشاء، أليس ذلك؟

صمت.

أصرَّ الضابط:

- أليس كذلك يا "زاك"؟

هز رأسه بالموافقة.

- وهل تتذكر ما تحدثا عنه، يا "زاك"؟

أصبحت المحادثة في المطعم استجوابًا. فكرتُ في التدخل، لكنني تركتهما يستمران، وابتلع "زاك" ريقه وقال: - لا، أنا لا أتذكر حقًّا، ولكن أعتقد أن والدي أراد تغيير الوصية.

- هذا صحيح. ففي البداية، كانت الثروة كلها ستكون لك يا "زاك"، وبعد التعديل، أصبح لك النصف فقط.

- لا تقول إن...

وبدا مصدومًا، لكن الضابط تابع:

- كان والدك سيغير وصيته يوم الاثنين، بعدما يعود من رحلة قصيرة، ومصادفة لم يرجع ومات، أقصد قُتِل. كنت ستفقد نصف ثروتك بمجرد وصول والدك، ولكن لم يحدث هذا.. بالتأكيد تعرف بماذا نفكر.

- لا، لا أعرف.

حدَّق الضابط إلى صديقي. وقال بحزم:

- لقد قتلت والديك يا "زاك"، وأنت تعلم ذلك.

لقد دهشتُ، ماذا يمكنني أن أفعل؟ أدافع عنه؟ مرة أخرى، شكرت نفسي لأخذي مسكنًا عند الاستيقاظ، وإلا انفجرت رأسي وشعرت باختناق.

احتج "زاك" بنبرة ضعيفة:

- هذا شيء سخيف!

انتفخت عيناه وامتلأت بالدموع، وأوشك أن يبكي.

- أنا لا... هذا شيء سخيف!

قال "أكينو":

- ها يا فتى، هذه مجرد محادثة. إنه ليس اتهامًا رسميًّا، ولن يُقبضَ عليك هنا أو استخدام أي شيء تقوله ضدك، مفهوم؟ لكن لا تعتقد أننا أغبياء.

تمتم "زاك" وهو يائس:

- لا أعرف ما الذي تتحدث عنه!

يمكنني أن أقسم إنه كان يقول الحقيقة، لأنني أعرف صديقي منذ مدَّة طويلة بما يكفي لمعرفة متى كان يكذب. إلى جانب ذلك، لم أكن أتخيله يقتل والديه! رد الضابط "جوناس" بتحدٍّ: - هيا يا "زاك!"

ورشف ما تبقى من العصير وأبقى الكأس مرفوعًا، وتابع:

- التقرير الرسمي عن حالة المكابح سيكون جاهزًا قريبًا. كان "جولار" مستعدًّا بالفعل للإدلاء بشهادته حول المحادثة مع "جيتوليو"، وأكد جميع الحاضرين في ذلك العشاء أن والدك نوى تغيير وصيته عندما يعود من رحلته إلى "منزل سيريل". كل شيء يشير إلى أنك الفاعل.

كرر "زاك" بنبرة بها توسل:

- لم أكن أنا!

كان “زاك” على وشك الانهيار أمامنا، أكتافه منحنية ومستندًا بذراعه إلى الكرسي، ووجه شاحبًا مثل دمية ممزقة.

قال “أكينو”:

- هذا ما يقوله الجميع. من الأفضل أن تسلم نفسك، يا فتى.

صرخ قائلًا:

- ليس لديَّ ما أعترف به، هل تفهم؟ أي شيء! لم أفعل شيئًا! أريد محاميًا! ماذا تفعلان هنا؟ هل من المعتاد فعل هذه الأمور في المطاعم؟ أم أنكما تحاولان ابتزازي؟

خبط “زاك” على الطاولة، فنظر الزبائن الآخرون إلينا بدهشة. كان غاضبًا، وبكى بشدة. أما الضابطان كانا شبه محاصرين، حاولتُ السيطرة عليه، فطلبتُ منه أن يحاول التحدث، ولكنني كنت مصدومًا.

- ألم تسمعا ما قاله “زاك”؟ لم يفعل شيئًا! لا يوجد شيء ليعترف به، إنه لم يقتل والديه أبدًا.. أبدًا!

أمال “أكينو” مرفقيه على الطاولة وعبس بوجهه، ثم نظر إليَّ بجدية ولاحظ عدم الصدق في كلماتي.

بدأ قائلًا:

- انظر ماذا تقول يا فتى! إنه صديقك، أعلم، ولكن إلى أي مدى يمكننا الدفاع عن الصديق؟ ما مدى معرفتنا بأصدقائنا؟

ظل السؤال معلقًا في الهواء، لكنه أدرك أنه أثر فيَّ، فقد اهتز حقًّا موقفي تجاه “زاك” بسبب الأحداث الأخيرة، ففي البداية جاء الكشف عن “أوتو” حول المثلية الجنسية مع “زاك”، والآن هذا الأمر، ولكنني تجاهلت، محاولاً التخلص من الأفكار غير المريحة.

أصرَّ “زاك” وهو يسترد أنفاسه، متسائلًا:

- ماذا تريد مني؟ أموالًا؟

ابتسم الضابطان من السؤال.

- آه، هذه العادة الرهيبة للأغنياء، يعتقدون أنهم يستطيعون شراء سكوت أي ضابط، وأنت لا ينقصك المال الآن، أليس كذلك، يا “زاك”؟

تذمر ونهض قائلًا:

- إذا كان هذا ما تريدانه، من الأفضل أن تضغطا على شخص آخر، أنا لن أدفع "سينتافو" واحدًا. إذا كنتما تعتقدان أنني مذنب، فاعتقلاني! لست خائفًا، قلت إنني لم أفعل أي شيء! إذا كانت هناك جريمة قتل، وأشك في ذلك، فأنتما تشتبهان في الشخص الخطأ! أقول لكما إنني بريء!

وقف الضابط "أكينو" وواجه صديقي، على الرغم من كونه أقصر بكثير منه، لمس الرجل كتفيه باليد.

- ما الذي تفعله يا فتى؟ ألا ترى أننا اكتشفنا أمرك؟

- إذا اكتشفتما أمري، فلماذا لا تعتقلانّي؟

تراجع "زاك" إلى الوراء، ودفع الكرسي إلى الخلف، وسط اندهاش الزبائن وهم يشاهدونه يخرج ويصرخ: - أنتما مجنونان!

قبل التوجه إلى الرصيف، فكرتُ أن ألحقه محاولًا تهدئته، وأن أظهر له أنني كنت بجانبه، ولكن أكنت حقًّا بجانبه؟ وكان سؤال "أكينو" لا يزال يدور في رأسي، فما مدى معرفتي بصديقي المفضل؟ ماذا كان حقيقيًّا وماذا كان كذبًا طوال سنوات حياتنا معًا؟ أسئلة كثيرة تدور في عقلي. شيء ما قيدني هناك، كما لو كانت قدمي عالقة في أرضية المطعم. وأدركت أن الضابطين كانا يراقبانني، فتمتمتُ دون تفكير: - "زاك" بريء، صدقاني..

هزَّا رأسيهما قليلًا، ولكن تعبيرًا عن الشفقة. وكان هناك صوت استفزازي يهمس في أذني.. لم أعرفه جيدًا، كان "زاك" غريبًا. بعد سنوات عدة، لم أكن أعرف حدوده، ليست لدي فكرة عن قدراته.. اللعنة، لقد مارس الجنس مع "أوتو"! ظهرت صورة الملعون أمامي، بابتسامته المثيرة للاشمئزاز وهو فخور لمواجهتي، وفجأة تذكرت ما قاله يوم الأحد: بطريقة ما، ستحقق له وفاة والديه خيرًا. "أوتو"، تمتمتُ مذهولًا.

رأيته، تمامًا، كان يضغط على "زاك" لإقامة علاقة جنسية، والعيش معه. ورأيت، "زاك" يرفض، موضحًا أن والديه لن يقبلا أبدًا. لذا وضع الخطة.. الخطة المثالية حتى يتمكنا من ذلك ويبقيا معًا. هي إزالة الحاجز الذي كان في طريقهما. كررتُ وأنا أتعجل الكلمات: - "أوتو". إنه صديق "زاك" وذهب إلى شقته بعد يوم من الحادث. وماذا عنه؟ لم أدعه يتحدث مع "زاك"، كان صديقي حزينًا بسبب كل ذلك، فأخبرني "أوتو" بعض الأشياء، قال إن...

أصبحت غير قادر على البوح بالكلمات التي كانت في حلقي. لم أستطع الكشف عن علاقة حميمية لـ"زاك" من هذا القبيل، ولم أستطع الوثوق بهذين الضابطين. لم أستطع أن أثق بأحد.

أصر "جوناس":

- ماذا قال؟

أجبته في النهاية:

- بطريقة ما، وفاة والديه ستكون خيرًا له، هذا ما قاله لي، وكونه سعيدًا لوفاة "فاسكونسيلوس"، وأنها أفضل شيء يمكن أن يحدث لـ"زاك".

- ولماذا قال ذلك؟

أجبته بطريقة جافة لسبب ما، لم أستطع قول الحقيقة:

- لا أعلم، اسأله.

- ألم تشكَّ في أي شيء في ذلك الوقت؟

- بالطبع لا! لن أتخيل مثل هذا الشيء عندما قال الجميع إن ذلك كان حادث سيارة، لكن ليس لديَّ شك في أن ذلك الوغد "أوتو" يكون قادرًا على قتل شخص، فهو مريض.

سيطر صمت مميت على الطاولة، ثم تساءل "أكينو":

- حقًّا، سنحقق مع هذا الرجل. هل لديك شيء آخر يا "أليساندرو"؟

بالطبع، كان لدي شيء آخر لأقوله.. نعم، كنت أرغب في مواصلة الحديث! أردت أن أصرخ! أريد أن أخبر العالم بكل ما بداخلي.. عن مغامرات "زاك" الجنسية، وشكوكي، عن الحياة اللعينة التي كان يعيشها، وعن كل هذا الوضع السخيف، واحتمالية صحة كل ذلك..

ولكنني أجبتُ دون اقتناع:

- لا، ليس لدي المزيد لأقوله.

نهض الضابطان من مقعديهما في وقت واحد، وأوضح "جوناس":

- أنت أحد أفضل أصدقاء "زاك" وكنت موجودًا في العشاء الذي تحدث فيه "جيتوليو" عن تغيير وصية. ستُستدعى للشهادة أيضًا.

أومأتُ، وشعرتُ بطعم مر في فمي:

- أراك قريبًا.

ترك "جوناس" الحساب على الطاولة وغادر مع "أكينو".

عندما عدت إلى المنزل، كنت أشعر بالغثيان، أمسكتُ مقبض الباب، وكانت يدي ترتجف، وبصعوبة فتحتُ القفل. أغمضتُ عيني وأخذتُ نفسًا عميقًا

وحاولتُ التعافي. جاءت والدتي لمساعدتي وبمجرد أن دخلتُ من باب المطبخ، حاولتْ أن تريحني، لكنها كانت مجهدة أيضًا.

فسألتني لاهثةً:

- ماذا حدث؟ لقد وصل “زاك” وهو يبكي وحبس نفسه في الحمام. ماذا يحدث؟

كان شعرها الآن مفرودًا على جلدها الشاحب. دون أن أجيبها، أخذتُ كوبًا لتناول رشفة من الماء، وتدريجيًّا، شعرتُ بتحسن، ثم أدركتُ شيئًا كان قد فاتني من قبل؛ سألتُ نفسي “من”؟ من أخبر الضابط عن العشاء؟

تساءلت أمي:

- ما الذي تتحدث عنه؟ لم أفهم شيئًا، ماذا حدث؟

لم أكلف نفسي عناء الإجابة. كان ذهني مشغولًا في التفكير في ذلك العشاء، كان هناك خمسة منا فقط، زوجا “فاسكونسيلوس”، وأنا وصديقي وأمي. مات “جيتوليو” و”ماريا كلارا”. ولن يتكلم “زاك” أبدًا عن الوصية خاصةً إن كان حقًّا مذنبًا، وأنا لم أقل شيئًا بالطبع. إذًا من أخبر “جوناس” ذلك؟ لم يبقَ سوى شخص واحد.

سألتها بوضوح:

- أمي، هل تكلمتِ مع الضابط؟

تلعثمتْ قبل الإجابة:

- كيف ذلك؟ أنا لم أقل شيئًا.

شرحتُ:

- العشاء. ذلك العشاء في منزل “زاك”، عندما قال “جيتوليو” إنه سيغير الوصية، هل أخبرتِه بذلك؟

تغير لون وجهها وكانت مضطربة:

- أنا.. لم أقل أي شيئًا للضابط. لماذا أخبره عن العشاء؟ ما الذي يحدث هنا يا “أليس”؟

لم يكن لدى أمي سبب للكذب، لن تكسب أي شيء من إخفائها ما قالته. لذلك أصررت: - هل أنت واثقة؟ ألم تذكري ذلك؟

وأكدتْ أنها متأكدة، وظل السؤال دون إجابة. أعلم أن "جيتوليو" تحدث في الهاتف عن مواعيد جميع إجراءات تغيير الوصية.. ترى من أخبر الضابط عن الوصية؟ "جولار" نفسه يمكن اعتباره أحد الاحتمالات، ولكنني لم أستطع تخيل أن المحامي يُنمِّي شكوك الشرطة.. لذلك أعتقد أن هناك شخصًا آخر. أصرت أمي: - ألن تخبرني بما يحدث؟

لكنني قررت بالفعل عدم قول أي شيء.

- اسألي "زاك".

خطرت لي فكرة، لذا دون إضاعة الوقت استقللت الدراجة وغادرتُ المنزل. وخلال دقائق، كنت على حافة "كوباكابانا"، وضغطت بكل قوة على البدالات، حرصًا على الوصول إلى شقة "فاسكونسيلوس". صعدت بالمصعد سريعًا وقرعت الجرس. استغرق وقتًا للإجابة ولكنني ظللت أضغط على المفتاح. وأخيرًا، فُتِح الباب، فظهرتْ الخادمة خائفةً وممسكةً بيدها اليمنى غطاء المقلاة. ما زلتُ أتذكر اسمها، وألقيتُ عليها التحية: - مرحبًا "يارا"!

نظرتُ إلى المريلة الصغيرة، ملابسها السوداء، وجهها المنهك من العمل منذ الطفولة، وإلى شعرها المقصوص حتى أذنيها. كانت هي.. نعم الخادمة! الشخص الذي يعيش يوميًّا مع أصحاب المنزل، الظل الذي يمشي ليلًا ونهارًا بين الغرف، تستمع إلى المحادثات، وترد على المكالمات الهاتفية وهي تكنس الأرضية. كانت هناك في أثناء ذلك العشاء، تخدم الطاولة، فمن الممكن تمامًا أن تكون قد سمعتْ المحادثة على الهاتف، ومن ثَمَّ يمكن تمامًا أن تكون هي من قالت للضابط. سألتْ: - ماذا تريد؟

- هل يمكنني الدخول؟

ابتعدتْ "يارا" عن الطريق، وأفسحتْ الممر. كان أمامي عدد من الأساليب المختلفة، كسب ثقتها أو الدخول مباشرةً في الموضوع أو طريقة التحقيق وهي أمرٌ آخر، ولكنني اخترت الثاني: - هل تحدثتِ مع الضابط كثيرًا؟

جلستُ على الأريكة في غرفة المعيشة ووضعتُ ساقي فوق الأخرى منتظرًا الجواب. حملقت بعينيها، وهي مضطربة. ثم هزتْ رأسها، كما لو كانت توقظ أفكارها.

- لا أعرف ما الذي تتحدث عنه.

تمتمتْ، وأخذتْ تجري مسرعة في الممر. فصحتُ:

- "يارا".

قالتْ:

- الفاصولياء ستحترق.

أسرعتُ وراءها، وأصررتُ.

- لا أعرف أي شيء، أقسم لك.

وطلبتْ مني وهي تضع الغطاء فوق المقلاة وتوقف الموقد:

- ابتعد الآن.

- أنا فقط أريد إجابة.

نمنمتُ، محاولًا أن أكون ودودًا:

- هل أنتِ من أخبرت الضابط عن وصية "جيتوليو"؟

- يجب أن أنظف المنزل بأكمله! من فضلك، اتركني وشأني!

وذهبتْ إلى مخزن أدوات النظافة وعادت بقطعة قماش مبللة في يديها، وقالت: - لا أعرف أي شيء.

- الضابط يتهم "زاك" بقتل والديه. هناك شخص ما أخبره بنيَّة "جيتوليو" في تغيير الوصية.. هل كنتِ أنتِ؟

- أنا...

أصررتُ:

- هل كنتِ أنتِ؟

خفضتْ رأسها ولفت يديها في قطعة القماش وأجابت:

- نعم.

- لماذا فعلتِ ذلك؟

- جاء الضابط ليسألني إذا كان لدى "زاك" أي سبب لقتل والديه، فتذكرت ذلك العشاء.. كثيرًا ما نرى هذا الشيء المتعلق بالوصية في المسلسلات. وقد سمعتُ المحادثة دون قصد، لكنني لم أكذب. قلت فقط ما كنتُ أعرفه.

- لم يكن عليكِ فعل هذا! "زاك".. "زاك" بريء!

- بريء؟ هذا الصبي هو الشيطان نفسه! أنا أعرفه، هو صديقك، لكن اسمع لما أقوله.. أنت لا تعرفه.. لا تعرف ما يستطيع فعله.. إنه شيطان! شيطان! لا أشك في أنه قتل السيد "جيتوليو" والسيدة "ماريا كلارا"!

- لماذا تقولين...

- لقد أجبتُ على ما سألته. الآن دعني أعمل.

- هل يمكن أن توضحي.

قاطعتني وهي تضع منشفة على كتفها قائلة:

- إذا كنتَ تريد نصيحة، كن حذرًا منه.. "زاك" هو الشيطان، يحب أن يفسد حياة الناس، يحب أن يجعل الآخرين يعانون.

بقيتُ صامتًا.

- الآن اسمح لي، لديَّ المزيد من الأعمال لإنهائها.

وسارعتْ لتنظيف النوافذ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل التاسع:

لم أرَ هذا القدر من المال في حياتي أبدًا. لقد كانت الأرقام مقسمة بعناية، وهذا ما يضفي جمالًا شعريًّا على تلك الكمية. اثنان وعشرون مليونًا.. ترددتْ أبيات شعرية في الجزء الخلفي من رأسي: اثنان وعشرون مليونًا! اثنان وعشرون مليونًا! اثنان وعشرون مليوووووووووووونًا!

زاغت الأنظار أمام الأموال، وبقيتُ مندهشًا. وسحبنا، مثل الحيوانات الجائعة، الأكياس، بدافع طبيعي لمعرفة حجم تلك الحفرة. كانت خفيفة بشكل لا يصدق. وبجهد ضئيل، أفرغنا المكان، ورصصناها في صف على الجانب الأيمن من الأريكة، وهي المنطقة الوحيدة الخالية من الدم.

تساءلتْ "جواو" دون أن ترفع عينيها عن المال:

- ماذا سنفعل الآن؟

بدأ "زاك":

- أنا...

ولكنه لم يكن لديه ما يقوله. كان في حيرة من أمره جعلته لم ينطق جملة كاملة.

بالنسبة إليَّ، لم أملك مالًا قط. لم أفكر قط في أن بضعة ملايين في حسابي المصرفي ستحل مشكلاتي. أبدًا أبدًا أبدًا! ولكن مع ذلك، يبدو أن الدولارات كانت تجذبني مثل المغناطيس. كنت أرغب في القفز على الحقائب البلاستكية الشفافة، وتمزيقها بوحشية، والتأمل فيها، والشعور بملمسها، ورائحتها الفاخرة.

كان الأمر كما في الأفلام.. حقائب معدنية مليئة بالدولارات.. ثروات تحت الفراش.. بهذه الأموال، شعرت أن العالم أصبح ملكي وأنني يمكنني أن أطير إلى عنان السماء.

فجأة، اختفى الفقر الذي جعلني أضعف. أصبحتُ حرًّا، على الرغم من أنني كنت محاصرًا في قبو نتن وخانق، مع جثث ودماء في كل مكان، كنت حرًّا! بهذه الأموال ستختفي المشكلات بالطبع، ولم يبقَ هناك سوى النعيم. وبهذه الأموال، يمكنني تمويل نشر كتابي دون الاعتماد على ناشر. يمكنني أن أموِّل حملة إعلانية وأن أجعل كتابي يحقق أفضل مبيعات!

بهذا المال أيضًا، ستراني "ماريا جواو" بنظرات مختلفة، لكنني لا أريد أن أعرفها. يمكن أن يكون لديَّ فتيات أفضل بكثير. شقراوات، ذوات شعر أحمر، أو السوداوات، أو السمراوات، وذوات اللون الكستنائي، والهنديات.. يكفيهن تحرير شيك.

وتساءلتْ مرة أخرى وهي تحرك عينيها اليقظتين حول القبو: - ماذا سنفعل الآن؟

أعرف ما الذي كان يدور في رأسها الصغير الطموح. ماذا لو كان هناك كنز آخر؟ يمكن أن يكون اثنان وعشرون مليون دولار مجرد فاتح للشهية لشيء أكثر فائدة. ذهب أو ألماس.

كان "جيتوليو" يذهب إلى المنزل الريفي للاسترخاء بعد أسبوع من العمل ويأخذ معه الكثير من الدولارات لحفظها في قبو تحت الأرض.. بطريقته النموذجية. لم يتخيَّل أبدًا كيف سنكتشف سره الصغير. تخيلته وهو يسير على الدرج إلى الطابق السفلي عند الفجر، ينظر وراءه للتحقق من عدم ملاحقة أحد له، ويزيل الألواح في صمت للحصول على بعض المال. ماذا سأفعل بهذا؟ رشوة لشخص ما؟ زيادة دخل دائرة الإيرادات الفيدرالية البرازيلية؟ تخيلتُ آلاف الاحتمالات.

الآن يمكن استخدامه للخير. من أجل مصلحتي. وسط الظلام ابتسمت لي السعادة. كانت دعوة إلى حياة جديدة. لم أكن في حاجة إلى الموت بعد الآن.. وقال "زاك": - دعونا نواصل لعبة "الروليت الروسي".

هزت "جواو" رأسها. كم كانت تريد المال. لم تعد ترى أي جدوى في استمرار هذا الجنون، تلك المذبحة الجامحة. لقد فُتِح باب جديد. اثنان وعشرون مليون دولار. مقسمة على أربعة، يصبح لكل منا خمسة ملايين وخمسمائة ألف. ستكفينا كثيرًا.

قال "زاك" وقد أخرجني من أحلام اليقظة:

- لقد أصبحنا وقت الفجر بالفعل، هيا.

وجثم لالتقاط المسدس من الأرض. ونظفه في شورته وطواه حول سبابته، في انتظار أن يتحدث شخص ما وهو ما لم يحدث. فانفجر "زاك" غاضبًا قائلًا: - هيا بنا، اللعنة!

وركل أحد شوالات المال، فطار، واصطدم بالحائط، وسقطت الدولارات على شكل شلال، وكان لحفيف أوراق المال جرس موسيقي لطيف، قبل أن تعوم في الدم.

خافت "جواو"، وتجعد وجهها عند رؤية المال المهدر في السائل القرمزي. قائلة: - انظر إلى القذارة التي فعلتها! تبًّا، إنها أموال!

ووقفتْ بينه وبين باقي الشوالات خوفًا من أن يركل شوالًا آخر. وصرخ صديقي وهو يلوِّح بالمسدس في الهواء، قائلًا: - أموال والدي هي أموالي الآن! لا يهم إن كانت في مصرف أم لا! لم آتِ إلى هنا من أجل ذلك!

وصوَّب المسدس نحو "جواو"، فتراجعتْ تلقائيًّا وذهبتْ بعيدًا، محاولةً الهروب من أمام المسدس. وطلبتْ منه وهي يائسة: - اخفضه يا "زاك"! اخفضه من فضلك!

قال بجفاف:

- لن أطلق النار عليكِ. فلتفعليها بنفسك. يمكنك البدء.

ومد يده بالمسدس لتأخذه. فابتعدتْ "جواو"، وذراعيها متشابكتان عند مستوى صدرها وهي مفزوعةً، وتمتمتْ وهي ترمش بجفنيها: - أنا...

وأخيرًا نطقتْ:

- لا أريد بعد!

بدا وكأن "زاك" سيركل شوالًا آخر، لكنه أخذ نفسًا عميقًا وتراجع قائلًا: - ماذا تقصدين بذلك؟

هزتْ كتفيها وقالت:

- أنا خارج اللعبة يا "زاك". لا أريد الاستمرار بعد الآن. اكتفيتُ.

لقد قالت ما كنت أنوي قوله.

أجاب "زاك" بهدوء:

- لا يمكنكِ التراجع الآن. علينا المتابعة حتى النهاية.

وبعد أن شعر بالوحدة بسبب هجر البعض، نظر إليَّ، لكنني حدقتُ إلى دفتري، ولم أستطع تهدئته. ببساطة لم أستطع.. كان التنميل في أصابعي يستمر. لا أبالي بالجثث من حولي. إنني في حالة نشوة شديدة لدرجة أنني لا أستطيع الاقتراب منهم.. الآن أرى الانتحار أمرًا تافهًا، وأن فكرة إطلاق رصاصة في الرأس هي ما ستحل مشكلاتي، هو قرار مجنون. لم تعد هناك مشكلات. كل ما يهم هو المال. أنا فقط أشهد على الحقيقة التي رفضتها لسنوات وسنوات: المال سيحل كل المشكلات. الحصول على المال هو كل شيء.

وكررتْ قائلة:

- لا أريد المزيد!

وقفتْ "فاليريا" إلى جانبها، تسندها، وعلقتْ قائلةً: - إنها ثروة يا "زاك".. ونحن كلنا من وجدناها. لو لم نكن معًا، هنا، لما عرفت أبدًا عن هذا المال. لذلك، فإنها ليست لك وحدك. إنها لنا جميعًا! لا يمكنك تجاهل ذلك.

ثار "زاك":

- ماذا تريدون؟ هل نترك القبو كما هو، ونأخذ المال ونذهب للتسوق في المركز التجاري؟

استمر صمت متوتر في المكان. وتابع:

- تبًّا! "جواو"، فكري فقط فيما فعلتِ. أخوكِ! إنه.. مات للتو.. لا يمكن أن يكون مات مصادفة، أليس كذلك؟ لا يمكنك تجاهل كل ذلك والمضي قدمًا.

تعثرتْ، وقضمتْ أسنانها على شفتها السفلية. وألقتْ نظرة جانبية إلى جثة "لوكاس" ثم نظرتْ بعيدًا.

ووضعت يديها على بطنها، وشعرتْ بالغثيان، لكنها تعافت فجأة قائلةً: - كان سيفعل الشيء نفسه.

رد صديقي:

- لا! لا!

وحرَّك الجزء الأكبر من جسمه نحو "جواو"، وحاصرها. ولوح بيده في الهواء، ورفع السبابة قائلًا: - لن يفعل أخوك ذلك أبدًا. أبدًا! إنه.. لم يكن فاسدًا مثلك. لم يكن سيتراجع أبدًا.

- من أنت لتقول ما كان سيفعله أخي أو لا يفعله؟ لم تكن حتى صديقه المفضل! أنت بالكاد تعرفه.

- اخرسي! لقد كان صديقًا عظيمًا! رجلًا محترمًا.

أخذ "زاك" يبكي. وقالت في تحدٍّ وهي مبتسمة:

- ما هو شعورك تجاه أخي يا "زاك"؟

- كيف؟ كان.. كان صديقي.. صديق جيد.

- هل أنت متأكد؟ هل أنت متأكد أنك لم ترد منه أي شيء آخر؟ كما أردت من "أوتو".

صاح “زاك”:

- اخرسي!

ودفع “جواو” نحو الحائط، أخذت تتأرجح فوق بركة الدم، ففقدتْ توازنها وسقطتْ أرضًا. وصرختْ بعدما رأتْ ساعدها يغوص في الدماء: - أنت نذل! وابن عاهرة!

كاد “زاك” أن يركلها في بطنها لولا أمسكته من الخلف. وقلتُ له: - اهدأ يا “زاك”! لا تفقد صوابك.

- هذه البقرة.. هي... إنها تختلق الأمور.. لم أفعل شيئًا مع “لوكاس”! كان... لقد كان صديقي! صديق! أنا لستُ مثليًّا، أتفهمون؟

قالت “جواو” وهي تمسح ساقيها:

- هذا ليس ما سمعته.

وأشارت إلى جثة “أوتو” الهامدة، المربوطة بالأنبوب مثل الدمية، وتابعتْ: - أطلق ذلك الحقير رصاصة في رأسه بعد قول بعض الحقائق أمامك. والآن أستطيع أن أتخيل الأوهام الجنسية التي كانت بينك وبين أخي.

- أنا أبدًا...

- أو مع “أليس”.

غضبت، وتأكدتُ من أنني لن أتمكن من إيقاف “زاك” إذا قرر حقًّا ضربها، وقلتُ: - اصمتي، يا “جواو”!

كان جسد “زاك” يتلوَّى، وأوشكت عضلاته أن تنفجر. طلبتُ منه قائلًا: - لا ترد. إذا فعلت شيئًا، ستفقد عقلك.

توقفت الحركات المفاجئة وانحنى رأسه في استسلام. ترددتُ في تحرير ذراعيه، وتركته حرًّا. ثم بدأ: - أنا...

فجأة، رفع “زاك” رأسه، ممسكًا المسدس بقبضته وصوبه نحو جبين “جواو”، فصرختْ. وجثمتْ خلف الأريكة، بالقرب من جثة شقيقها. وتحداها وهو يمشي بخطوات سريعة وراءها، وعضلات وجهه مشدودة تعبيرًا عن الكراهية قائلًا: - أنتِ لن تغادري، أيتها العاهرة! استسلمي!

زحفت “جواو” على الأرض، محاولة الهروب من أمام هذا الغضب. كانت تزحف بذراعيها وساقيها بوتيرة سريعة، ولم تهتم بالدم في طريقها. كانت

“جواو” تترجاه مثل الحيوان المطرود من القفص. كانت تلهث، شعرها القصير أصبح فوضويًّا، ووجهها يائس: - لا يا “زاك”! لا.. لا تقتلني!

كان المسدس في يده، والسبابة على الزناد، تاركًا الوضع معلقًا. وصاح: - أنت بقرة، لا يهمك سوى مصلحتك! ما رأيك في الحياة، يا “جواو”؟ هل تعتقدين أنه يمكنك التراجع هكذا؟ هل تعتقدين أنه يمكنك فتح هذا الباب وترك كل شيء وراءك؟ لن تستطيعي!

- “زاك”، اخفض هذا المسدس من فضلك..

- لا يمكنك حقًّا، “جواو”! هناك عواقب.. سيُقبض عليك حتى إذا دفعت كل أموال العالم. لا يمكنك التظاهر بأنك لم تكوني هنا.

علقتْ “فاليريا” بصوت حنون:

- لا يا “زاك”!

وذهبت إليه بيديها ممدودتين، موضحة أنها لن تحاول أي هجوم مفاجئ. وتابعتْ: - لم يعد هذا طريقًا مسدودًا.. حاول إعادة التفكير. انظر إلى الموقف من منظور آخر.. يمكنك أن تصبح رجلًا عظيمًا، محترمًا.. مثل والدك. ويمكنك أن تكون ناجحًا مثله، لديك عملك، منزلك.. وابنك..

فكَّر “زاك” في الكلام للحظة ثم اقترح حلًّا حزينًا، وثار: - أنتم لا تفهمون شيئًا.. لست في حاجة إلى المال! أنا لا أحتاج إلى المال! ولا أحتاج إلى الحياة الطبيعية في منزل وأطفال.. ليس هذا ما أريده! لست هنا من أجل المال.

سألته “فاليريا”:

- إذًا لماذا أنت هنا؟

هز رأسه دون إجابة. ونظر إليَّ وهو حزين، فقد أخجل الصحبة بسبب الأحداث الأخيرة.

وأصرتْ قائلة:

- الحادث.. هل هو السبب، يا “زاك”؟ اسمع: لديَّ صديقتان فقدتا والديهما أيضًا. ونشأتا مع أجدادهما، وهما سعيدتان جدًّا، يا “زاك”. أنا لا أقول لك لا تحزن، لا ليس ذلك، لكن ليس معنى أنهما رحلا أنك يجب أن ترحل أيضًا.. استمر! كافح!

ظلَّ عاجزًا عن الكلام وثبَّت عينيه في عيني. كنتُ أفهمه، وكنت أعلم أنه لم يكن بهذه البساطة. كانت المشكلة أكبر بكثير. بدأتْ بالحادث، لكنها انتهت بالوحدة المحبطة وبتهمة القتل والخوف من السجن. لقد أصبح العالم كابوسًا

بالنسبة إليه. قرر "زاك" عدم إخبار أي شخص بأي شيء حتى يوجه له الضابط تهمة رسمية. لقد احترمتُ رغبته، بالطبع. إذا عرف الآخرون، سيكون الأمر أسوأ: الرفض، والازدراء، والخوف. سيعاني أكثر. ستكون بمنزلة ضربة أخرى للجرح المفتوح بالفعل.

نمنم وهو يضع المسدس عند خصره:

- لن تفهموا أبدًا. تبًّا، لن تفهموا أبدًا!

قالتْ "فاليريا" بنبرة الأمومة:

- أفهم يا "زاك". لكننا أيضًا نفهم أن.. هذا.. هذا المال...

صاح مرة أخرى:

- توقفي عن الحديث عن المال يا "فاليريا"، لقد قلت ألف مرة إنه لا يوجد مخرج. إذا خرجتم أحياءً من هنا، سيتعين عليكم إبلاغ الشرطة! سيتعين عليكم شرح ما كنتم تفعلونه هنا! سينتهي بكم المطاف في السجن وستندمون على عدم إطلاق رصاصة لعينة عندما أتيح الوقت!

قالت ببرود:

- فقط احرقوا كتاب "أليس".

أجبتها:

- اللعنة عليكِ!

لكنني بعد ذلك مباشرةً، وجدتُ أن هذه الفكرة عقلانية، يمكنني أن أبدأ من الصفر وأكتب كتابًا آخر، بعيدًا عن هذا القبو الكئيب.

قرأتْ "فاليريا" أفكاري من خلال نظراتي، وكانت تعرف أنه على الرغم من "اللعنة عليكِ"، أنني كنت أفكر في إمكانية أخذ المال والخروج سعداء من هنا. قال "زاك": - إنه ليس الكتاب فقط! هل تعتقدون أنه يمكنكم الخروج دون ترك أي أثر؟ البصمات واللعاب.. سوف يُقبض عليكم. ألم تدركوا ذلك؟ أخبرهم يا "أليس" عن قسم الطب الشرعي.

ترددتُ، وابتسمتْ "فاليريا" ابتسامة الفوز. وكانت نظرتها الحالمة تدعوني إلى الانضمام إليهما الاثنتين، لمشاركتهما الأحلام نفسها.

جثم "زاك" لشرب سيجارة وأخذ الولاعة من الجيب الخلفي للشورت. وأشعل السيجارة وهو يخبئ اللهب بيده، ثم أخذ نفسًا بعصبية. وتمتمتْ "جواو" وهي

تنهض بخفة: - سوف نتركك وشأنك يا "زاك"، لكننا نريدك أن تتركنا وشأننا أيضًا! دعنا نعيش سعداء بأموالنا.

- أموالنا؟ لا تقولي أموالنا. هذه أموالي! هذا المال لي أنا فقط!

قالت "جواو":

- وجدنا المال معًا! وقد قلتَ إنك غني بالفعل ولا تحتاج إليه، يمكنك ترك كل شيء لنا!

دعونا نكتم السر، وننظف كل شيء، لدينا وقت.

صاح "زاك" وهو يخرج دخان السيجارة في الهواء:

- لا تفكروا في الأمر! إنها أموالي! أفعل بها ما أريد!

قالت "فاليريا":

- لكنك لا تريد أن تفعل أي شيء بها!

نظر "زاك" إلى الأعلى، مصممًا. وبحركة رشيقة، ألقى نفسه فوق الأكياس البلاستيكية، ومزقها بقوة وترك الرُزم تسقط على الأرض.

قالت "جواو" وهي يائسة:

- اللعنة، ماذا تفعل؟

- أفعل ما أريد في أموالي!

وسقط بين الأوراق المالية الخضراء وكان يبدو متعبًا، وأبقى السيجارة بين شفتيه وهو يأخذ زجاجة "فودكا" من جانبه. فتح الغطاء بفمه وأخذ رشفة، تروي عطشه. وتألم عندما شعر بلسعة السائل وهو ينزل أسفل حنجرته.

ثم سحب "زاك" الولاعة من جيبه مرة أخرى، لكن هذه المرة لم يستخدمها لإشعال السجائر. وقبل أن نتمكن من التدخل، سكب سائل "الفودكا" المتبقي على أكوام الدولارات أمامنا وأشعل النار.

كانت الصدمة هي رد الفعل الأول، ثم شاهدنا، وكأننا نائمين مغناطيسيًّا، انتشار النار في الرزم، وقضت على الأكياس البلاستيكية في لهب متزايد. اثنان وعشرون مليونًا..

ثم قطعتْ "جواو" مشهد الألعاب النارية بصرخة تصم الآذان، أعقبتها بضربات وشتائم.

وقالت:

- لا لم تفعل! أيها الوغد!

وبدأت، دون تردد، في ضرب "زاك" الذي سقط إلى الخلف، فقد فوجئ بالموقف. وانفتحتْ شفته العليا وسال منها الدم. ثم تقدمتْ "جواو" بغضب أكبر وهي تستعد لركله في بطنه، إلا أن "زاك" أخذ المسدس من وسطه وأطلق النار بطريقة هيستيرية.

وهكذا.. ودون تفكير، سحب الزناد بنجاح وضغط بطريقة متتالية.

كليك. كليك. بوو! كليك. بوو! كليك، كليك، كليك، كليك.

دارتْ الأسطوانة دورة كاملة، وبدأتْ مرة أخرى وسقط جسد "جواو" إلى الوراء مع صوت أنينها.

اقتربت بيأس بعدما أصابتها طلقتان في بطنها الذي تحول إلى بركة من الدم. كانت لا تزال تتنفس. صرختُ وأنا أرفع رأس "جواو": - تبًّا لك يا "زاك"، انظر ماذا فعلت!

كانت تحاول التقاط أنفاسها بين التشنجات، وفي جو مليء بالدخان. حاولتْ "فاليريا" إطفاء النار، فقد كانت أكثر اهتمامًا بالمال من "جواو". قلتُ: - تنفسي، يا "جواو"! تنفسي!

نظرتُ إلى "زاك"، لكنه ظلَّ واقفًا، ولا يزال المسدس في يده. وبدأ يقول: - أنا...

- لم أرغب في...

وطلبتُ منه:

- ليساعدني شخص هنا، من فضلك!

دون أن أعرف ماذا أفعل وكنت أشعر أن حياتها تنتهي. اقترب "زاك" وهو يبكي، نادمًا على ما فعله. وركع بجوارها وطلب: - اللعنة.. اللعنة.. آسف!

كانت "جواو" تتوجع كلما حاولت أن تتنفس. وتمتمتْ بصعوبة وهي تمسح شعره: - أنت... ما كان عليك فعل ذلك.

- لا تقولي أي شيء، يا "جواو". لا تقولي أي شيء.

كنتُ أحاول تهدئتها لتخفيف ألمها. لكنها تجاهلتني. اختفت النظرة الخائفة، امتصها الموت الوشيك، واستبدل بها الكراهية. الكراهية القاسية.

- أنت تستحق.. أنت تستحق كل ما حدث لك يا "زاك".

- ما الذي تتحدثين عنه؟

- أعرف أشياء، يا "زاك".. أشياء لا أحد.. آه!

فاجأها الألم قبل أن تنهي الجملة. كان جسدها يرتجف. كانت نظرتها لا تزال رصينة، وتبدو منتصرة. وابتسمتْ قائلة: - موت والديك. لم يكن حادثًا، يا "زاك".. كان.. قتلًا.

تجمدتُ. كيف؟ كيف عرفتْ؟ اتفقنا أنا و"زاك" على عدم إخبار أحد. كيف؟ وهل تحدث الضابط معها أيضًا؟ وتابعتْ بصعوبة: - وأظرف شيء. أظرف شيء يا "زاك"، هو أنني أعرف من فعل ذلك.. أعرف...

اقترب من وجهها، مصدومًا، محاولًا سماعها قبل فوات الأوان.

وسأل بحماس:

- من فعل ذلك؟

لو كان فيلمًا، لكانت ماتت عندها، تاركة شيئًا من الغموض خلفها، وأخذت أنفاسها الأخيرة قبل الكشف عن هوية القاتل. لكن لا. كان لا يزال هناك وقت للإجابة: - لقد قتلتني.. لن أفعل.

فتحتْ عينيها مرارًا وأغلقتها. كانت النهاية تقترب.

- لن أقول، يا "زاك". أنت...

تأوهتْ "جواو" عندما شعرت بآلام أخرى. وأصر:

- من؟

كنت أرى اليأس على وجه "زاك"، لأنه كان في حاجة إلى معرفة الحقيقة. وأنا أيضًا.

تمتمتْ، على ما يبدو كانت تختار كلماتها:

- كان ذكيًّا جدًّا.. كان.. كان بمساعدة الأم.

- من؟ أي أم؟

قالت في تكبر:

- لن أقول يا "زاك". لن أقول شيئًا.

وابتسمتْ مرة أخرى قبل أن تموت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

32

“ديانا”:

- وابتسمتْ وتلعثمتْ: “موت والديك. لم يكن حادثًا، يا “زاك”.. كان.. قتلًا”.

ديبورا (بصوت عالٍ):

- ماذا.. ماذا قالت؟ قتل؟

(تعليقات موازية)

“ديانا”:

- من فضلك! أريدك أن تبقي هادئة! بهذا الارتباك، لن نصل إلى أي شيء!

(تعليقات موازية)

“أوليفيا”:

- إذًا لقد قُتِل الزوجان الثريان؟ (وقفة) واو!

“ديبورا”:

- هذا شيء غير معقول! لا أحد على الإطلاق...

“ديانا”:

- من فضلكنَّ، سيداتي! (وقفة) قلتُ إنه فصل مهم. لكننا لم ننتهِ بعد.

قالت “ديبورا” مندهشة:

- بعد مرور عام، تقولين إن أصدقائي قُتِلوا، وهل تتوقعين مني أن أبقى هادئة؟ أنا... أنا...

“ديانا”:

- نعم يا “ديبورا”. (وقفة) ليس هناك شك في أنها كانت جريمة قتل. تخريب. حادث مُدبَّر.

“ديبورا”:

- من فعل هذا؟

“سونيا”:

- لماذا لم يُكشف عنه؟

(تعليقات موازية)

“ديانا”:

- انتظرن! سيُجاب عن جميع الأسئلة.

“فانيا”:

- هيا اقرئي!

“ديانا”:

- “تجمدتُ. كيف؟ كيف عرفتْ؟ لقد اتفقتُ أنا و”زاك” على عدم إخبار أحد. كيف؟ هل تحدث الضابط معها؟ “واصلتْ بصعوبة.. وأظرف شيء. أظرف شيء، يا “زاك”، هو أنني أعرف من فعل ذلك...”.

“أماليا”:

- ماذا كانت ابنتي...

(التعليقات الموازية)

“ديبورا” (بصوت محرَج):

- إذًا كان “أليس” و”زاك” يعلمان أن...

“ديانا”:

- من فضلكنَّ أيتها السيدات! هل سنتوقف لنحلل كل التفاصيل عند كل جزئية صغيرة؟ سيكون هذا مستحيلًا. نحن في حاجة إلى الانتهاء، من فضلكنَّ!

(صمت - ثلاث ثوانٍ)

“ديانا” تقرأ:

- “اقترب من وجهها، وصُدِم، محاولًا سماعها قبل فوات الأوان. وسأل بحماس من فعل ذلك؟ لو كان فيلمًا، لكانت ماتت هناك، تاركة ذلك الغموض، وأخذت أنفاسها الأخيرة قبل الكشف عن هوية القاتل. لكن لا. كان لا يزال هناك وقت للإجابة، لقد قتلتني.. لم أفعل.. فتحتْ عينيها مرارًا وأغلقتها. كانت النهاية تقترب. لن أقول، يا “زاك”. أنت... تأوهتْ “جواو” عندما شعرت بآلام أخرى. وكان يصر: من؟ وكنت أرى اليأس على وجه “زاك”، لأنه كان في حاجة إلى معرفة الحقيقة. وأنا أيضًا. تمتمتْ، على ما يبدو كانت تختار كلماتها: كان ذكيًّا جدًّا.. كان.. كان بمساعدة الأم.. من؟ أي أم؟ وقالت في تكبر: لن أقول يا “زاك”. لن أقول شيئًا.. وابتسمتْ مرة أخرى قبل أن تموت”.

(صمت - ثلاث ثوانٍ)

"ديانا":

- كانت تلك هي نهاية الفصل التاسع. (وقفة) أفترض أن لديكنَّ تعليقات كثيرة.

(تعليقات جانبية)

"ديانا":

- انتظرن، انتظرن! (وقفة) كان هناك شك حول وفاة الزوجين "فاسكونسيلوس". يعتقد الضابط المسؤول، "جوناس أستريد"، أنها كانت عملية تخريب وقتل.

"أوليفيا":

- بناءً على ماذا؟

"ديانا":

- لقد كانت مجرد شكوك. (وقفة) السيارة التي أغلقتْ طريق "باجيرو" لوحتها دون أرقام.

"أوليفيا":

- إذًا ماذا؟ عادةً يهرب الأشخاص الذين يتسببون في حادث!

"ديانا":

- لم يكن الأمر كذلك، يا "أوليفيا" (وقفة) قال الشهود إن "جيتوليو" لم يتوقف. حاول ثم انحرف وانقلب بعدما اصطدم بالجدار القصير.. (وقفة) لم تكن هناك آثار لمكابح في المكان. (وقفة) وجد الضابط الأمر غريبًا وطلب فحص المكابح، والتي أثبتت النتائج أنه تم تخريبها بالفعل.

"ديبورا" بصوت عال:

- هذا غير معقول! إذًا فإن شخصًا ما خرَّب مكابح السيارة وأغلق طريق "باجيرو"؟

"ديانا":

- نعم، هناك أدلة وتقرير فني.

"ديبورا":

- لكن من يريد قتلهما؟

“ديانا”:

- دعيني أنهي يا “ديبورا” (وقفة) لقد تذكرتْ الخادمة “يارا جويرا” التي كانت تعمل في شقة “فاسكونسيلوس» منذ ثلاث سنوات، تذكرت الحوار الذي دار على العشاء يوم الاثنين ٢٥ أغسطس، وأبلغت الشرطة. (وقفة)، سافر الزوجان إلى “منزل سيريل” يوم الثلاثاء الموافق ٢٦ وعندما كانا في طريق عودتهما يوم السبت، ماتا.

“ديبورا”:

- كنت في هذا العشاء! أنا وابني.. (وقفة) لقد.. دعونا حتى للسفر معهما..

“ديانا”:

- هل تتذكرين ما قيل في أثناء العشاء يا “ديبورا”؟

“ديبورا”:

- أنا.. لا.. (وقفة) مجرد كلام.. الموضوعات العادية. كانا يحاولان التخفيف عني.. في ذلك الوقت كنت محبطة بسبب السرطان.. أرادا أن أذهب معهما إلى “منزل سيريل” حتى أنسى مشكلاتي.. والخوف من المرض.

“ديانا”:

- والمكالمة الهاتفية؟ (وقفة) في أثناء العشاء، تلقى “جيتوليو” مكالمة هاتفية من محامي الأسرة، “جولارت فرنانديز”، هل تتذكرين؟

(صمت - خمس ثوانٍ)

“ديبورا”:

- لا.. أعني، أتذكر فقط أنه اتصل. (وقفة) لكنني لا أستطيع أن أذكر ما تحدثا عنه بالضبط. لقد مضى أكثر من عام!

“ديانا”:

- أفهم.

“أماليا” (بصوت متردد):

- ما الذي تحدثا عنه في النهاية؟

“ديانا”:

- أراد “جيتوليو” تغيير الوصية. (وقفة) قبل ذلك، كانت الثروة جميعها ستذهب إلى “زاك”، ومع التغيير، سيكون نصف التركة تحت سيطرة بعض رجال

الأعمال من شركاء "جيتوليو".

"أماليا":

- لماذا؟

"ديانا":

- يبدو أنه ظل مرعوبًا من زيارة "فاليريا" يوم الجمعة 22 أغسطس عندما قالت إنها حامل. اعتقد أنها تريد نسب طفلها إلى "زاك"، فقرر أن يقلل نصيبه من الميراث.

"ريبيكا" (بصوت مرتفع):

- لم تكن ابنتي طماعة!

"ديانا":

- لم أقل ذلك يا "ريبيكا" ولكن يبدو أن هذا ما اعتقده "جيتوليو" (وقفة) وكان سيوقِّع الوصية يوم الإثنين 1 سبتمبر.

"أوليفيا":

- عندما يعود والده، سيفقد "زاك" نصف الثروة.. (وقفة) لكنه لم يعد، وأخذ الصبي المال وحده. (بضحكة جافة) هل هذه مصادفة؟

"ديبورا" (بصوت خانق):

- انتظرِ! هل تعتقدين أن "زاك"..

"ديانا":

- هذا بالضبط ما قالته "أوليفيا" (وقفة) هناك شك في أن "زاك" قتل والديه.

"ديبورا":

- هذا أكثر شيء مستحيل سمعته في حياتي كلها.

"ديانا":

- كان لديه دافع. وسنحت له الفرصة أيضًا. (وقفة) والحقائق تتلاءم مع بعضها.

"ديبورا":

- لم يقتل "زاك" أبويه أبدًا، أعرف ما أقوله! (وقفة) ربما لم يكن حادثًا.. لكن "زاك" هو المسؤول؟ هذا مستحيل! (وقفة) أنا متأكدة من ذلك!

“روزا”:

- مستحيل كما عذَّب وقتل ابني؟ (وقفة) لأن هذا ما فعله! (بصوت باكٍ) عذَّب وقتل “أوتو”!

“فانيا”:

- أتفق مع “روزا”! (وقفة) أثبت “زاك” قدرته على فعل أي شيء. (وقفة) إن قتل والديه سيكون مجرد جريمة في قائمة الفظائع التي ارتكبها.

“ديبورا”:

- “زاك”.. أبدًا.

“ديانا”:

- انتظرن.. لم أنته بعد.

“ديبورا”:

- أنتنَّ تتهمن الشخص الخطأ، أحبَّ “زاك” والديه. لقد رأيت هذا الحب طوال حياتي. لا تخبرنني أنه قتلهم من أجل المال.

“أوليفيا”:

- هكذا هم الأثرياء المدللون يا “ديبورا”. (وقفة) قادرون على فعل أي شيء عندما يدركون أنهم على وشك أن يخسروا شيئًا.. إنهم يفزعون!

“ديبورا” (بصوت عالٍ):

- هذا جنون! لم يعرف “زاك” حتى إنها كانت جريمة قتل! لم ترَ كيف كانت صدمته عندما...

“ديانا”:

- بل كان يعرف يا “ديبورا”.

“ديبورا”:

- ماذا؟

“ديانا”:

- عرف “زاك” أنه لم يكن حادثًا. (وقفة) وكان يعرف أنه المشتبه به الرئيسي في قتل “جيتوليو” و”ماريا كلارا”.

“ديبورا”:

- كيف؟

"ديانا":

- هل تتذكرين المحادثة التي أجراها مع الضابط "جوناس" في اليوم التالي للجنازة؟

"ديبورا":

- يا إلهي! لذا... (مندهشة) لذا... هذا كل شيء! "زاك"... هو.. جاء يبكي وحبس نفسه في الغرفة.. رفض "أليس" أيضًا قول ما تحدثوا عنه.

"ديانا":

- لم يكن لدى الضابط أدلة محددة، لكنه اتصل بـ"زاك" لإجراء محادثة غير رسمية. قال إنه متأكد من أنها جريمة قتل. وإنه يشتبه به.

"ديبورا" (بصوت متردد):

- لم يكن من قبيل المصادفة وجود "زاك" في تلك الحالة.

"ديانا":

- حاول الضابط الضغط على "زاك"، للحصول على اعتراف منه. لكن الصبي تكتم. قال إنه لا يعرف أي شيء. (وقفة) وتوجد هذه المحادثة في دفتر "أليساندرو" في يوم الثلاثاء 2 سبتمبر.

"ديبورا":

- كذلك لم تكن مصادفة أن يصيبه الجنون.. في البداية موت والديه، ثم هذا الاتهام المجنون! أتساءل كيف صمد رأسه، بعد أن تعرض للضرب من جميع الجهات!

"ديانا":

- إذا لم يكن لديك علم يا "ديبورا" بما حدث، فيمكننا أن نفترض أن "زاك" و"أليس" احتفظا بما حدث في مقابلة ذلك اليوم سرًا.

"ديبورا":

- لم يقولا لي شيئًا.

(صمت - أربع ثوانٍ)

"ديانا":

- لكنها لم تتوقف عند هذا الحد. (وقفة) واحدة من المنتحرين، حتى الآن، باحت بالسر، وقالت إنها تعرف ليس فقط أنه لم يكن حادثًا، بل تعرف هوية الجاني أيضًا.

"ريبيكا":

- يمكن أن تكون أوهامًا.. فقد شمتْ الكوكايين بالفعل ودخنتْ كثيرًا.. والطلقتين في بطنها.. كل ذلك يجعلها تتخيل أشياء.

"ديانا":

- نعم، يا "ريبيكا". يمكن أن يكون مجرد وهم. أو أنها لا تزال تخدعه. خدعة لتثير "زاك" وتصدمه فقط.. (وقفة) ولكن اتضح أنه لا أحد يعرف عن جريمة القتل المشتبه بها. سيكون من قبيل المصادفة أنها كانت متوهمة أو تخدعه بشيء حدث بالفعل، ولكن لا أحد يعرفه، لا.. لا.. بدت "ماريا جواو" متأكدة مما كانت تقوله. وأكدتْ بشدة أنه كان قتلًا، كما لو كانت قد توصلت إلى دليل قاطع.

"أوليفيا":

- ربما سرَّب أحدهما المعلومات عن غير قصد. (وقفة) أو ربما الخادمة هي التي قدمت الاتهام.

"ديانا":

- نعم.. من ممكن.. الخادمة.. قالت إنها لم تقل أي شيء لأي شخص آخر. (وقفة) من الواضح أنها كذبت.. ولكن لا أعرف.

"أماليا":

- أنا.. لستُ أدري كيف عرفتْ ابنتي هذه المعلومة.. لا أستطيع مساعدتكن.. (وقفة) ولكن.. هذا يفسر لماذا كانت مختلفة منذ وفاة "فاسكونسيلوس".. مهتمة بالحادث، وتقرأ التحقيقات الإخبارية، وتبحث عن المعلومات في الصحف.

"ديانا":

- نعتقد أن "ماريا جواو" قد رأت أو سمعت شيئًا ما (وقفة) ليس بالضرورة أن يكون شيئًا واضحًا ومباشرًا. ولكن ربما جزء من محادثة، أو وجود شخص مشتبه فيه.. في النهاية، أي شيء خارج عن المألوف يشير بطريقة ما إلى أنه كان قتلًا، بل وأكثر من ذلك، كشف عن هوية القاتل. (وقفة) لذا قبل قراءة الفصل، سألتُ مَن مِن أبنائكنَّ يعرفها.

“ريبيكا” (بصوت عالٍ):

- هل تعنين أن أحد أولادنا قتل “فاسكونسيلوس”؟

“ديانا”:

- كل شيء جائز يا “ريبيكا” (وقفة) يبدو أن هناك حلقة مفقودة في هذه القصة. (وقفة) أولًا الحادث الذي كان في الواقع جريمة قتل. وبعد أسبوع، حدثت لعبة “الروليت الروسي”. وتقول “ماريا جواو” إنها تعرف القاتل. (وقفة) هناك صلة بين الحقائق. كأن في العملية تسلسل ما، فهناك حلقات اتصال. يموت “فاسكونسيلوس”، ويقرر “زاك” الانتحار وأخيرًا لعبة “الروليت الروسي”.

“ريبيكا”:

- هكذا تعتقدين أن قاتل “فاسكونسيلوس” هو أحد المنتحرين؟ ارحمينا!

“ديانا”:

- نحن نبحث فقط عن إجابات، يا “ريبيكا”.. (وقفة) كيف نفسر حقيقة أن “ماريا جواو” عرفت بأمر الجريمة؟ كيف تفسرن أنها وافقت على المشاركة في لعبة “الروليت الروسي”، مع أنها رفضت فكرة الانتحار؟ من في هذا القبو إلى جانب “زاك”، كان لديه سبب لقتل “فاسكونسيلوس”؟ (وقفة) هذه مجرد أسئلة.

“أوليفيا”:

- يبدو لي كل شيء واضحًا جدًّا. (وقفة) “ماريا جواو” نفسها هي القاتلة.. لقد قتلت “فاسكونسيلوس”.

“أماليا”:

- لكن هذا لا يُعقل!

“أوليفيا”:

- هذا يوضح كيف عرفت بأمر الجريمة وكيف عرفت هوية القاتل. كما يفسر لماذا قررتْ أن تنتحر.. شعور بالذنب! ندم! (وقفة) شعرتْ بالضغط والاختناق، تأنيب الضمير لإنهاء حياة اثنين.

“أماليا” (بصوت عالٍ):

- لم تكن ابنتي قاتلة.

“أوليفيا”:

- عندما رأت أنها ستموت، قررتْ أن تتباهى بإنجازها، مثل القاتل الذي يعترف في أنفاسه الأخيرة بجميع الجرائم. فسخرت من “زاك”، وسخرت من وفاة والديه..

“أماليا”:

- اخرسي! ليس صحيحًا! لم تكن “ماريا جواو” قادرة على رسم وتنفيذ مثل هذه الجريمة!

“ديانا”:

- ابقي هادئة يا “أماليا”! يرجى التزام الهدوء!

“أماليا”:

- أنا...

“أوليفيا” (بازدراء):

- إنها نظرية تناسب الحقائق. وتجيب عن أسئلتك.

“ديانا”:

- يمكن أن تكون “ماريا جواو” نفسها هي القاتلة أو أخوها (وقفة) لكن لا تزال لدينا مشكلة وهي الدافع. (وقفة) لم يكن لدى أي منهما سبب لقتل والدي “زاك”.. (وقفة) ما زلنا نأخذ في الاعتبار إمكانية وجود علاقة جنسية لأحدهما مع “زاك”. ربما يكون التفسير الأكثر منطقية.. ولكن ليس لدينا شيء ملموس.

“أماليا”:

- إذًا أولادي مشتبه فيهما حقًّا؟

“ديانا”:

- الجميع مشتبه فيهم يا “أماليا”، لا يمكننا استثناء أحد حتى أن..

“ريبيكا”:

- و”أليساندرو”؟

“ديانا”:

- ماذا عنه؟

“ريبيكا”:

- نعم، كان يحب “ماريا جواو” أو كان يواعدها، لا يهم.. المهم أنه كان الأقرب لها. (وقفة) يمكن أن يكون اعترف لها برغبته في قتل “فاسكونسيلوس” أو شيء من هذا القبيل. (وقفة) ربما هو القاتل.

“ديبورا”:

- “أليساندرو”! أبدًا.

“ديانا”:

- كما قلت، كل شيء ممكن، يا “ريبيكا”. لكننا عدنا إلى نفس المشكلة، الدافع. (وقفة) لم يكن لدى “أليساندرو” سبب. (وقفة) الشيء نفسه ينطبق على الجميع تقريبًا “ريتينيا”، “دانيلو”، “نويل”.

(صمت - أربع ثوانٍ)

“روزا”:

- إذا كانت “ماريا جواو” تعرف من هو القاتل، لماذا لم تبلغ الشرطة؟

“ديانا”:

- ليست لدينا طريقة للمعرفة.. (وقفة) ربما حاولت حماية الجاني. ربما هدِّدت.

“أوليفيا”:

- أو يمكن أن تكون قد ابتزَّت القاتل. كانت الفتاة تحب المال..

“أماليا”:

- اخرسي!

“أوليفيا”:

- هل أكذب؟ إذا لم أكن مخطئة، فقد نسيتْ موت أخيها بمجرد أن رأت اثنين وعشرين مليون دولار!

“أماليا”:

- لم تكن...

“روزا”:

- ماذا لو كان “زاك”؟

“ديانا”:

- ماذا؟

“روزا”:

- هذا ما قالته “أوليفيا”، أن تكون “ماريا جواو” ابتزَّت القاتل، إنه احتمال.. ولكن في هذه الحالة، سيحتاج القاتل إلى المال. (وقفة) لذلك فكرتُ: ماذا لو كان “زاك”؟ (وقفة) وإذا قتل والديه ثم ابتزته “ماريا جواو”؟ (وقفة) هذا ما يفسر سبب قيامه بإطلاق النار عليها عندما أُتيحت له الفرصة، دون إثارة الشكوك.

“ديبورا”:

- مستحيل! كلامك بلا معنى. (وقفة) فقد كان يتوسل إليها لتقول من هو المذنب.

“روزا”:

- نعم، هذا صحيح كان “زاك” يائسًا. (وقفة) لكن من الممكن أنه كان يمثل كل شيء، أليس كذلك؟ (وقفة) أعني، إذا كان حقًّا القاتل، فقد لعب دور “الفتى العاجز” منذ الحادث. في الجنازة، في المحادثات.. في كل هذه اللحظات، كان يمثل تعبيرًا عن المعاناة والحزن.

“ديانا”:

- و...؟

“روزا”:

- إذا كان كل ذلك تمثيلًا، إذا تظاهر بالحزن على وفاة والديه، وكان هو القاتل في الواقع.. حسنًا، لا أشك أبدًا في أنه استمر في التظاهر حتى في أثناء لعب “الروليت الروسي”.

“ديانا”:

- لا أفهم ما الذي تريدين الوصول إليه؟

“روزا”:

- إنه كالشخص الذي بعدما كذب كثيرًا، انتهى به الأمر إلى أن صدَّق كذبته. (وقفة) كان “أليساندرو” و”فاليريا” بجانبه. إذا تظاهر “زاك” طوال ذلك الوقت بأنه كان يعاني وفاة والديه، فلا أعتقد أنه سيغير الموقف بسرعة. لا.. كان سيبدأ في الكذب، يتظاهر بصدمة ويأس لمعرفة من القاتل.. هل تفهمين؟

“ديانا”:

- من المنطقي...

“أوليفيا”:

- ولكن من المنطقي بالطبع! كل شيء له معنى دائمًا! (وقفة) ما عليك سوى اختراع فرضيات حسب أهوائك وحتى يمكن أن يكون قاتل “فاسكونسيلوس” هو والدي. أعزائي، لا أحد هنا محقق لتجميع القرائن، وتكوين النظريات وإجراء الاستنتاجات! (وقفة) ويبدو أن الشرطية نفسها هي أكثرنا تشتتًا! سوف ندور حول النقطة نفسها.. دون التوصل إلى أي نتيجة! (وقفة) ماذا نعرف؟ إنها كانت جريمة قتل وأن “ماريا جواو” عرفت ذلك بطريقة ما، لكنها لم تخبر أحدًا. وهذا هو. لا شيء آخر. (وقفة) من هنا، يمكننا إنشاء آلاف الأطروحات.

(صمت - خمس ثوانٍ)

“ديانا”:

- في الواقع، لدينا المزيد من البيانات ذات الصلة. (وقفة) حضراتكنَّ انتبهتنَّ إلى نهاية الفصل، أليس كذلك؟

“روزا”:

- نعم. (وقفة) كان لدى “ماريا جواو” الوقت للكشف عن هوية القاتل، لكنها رفضت.

“ديانا”:

- نعم. رفضت.. (وقفة)، ومع ذلك، انتهى بها الأمر إلى التلميح. (وقفة) قالت تلميحًا طفيفًا عن غير قصد..

“سونيا”:

- ما التلميح؟

“ديانا”:

- سأقرأها مرة أخرى. (وقفة) نمنمتْ كما لو كانت تختار الكلمات: “لقد كان ذكيًّا للغاية”، (وقفة) هذا ما قالته.. (وقفة) ذكيًّا جاءت مذكرة. (وقفة) للوهلة الأولى، تشير إلى أن الجاني رجل. كان ذكيًّا جدًّا.

“روزا”:

- لا أوافق. (وقفة) "هو" يمكن أن تعود على "القاتل" أو "القتل". كان القاتل ذكيًّا جدًّا أو كان القتل معدًّا بطريقة ذكية جدًّا. (وقفة) هذا لا يعني بالضرورة أن يكون رجلًا.

"ديانا":

- نعم، هذا صحيح. لهذا السبب قلت إنه للوهلة الأولى، يجعلنا نعتقد أنه رجل. (وقفة) ولكن اسمحن لي أن أواصل القراءة.

(صمت - ثلاث ثوانٍ)

"ديانا":

- "لقد كان ذكيًّا للغاية"، نمنمتْ، على ما يبدو لاختيار الكلمات. "كان.. كان بمساعدة الأم.." (وقفة) على ما يبدو، القاتل، أيًّا كان، تلقى المساعدة من والدته.

"روزا":

- هذا أمر غير معقول! من هي الأم التي ستساعد ابنها على قتل شخص ما؟

"فانيا":

- مستحيل!

"ديانا":

- لا. ليس مستحيلًا. (وقفة) كانت "ماريا جواو" هي نفسها من قالت ذلك.

"ريبيكا":

- إذًا.. (بصوت محرَج) إذا كنت على حق والقاتل هو حقًّا أحد المنتحرين.

"ديانا":

- إذا كنَّا على حق فهذا يعني أن إحداكنَّ تكذب.. (وقفة) وأن إحداكنَّ ساعدت ابنها، أو ابنتها، لقتل "جيتوليو فاسكونسيلوس" وزوجته.

"أوليفيا":

- ولكن ماذا تبقى! هل نحن متهمات الآن؟

"فانيا":

- هذا لا يمكن أبدًا..

(تعليقات موازية)

“ديانا”:

- نعم، أنا جادة. (وقفة) إذا كان افتراضنا صحيحًا، وأعتقد أنه صحيح، فإن إحداكنَّ تعرف ما حدث في تلك الحادثة. إحداكنَّ لديها تفسير لكل ما نريد اكتشافه هنا. لهذا أنا متأكدة من أن الحقيقة موجودة داخل هذه الغرفة.. المشكلة فقط هي أن نعرف من هي.

“أوليفيا”:

- إذًا.. لهذا السبب عقدتِ هذا الاجتماع! (وقفة) لحبسنا في هذا المكان، لمشاهدتنا.. تعتقدين أن إحدانا قاتلة! (ضحكة جافة) كفى هراء! اجتماع مقرر مع الشرطية بعد مرور عام من لعبة “الروليت الروسي”، إنه مبرر دنيء لتسجيل ما نتحدث عنه.. الآن اتضح كل شيء!

“ديانا”:

- نحن لا...

“سونيا”:

- هذا غير مسموح به، أيتها الشرطية! (وقفة) تضعينا في غرفة للكشف عن وجود قاتلة بيننا! (بنبرة باكية قليلًا) إنه لأمر غير معقول! أشعر كأنني دُمية صغيرة يُتلاعب بي!

“ديانا”:

- لم أجبر أيًّا منكنَّ على البقاء هنا. أكدت منذ البداية على أن هذه جلسة غير رسمية. جئتن بإرادتكنَّ.

“أماليا”:

- لقد كذبتِ! أخفيتِ الغرض الحقيقي للاجتماع! جعلتِنا أغبياء! (بصوت مرتفع) والآن تقولين إننا مشتبه فينا في جريمة القتل!

“ديانا”:

- هذا ليس صحيحًا.

“أماليا”:

- سأرحل! نحن لسنا مضطرات إلى البقاء، أليس كذلك؟ إذًا حسنًا! هذا يكفي بالنسبة إليَّ. لقد نفد صبري!

(صرير كراسي)

“ديانا”:

- من فضلك يا “أماليا”.

(خطوات) (صرير كراسي)

“ديبورا”:

- سأرحل أيضًا..

“ديانا”:

- سيداتي، أرجوكنَّ! المغادرة الآن هي قبول الهزيمة. (وقفة) وقد يبدو الأمر مريبًا.

“أماليا”:

- ماذا تقولين؟

“ديانا”:

- ترك هذا الاجتماع الآن سيكون اختيارًا غير مناسب، ألا تعتقدن ذلك؟ (وقفة) لم أقل أنكنَّ جميعكنَّ قاتلات. قلتُ إن إحداكنَّ يمكن أن تكون شريكة في الجريمة. واحدة فقط!

“أماليا”:

- إذًا نحن ممنوعات من المغادرة؟

“ديانا”:

- لم أقل ذلك. (وقفة) أنتن سبع أمهات. سبع سيدات فقدن أبناءهنَّ، (وقفة) لكن واحدة فقط يمكن أن تكون قاتلة أيضًا.. شخص ما وبطريقة ما، تعاون في قتل “جيتوليو” و”ماريا كلارا”، يمكنها أن تعترف الآن أو تستطيع أن ترحل.

“أماليا”:

- لكن.. أنت مجنونة!

“ديانا”:

- أطلب شيئًا واحدًا فقط. (وقفة) إذا كنتِ بريئة، ابقي هنا للنهاية حتى نكتشف المذنبة.

“ريبيكا”:

- يجب ألا أبقى هنا! إنه.. من الواضح أنني لم أفعل شيئًا! (وقفة) كانت "فاليريا" بالكاد تعرف "ماريا جواو". لم أرها في حياتي! لم تكن لتعرف أن القاتلة حصلت على مساعدة والدتها دون معرفة هذه المرأة، أليس كذلك؟ حسنًا، لم تكن "جواو" تعرفني.

"ديانا":

- لم تعرف "ماريا جواو" بالضرورة والدة القاتل. كانت تعرف فقط عن مشاركتها.

"ريبيكا":

- كيف؟

"ديانا":

- هناك العديد من الاحتمالات.

" ديبورا":

- لم أفعل شيئًا! (بصوت عالٍ) كيف أقتل أعز صديقاتي وزوجها؟ هما.. لم يخطئ أي منهما في حقي أنا أو "أليس".

"ديانا":

- اهدئي يا "ديبورا".

"ديبورا":

- أنا...

"أوليفيا":

- ماذا تقترحين، أيتها الشرطية؟ هل نبقى هنا ونتهم بعضنا بعضًا حتى تنهض واحدة وتعترف بالجريمة؟

"ديانا":

- لا يزال أمامنا طريق طويل لنقطعه، يا "أوليفيا". (وقفة) أولًا، أعتقد أنه من المهم أن ننتهي من قراءة كل ما كتبه "أليساندرو". إنها أيضًا طريقة لمعرفة رد فعل "زاك" عندما سمع ذلك.. (صمت - ثلاث ثوانٍ) هل يمكنني المتابعة؟

"فانيا":

- لا يمكنني تحمل هذا بعد الآن! (وقفة) من الأفضل قراءتها مباشرةً، أيتها الشرطية! دعينا ننتهي من هذا!

(صمت - خمس ثوانٍ) (حفيف أوراق) (تنهدات)

“ديانا”:

- الفصل العاشر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

33

من ملاحظات "أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو"

قضية منزل "سيريل"، رقم 15634-0506-08

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: «جوزيه بيريرا أكينو»، قسم ١٢ للأحوال المدنية بـ»كوباكابانا».

الخميس الموافق ٢٨ أغسطس ٢٠٠٨

خلق الرب الجدات في اليوم الذي أبدع فيه خلق الأشياء الجميلة.. هنَّ تلك الكائنات المثالية واللطيفة اللاتي تواجهن آباءنا عندما نريد أن نستمر في اللعب أو تناول الحلوى قبل الغداء. في الوقت المناسب، تصبح الجدة أفضل مستشارة، الصديقة الحقيقية التي يمكن الاعتماد عليها، الملاذ الآمن لحفيد حائر. من كان يظن أن السيدات المسنات بما ترتدينه من مشغولات التريكو والجوارب الصوفية، يمكن أن تكون لهنَّ منزلة خاصة جدًّا؟

بالطبع هناك استثناءات. لكن ليس في حالتي، كانت لدي جدة عظيمة. من سوء الحظ، تمامًا كما ينتهي الفيلم أو نصل إلى الصفحة الأخيرة في الكتاب، ينتهي عمر الأجداد أيضًا. في يوم ما سيموتون، ونحن لا نزال هنا، على قيد الحياة.

الموت هو شكل واحد فقط من أشكال هذا الرحيل المحزن، هناك أخريات أسوأ.

أصيبت جدتي بالجنون في 10 أغسطس 2000، أي بعد وفاة جدي بأسبوعين. حدث كل ذلك بسرعة، وعندما أدركتُ، كان ذلك قد حدث بالفعل. كانت الحالة متأخرة، لم تعد تعرفني، لم تستطع الذهاب إلى الحمام بنفسها. وأمضت الليالي مستيقظة في حالة تأهب وخوف من أن زوجها سيضربها. كان جدي ابن عاهرة.. عشتُ معه اثني عشر عامًا، كانت مدة كافية بكثير ليثبت ذلك لي، بمجرد انفصال والديَّ وذهابي أنا وأمي للعيش معهما (والرب وحده يعلم كيف كانت أسوأ سنوات حياتي). كان جدي الحقير يعامل جدتي مثل العبدة، يتعمد إذلالها أمام الآخرين أو ضربها. وكان يؤكد دائمًا أننا كنَّا نعيش هناك.. أنا ووالدتي.. كإحسان منه. كان يخبر والدتي أنها ستجني المزيد من المال لو كانت عاهرة أكثر من عملها طبيبة أسنان. ولكن في الشارع، كان الناس يحبونه باعتباره رجلًا محترمًا، رجل العائلة المثالي الذي يحمي بحبه ابنته المنفصلة عن زوجها.

ضربني ابن العاهرة قبل أيام قليلة من وفاته. لم يعطني صفعة واحدة على الوجه كتوبيخ مبالغ فيه، كما هو معتاد، ولكن ضربني ضربًا حقيقيًّا. كانت أمي وجدتي في المركز التجاري عندما وصل إلى المنزل غاضبًا وصبَّ كل غضبه عليَّ، ثم ويده ممسكة بشعري، طلب مني أن أكذب وأقول إنني وقعت عندما كنت عائدًا من المدرسة. لكن لم تفلح الكذبة بسبب علامات الضرب الواضحة في عيني ورقبتي وذراعي، لم يستطع خداعهما لأن الحقيقة كانت ظاهرة في كدماتي الأرجوانية. لهذا كنت سعيدًا جدًّا عندما مات ودُفن معه كل الخوف الذي أحاط بنا، وظهر أمامي الشعور بالراحة. وللحظة، ظننت أنه يمكنني أخيرًا أن أعيش سعيدًا.

ولكن المصائب لا تأتي فرادى. فبعد مرور خمسة عشر يومًا بالضبط من وفاة جدي، تركتْ جدتي المنزل مربوطة إلى نقالة، بينما كانت تنازع في رعب معتقدة أن زوجها الذي توفي مؤخرًا عاد ليضربها.. ظهر الجنون سريعًا!

في ذلك اليوم فقدت جدتي. فقدتها بسبب الجنون وفقدت المودة والحنان وسنوات من العيش معًا. لم يتبقَّ منها إلا الجسد، الذي لا يزال قويًّا على الرغم من التقدم في السن، والذى يسيطر عليه مخ مختل وظيفيًّا، والعقل يسكن في عالمٍ موازٍ، حيث يعود فيه الزوج من الموت لضربها في أثناء الليل.

على الرغم من عدم تغير وجهها أو عطرها أو حجمها، إلا أن جدتي لم تعد هي نفسها. لم تكن جدتي التي كنت أعرفها، كانت شخصًا آخر، أكثر جدية، غير واثقة وغاضبة. كانت تسألني بالنبرة الهادئة نفسها التي كانت تواجه بها جدي بعد تعرضها للضرب منه: - من أنت؟

"من أنت؟"، هذا السؤال البسيط كان قادرًا على أن يسبب لي انهيارًا، كما لو كانت الحياة انقلبتْ فجأة. لم تكن جدتي تعرف من أنا! أصبحنا غريبين، لقد تم محو الماضي من الذاكرة. لا مزيد من العواطف والألفة والصداقة. لهذا السبب لم أعد أحب زيارتها حتى لو كانت جدتي، كنت أشعر وكأنني دخيل يغزو حياتها، ويسيء استخدام النوايا الحسنة لرأسها المتعب.

الجدة التي كنت أحبها وكنت أريد أن تبقى في ذاكرتي بقية حياتي، غادرت الحياة في 10 أغسطس 2000. كانت أمي تلزمني بزيارتها شهريًّا، فكانت مجرد سيدة محبطة، ذات بشرة مترهلة ووجه طيب.. نفس وجه جدتي الحقيقية. فأصرتْ كما لو كانت تعذبني: - من أنت؟

كانت تعذبني. والبقاء هناك كان يؤلمني.. اليأس في وجه كل مسن.. عدم وجود أي شخص في الممرات، وصمت المسنين النائمين على الأريكة أو الجالسين على الكراسي المتحركة، في انتظار الموت.

كل شيء كان يزعجني، يجعلني أشعر بعدم الأمان، وأنني عديم الفائدة وصغير جدًّا للمضي قدمًا أو لتحفيزي على المضي قدمًا. قلتُ: - حفيدك. "أليساندرو".

ابتسمتْ ردًّا على ذلك. لكنها كانت ابتسامة باردة، كما لو أنني كنت أقول إن اليوم كان حارًا أو أن فستانها المنمق كان جميلًا.. وضعتْ يديها بجدية على ركبتيها العظميتين وتجاهلتني، بنظرة ضائعة تجاه السماء من وراء الجدار العالي.

رفعتْ جدتي خصلة الشعر الأبيض المتساقط على جبهتها وبدأت في قضم أظافرها.. كانت تهتم جدًّا بهم من قبل!

كانت أظافرها دائمًا طويلة ومطلية بلون أحمر لامع، كما لو كانت تخرج كل ليلة إلى حفل عشاء. والآن، تخلت عن الغرور الأنثوي، فأصبحت الأظافر بيضاء شاحبة ومتآكلة. شعرها داكن عند الأطراف، ولكن الشيب ظاهر في جذوره.. وتظهر حمالة الصدر البيج على الكتفين من فستانها.

كنت أحاول العثور على موضوع لإطالة المحادثة: - هل تستمتعين بالرواية يا جدتي؟

نمنمتْ وعبستْ غاضبةً:

- أنا لا أحب الروايات.

- جدتي...

بدأتُ مرةً أخرى، ووضعتُ يداي على يديها، مقتربًا منها.. لكنها تراجعتْ مذهولة.

وقالت وهي تئن وتتشنج:

- لا تلمسني! لا تلمسني! أنت تريد أن تضربني.. أعرف! تريد أن تضربني!

سحبت ذراعي بعيدًا، في محاولة لتهدئتها، والقضاء على شعورها بالتهديد. ولكن لم تكن هناك فائدة، فكان الخوف مطبوعًا على وجهها وزاده الرعشة على خديها، وفمها المفتوح لتكرار: - لا تضربني!

تدريجيًّا، أصبح الصوت همسًا خجولًا:

- لا.. تضرب.. إنني! لا.. تضرب.. ني..

أصابتني الجملة كالرصاصة. لا محالة، أعادتني إلى الماضي، وذكَّرتني بتلك السنوات اللعينة التي كنتُ أسمع فيها جدتي في الغرفة المجاورة، تتوسل

لابن العاهرة ذلك ألا يضربها، وكانت تتألم مع كل ضربة بالحزام. كانت أمي تحاول سد أذنيَّ حتى لا أسمع شيئًا وهي تشاهد والدها يعنِّف أمها، وليس لديها ما تفعله.

أتذكر جيدًا اليوم الذي مات فيه جدي. أتذكر الرائحة ودرجة الحرارة والكلمات والإيماءات. كل لحظة مسجلة في صور دقيقة في الذاكرة. كنت أحلم كل ليلة أنني أقتله، أمسك سكين المطبخ وألصقها في صدره.

كنت رجل البيت، فكان من واجبي أن أدافع عن أمي وجدتي. ولهذا، كان يجب أن أقتله، أقتله دون رحمة. حتى إنني وضعتُ خططًا لارتكاب جريمة القتل، يعلم الرب أنني كنت سأقتله لو لم يمت ذلك العجوز بنوبة قلبية. حدث شيء شنيع على طاولة الإفطار في ذلك اليوم، عندما اضطررنا إلى تحمُّل فجوره ونكاته السيئة. كان جالسًا على رأس الطاولة، مبتسمًا كالمنتصر، ينتظر جدتي وأمي للانتهاء من وضع الطاولة، وفي محاولة لبدء محادثة معي، سأل كيف حال الجرح في ذراعي. منذ أن ضربني، بدا وكأن ضميره يؤنبه. لكن فات الأوان على ذلك، لأنني كنت في الثانية عشر من عمري فكرهته. لقد أساء جدي معاملة جميع الأشخاص الذين أحببتهم، لن أغفر له.

خرجتُ لأشرب كوبًا من الماء. عندما عدت، كانت الطاولة جاهزة بالفعل. أولًا أكل الخبز المحمص في صمت، ولكنه كان يمضغ وفمه مفتوح كما لو أنه يريد أن يزعج حديثنا. كنت أتساءل كيف استطاعت جدتي تحمله طوال تلك السنوات.. اشتدت رغبتي وأصررت على قتله، إن موت ابن العاهرة هذا لن يؤثر في العالم بأي شكل. ثم أخذ الخبز وغمسه في القهوة قبل قضمه. كان قد انتهى تقريبًا عندما بدأ يصرخ في جدتي، فقد كان ابن العاهرة لا يستطيع مغادرة المنزل دون عراك يومي! واشتكى من أن الخبز غير طازج والقهوة باردة ومُرة.

خيط سطح الطاولة بينما كان يتحدث، وخفضت جدتي رأسها، كما لو كانت حقًّا أخطأت، فزادتْ كراهيتي له. تخيلتُ أنه ميت، وجسده مستلقٍ داخل تابوت، وقطعتي القطن تسدان فتحتي الأنف، وبالفعل في تلك اللحظة مات كما لو كانت لأفكاري قوة ما.

سقط بطريقة مفجعة أمام عينيَّ المليئة بالغضب والحزن فصرختْ أمي: - أمي.. يا إلهي، ما الذي يحدث هنا!

أيقظتني والدتي من ذكرياتي، واقتربتْ من جدتي التي كانت ترتجف من الخوف.

- ماذا فعلت يا "أليس"؟ ماذا فعلت لها؟

كانت متأكدة أنني لم أفعل شيئًا، لكنها تؤكد على شيخوخة أمها نفسها. تمتمت جدتي، وذرفتْ الدموع من عينيها المتعبة، قائلة: - هو.. جاء ليضربني.. زوجي.. زوجي.. أرسله ليضربني! لن أستطيع تحمل الضرب بعد الآن! لن...

أنا أيضًا لن أتحمَّل بعد الآن. لن أستطيع أن أتحمل ولا ثانية واحدة.

نهضتُ ومشيتُ في ممر على اليسار، دون النظر إلى الوراء. ومع كل خطوة، أقسمتُ بيني وبين نفسي ألا أعود مرة أخرى. لقد دُفنتْ جدتي روحيًّا وجسديًّا. لن أذهب أبدًا لن أذهب لأراها. انتهتْ.

سألتني أمي بشكل حادٍّ، بعد عشر دقائق، عندما ركبنا السيارة: - ماذا فعلت، يا "أليس"؟

أجبتُها:

- لن أعود بعد الآن.

وأغلقت باب السيارة.

- لا يمكنكِ أن تجبريني على هذه القذارة.

- لا تتحدث هكذا!

بدت والدتي مرتبكة، ولا تجد كلمات ترد بها. كنت أعلم أنه كان صعبًا عليها أيضًا، حتى أكثر مني. ولكن كان عليها أن تحترم طاقتي، وأنني لن أستطيع أن أفعل ذلك بعد الآن.

- إنها جدتك يا "أليس"!

صرختُ:

- ماتت جدتي!

ندمتُ، ولكن في وقت لاحق بعد التحدث بصوتٍ عالٍ، لأن أمي لا تستحق ذلك.

- هذه المرأة ليست جدتي.

تمتمتْ وأدركتُ أنها على وشك البكاء:

- نعم، هيا يا "أليس". ماذا تريدني أن أفعل؟ هل تريد مني أن أدعها تتعفن في هذه الدار دون زيارة؟

أجبتها:

- نعم! هذا ما أريد! ادفعي لدار المسنين واتركيها هناك، في انتظار الموت كي يريحنا من هذه الواجبات الإجبارية، هذا ما تفعله العديد من العائلات.

قد أكون مخطئًا، لكنها كانت أيضًا آلية دفاع.

- لا أعرف ماذا أفعل.

أومأت برأسها، دون أن ترفع عينيها عن الطريق لأنها لا تعرف ماذا تفعل. كانت زيارة الأم شهريًّا وحمل الزبادي المخبأ في حقيبة يدها، طريقة للشعور بالرضا عن نفسها لتكون ابنة بارَّة.

قالت والدتي:

- لقد حدِّد موعد العملية الجراحية يا "أليس".

كما لو كانت تريد إخباري بخبر عابر.

أحكمتْ قبضتها بشدة على عجلة القيادة:

- ماذا؟

- سيجري الطبيب جراحة لمعرفة ما إذا كان بإمكانه إزالته أم لا.

- متى؟

- يوم الأحد السابع من سبتمبر.

- في العطلة الرسمية؟

- كان لدى الطبيب "توريس" جدول مواعيد مزدحم. وقال إنه كلما أسرعنا بالعملية، كان ذلك أفضل.

- حسنًا.

أوضحتْ بحزن:

- تبدو خطيرة.

- لا تتحدثي هكذا يا "أمي"!

- أنت لم تعد طفلًا يا "أليس"! علينا أن نواجه الواقع!

حاولتْ أن تبقى رصينة وتبدو هادئة، وتابعتْ: - يمكن أن أموت.. أموت في غرفة العمليات مثل عمتك الكبيرة.. وعليك أن تواجه كل شيء وحدك.

- لن تموتي يا أمي.

هزّت رأسها وتابعتْ:

- إذا متُّ...

رفعتْ صوتها:

- إذا متُ، يجب ألا تترك جدتك.. عليك أن تهتم بها.. لا يمكنك التخلي عن جدتك، أتفهم؟

كنت صامتًا، لم أجبها.

- عليك أن تعتني بكل شيء.. أنا.. أعلم أنه يمكنك.

بدأت تبكي وهي جالسة بجواري، ويرتجف فمها في محاولة لإخفاء حزنها.

- لا تحزني يا أمي.. كل شيء سيكون على ما يرام.

نمنمتْ بين تنهداتها قائلة:

- سيكون يوم 7 سبتمبر، يا بني.. 7 سبتمبر سيكون يومًا حاسمًا، سوف تُصبح رجلًا. رجلًا ذا مسؤوليات.. أعلم أنك قادر على ذلك.

لا. لست قادرًا.

ولكنني لم أستطع قولها في ذلك الوقت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

34

الفصل العاشر:

أولًا، صرخ "زاك" صرخة حزينة من الألم الذي تلاه اليأس ولف ذراعيه حول خصر "جواو" وهز جسدها الخامل، محاولًا إنقاذ حياتها المفقودة.

كانت "جواو" تعرف الحقيقة، كان لديها الوقت لتقولها، لكنها لم ترد ذلك، لقد سخرتْ من الجميع في اللحظة الأخيرة، والآن.. ماتت. لم يكن هناك أي تعبير على وجهها الأبيض سوى ابتسامة الثواني الأخيرة، متحديةً "زاك" إلى الأبد، وهذا ما جعله يندم أنه ضغط الزناد. رأيته هناك، عاجزًا، وأردتُ مواساته، هذه الرغبة التي شعرت بها مرة واحدة فقط من قبل، في مراسم دفن "فاسكونسيلوس"، عندما أنزلوا التوابيت إلى القبر واضطررنا إلى مواجهة ومضات كاميرات الصحافة. لكن هذه المرة، لم أستطع التحرك. كان الدم يلتصق بقدمي، فواصلت الكتابة كأنَّني آلة، وسجَّلتُ كل شيء. لكنني لم أشعر بشيء.

نظرتُ إلى "جواو".. لقد أحببتها. لقد أحببت شعرها القصير، ابتسامتها البريئة، مظهرها الطموح، وشخصيتها القوية الصبيانية.. لقد أحببتها. ما زلتُ قادرًا على سماع صوتها، أشعر ببشرتها، بلساني حول رقبتها في ظلام السينما الذي كان يُضاء بين الحين والآخر بمشهد ما على الشاشة، كانت أجسادنا تتلامس بصعوبة على الكراسي، وأخيرًا ممارسة الجنس، ذلك الجنس المجنون والعاطفي في شقة "زاك"، كانت هي الفتاة الوحيدة التي مارست معها الجنس على الإطلاق.. الآن هي ميتة. وهذه البطن التي كنت أداعبها أصبحتْ مغطاة بالدم. وبالرغم من وقوعها على الأرض، بدت "جواو" كأنها تتحدث معي، كان صوتها يتردد في أذني بإصرار.. "وفاة والديك.. لم تكن حادثًا يا "زاك".. كانت.. جريمة قتل".

عندئذٍ أدركتُ أن "زاك" قاتلًا! على الرغم من أن ذهني رفض قبول ذلك، فقد رأيته يقتل ثلاثة أشخاص! "أوتو" و"دان" و"جواو".. لقد كانوا جميعًا ضحايا مريض نفسي. ضحايا أعز أصدقائي.. شعرت بالاشمئزاز من الكلمات. نعم، كان من الممكن أن يسلبه الشرب والمخدرات عقله. من المحتمل أنه لم يقتل أحدًا من قبل، وأن هذه هي أول مرة.. ولكن العكس ممكن أيضًا. ويمكن أن يقتل مرات أخرى.. أن يقتل الكثير من الناس.. بعد كل شيء، كيف أعرف؟

التعطش إلى الموت، والعنف غير المبرر يمكن أن يكونا وجهين مخفيين تمامًا مثل علاقته مع "أوتو".. إلى أي مدى قد نعرف الناس حقًّا؟ هكذا سألني

الضابط.

الآن لدي الجواب: لا نعرف أي شخص. لا أحد على الإطلاق. لم أكن أعرف حتى أمي. لم أعرف طاقتها، أحلامها، مخاوفها، وأحزانها الداخلية. ولم أعرف صديقي.. لقد أرعبني. كنت أعرف أشياء كثيرة عنه.. لقد شاركته العديد من لحظات حياته.. ماذا لو شعر "زاك" بطريقة ما بالضغط؟ ماذا لو صرت تهديدًا كما حدث للآخرين؟ هل سيطلق النار عليَّ؟

بقدر ما شهد ماضينا.. لا، أما الواقع أمام عيني لا يمكن إنكاره.. نعم! يمكنني أن أتخيله وهو يصوب المسدس نحوي ويضغط على الزناد. من قبل، لسبب غبي وطفولي، كنت أشعر بالحماية من قِبل الشخص نفسه الذي عذَّب وقتل "أوتو"، و"دانيلو"، حتى لو بشكل غير مباشر، وأطلق رصاصتين في بطن "جواو"..

ولكن بطريقة ما لم يؤثر فيَّ شيء من هذا، لم يتمكن أي من ذلك من كسر الحماية الخيالية التي خلقتها من حولي. بعد كل شيء.. كانوا هم أشخاصًا آخرين.. غيري! كان زاك قادرًا على قتلهم وإنهاء حياتهم في غمضة عين ولكن ليس معي، لست أنا! هو.. لن يستطيع قتلي أبدًا! أم يستطيع؟

تبًّا، ماذا فعل له الآخرون؟ أُعجب به "دانيلو"، كان فتى حنونًا.. كانت "جواو" فتاة قاسية في بعض الأحيان، هذا صحيح، لكنها ما زالت لطيفة.. و"أوتو".. لم يجبره "أوتو" على ممارسة الجنس أيضًا، أراد "زاك" ذلك! لم يستحق أي منهم الكثير من العنف.

"زاك" هو الذي قتلهم ويمكنه أن يقتلني! ويفعل ذلك معي! كنت مجرد جزء من لعبته، هدف مثل الآخرين، فهو نذل وحقير، لأنه عند أقل خطر يمكنه التخلص مني.. كنت أرغب في التقيؤ مرة أخرى.

كانت الأفكار والصور تتناقض مع بعضها بعضًا. أمامي، "زاك" اليائس في وجه الموت، يترجَّى بضع كلمات أخرى لتوضيح حادثة قتل والديه. ففي رأيي، هو رجل بارد، وشخصيته متقلبة ومريبة، إنه قادرٌ على قتل أي شخص.. قادرٌ على قتل أفضل صديق. قادرٌ على قتل.. أبويه.

صاح وهو يهز جسد "جواو" الخامل بغضب:

- أنا أكرهك! لماذا؟ لماذا لم تخبريني؟

أخرج كل استيائه في صرخة النحيب التي كانت تحت تأثير المخدرات والتهديدات الخسيسة. خسر "زاك" المعركة لكنه يرفض الاعتراف، لكنها كانت الحقيقة.. لقد خسر. وكانت "جواو" الراقدة هناك، الضحية التي قُتلت

بطريقة غير إنسانية، برصاصتين في البطن، هي الفائزة. وقد حوَّلت شكّه إلى تعذيب.

- لماذا؟

ساعدتُ "فاليريا" على إطفاء النار بعدما حُرِق الكثير من المال، وأصبح الدخان في الطابق السفلي لا يطاق. تحول الورق المحروق إلى رماد، وتطايرت شرارات بجانب الأريكة الرخوة. نجا عدد قليل فقط من الرزم من الحريق، لكن المال لم يعد يهمني بعد الآن، أردت أن أعيش. كنت أرغب في رؤية الشمس تشرق في اليوم التالي، أردت أن أكتب ألف قصة وأنسى هذا الكتاب اللعين، كنت أرغب في بناء الحياة والسعادة. ولهذا احتجت المسدس، لحمايتي، لأمنع "زاك" من قتلي. كنت في حاجة إلى الحصول على المسدس الذي كان قريبًا منه جدًّا. وبدأتُ قائلًا: - "زاك".

دون أي حركة منه وفي ترقب مني لأي رد فعل طائش، انتظرتُ الرد في صمت مرعب. فخفض رأسه، مخفيًا وجهه الباكي في صدر "جواو"، ممسكًا قميصها الملطخ بالدم، فكانت هذه فرصة جيدة للاقتراب محاولًا طمأنته، وتقوية ثقته بي.. ثم آخذ المسدس للسيطرة على الوضع لكي أبقى على قيد الحياة، فهذا قانون الغابة.

ذُهلتْ "فاليريا" عندما اقتربتُ وأنا أبادلها النظرات، فهمتْ ما كنت أنوي فعله.. أرادت أيضًا أن تعيش، كما أرادت الهروب من الطابق السفلي المليء بالدخان والمملوء بالأموات، فأصبحنا معًا الآن.. معًا ضد "زاك"، ضد وحش خطير ومسلح.

إذا تمكنتُ من الحصول على المسدس، فستقل فرصة. حتى إن كان الرصاص لا يزال مع "زاك"، فهو لن يستطع إطلاق النار علينا، وبذلك سيكون صراعًا جسديًّا، اثنان ضد واحد. وعلى الرغم من أنه كان أقوى مني ومن "فاليريا"، فنحن يمكننا معًا هزيمته.

صاح:

- أنتِ يا عاهرة!

ورفع رأسه فجأة ينظر إليها. كنت على بعد سنتيمترات من المسدس وبدأتُ أتراجع خائفًا من إثارة الشك. في الحالة التي كان فيها "زاك"، فإن أي حركة مفاجئة مني ستكون كافية للفت انتباهه. شعرتُ بأن الآمال تذهب في البالوعة عندما أمسك المسدس بسرعة.

الآن هو مسلح ولم يعد هناك مخرج. لوَّح "زاك" بالمسدس مهددًا في الهواء ونهض بصعوبة مكرِّرًا وهو في حالة سكر بسبب الكحول: - أنت، يا عاهرة!

لقد كنتِ أنتِ، أليس كذلك؟

شهقت وأجابت في يأس:

- ما.. ما الذي تتحدث عنه؟

حملق بعينيه الواسعتين، وتحول حاجباه السميكان إلى مجرد خيوط مظلمة بين جبهته المجعدة والرموش المتلهفة. رفعت "فاليريا" يديها باستسلام مع اقتراب "زاك"، مصوبًا المسدس نحوها. وقالت: - يا إلهي، "زاك"، ما الذي تنوي فعله؟

شعرتُ بالخوف في صوتها. طلقة واحدة كانت كافية لتنهي الأحاسيس، والذكريات، واللحظات، والأحلام.. طلقة صغيرة بالتأكيد هي نهاية الحياة ونصبح بعدها كومة من اللحم البارد اللين الخالي من الأفكار.

نمنم ووجهه الأحمر عليه مزيج من الكراهية والعرق والدموع: - أنتِ يا "فاليريا"، قتلت والديَّ..

أظهرتْ القليل من الدهشة، وكانت تهز رأسها:

- أنا لا...

واتكأتْ "فاليريا" على الحائط، حيث لم يكن هناك مكان آخر تذهب إليه للهروب من "زاك" الذي كان على بعد سنتيمترات منها وصاحت: - أنا لم أفعلها.. بل أنت!

- أنتِ من فعلها! أعلم أنك أنتِ!

أغمضتْ عينيها، مرتجفة من الرعب. بدأت الدموع تنهمر بشكل عفوي في يأس. كان جسدها يرتعش وبدأتْ تقول وهي تحاول التقاط أنفاسها: - "زاك".. "زاك"، أقسم.. لا!

قال بغضب:

- لا فائدة من القسم! أنا لا أصدق أي شيء تقولينه! لا شيء!

توسلتْ "فاليريا"، وهي تصرخ وكانت تغمض عينيها وتفتحها بسرعة وهي ترى المسدس موجهًا نحوها: - "زاك"، أرجوك، لا تقتلني!

كانت الطلقة ستصيبها لا محالة. ولكن من سخونة اللحظة، نسي الاثنان أنه لم يتم حشو المسدس. فالرصاصتان المتبقيتان كانتا في جيب "زاك".

لو كنت استطعتُ الاقتراب فقط وتمكنتُ بطريقة ما من الوصول إلى المسدس.. كنَّا سنخرج أحياء.

- لم أفعل شيئًا، يا "زاك". لا تقتلني! لا تقتلني أرجوك!

شعرتُ بالأسى من أجلها على الرغم من أنني لم أتعاطف مع "فاليريا" أبدًا، ولكن بدا واضحًا أنها لم تفعل شيئًا. فكان اليأس في عينيها والرعشة في كل كلمة يؤكدان براءتها.

- لم أفعل أي شيء، يا "زاك".. أنا.. أقسم!

- لا فائدة يا "فاليريا"، لا فائدة.

وتابع ببطء:

- أعلم أنه أنتِ. وأريدك فقط أن تعترفي.. أريدك أن تخبريني لماذا فعلتِ ذلك.. لماذا؟

صمت.

تنهدات.

- لماذا؟

ضغط بفوهة المسدس على جبهتها بغضب وكراهية، ثم دار بالمسدس على وجهها المبتل بالدموع، وكانت تنوح وتتوسل ليرحمها، فكانت "فاليريا" تشبه حيوانًا عاجزًا على وشك التضحية به.. وأنا، مجرد متفرج، كان عليَّ أن أفعل شيئًا لمنع المزيد من ارتكاب أفعال جنونية وإهدار المزيد من الدم، وضياع المزيد من الأرواح.. لكن ماذا أفعل؟ أقفز فوق "زاك" وأسرق مسدسه؟ لا لا! كان عليَّ أن أتصرف بعقلانية.. لقد كان أقوى مني. ولم تكن "فاليريا" في وضع يمكِّنها من مساعدتي. لا.. كان عليَّ التفكير في شيء آخر.

لقد نظرت إلى القبو بحثًا عن شيء قد يكون مفيدًا. لديَّ أعمدة، جثث، أريكة منتفخة، ثروة محترقة، مطرقة، طاولة مكسورة، ودم.. شعرتُ بقشعريرة. المطرقة.. نعم، المطرقة! فقط أمسكها بيدي...

كان "زاك" واقفًا وظهره إليَّ، يهدد "فاليريا"، دون أن يلاحظ أي حركة لي سأسدد له الضربة القاضية مباشرة على الرأس. ستُحدث الآلة الثقيلة جرحًا في جمجمته وينتهى هذا الكابوس و...

تابع "زاك":

- لماذا فعلتِ ذلك يا "فاليريا"؟ من أجل المال؟

زحفتُ عبر الأرضية الملطخة بالدماء، وتجنبتُ الانزلاق.

- في ذلك اليوم يا "فاليريا".. في ذلك اليوم عندما أتيتِ إلى منزلي لتقولي إنك حامل وطردتك من هناك.. هل قررتِ الانتقام وقتل والديَّ منذ ذلك الوقت؟

- لم أقتل أحدًا!

أصبح حوارهما مجرد محادثة في الخلفية، كنت أتحرك على إيقاع الأنين والاتهامات. واختلطت أصواتهما مع نبضات قلبي. إذا نظر "زاك" إلى الوراء، فستكون نهايتي. ولكن لم يكن هناك وقت للتفكير في هذه الأشياء.

مررتُ بالعمود الأول.. بدا القبو أكبر بشكل لا يصدق الآن، فبضعة أمتار تحولت إلى كيلومترات أمام عيني.. أصبتُ بدوار.. كان جسدي ثقيلًا وقدماي عالقتين في الدم.. يجب أن أقاوم.. كان عليَّ أن أحصل على المطرقة! أحارب من أجل حياتي! ربما أدرك "زاك" بالفعل أنني أتحرك.. ربما فهم بالفعل ما كنت أنوي فعله.. سيقتلني.. هل يضحك مني، وأنا أزحف بشكل مثير للشفقة وملطخ بالدم؟ يجب أن أهرب، ولكن إلى أين؟ لم يكن هناك مخرج.. المفتاح.. ألقى "لوكاس" المفتاح في الخارج من تحت الباب.. كنَّا محبوسين.

فجأة رأيت المطرقة على بعد بضع سنتيمترات من يدي اليسرى، غارقة في بركة من الدم فالتقطتها. وشعرتُ بثقلها، وبمقبضها الخشبي. هذا منحنى بارقة أمل فشعرتُ بالأمان والحماية فجأة، نهضتُ ونظرتُ إلى الطرف الآخر من القبو، كانا مستمرين في الجدال. كانت على ركبتيها وشعرها الأحمر يغطي وجهها الباكي، ولكن "زاك" لا يزال يصوب المسدس، كما لو كان سيفعلها. أخفيتُ المطرقة تحت قميصي ومشيتُ ببطء تجاههما.

أصبحت الكلمات منطقية تدريجيًّا مرة أخرى. وقال "زاك":

- لأجل المال! دائمًا المال الملعون! سمعتِ أن والدي سيغير وصيته وسيأخذ نصف الثروة. كان هذا سيعيق طموحك الذي رسمتِه جيدًا!

سقطت قطرة من العرق من جبهتي.. كنت على بعد أمتار قليلة منه.. فقط مسافة قليلة. وتابع "زاك": - الآن كل شيء أصبح منطقيًّا يا "فاليريا"! كيف لم ألاحظ ذلك من قبل؟ بعد أسبوع من يوم الجمعة الذي طُردتِ فيه من بيتي.. سمعتُ أن والدكِ قد طُرد من عمله، وبالطبع، ألقيتِ باللوم على والدي وقررتِ الانتقام.. قال الضابط إنها تبدو خطة وُضِعتْ على عجل.. فقد تسببتِ في الحادث الذي مات فيه والداي!

الآن أستطيع أن أرى شعيرات على قفا "زاك" وحضَّرتُ المطرقة للهجوم.

- لم أفعل شيئًا يا "زاك".. أنا.. لم أكن أعلم حتى أن والديك مسافران!

وصاح:

- بالطبع فعلتِ ذلك، ففي يوم الجمعة بعدما طردتك من المنزل بوقت قصير، اتصلتْ والدتك للتحدث مع والدتي لتحديد موعد لمحادثة ودية بين العائلتين للحديث عن الطفل، وذلك في الأسبوع التالي. كنتُ قد سمعتُ المحادثة، فقد قالت لها والدتي إنها ستذهب إلى المنزل الريفي وستعود يوم السبت، لذا عرفت والدتك أنها ستسافر! كنت تعلمين أنهما مسافران يوم السبت.. وقالت "جواو" إن القاتل تلقى المساعدة من والدته.. وبالتأكيد أخبرتك والدتك بموعد عودة والديَّ من سفرهم.

كنت على وشك توجيه الضربة له، ولكن تبادر إلى ذهني شيء.. صورة "جواو" وهي تحتضر، وكانت قد استفزتنا في الثواني الأخيرة من حياتها بوجهها الحلو المشوه بسبب الخوف من الموت، وهي تقول إن القاتل تلقى مساعدة من والدته.. لقد توقفتُ.. كان بمساعدة والدته.

تذكرت صراخ "فاليريا"، عندما صفعت "جيتوليو" على وجهه، وقالت: "سأقتلك، أيها الوغد! إذا فقد والدي وظيفته، سأقتلك! هل تعتقد أنه يمكنك التحكم في حياة الآخرين هكذا؟ تفعل ما تريد! قف أمامي وسأقتلك! سأذهب إلى الجحيم لإنهاء حياتك، يا ابن العاهرة يا مغرور!".

تجمدتُ.

ماذا لو كنت مخطئًا؟ ماذا لو كانت "فاليريا" مسؤولة حقًّا عن وفاة "فاسكونسيلوس"؟

- أنتِ القاتلة!

أي منهما كان يكذب؟

وكررتْ:

- لم أفعل شيئًا يا "زاك"!

لكن في ذلك الوقت، لا يبدو أنها كانت تقول الحقيقة.

- كانت "جواو" أيضًا موجودة في لعبة البوكر في ذلك اليوم ورأتكِ تهددين والدي بالموت.. عندما تعرض للحادث، استنتجتْ أنكِ متورطة فيه.. لا بدَّ أنها ابتزتكِ وأنتِ ضعفتِ واعترفتِ. لهذا السبب عرفتْ من هو القاتل!

- أنا بريئة. أنا بريئة!

- اعترفي يا "فاليريا"! اعترفي بما فعلتِه!

كانت المطرقة معلقة بثبات في يدي، ولم أكن أعرف ماذا أفعل. لذلك فكرتُ في قتلهما وإنهاء المشكلة لضمان الأمان.. نعم! هذا ما كان عليَّ فعله! أن أصبح وحيدًا، متحررًا من القاتل، أيًا كان! منتظرًا حتى يصل شخص ما إلى "منزل سيريل".

رفعت المطرقة مرة أخرى وحركتها في راحة يدي.. أنا مستعد. ما عليَّ سوى إسقاط المطرقة على رأس "زاك". ثم على رأس "فاليريا" وهو أمر سهل. ففي أقل من دقيقة أستطيع القضاء عليهما والبقاء في سلام.. أخذتُ نفسًا عميقًا، شعرت بالعطر المميز لـ"زاك" يدخل أنفي. كان الجزء الخلفي من عنقه بانتظار الضربة، فأغمضتُ عيني. وصرخ "زاك" بكلماته الأخيرة: - اعترفي بما فعلتِه يا "فاليريا"! اعترفي! أنت فعلتِ ذلك! لقد قضيتِ على حياتي، لقد قضيتِ عليَّ! أليس هذا ما تريدينه؟ ولقد نجحتِ بالفعل! اعترفي! الآن.

كما لو كان ذراعي معلقًا بالسقف، لم يكن قادرًا على توجيه الضربة حتى بعدما رأيتُ كل ما فعله "زاك"، لم أستطع قتله! شيء أقوى من الدفاع عن النفس قد منعني من فعل ذلك.

صاح وهو يوجه المسدس إلى وجهها:

- لن تعترفي، أليس كذلك؟

تأوهت "فاليريا"، ووضعتْ يديها على الدم الذي وقع على خدها الأيسر. بينما وضع "زاك" يده في جيبه وسحب رصاصة وقال: - أنت تحبين الحظ، أليس كذلك يا "فاليريا"؟ تعتمدين عليه في كل شيء.

أدخل الرصاصة في المسدس وأغلقه على الفور.

- الآن يمكنني إطلاق النار على وجهك القذر، ولكن سأعطيك فرصة.. فرصة يا "فاليريا".. للبقاء على قيد الحياة.

أصبحتْ غير قادرة على الإجابة وفي حالة يرثى لها.

- يمكنك الاعتراف بكل ما فعلتِه.. أو يمكنك أن تثقي في حظك.. ماذا تفضِّلين؟

صمت.

- هيا!

صمت.

تمتم "زاك" وهو ينظر:

- حسنًا، هذا اختيارك..

ثم أخذ بصعوبة العملة التي كانت في جيب "فاليريا" ووضعها بين أصبعيه، السبابة والإبهام، واكتشف خدعة الوجهين المتطابقين، فأوضح "زاك" بابتسامة: - لقد اخترتِ الحظ يا "فاليريا". حظكِ! إذا كانت ملكًا، فستعيشين.. وإذا كانت كتابة.. فأنت تعرفين بالفعل.

- لا يا "زاك".. من فضلك لا تقتلني!

قال بهدوء وبلا إنسانية:

- إنه ليس قتلًا يا "فاليريا" بل مسألة حظ، أليس كذلك؟ فقط الحظ.

ووضع "زاك" العملة في يده وأغلقها، ثم ألقى بها في الهواء دون انتظار الرد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

35

“ديانا”:

- “إنه ليس قتلًا يا “فاليريا”.. إنها مسألة حظ، أليس كذلك؟ وضع “زاك” العملة المعدنية في يده وأغلقها، وألقاها في الهواء دون انتظار الرد.

“أماليا”:

- هذا.. هذا الفتى قاسٍ جدًّا!

“روزا”:

- ليس غريبًا بالنسبة إلى من عذب إنسانًا.

“ديانا”:

- إنها نهاية الفصل العاشر.

(بكاء)

“ديانا”:

- “ريبيكا”، من فضلك اهدئي!

(بكاء)

“ريبيكا”:

- كل شيء بشع جدًّا! (تنهدات) الاضطرار إلى البقاء هنا والاستماع لموت ابنتي كما لو كنت هناك.. غير قادرة على فعل أي شيء.. الاضطرار إلى الاستماع إلى الاتهامات السخيفة لهذا المجنون.. ماذا فعلتُ لأستحق كل هذا؟

“ديانا”:

- اهدئي يا “ريبيكا” حتى نتمكن من التفكير بشكل أكثر وضوحًا.

“ريبيكا”:

- إلى أين تريدين الوصول؟ هيا أجيبيني! ما الذي تودين الوصول إليه بحق الجحيم؟ ألم تسمعي ما حدث؟ هدد هذا المجنون ابنتي بالموت للاعتراف بجريمة لم تكن قادرة على ارتكابها اطلاقًا!

“ديانا”:

- “ريبيكا”...

“ريبيكا”:

- إن “فاليريا” بريئة! (بنبرة مضطربة وباكية).. قد هددت بقتل “جيتوليو” فقط لأنها كانت غاضبة، ولكنها غير قادرة! توسلتْ “فاليريا” للعيش ولكن ذلك الوغد لم يتراجع.. لا! إنه أراد قتل ابنتي!

تنهدت وتابعت:

- بأي طريقة! مثلما فعل مع الآخرين!

“ديانا”:

- إذا أراد فقط قتل “فاليريا” لكان بإمكانه الضغط على الزناد وإنهاء كل شيء.. لكن لا.. لقد اقترح العملة، وأعطاها الوقت للاعتراف بالجريمة، اعتقد “زاك” حقًّا أن ابنتك مذنبة.

“ريبيكا”:

- لم تفعل شيئًا! لم تؤذِ أحدًا!

“ديانا”:

- أنا لا أقول إن “فاليريا” فعلت شيئًا يا “ريبيكا”.. النقطة المهمة هي أن “زاك” يؤمن بذنبها وأعطاها الوقت للاعتراف.

“أوليفيا”:

- معذرةً، لكن.. هل أنا الوحيدة التي تجد حجج “زاك” صحيحة؟ كان كلامه منطقيًّا بالنسبة إليَّ.. يبدو أن “فاليريا” هي القاتلة.

ريبيكا (بصوت عالٍ):

- هذا غير معقول! ابنتي...

“ديانا”:

- نعم يا “أوليفيا”، كان استنتاج “زاك” منطقيًّا. إذا أخذنا في الاعتبار الأحداث التي وقعت قبل “الروليت الروسي”.

“ريبيكا” باندهاش:

- لكن ألا ترين؟ ربما قالت “فاليريا” إنها ستقتل “جيتوليو”، لكنه كان كلامًا فحسب! كانت.. كانت هشة! لقد ذهبتْ إلى هناك لتقول إنها كانت حاملًا من “زاك”، وقد عوملت بهذه الطريقة وهُدِّدتْ مثل المحتالين فخرجتْ ابنتي عن شعورها! وقالت كل هذا فقط لمجرد الكلام! إنها لم...

(صوت حفيف الأوراق)

"ديانا":

- قالت لـ"جيتوليو": "سأقتلك، أيها الوغد!"، وصرخت بعدما صفعته قائلة: "إذا فقد والدي وظيفته، سأقتلك! هل تعتقد أنه يمكنك التحكم في حياة الآخرين هكذا؟ تفعل ما تريد! قف أمامي وسأقتلك! سأذهب إلى الجحيم لإنهاء حياتك، يا ابن العاهرة يا مغرور!".

"ريبيكا":

- لا يمكنكِ أن تكوني جادة.

"ديانا":

- لقد عثرنا في غرفة "أليساندرو"، في "كوباكابانا" على مذكرات تشير إلى ذلك اليوم، 22 أغسطس. فقد كان هناك وحضر المشهد بأكمله، فمن المحتمل جدًّا أن "فاليريا" قالت هذا الكلام بالضبط.

"ريبيكا":

- لكن...

"ديانا":

- في يوم الجمعة نفسه، اتصلتِ بمنزل "فاسكونسيلوس" وتحدثتِ إلى "ماريا كلارا" عبر الهاتف، أليس كذلك يا "ريبيكا"؟

"ريبيكا":

- نعم.. عادت ابنتي إلى المنزل وهي تبكي وتقول إنها طُردت حتى قبل أن توضح الموقف بالكامل، كنت غاضبة جدًّا.. غاضبة حقًّا! يعتقد هؤلاء الأغنياء أنهم يستطيعون فعل كل شيء لمجرد امتلاكهم للمال! لكن الأمر ليس كذلك، فاتصلتُ لأتحدث وأشكو من الطريقة التي عوملت بها.

"أوليفيا":

- هل تحدثتِ مع "ماريا كلارا"؟

"ريبيكا":

- ن... ن... نعم، لماذا؟

"أوليفيا":

- لا أعلم.. لقد قلتِ إنكِ لا تعرف "فاسكونسيلوس".. لقد ذكرتِ براءتكِ بناءً على ذلك.. والآن تقولين إنك تحدثتِ إلى "ماريا كلارا".

"ريبيكا" بصوت محرج:

- نعم، لقد فعلتُ! تحدثتُ عبر الهاتف! هذا لا يعني أنني عرفتهما! لم أرهما من قبل.

"ديانا":

- لقد حاولتِ تحديد موعد مع "ماريا كلارا"، أليس كذلك؟

"ريبيكا":

- نعم، ولكن...

(صمت مدة ثلاث ثوانٍ)

"ديانا":

- لكن ماذا؟

"ريبيكا" (بصوت متردِّد):

- لكن.. قالت إنها كانت ستسافر إلى المنزل الريفي في الأسبوع التالي.. ففي الدقائق التي تحدثنا فيها، تحدثتْ عن الرحلات والممتلكات والثروات.. إنسانة مغرورة!

"ديانا":

- إذًا قالت "ماريا كلارا" إنها لا تستطيع مقابلتك لأنها ستسافر يوم الثلاثاء 26، وستعود يوم السبت 30؟

"ريبيكا":

- لا أتذكر أنها قالت التواريخ بالضبط.. قالت إنها لا تستطيع التحدث لأنها ستسافر، لكنها لم تذكر متى ستعود.

"ديانا":

- فهمتُ.

(صمت ثلاث ثوانٍ)

"أوليفيا":

- ألم يقل "زاك" إنه سمع المحادثة كما فهمتُ؟ قالتْ "ماريا كلارا" إنها ستعود يوم السبت.

"ريبيكا":

- أنا لستُ كذابة يا "أوليفيا"! أقول ما أتذكره! وأنا لا أتذكر أنها قالت ستعود يوم السبت أو الأحد أو أي يوم آخر! لم يكن على "ماريا كلارا" أن تطمئنني!

"ديانا":

- قال "زاك" لـ"فاليريا": "كنت أجلس في البهو وسمعت.. قالت والدتي إنها ستذهب إلى المنزل الريفي وستعود يوم السبت..".

"ريبيكا":

- لم أكن أعرف! لا.. أقسم إنني لم أكن أعلم أيًّا من ذلك!

"أوليفيا":

- هذا ما يفسِّر ما قالته تلك الفتاة عن تلقِّي القاتل المساعدة من والدته.

"ريبيكا" بصوت مرتفع:

- لم تقتل ابنتي "فاسكونسيلوس"! عليك أن تصدقيني!

"ديانا":

- اهدئي يا "ريبيكا"، قالت "ماريا جواو" إن القاتل حصل بطريقة ما على مساعدة من والدته، ولكنها لم تذكر نوع المساعدة، من الممكن أن تكون هذه المرأة قد ساعدت عن طريق الخطأ.

"ريبيكا":

- ماذا تقولين؟

"ديانا":

- أقول لكِ، إنك دون قصدٍ، ذكرتِ أمام "فاليريا" أن "ماريا كلارا" ستعود من السفر يوم السبت.

"ريبيكا":

- لا..

"ديانا":

- حاولي أن تتذكري يا "ريبيكا".. ماذا فعلتِ بعد المكالمة؟

“ريبيكا”:

- ذهبت محاولة جبر خاطر ابنتي.

“ديانا”:

- بينما كنت تجبرين بخاطر “فاليريا”، ألم تقولي أبدًا إنك اتصلت بـ”ماريا كلارا”؟ حاولي أن تتذكري.

“ريبيكا”:

- نعم، لقد فعلتُ. لكن...

“ديانا”:

- هل قلتِ إنك حاولتِ إجراء محادثة معها؟ هل قلتِ إنها ستسافر إلى “منزل سيريل” لذلك لم تتمكنا من التحدث في الأسبوع التالي؟ هل قلتِ إنها ستعود يوم السبت ثم ستحدد موعدًا؟

“ريبيكا”:

- لا! لا! لقد كررتُ ألف مرة! لم أقل أي شيء لـ”فاليريا”.. عليكِ أن تصدقيني.

“ديانا”:

- بعد أسبوع من يوم الجمعة الموافق 29، تم فصل زوجكِ يا “ريبيكا”.. زعموا تسريح الموظفين، وعلى الرغم من عمله مدة ثمانية عشر عامًا في الشركة واعتباره موظفًا مثاليًّا، فقد طُرِدَ مع أول مجموعة موظفين..

“ريبيكا” بنبرة باكية وضعيفة قليلًا:

- نعم.

“ديانا”:

- أخبريني الآن.. كيف كان رد فعل “فاليريا” على كل هذا؟ كيف عرفت بأمر الطرد؟

“ريبيكا”:

- كان من الواضح أن “جيتوليو” هو المسؤول عن كل شيء. لقد هدَّد بفعل ذلك ونفذه.. (تنهيدة) أنا لا أعمل، أيتها الشرطية.. لم أولد في عائلة غنية.. كان زوجي يدفع فواتير هذا المنزل ولكن بعد ضياع الوظيفة التي أخذها ابن العاهرة “جيتوليو”...

“ديانا”:

- يا “ريبيكا”.

“ريبيكا”:

- قلتُ يا سيادة الشرطية أنا لم أقتل أحدًا، ولا ابنتي، ولكن بارك الرب فيمن فعل ذلك من أجلي، لأن ذلك الوغد يستحق شيئًا أسوأ بكثير من الموت، هو وعائلته اللعينة.

“ديانا”:

- طُرِدَ زوجك يوم الجمعة. وبعد ظهر يوم السبت، وقع القتل. جريمة قتل أُعِدَّت على عجل، لجعلها تبدو وكأنها مجرَّد حادث مروري.

“أوليفيا”:

- كان لدى “فاليريا” ليلة لتخطيط كل شيء.

“ريبيكا”:

- ابنتي لا...

“ديانا”:

- نعم يا “أوليفيا”. ليلة واحدة، وقت كافٍ لتأجير شخص ما لتعطيل المكابح وغلق طريق “باجيرو” بسيارة بلا لوحة لقتل الزوجين “فاسكونسيلوس”. وقد تم ذلك.

“ريبيكا” بصوت عالٍ:

- لم تقتل ابنتي أي شخص! ومن هؤلاء القتلة المستأجرون؟ أين هم؟

“ديانا”:

- “ريبيكا”.. أعلم أنه من الصعب التفكير في الأمر، ولكن انظري إلى الحقائق من زاوية أخرى وحاولي التفكير بهدوء.. ربما أنتِ لا تعرفين أي شيء عن الأمر، ولكنك ساعدتِها دون أن تدركي.

“ريبيكا”:

- لم تقتل ابنتي أي شخص يا سيادة الشرطية. إذا كنتِ لا تريدين أن تصدقي ذلك، فهذه ليست مشكلتي. نظريتي مختلفة وتُجيب أيضًا عن أسئلتك.. قتل “أليساندرو” الزوجين “فاسكونسيلوس”.

“ديانا”:

- لقد أخبرتكِ بالفعل يا “ريبيكا” أنه ليس لديه دافع.

“ريبيكا”:

- هناك الآلاف من الأسباب المحتملة التي لا نعرف عنها شيئًا! يمكن أن يكون على علاقة مع “زاك” أو أي شيء.. يمكن أنه يحسد الفتى.

“ديبورا”:

- كان ابني صديق “زاك”.

“ريبيكا”:

- بالضبط! ألا تريدين أن تربطي الأحداث معًا؟ فهي تلتحم بالفعل! بماذا تفسري أن “ديبورا” رفضت السفر إلى “منزل سيريل”؟ كانت تعرف ما سيحدث.. علمت بالحادثة.

“ديبورا” بصوت عالٍ:

- لقد أُصبتُ بالسرطان! هل أنتِ غبية أم ماذا؟ هل تعني أنني قتلت أصدقائي! فقط لأنني لم أسافر معهم ونجوت من الحادث؟ (وقفة) إذًا إليكِ الإجابة: السرطان!

لقد اكتشفتُ وجود ورم في معدتي واضطررتُ إلى تحديد موعد لإجراء عملية جراحية عاجلة. بالتأكيد لم أكن في ظروف تسمح لي بالسفر إلى منزل ريفي!

“ريبيكا” بصوت قاسٍ:

- عذر مناسب للغاية.

“ديبورا”:

- كفِّي يا “ريبيكا”! هل تعتقدين الآن أنني اخترت أن أكون مريضة؟ ماذا تقصدين، أيتها الحقيرة؟ أن أخلع هذا الشعر المستعار السخيف؟ هل تريدين أن تري رأسي محلوقًا للتأكد من أنني أقول الحقيقة.

“ريبيكا”:

- أنا لا...

“ديبورا”:

- كان يمكن أن أموت.. (بكاء) كنت يائسة و... (نحيب) كان كل شيء مروعًا جدًّا! كنت خائفة جدًّا! أجريتُ العملية في اليوم السابع.. في يوم “الروليت الروسي” نفسه.. عندما استيقظت في مدَّة ما بعد العملية، كنت سعيدة جدًّا..

شعرت وكأنها معجزة أن أكون على قيد الحياة! لكن "أليساندرو" لم يزرني في الغرفة. كان شيئًا غريبًا.. حاولت الاتصال به على هاتفه المحمول ولم يرد فشعرتُ بالقلق. لكنني كنت مستلقية في السرير بعد إجراء الجراحة للتو، ولم أتمكن من الخروج. ثم.. (البكاء) في اليوم التالي.. زارتني الشرطة.. أخبروني أن ابني قد مات.. وأنه انتحر في لعبة "الروليت الروسي" مع أصدقائه.. لم أستطع فعل شيء! كنت لا أستطيع أن أتحرك من على سرير المستشفى.. أنا... (بكاء) "ديانا":

- اهدئي يا "ديبورا".. اشربي كوبًا من الماء.

"ريبيكا":

- لم أشكك في إصابتك بالسرطان. أريد فقط أن أدافع عن ابنتي! لم تكن قادرة على قتل أي شخص! لكن "أليساندرو" نفسه قال إنه فكر في قتل "زاك".. يكفي أنه أخذ المطرقة!

"ديانا":

- نعم يا "ريبيكا". أخذ المطرقة، ولكن لم تكن لديه الشجاعة لتوجيه الضربة، أليس كذلك؟ تراجع في اللحظة الحاسمة.

"ريبيكا":

- لا يهم.. المهم أنه فكَّر في القتل.. فقد فكر في إمكانية ارتكاب جريمة وقتل شخصين للتخلص من المشكلة.. لم تفكر ابنتي أبدًا في قتل أي شخص! أعرف ما أقوله. ومن ناحية أخرى كان "أليساندرو" على وشك قتل "زاك".

"ديبورا" بصوت عالٍ:

- كان ابني خائفًا.. خائفًا، هل فهمتِ؟ لقد أدرك للتو أن أفضل صديق له كان قاتلًا! قاتل عذَّب وقتل الناس أمامه! لقد شعر بالعجز.. أدرك أنه يمكن أن يكون التالي فأخذ تلك المطرقة للقتال من أجل حياته! ولحياة ابنتك أيضًا يا ناكرة الجميل!

"ريبيكا":

- ماتت ابنتي! قتلها السادي ابن عاهرة!

"ديبورا" وهي تبكي:

- تبًّا، لقد مات ابني أيضًا! أنتِ تتحدثين كما لو كنتِ وحدك التي تعانين هنا..

"أماليا":

- لقد مات أولادنا جميعًا، ماتوا ودُفنوا، فلا يهم معرفة قاتلة "فاسكونسيلوس".. أيًّا كانت، فقد تلقت عقوبتها بالفعل.

"ديانا":

- هذه ليست المشكلة، يا "أماليا"، نحن في حاجة إلى توضيح القضية! نحن في حاجة إلى الوصول إلى الحقيقة.

"أماليا":

- لا تهمني الحقيقة! أريد أن أعيش بسلام.. عليَّ أن أنسى الأمر وأتركه خلفي.. من فعل ذلك؟ "أليساندرو" أو "فاليريا".. لا يهم من قتل "فاسكونسيلوس".. لا يهمني من تسبب في كل هذه المصائب.. أريد فقط أن أنسى!

"ديانا":

- أنت تقولين إنه لا توجد طريقة لمعاقبة الجاني.. لكنك نسيتِ أن شخصًا ما هنا، داخل هذه الغرفة، ربما ساعدت ابنها في ارتكاب جريمة القتل ويجب معاقبة شخص ما هنا.

(صمت ثلاث ثوانٍ)

"ريبيكا":

- لماذا تنظرين إليَّ؟ تعتقدين أنني عرفتُ متى سيعودان "فاسكونسيلوس" من سفرهما وأخبرتُ ابنتي، أليس كذلك؟ قلتُ إنني لم أعرف شيئًا بالفعل.. لستُ أنا.

"ديانا":

- لم يقل أحد ذلك يا "ريبيكا".

"أوليفيا":

- لا يحتاج المذنب إلى من يذكِّره بذنبه.

"ريبيكا":

- لا أعرف من...

"ديانا":

- حضراتكنَّ نسيتن الآخرين. أعني أنه لم يكن بالضرورة أن تكون "فاليريا" أو "زاك" أو "أليساندرو" الذي قتل "فاسكونسيلوس". الآخرون الذين كانوا أمواتًا

بالفعل عندما قالت "ماريا جواو" هذا الكلام، يمكن إلقاء المسؤولية عليهم أيضًا.. "أوتو"، "نويل"، "ريتينيا".

(صمت أربع ثوانٍ)

"أوليفيا":

- لماذا لا تنتهي فقط من القراءة لتحريرنا؟

"ديانا":

- حضراتكنَّ لا...

"ريبيكا":

- سأرحل.. لا أستطع تحمل هذا بعد الآن.. أنا مشتبه بها في جريمة لا أستطيع ارتكابها إطلاقًا! والآن سأضطر إلى الاستماع لقصة ذلك الوغد وهو يطلق النار على ابنتي؟ مستحيل!

(خطوات سريعة)

"ديانا":

- لم يحدث كما كنت تفكرين يا "ريبيكا".

"ريبيكا":

- ماذا تقصدين؟

"ديانا":

- لم يطلق "زاك" النار على "فاليريا". لم تمتْ في ذلك الوقت، سوف تفهمين عندما أقرأ الفصل.

"ريبيكا" بصوت محرج:

- حتى إذا لم يطلق النار؟ هل اعترفتْ بأي شيء؟ لا.. هي... هل اعترفت بكل هذا الهراء؟

"ديانا":

- الفصل التالي، دعونا نقول إنه فصل خاص ومختلف وغير مُرقَّم.. كنَّا نحن من قررنا أنه سيكون الحادي عشر، لمجرد أنه يأتي بعد العاشر.

"أماليا":

- ولماذا لم يرقِّم "أليساندرو" هذا الفصل؟

"ديانا":

- لأنه لم يكتب هذا الفصل.. فقد كتبته "فاليريا".

"ريبيكا":

- كيف عرفتِ؟ هل لديك توقيع ابنتي؟

"ديانا":

- لا، لكن أُجرِي اختبار الخط. دون شك، هو خط يدها.

"ريبيكا":

- ولكن لماذا تفعل ذلك، في الوضع الذي كانت فيه؟

"ديانا":

- ستفهمين.. إنها أقل من صفحة، كُتِبتْ بسرعة، في خضم اللحظة.. إنها مرجعنا الأخير لما حدث في ذلك القبو. إنه الفصل الأخير ولا يوجد شيء آخر في الدفتر.

"ديبورا":

- إذا كانت "فاليريا" هي من كتبته، إذًا ابني...

"ديانا":

- هل يمكنني القراءة؟

(صمت أربع ثوانٍ)

- هيا، وعندما أنتهي، سنواصل المناقشة.. "الفصل الحادي عشر".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

36

الفصل الحادي عشر:

أنقذني "أليس"..

منع "زاك" من أن يُطلق النار عليَّ.. أمسك "أليس" العملة وقال لـ"زاك" إنه يجب ألا يفعل ذلك.. وهما يتحدثان الآن.. لا أعرف فيما يتحدثان.. طلب مني "أليس" أن أكتب.. ألا أتوقَّف عن الكتابة.. لا أعرف لماذا..

الجو حار وأنا خائفة.. سيقتلني "زاك".. لو لم يفعل "أليس".. ما زالا يتحدثان.. خلف الأريكة.. يتحدثان بصوت منخفض وما زال المسدس في يد "زاك".. لم يُبعد "زاك" المسدس.. أنا خائفة.. ما فعله "زاك" في "أوتو" كان شيئًا مرعبًا... لقد نزع رموش الرجل.. إنني لم أفعل شيئًا.. كان يجب أن أفعل شيئًا لتجنبه.. لكنني كنت سكرانة.. كان يجب ألا أشرب.. أنا سيئة.. أنا غبية.. الجو حار هنا.. إنهما مستمران في الحديث.. كان "أليس" يهدئ "زاك".. سينجح وسنخرج من هنا.

أريد أن أنسى كل شيء.. رموش "أوتو" التي نُزِعتْ.. و"نويل" الذي مارس الجنس مع "ريتينيا".. أريد حياة جديدة.. وكل شيء سيكون على ما يرام.

حياة جديدة.. حياة جديدة.. حياة جديدة.

لم ينتهِ حديثهما.. ماذا يقولان؟ أين مفتاح الباب؟ لا بدَّ أن أحدهما يعرف مكانه.. أتمنى.

ماذا لو لم ينجح "أليس" في إقناع "زاك"، لا أريد أن أموت.. أستطيع أن أربي ابني وحدي.. أريد أن أعيش.. أنا نادمة.. أنا نادمة.. لا أعرف ماذا أكتب بعد.. ما زالا يتحدثان.. أصبح "زاك" أكثر هدوءًا.. وكل شيء سيكون على ما يرام.. كان "أليس" لبقًا في الكلام.. أعتقد أنه سيستطيع أن يقنع "زاك" بأنني لم أفعل شيئًا.

أنا بريئة.. لم أقتل والديه.. أقسم إنني لم أقتلهما.. "زاك" مجنون.. اخترع حكاية ليس لها معنى.. يعتقد أنني أنا القاتلة.. لكن لستُ أنا.. لستُ أنا.

يصرخ "زاك".. يتعارك مع "أليس".. المحادثة.. "زاك" ثائر جدًّا.. بالتأكيد قال له "أليس" شيئًا ضايقه.. مستمران في الصراخ.. تراجع "أليس".. خائفًا.. اللعنة.. صوب "زاك" المسدس نحو "أليس".. خرجت المحادثة عن السيطرة.. رفع "أليس" المطرقة.. كان "أليس" يحمل المطرقة.. أطلق "زاك" الرصاص على

“أليس”.. قُتِل “أليس”.. مات “أليس”.. مات.. والآن يتَّجه “زاك” نحوي.. قادمًا.. إنني لم أفعل شيئًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

37

"ديانا":

- "إنه قادم نحوي.. إنه قادم.. لكنني لم أفعل شيئًا".

(بكاء شديد) (تعليقات موازية)

"ديانا":

- ينتهي النص هنا. كما قلت، كانت هذه مجرد سطور قليلة كتبتها "فاليريا" وهي في حالة فزع.

"ديبورا" وهي تبكي:

- نعم.. إنه شيء بشع جدًّا.. أنا.. لم أكن أريد أن أسمع ذلك.. "زاك".. "زاك" قتل ابني.. أحد الصديقين يقتل الآخر.. لم أفكر أبدًا أن الأمر قد ينتهي على هذا النحو.

"ديانا":

- حاولي أن تهدئي يا "ديبورا" من فضلك، أنا... أحضري لها كوبًا من الماء من جانبك يا "فانيا".

(تنهدات وخطوات)

"ديبورا":

- هذا كله خطأ، أيتها الشرطية! هذا الاجتماع هنا اليوم، "الروليت الروسي"، حادث "فاسكونسيلوس".. ما كان ينبغي أن يحدث أي من هذا.. شُفيت من العملية لأرى الجحيم.. الجحيم!

(تنهدات)

"ديانا":

- لا تكوني هكذا.. اشربي الماء يا "ديبورا".. سوف يهدئك.

"ديبورا" وهي تبكي:

- شكرًا.. أنا...

"ديانا":

- ختم ابنك حياته بعملٍ بطوليٍّ. فقط القليل يمتلكون الشجاعة لفعل ما فعله.. فقد حاول إنقاذ "فاليريا" بمنع "زاك" من إطلاق النار عليها.. واجه

الخطر وجهًا لوجه.

"ديبورا":

- أعلم.

(تنهدات)

"ديانا":

- لا نعرف على وجه اليقين كيف حدث ذلك، ولكن يبدو أن "أليساندرو" ترك دفتر المذكرات جانبًا للتحدث مع "زاك" ولهذا لم يعد يكتب.. ربما أراد إقناع صديقه بالتخلي عن كل شيء ويغادروا القبو.. وكما رأيتنَّ، طلب من "فاليريا" أن تكتب بدلًا منه في ذلك الوقت.

"ريبيكا":

- كانت ابنتي متوترة جدًّا!

"ديانا":

- بلا شكٍّ.. كتبتْ فقط عندما طلب منها "أليساندرو".. في النهاية، بالنسبة إليه، لا يمكن أن تتوقف الكتابة..

"أماليا":

- ما الذي أثار غضب "زاك"؟

"ديانا":

- ليست لدينا طريقة لمعرفة ذلك بسبب المسافة بينها وبينهما، أو لأنها كانت متوترة جدًّا، لم تستطع "فاليريا" سماع المحادثة.. يبدو أن "أليساندرو" كان يدير المحادثة بشكل جيد للغاية، حتى إن "فاليريا" قالت إن "زاك" بدا أكثر هدوءًا.. ومع ذلك، في مرحلة ما، أزعجه شيء ما.

"أوليفيا":

- يكفي أنه قتل صديقه المفضل.

"ديانا":

- نعم، يا "أوليفيا". في الحالة التي كان عليها "زاك"، ستكون أي زلة قاتلة.. ربما تحدث "أليساندرو" عن "أوتو"، أو مقتل "فاسكونسيلوس".

"أوليفيا":

- ولكن “أليساندرو” حاول الدفاع عن نفسه.

“ديانا”:

- نعم.. حسب ما كتبته “فاليريا”، رفع المطرقة، ولكن لم يكن هناك وقت. فقد كان بالمسدس رصاصة في الحجيرة الأولى، انطلقت بمجرد الضغط على الزناد.

(بكاء شديد)

“ديبورا” بصوت محرج:

- لقد أطلق النار على ابني دون تردد! ليس هذا “زاك” الذي أعرفه! لا يمكن!

“أماليا”:

- إن “فاليريا” لم تفعل شيئًا لمنعه.. لم تساعد “أليساندرو” في مواجهة “زاك”.

“ريبيكا”:

- كانت ابنتي خائفة! وكان الاثنان يتحدثان عن بعد! ولم تستطع فعل أي شيء، أليس كذلك؟

“أوليفيا”:

- كان بإمكانها أن ترمي دفتر المذكِّرات اللعين وتحاول مساعدة “أليساندرو”!

“ريبيكا”:

- طلب منها مواصلة الكتابة! ألم تسمعي؟ قلتُ.. قلتُ إن ابنتي بريئة! كنتنَّ لا تردن تصديقي.. قلتُ إنها لم تقتل “فاسكونسيلوس”.

“أوليفيا”:

- وماذا في ذلك؟

“ريبيكا”:

- كتبت أنها بريئة! في لحظة يأس، وأكدت ما كنت أقوله منذ أن بدأتنَّ هذه الافتراضات السخيفة.. لم تستطع ابنتي أن تقتل صرصارًا! لم تكن مسؤولة عن موتهما!

“أماليا”:

- ربما كانت تخادع.

“ريبيكا” باندهاش:

- ماذا؟!

“أماليا”:

- كتبت أنها لم تفعل شيئًا، لكن يمكن أن تكون كذبة، أليس كذلك؟ من يضمن أنها كانت تقول الحقيقة؟

“ريبيكا”:

- كانت ابنتي يائسة! لا تعرف ماذا تكتب! خائفة من الموت.. لماذا تكذب؟

“أماليا”:

- لأنها إذا تمكنت من الخروج من هناك، كان يمكنها أن تحاول إظهار دفتر المذكرات هذا كدليل على براءتها.

“ريبيكا”:

- هذا أمر غير معقول! أنت لا تتوقفين عن قول الكلام الفارغ! إنها.. لن تكون قادرة على...

“ديبورا” بصوت عالٍ:

- لم تكن ابنتك قديسة! توقف عن هذا الكلام! أنقذها “أليساندرو” ولكنها لم تفعل شيئًا، لا شيء لمساعدة ابني!

“ريبيكا”:

- أنا...

“ديانا”:

- أنت في حاجة إلى فهم أن كل شيء حدث بسرعة كبيرة.. لم يكن لدى “فاليريا” وقت للتفكير. كان كل شيء يسير على ما يرام حتى بدأ العراك، عندما أطلق “زاك” النار وسقط “أليساندرو” وبقي شخصان، “فاليريا” و”زاك” الذي تقدم نحوها مسلحًا. انتهى الفصل ولا نعلم ماذا حدث بعد ذلك.

“أماليا”:

- ربما تركت “فاليريا” الكتاب جانبًا في محاولة للدفاع عن نفسها، أليس كذلك؟

“فانيا”:

- كان “زاك” مسلحًا.. أي حركة كانت ستدفعه إلى إطلاق النار.

“ديانا”:

- لا، لا.. ربما قاومت، نعم.. كان “زاك” مسلحًا، لكن المسدس كان فارغًا.

“فانيا”:

- هذا صحيح! كنت قد نسيت ذلك.

“ديانا”:

- كان لا يزال عليه أن يأخذ الرصاصة من جيبه ويفتح المسدس ويضع الرصاصة قبل إطلاق النار، لذلك من الممكن أنهما تقاتلا، أو على الأقل تجادلا.. على أي حال، ليست لدينا طريقة لمعرفة إذا كنَّا على حق أم لا، فقد عُثِر عليهما بعد نحو ساعتين.. بعد مرور نحو مائة وخمسين دقيقة بين الفصل الأخير الذي كتبته “فاليريا”، ووصول الشرطة إلى القبو.

“أوليفيا”:

- صحيح.

“ديانا”:

- لا نعرف بالضبط ما الذي حدث في تلك المدَّة، وترك القبو في تلك الحالة التي وجدته الشرطة عليها.. فقد قضت عليه النيران.. وكانت جثث كلٍّ من “لوكاس” و”ماريا جواو” و”أليساندرو” و”فاليريا” متفحمة.. وجثث كل من “ريتينيا” و”أوتو” و”نويل” و”دانيلو” مشوهة بوحشية.

“روزا”:

- وهذا الوغد حي..

“ديانا”:

- نعم.. “زاك” على قيد الحياة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

38

من ملاحظات “أليساندرو بارينتوني دي كارفاليو”

قضية منزل “سيريل”، رقم 15634-0506-08

عُثِر على هذه المذكرات في: 2008/9/10، في غرفة الضحية المذكور أعلاه.

الضابط المسؤول: «جوزيه بيريرا أكينو»، قسم ١٢ للأحوال المدنية بـ»كوباكابانا».

السبت الموافق ٦ سبتمبر ٢٠٠٨

اليوم، مر أسبوع على وفاة والديْ “زاك”. من المثير للدهشة أن حياتنا قد تغيرت بسرعة في سبعة أيام، مائة وثمانية وستين ساعة. لقد حان وقت الذهاب إلى الجحيم.. الانتحار وترك هذه القذارة.

كتاب.. حادث.. قتل.. اتهامات.. مثلية جنسية.. سرطان.. جنون.. كل هذا خنقني بطريقة جعلتني أُفضِّل الموت، أفضِّل السلام الذي ينتظرني عندما يتوقف القلب عن النبض.

إذا كان ذلك ممكنًا، فقد استيقظت اليوم أسوأ مما كنت عليه في الأيام القليلة الماضية. كان رأسي يخفق، ولا حتى ألف قرص دواء للصداع سينهي الألم. هزتني أمي في السرير قائلة بصوتها المخيف إننا تأخرنا.

تمتمت وأنا نائم:

- لا أريد أن أذهب.

كان قدَّاس اليوم السابع لوفاة “فاسكونسيلوس” مقررًا في العاشرة صباحًا، في كنيسة “كانديلاريا”. كانت فكرة الخروج من السرير، والاستحمام، وارتداء الملابس وقيادة السيارة تشعرني بالغثيان بالفعل. وأنا مستلقٍ وعيناي مغمضتان، كنت أتخيل الساعات القادمة: الكنيسة المزدحمة، والصحافة، والمصورين وأصحاب الدموع الزائفة.. نهضتُ بصعوبة، كان جسدي يتحرك، لكن عقلي ظل نائمًا. فتحتُ الصنبور ورششتُ الماء البارد على وجهي، محاولًا الاستيقاظ. عندما نظرتُ إلى المرآة، مع قطرات الماء التي تتدفق على خدي، رأيتُ نفسي أكبر سنًّا. بلحية بيضاء ونظارات سميكة والتجاعيد حول عينيَّ.. ثم أدركتُ أنني لن أصبح في هذا العمر أبدًا، كان اليوم الأخير من الحياة الطبيعية. الأخير.. لقد انتهى.

ستأتي نقطة النهاية في اليوم التالي، 7 سبتمبر، يوم إجراء العملية الجراحية لوالدتي. في يوم الانتحار نفسه، والهروب الوحيد من هذا العالم القذر،

وسيُحَلّ كل شيء.

- هيا يا "أليس".

التقتْ عيني بعين "زاك" ثانية، الذي بدا وكأنه يفكر فيما كنت أفكر فيه. سنموت غدًا. كنَّا نتشارك السر المُحزن في صمت خلف ابتسامة خجولة لإخفاء الوجه المتصلب. عانقني بقوة، وضغط جسدي النحيف على صدره المتيبس، بذلك أعاد المودة. عندما ابتعدنا، أخذ "زاك" يدي وصافحني بشدة وأصابعه الطويلة ملتفة حولها، ثم وقف هناك، ينتظرني لإرشاده. أخذنا خطوات قليلة أسفل الممر جنبًا إلى جنب، مثل زوجين محبين يتجولان في الحديقة.

"أوتو".. طرأت صورة هذا الوغد بشكل غير متوقع في مخيلتي، في ومضة، تخيلته مع "زاك"، في السرير، وتتلامس جلودهما وشعورهما، فشعرتُ بالاشمئزاز. وبتقزز مفاجئ من أصابع "زاك" الضخمة التي تمسك بيدي، تلك الأصابع نفسها قد داعبت جسد "أوتو" وفعلتْ أشياء لم أكن أتخيلها.

صاحت أمي من المطبخ قائلةً:

- هيا يا أولاد! لا يمكننا أن نتأخر!

انتهزتُ الفرصة لتسريع خطواتنا. عندما وصلنا إلى الباب، تركت يد "زاك" سرًّا وذهبتُ لشرب كوب ماء.

لم أفهم أبدًا معنى قداس اليوم السابع. لا أظن أن جمع أفراد الأسرة في الكنيسة لتذكر وفاة شخصين هو أمر منطقي، خاصة بعدما كانا كلاهما مكروهين. ومع ذلك، كنت هناك على طريق "أتيرو دو فلامنجو"، في سيارة أجرة تتجه إلى وسط المدينة بسرعة تسعين كيلو في الساعة، نظرت من النافذة إلى السماء المظلمة الملبدة بالغيوم. دخلنا في شارع "الأول من مارس" Primeiro de Março، مرت المباني التجارية، التي تشبه الأشباح، بسرعة أمام عينيَّ من خلال نافذة السيارة، مثل أكوام الخرسانة. وبدا وسط المدينة شبه خالٍ في عطلة نهاية الأسبوع، حيث يسود الهدوء المميت مدة يومين قبل يوم الاثنين المزدحم.

وصلنا إلى التقاطع مع شارع "الرئيس فارجاس" Presidente Vargas. وقد احتشدتْ مجموعة من السيارات التي تحمل شعار محطات الإذاعة والتليفزيون المختلفة بمدخل كنيسة "كانديلاريا". وبمجرد أن خرجنا من سيارة الأجرة، أمسك "زاك" يدي مرة أخرى، ولكن في تلك المرة، لم أتراجع. أحاط بنا مراسلون.. أسئلة، تقارير، وصور.. تجاهلناهم وأسرعنا خطواتنا نحو الدخول إلى الكنيسة، و"زاك" إلى جانبي، دون أن أترك يده. ماذا لو فوجئوا

بأن "زاك" كان يمسك بيد رجل؟ ماذا لو بعد كل شيء، قرر "أوتو"، الغيور، جعل علاقته علنية؟ يمكنني بالفعل أن أتخيل العنوان الرئيسي للصحف: "المليونير اليتيم الشاب يذهب مع حبيبه إلى قداس اليوم السابع لوالديه".

لا لا لا! كان "أوتو" المجنون سيقتلني إذا رأى الصورة في صحيفة الغد.. ويعتقد أن "زاك" كان معي! ولكن بعد ذلك تذكرتُ أن "أوتو" لن يرى صحيفة الغد.. في الواقع، لن يراها أحدٌ منا.

استغرق القداس ستًّا وتسعين دقيقة بالضبط، حُسِبتْ بشكل مؤلم على الساعة. مدَّ القس موعظته، لكنني لم أكن مهتمًّا، لم يهتم أحد. كان بإمكاني أن أشعر بالنظرات الفظة من خلفنا. كان الحضور أكثر اهتمامًا بحركات "زاك" وتعبيراته عن خطبة الواعظ. فقد ظلَّ هادئًا وعيناه مغمضتان ورأسه محني، جلس طوال مدَّة القداس لا يهتم بالأوقات التي يجب أن يقف فيها وظلَّ وجهه لا يتزعزع، مثل تمثال شاحب في ملابس سوداء.

"اذهبا بسلام وليرافقكما الرب!"

تردد صوت عميق في الكنيسة عندما نهض الجميع.

"نشكر الرب".

لقد حان وقت الذهاب ومواجهة حشود الناس في طريقهم للخروج ونظرات الشفقة والحزن. كان "زاك" في حاجة إلى مساندتي لتحمل هؤلاء الناس. من بين الرؤوس الصاخبة في الحشد، وجدت "ماريا دي لورديس"، أخت "ماريا كلارا". ابتسمتْ عندما رأتني، ولوحتْ بيدها الممتلئة. أخفيتُ الازدراء بابتسامة ودودة ونظرتُ بعيدًا بسرعة، قبل أن تقترب منَّا. واصلنا المشي من خلال الممر الرئيسي، محاولين تجاهل الطنين. وعبرنا المدخل، مع والدتي إلى جانبنا، بعيون خائفة من هجوم الصحفيين المتلهفين علينا في أي لحظة. وهمست وهي تلوح بيدها: - هيا، هيا!

تستعجلنا حتى نمشي بشكل أسرع. ووسط مجموعة من الأشخاص بالقرب من باب الخروج، وجدت وجوهًا مألوفة أكثر، كانت هناك "سونيا"، ترتدي بذلة برونزية لا تشوبها شائبة، شعرها الأحمر مرفوع في شكل كعكة أنيقة، كانت حزينة، ولكنها متماسكة، وبجانبها يقف "دان" محرجًا وسط الحشد، وممسكًا بيدها مثلما كان "زاك" يمسكني.

تمتمت وهي تتحرك باتجاهنا لاحتضانه:

- "زاك"، حبيبي، كن قويًّا؟ إذا احتجت إلى أي شيء ستجدني.

بادلها “زاك” العناق، مبتسمًا. ربتتْ “سونيا” على كتف “دانيلو” فسارع بخجل، ولف ذراعيه القصيرتين حول “زاك”، وكانت والدته تنظر إليه بفخر.

قلتُ:

- صباح الخير يا “سونيا”.

- آه.. بسبب وجود الكثير من الناس هنا لم أرك، يا “أليساندرو”.. هل جئت لتوِّك!

لم تجد “سونيا” الكلمات، وسرعان ما غيَّرتْ الموضوع. وتابعتْ: - ما الذي ستفعله بالضبط غدًا؟

شعرتُ بقشعريرة. في البداية، اعتقدتْ أنني لم أفهم السؤال، لكنها كررته، لتتأكد أنني سمعته.

- ما الذي ستفعله بالضبط غدًا؟

كيف عرفتْ “سونيا” أننا ننوي فعل شيء غدًا؟ عن ماذا تتحدث؟ أكان من الممكن أن تعرف عن لعبة “الروليت الروسي”؟ قلتُ: - ماذا تقصدين؟

تساءلت وهي تكاد تختفي:

- ألن تتقابلوا غدًا؟ أخبرني “دانيلو” أن “زاك” دعاه...

قاطع “زاك” قائلًا:

- نعم.. رتَّبنا بروفة للفرقة. أعتقد أن الناس قد شتتوا انتباهه عن... حسنًا، من كل هذا.. ستكون في شقة عازف الساكسفون.

- صحيح.

- وقررنا دعوة “دان”، أليس كذلك يا “أليس”؟

كنت عاجزًا عن الكلام، رافضًا تصديق ما يجري هناك. لا بدَّ أنه يمزح! أم أنه حلم؟ لا! لا يمكن أن يكون صحيحًا! لقد.. دعا “دانيلو” إلى لعبة “الروليت الروسي”! يا إلهي! “دانيلو”.

وأصرَّ:

- أليس كذلك يا “أليس”؟

ماذا يمكنني أن أفعل؟ أنكر كل ما قاله “زاك” للتو؟ ستشك “سونيا” في الأمر، وعلينا أن نقدم تفسيرات. التفسيرات.. لم يكن هناك ما يمكن شرحه.

قررنا الانتحار فقط. تلعثمتُ قائلًا:

- نعم.. نعم.. نعم، نعم.

قال “زاك”:

- اطمئني، سأعتني به. أليس كذلك يا “أليس”؟

ابتسم “دان” بفرحة لفكرة دخوله دائرتنا، دون أن يعرف ماذا يعني ذلك. كنت أعرف، لكنني لم أفعل شيئًا كما لو كانت يداي مقيدتين، وكان المشهد بأكمله يُكشف أمامي.

- متى؟

قال “زاك”:

- بعد الغداء سنذهب بالسيارة إلى هناك.

أجابت في حماس، كأنها لم تخرج للتو من قداس اليوم السابع: - نعم.. رائع، عظيم!

ابتسم “زاك” ابتسامة صفراء، ثم ابتعد دون أن يودعهما، فأومأتُ مودعًا إياهما وتابعتُه. كان “زاك” سيستقل سيارة الأجرة عندما سحبتُه من ذراعه.

- ما الذي فعلته بحق الجحيم؟ دعوتَ “دانيلو” إلى...؟

وضع السبابة أمام فمه وقال:

- اسكت!

تلفَّتَ “زاك” حوله لمعرفة أكان أي شخص يراقبنا. وتابع: - سنتحدث عن ذلك لاحقًا.. الآن، اركب سيارة الأجرة!

أطعته مثل كلب صغير.

لسبب ما، لم أتفاجأ عندما طلب “زاك” من سائق سيارة الأجرة التوقف في منتصف الطريق، أمام شاطئ “بوست 5 كوباكابانا”. تمكن بالفعل من التخلص من والدتي، قائلًا إنه يريد أخذ بعض الأشياء من الشقة في “إيبانيما” وطلب أن أرافقه. كنت أعلم أنه يريد أن نكون وحدنا ليقول شيئًا. دفع “زاك” الأجرة وغادر. خلع حذاءه الأسود وداس على الرمال وفعلتُ الشيء نفسه. في أثناء سيرنا، هاج البحر بأمواجه أمامنا، بألوانه التي يغلب عليها اللون الأخضر، ويمتزج بالسماء الرمادية في الخلف. سألني “زاك” وهو يخلع قميصه الأسود: - هل نذهب للسباحة؟

فكَّ بنطاله وخلعه وترك ملابسه الداخلية، فنظرتُ إليه مرتبكًا.

- نعم، هيا! لكن لا تخلع ملابسك الداخلية! ألا يوجد أحد على الشاطئ حقًّا!

طوى "زاك" ملابسه بعناية وقفز فوق الرمال الباردة استعدادًا للغطس.

- مجرد غطسة واحدة!

أجبته:

- انطلق أنت! سأبقى هنا لأعتني بأشيائك.

لم يصرَّ. مثل الطفل القلق الذي حصل على إذن والدته في دخول حمام السباحة، ركض إلى المياه، ورفع ذراعيه وقفز بين رغوة الأمواج. تقدم "زاك" إلى الأمام، هربًا من خط الأمواج. كنتُ أشاهده يلعب في المياه، سعيدًا جدًّا، وهو يغوص بين الحين والآخر. مرَّت الدقائق ولم يبد أنه يتذكرني. اختفى "زاك" ثواني تحت الماء ليخرج على بعد أمتار قليلة، مثل دلافين العروض. في مرحلة ما، سقطت ملابسه الداخلية وأعادها إلى مكانها وهو يضحك، واستطعت رؤية أردافه البيضاء، ثم أخذ يغوص مرة أخرى.

عندما خرج، انزلقت ملابسه الداخلية أسفل فخذيه مرة أخرى، وكشفت عن عضوه. للحظة، افترضتُ أنه فعل ذلك عن قصد، لجذب انتباهي ومعرفة إذا كنت أشعر بأي شكل من أشكال الجذب.

"أوتو". نعم "أوتو".. دائمًا ما أجد نفسي أفكر فيه.. بتلك الطريقة المؤثرة، المليئة بالسخرية، يتحداني: "المرأة المثالية" "كانت أنا. لقد كان معي"، تبًّا لك يا ابن العاهرة!

قال "زاك" وهو يهز شعره:

- غطس رائع! آخر غطس في البحر! كنت في حاجة إلى ذلك!

وافقته بابتسامة، كنت سعيدًا بسعادته، ولكنني لا أزال أفكر في "أوتو".. هل يمكن أن يكون شعور "زاك" تجاهي هو صداقة حقًّا؟ أم نوع من الانجذاب الذي نما منذ الطفولة؟ حب مستحيل، حب محبط.. لا، لا يمكن أن يكون! أنا رجل قبيح، وكان "زاك" وسيمًا، أعترف بذلك. إذا أراد، يمكنه مصاحبة رجال آخرين أكثر سحرًا وأفضل. لقد كنت دائمًا مجرد صديق أو هكذا كنت آمل. ها هو أمامي، مبتلًّا وبملابسه الداخلية، ابتسم "زاك" وتجولت عيناه على جسدي لدرجة أزعجتني. تحركتُ على الرمال في محاولة للتخلص من الإحساس الغريب.

جلس بجانبي وذراعاه حول ساقيه المشعرتين. أمضى بضع دقائق في تأمل البحر، كانت الأمواج تضرب الرمال بالمياه الكريستالية والرغوة. كسرت الرياح القوية حاجز الصمت بيننا، حتى بدأنا المحادثة الحتمية. مرت بنا فتاة

شقراء جميلة، كانت تركض على شاطئ البحر، وتستمع لأغنية باللغة الإنجليزية، كانت الموسيقى عالية وتتسرب عبر سماعات الأذن، لم ينظر إليها "زاك" ربما لأنه لا يحب النساء أو لأنه كان مشتتًا.

- ما الفائدة من ذلك، يا "زاك"؟

- ماذا؟

بدا كأنه يستيقظ من نوم عميق.

- ما معنى ما سنفعله غدًا؟ انتحار.. "روليت روسي".

ابتسم.

- لا معنى له يا "أليس". لستُ في حاجة إلى...

كان يدير أصابعه بلا كلل من خلال شعر ساقه. وتابع "زاك": - أنا أعرف ما أريد فعله، أفهمت؟ لقد اتخذت قراري، وأنا مقتنع به.

أومأت برأسي.. كان لديَّ الكثير لأقوله! ولكنني كنتُ صامتًا فقط.

- هل أنت نادم يا "أليس"؟

- ماذا؟

- أنت لا تفكر في التراجع، أليس كذلك؟

أجبته بصدق:

- لا، لم أفكر في التراجع. كما أنني لن أطير من الفرحة لأنني سأطلق رصاصة على رأسي. أنا خائف يا "زاك".

سخر "زاك":

- خائف؟ من ماذا؟

من آلاف الأشياء.. الخوف من عدم القدرة على نشر كتابي.. الخوف من الموت بلا فائدة من أجل حلم.. الخوف من عملية أمي الجراحية غدًا، والتي لن أعرف نتيجتها أبدًا.. خوف من مستقبل جدتي إذا رحلتُ أنا وأمي.. الخوف من الناس الأنانيين والمنافقين الذين يحاوطوننا بالابتسامات كل يوم.. بالخوف من "أوتو" ومن الضابط الذي لمَّح بأن "زاك" هو القاتل.. خوف من نظرة خادمة "زاك" عندما قالت لي إنه شيطان.. الخوف من نفسي.

أجبته:

- لا شيء يا "زاك"، مجرَّد هراء.

وفجأةً، طرأتْ لي فكرة. كانت احتمالية تحقيقها صفر، ولكن الأمر يستحق المحاولة على أي حال. ونمنمتُ: - حرف الـ"Y" يا "زاك".

ونظرتُ في الأفق.

- ما الذي تتحدث عنه؟

- حرف Y"".. في ذلك الرهان، أنه يجب عليك ممارسة الجنس مع الأبجدية كلها.. من كانت المرأة التي يبدأ اسمها بحرف الـ"Y"؟

انفجر صديقي من الضحك، لكنني أدركت أن السؤال جعله عصبيًّا.

- من كانت يا "زاك"؟

أجاب وهو محرج بعض الشيء:

- لن أقول، يا "أليس".

- لقد قلتُ بالفعل إنني مارست الجنس مع امرأة بحرف "Y" وأنت صدقتني. لماذا نعود إلى تلك القصة الآن؟

- لقد كانت "يارا"، أليس كذلك؟ الخادمة.

ابتلع ريقه وهز رأسه منكرًا.

- مارست الجنس مع الخادمة، أليس كذلك يا "زاك"؟

تابع استنكاره، ولكن بعد ذلك لكم الرمل، وقال:

- تبًّا! أكان على تلك البقرة أن تحكي؟ ابنة العاهرة!

- لم تخبرني بأي شيء.

وأوضحتُ محاولًا رؤية إلى أين ستسير الأمور:

- لكن "يارا" تكرهك يا "زاك". حقًّا، هل تعلم ذلك؟

ضحك بقوة أكبر، ضحكة رنانة ومعبرة.

- إنها سمكة بيرانا في زيٍّ خادمة.. كانت تلمس ملابسي الداخلية المستعملة، وكانت تشاهدني وأنا أغير ملابسي وأستحم.. وفي اليوم الذي اقتربتُ منها تراجعتْ، هل تصدق؟ لقد حاولت فقط تقبيلها، وتراجعتْ.

أصبح "زاك" جادًّا، وتابع:

- تتمنى نصف نساء ريو دي جانيرو تقبيلي، وتلك البقرة اللزجة كانت لديها الجرأة لرفضي.. ابنة العاهرة!

- ماذا فعلت يا "زاك"؟

لم أصدق هذه القصة.

- فقط أعطيتها ما تريد.

كان فخورًا.

- إنها وقحة! تحصل على الحد الأدنى للأجور شهريًا وبلا أسنان! كيف تجرؤ على رفضي؟ هذه البقرة يجب أن تكون شاكرة.. وتشكرني على كل مرة ضاجعتها فيها، كل...

- هل اغتصبت المرأة؟

لقد شعرتُ بالخزي، لم أفكر أبدًا أنه وصل إلى هذه الدرجة.

- لا.. لم أغتصب أحدًا.. لقد قلت لها فقط إنها إذا لم تعطني ما أريده، فلن تحصل على ما تشتري به الحليب لأطفالها في نهاية الشهر.. جعلتُ العاهرة تختار.. أتعرف؟ فقد بدت وكأنها تريد ذلك.

كان لدى المرأة المسكينة كل الأسباب لكراهيته! لقد كان ساديًّا وقذرًا.

- هل تدرك قذارة ما فعلته يا "زاك"؟ المرأة لديها سبب وجيه لكرهك.

- لا، لا!

تشاجر وقال:

- لن أبقى هنا أستمع لدروسك الأخلاقية. لا يمكن! إنني أفعل ما أريد يا "أليس"، إنني أستمتع بحياتي، وسأحل باقي الأمور غدًا مع الرب الموجود في الأعلى.. وهو.. هو وحده القادر على محاسبتي، أفهمت؟

كنت هادئًا، لكنني شعرتُ برغبة قوية في لكم وجهه للتخلص من هذا الغرور الذي أظهره. ثم عاد الصمت. لعبتُ بأصابعي على رمال الشاطئ، في انتظار مرور الوقت، وكان الهواء يداعب شعرنا. لم أستطع تصور "زاك" والخادمة معًا. كانت تبكي وتزيد كراهيتها له، وهو يمارس معها شهواته دون رحمة. لا، لم يستطع فعل ذلك! أم استطاع؟

"ما مدى معرفتنا بالناس حقًّا؟".

كان سؤال ضابط الشرطة مثل المصباح المضيء في ذهني، للحكم على الآخرين. هل كان "زاك" قاتلًا؟ لم يكن ذلك منطقيًّا، لكن.. ربما. إذا كان هو نفسه قد اعترف أنه مغتصب!

قال مغيرًا الموضوع:

- هل تم التأكيد على الجميع لموعد الغد؟

- من؟

- "لوكاس"، "ماريا جواو"، "أوتو"، "ريتينيا"، "نويل"، "دانيلو"..

قاطعته:

- إن اصطحاب "دان" إلى لعبة "الروليت الروسي" خطأ، خطأ كبير يا "زاك"!

قاطعني:

- لا تتدخل يا "أليس". أنا من ينظم العمل.. أعرف ما أفعله.

- لا، لا.. أنت لا تعرف! الولد معاق ذهنيًّا! إنه لا يفهم حتى ما سنفعله! لقد اخترعت بروفة الفرقة لخداع والدته وجعلتني شريكًا في كذبك الغبي!

ضحك "زاك" مرة أخرى. بدأت تلك الضحكات المعتادة تغضبني.

- كل شيء سيكون على ما يرام يا "أليس" استرخِ.. بعد الموت لن يتمكن أحد من محاسبتنا.

- هذه ليست المشكلة يا "زاك"! لا يمكننا أن نأخذ "دان" إلى لعبة "الروليت الروسي"! إنه غير قادر على اتخاذ القرار بمفرده، ولا يمكننا فعل ذلك من أجله!

هز "زاك" رأسه.

- لقد دعوته بالفعل.

- يمكنك التراجع.. بأي طريقة. اختلق كذبة أخرى، ألن تعرف! لا يمكننا أن نختار له مصيره. إذا أردنا أن ننتحر، فإن المشكلة هي مشكلتنا.. لكننا لن نأخذ الطفل معنا! فالحياة كلها أمامه!

انفجر "زاك" ضاحكًا:

- الحياة؟ أنت تمزح.. هل تسمي هذه حياة؟ صبي بلا حرية يعيش تحت جناحي أمه.. لديه ألف مشكلة، لن تكون له امرأة أبدًا، لن يكون شخصًا أبدًا.. عندما تموت "سونيا"، ماذا سيحدث له؟ لا شيء! "دان" هو كتلة من لحم ودم بلا جدوى.. هل تسمي تلك الهراء حياة؟

- يمكنه أن يكون سعيدًا هكذا.

- سعيدًا؟ أنت تمزح! إذا وجدتُ نفسي ذات يوم مقيدًا على كرسي متحرك، غير قادر على الكلام، غير قادر على فعل أي شيء، أعيش مثل طفيلي ملعون، يعلم الرب أنني سأفضل الموت! نعم! الموت ألف مرة أفضل من أن تعيش يائسًا!

نهض بقوة وتابع:

- لكنَّ "دان" غير قادر على فعل هذا الاختيار وحده، لذلك سأفعل ذلك له. الاختيار الصحيح هو التخلي عن هذه الحياة المقززة والذهاب إلى حياة أخرى.

كنتُ متعبًا، لم يكن هناك مخرج. كان "زاك" متأكدًا مما كان يفعله ولم أستطع منعه. ارتدى ثيابه ووقف ثم نظر إليَّ وذراعاه متشابكان بانتظار أن أنهض. وسأل أخيرًا: - ألستَ قادمًا؟

أجبته:

- أعتقد أنني سأعود إلى المنزل.

- أراك لاحقًّا، لذا...

صرختُ وهو يبتعد:

- هل سنكون ثمانية غدًا؟

فكر "زاك" مدَّة من الوقت، كما لو كان يحسب الأسماء: - أنا، هو، "لوكاس"، "ماريا جواو"، "ريتينيا"، "نويل"، "أوتو" و"دانيلو".. ثمانية.

أجاب "زاك":

- تسعة!

حسبتُ الأسماء من جديد، بالتأكيد ثمانية.

- من أيضًا؟

- شخص خطر على بالي وسأدعوه الآن.. أنا متأكد من أنها ستقبل. لا يمكن أن تفوتها.

- من؟

ابتسم بشكل غامض.

- سوف ترى

غادر. وحاولتُ أن أستفيد من عزلتي للتفكير في الكتاب الذي سأكتبه. سيبدأ الكتاب وسينتهي في اليوم نفسه. سأروى بِالتفصيل كل ما يحدث.. كيف أبدأ؟

تقديم لمحة عن الشباب الذين قرروا قتل أنفسهم؟ ربما وصف موجز ودقيق للمأساة التي أثرت في حياة "زاك"، وفاة "فاسكونسيلوس"، تهمة القتل واشمئزازي من "أوتو".

أوضِّح كيف قابلت الأخوين "لوكاس" و"ماريا جواو"، وماذا يعنيان بالنسبة إليَّ. رأيي ضد دعوة "دانيلو".. أم لا. ربما يجب أن يكون كل هذا في منتصف الكتاب. لماذا لا أبدأ بالحديث عني؟ عندما يلاحظ القارئ أنها السيرة الذاتية للكاتب، سيسأل نفسه تلقائيًّا: "من هو هذا الشخص الذي يحكي ما حدث؟".

نعم، ستكون بداية جيدة. أشرح هدفي من "الروليت الروسي"، ويأس الكاتب الذي وجد في الموت سبيلًا لتحقيق غايته.. سيكون جيدًا بهذه الطريقة. ومع ذلك، ربما يكون أفضل شيء هو تقديم المكان مباشرةً. أبدأ بقول إننا ذاهبون إلى "منزل سيريل"، منزل "فاسكونسيلوس" الريفي مع شرح ماذا يعني لي، ثم أتحدث عن صداقتنا أنا و"زاك".. حسنًا.

بدا الأمر وكأنه بداية رائعة: عرض البيئة، نظرة عامة على الشخصيات، إشارة إلى صداقة قوية لن تموت أبدًا. يحب الناس ذلك. بدأت أتخيل جملة افتتاحية سأفتتح بها الكتاب وأرحب بالقارئ. يجب أن تكون مثيرة للإعجاب أو، على الأقل، مليئة بالمعاني. "سيريل"، لماذا لا أبدأ بشرح الاسم الفرنسي للمنزل؟ لم يقتصر الأمر على بيئة "الروليت الروسي" فحسب، بل أرسم أيضًا صورة كاريكاتورية لـ"ماريا كلارا". مجرد امرأة تافهة وغنية جدًّا، أطلقتْ هذا الاسم على منزل ريفي في المناطق الداخلية من ولاية "ميناس جيرايس". نعم، كانت "سيريل" بداية جيدة.

يجب أن يكون لها مغزى. وقد قررتُ، سأبدأ بالحديث عن المنزل، مارًّا بطفولتي حيث أركِّز على صداقة العمر مع "زاك". مع إضافات كثيرة، وسيكون السَّرد في الوقت الفعلي، مع تتابع الوفيات، ويحوم الشك في الفصل التالي.

مكثتُ هناك مدة ساعة أخرى، أراقب البحر والناس يمرون، دون رغبة في العودة إلى المنزل. لم أحبَّ البحر مطلقًا، ولكن بطريقة ما، شعرتُ بالراحة. البحر الذي لا نهاية له أمامي، نسيم بارد يضرب وجهي ويمتد الشاطئ الفارغ تقريبًا إلى ما لا نهاية. نعم، شعرتُ بالارتياح هناك.. والرضا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

39

“أوليفيا” بضحكة جافة:

- على قيد الحياة! هل يمكنك أن تصفي حالته بـ”على قيد الحياة”؟

“ديانا”:

- لقد استنشق كمية كبيرة من أول أكسيد الكربون وكانت النيران مشتعلة. كانت معجزة أن وجدوه حيًّا.

“ريبيكا”:

- معجزة؟ الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أن ابنتي ماتت، وأن ابن العاهرة لا يزال موجودًا! يتنفس!

“ديانا”:

- بالإضافة إلى ذلك، وفقًا للتقرير، أصيب “زاك” بجروح وتشوهات خطيرة في الفقرات العنقية حرمته من حركة ذراعيه وساقيه ومنطقة القفص الصدري.

“روزا” بصوت عالٍ:

- الشلل هو أقل ما يستحقه الفتى بالنسبة إلى كل ما فعله! لقد عذب ابني.. لن تعوضني أي معاناة في العالم!

“أوليفيا”:

- إنه يستحق...

“روزا”:

- إنه يستحق الموت، نعم، يستحق أن يموت!

“ديانا”:

- أريدك أن تبقي هادئة.. لا تزال لدينا عدة نقاط لتوضيحها.

“روزا”:

- أنا...

(صمت أربع ثوانٍ)

“ديانا”:

- وجدنا علامات على رقبته نتيجة لمحاولة شنق. وقد تسبب نقص الأكسجين في المخ في تلف القدرات العقلية. ومن ثَمَّ، يمكننا فقط محاولة إعادة بناء الحقائق. (وقفة) الاحتمال الأول هو أن إحدى تلك الإصابات، الموجودة على الجزء الخلفي من الرقبة، تسببت فيها "فاليريا" في أثناء محاولتها الدفاع عن نفسها بعد موت "أليساندرو". ومع ذلك، يبدو من الواضح أنه في وقت ما، أطلق "زاك" النار عليها وماتت. هذا يجعل الاحتمال السابق مستحيلًا: لأن إذا كانت "فاليريا" قد وجهت أيًّا من هذه الضربات، لكان "زاك" قد سقط على الفور، غير قادر على الدفاع عن نفسه. (صمت ثلاث ثوانٍ) لذا، دعونا نذهب إلى الاحتمال الثاني الذي نعتقد أنه أقرب إلى ما حدث بالفعل.. تعارك "زاك" و"فاليريا"، فأطلق النار عليها وماتت. وبقي "زاك" وحده في القبو، مع ثمان جثث. ماذا يفعل؟ (صمت لثلاث ثوانٍ) على ما يبدو، أنه تراجع عن لعبة "الروليت الروسي" وقرر أنه لن ينتحر.

"روزا":

- كنت أعتقد ذلك! لقد فعل كل ذلك، وأجبرهم على الانتحار، حتى يتراجع في النهاية.. كان من الواضح أنه سيفعل ذلك.. كان من الواضح!

"ديانا":

- ولكن لم يكن معه المفتاح، فهو كان محبوسًا في ذلك القبو دون أن يعرف أين أخفاه "لوكاس". لا بدَّ أنه كان في حالة يأس.. من الواضح أنه كان بالفعل تحت تأثير المخدرات والمشروبات الكحولية.. قبل موت "لوكاس" حينما كان يتجادل مع "فاليريا"، قال إنه بلع المفتاح.. على أي حال.. لا بد أن "زاك" قد تذكر ذلك، وأخذ المطرقة، المطرقة نفسها التي استخدمها "أليساندرو" في محاولة الدفاع عن نفسه قبل موته، والمفك، فوضع المفك في بطن "لوكاس" وطرقه لقطع نسيج البطن، وطبقة الدهون وحاول العثور على المفتاح في أحشائه.

(صرير كراسي)

"أماليا":

- هذا أمر بشع! لا...

"ديانا":

- كان "زاك" يائسًا! كان العثور على المفتاح في معدة "لوكاس" أمله الأخير. لكنه لم يكن هناك، لذا استنتج أن "لوكاس" أعطى المفتاح لأي شخص ليبتلعه.

"ديبورا" بنبرة مرتبكة:

- هو... أفتح بطن الجميع؟

"أوليفيا":

- هذا يفسر حالة الجثث.

"ديانا":

- لا يمكننا قول ذلك.. عُثِر على جثث "لوكاس"، و"ماريا جواو"، و"أليساندرو" و"فاليريا" في حالة تفحم متأخرة، وهذا ما صعَّب عملية الفحص. كما تعلمون، كان تعرف الأربعة ممكنًا فقط من خلال مقارنة فك الأسنان مع السجلات المقدمة من قبل أطباء الأسنان المعنيين.. وشُوِّهت جثث "أوتو"، "دانيلو"، "نويل" و"ريتينيا" بلا شك، لذا من المفترض أنه فتح كل البطون بحثًا عن المفتاح.

"أوليفيا":

- لكنه لم يجده.

"ديانا":

- نعم. لم يجده.. كما كتب "أليساندرو"، ألقى "لوكاس" المفتاح على الأرض تحت الباب إلى خارج القبو، لذلك لم يستطع العثور عليه.

"أوليفيا":

- لماذا لم يحاول اقتحامه؟

"ديانا":

- ربما حاول، لكن الباب مصنوع من الخشب الصلب والحديد. كان "جيتوليو" قد عمل على تصفيحه، حيث كان يخبئ جزءًا من ثروته.

"ديبورا":

- دون مفتاح.. ماذا فعل "زاك"؟

"ديانا":

- لا نعرف بالتأكيد، لكننا نعتقد أنه صدم عندما فتح بطن "ريتينيا".

"فانيا" بصوت مرتفع:

- لا! ليس هذا!

(بكاء)

“ديانا”:

- عندما فتح بطن “ريتينيا” ووجد جنينًا، طفلًا في مرحلة التكوين.

“أماليا”:

- هي.. هي...

“ديانا”:

- كانت “ريتينيا” حاملًا.

(تعليقات موازية) (بكاء)

“أماليا”:

- لكن.. لكن.. أكانت حاملًا من “زاك”؟

“ديانا”:

- نعم، حامل من “زاك”.

“فانيا” بصوت عالٍ:

- أنتِ كاذبة! أنتِ.. قلت إنك لن تخبري أحدًا! لقد وعدتِني!

(تنهدات)

“ديانا”:

- أنا آسفة يا “فانيا”. الهدف هنا ليس فضح ابنتك.. لكن هذه المعلومات ضرورية لنا لمواصلة حديثنا، هل فهمتِ؟

“فانيا” وهي تبكي:

- لقد كذبتْ! لم.. يا إلهي، لم تخبرني أنها حامل.

“ديبورا”:

- ربما لم تكن تعرف.

“ديانا”:

- بالتأكيد كانت تعلم، كانت حاملًا في شهرها الثالث، ولكن على ما يبدو، لم تخبر أحدًا بذلك. ولا حتى “زاك” نفسه. تخيلي دهشته عندما اخترق بطنها ووجد طفلًا بداخلها. طفل قد يكون ابنه.. وميت.

(بكاء شديد)

“فانيا”:

- أنا... لا...

“ديانا”:

- لا بدَّ أنه أصيب بالجنون.. لا مفرَّ من ذلك، لقد شعر بالاختناق. كان خياره الوحيد هو الانتحار.

“روزا” بصوتٍ يبكي:

- إذًا قرر أن ينتحر، فلماذا لم يأخذ رصاصة ويطلقها في رأسه؟ لماذا لم يفعل لنفسه ما فعله بالآخرين؟ ابن العاهرة هذا على قيد الحياة، أيتها الشرطية! على قيد الحياة!

“ديانا”:

- الأمر بسيط للغاية.. لم يُطلق النار على رأسه لأنه لم يعد هناك رصاص.. كما كتب “أليساندرو”، أخذوا تسع رصاصات فقط إلى “منزل سيريل”، رصاصة لكل واحد.

“أماليا”:

- وأصيبت ابنتي برصاصتين.

“ديانا”:

- نعم، أطلق “زاك” رصاصتين على “ماريا جواو”، لذا لم تبقَّ أيُّ رصاصة له في النهاية.

“أوليفيا”:

- يا له من هراء!

“ديانا”:

- تخيَّلن الموقف.. جن جنون “زاك” بيديه الملطختين بالدماء بعد أن انتهك الجثث بمفك، فأراد الانتحار، ولكنه أصبح ضعيفًا.. كان عليه أن يجد طريقة أخرى.. حاول “زاك” شنق نفسه ففك الحبل الذي كان يربط “أوتو” بالأنبوب، وصنع حلقة وربطها بالسقف.. ثم صعد على كرسي، ووضع رقبته في دائرة الحبل وألقى نفسه.. لا بدَّ أن “زاك” كان لا يتنفس لبضع ثوانٍ قبل أن ينفك الحبل.. فقد وجدتْ الخبيرة أن الحبل لا يزال مربوطًا بالسقف، لكنه مقطوع. لسنا متأكدين، لكننا نفترض أنه خلال سقوطه، اصطدم “زاك” بشيء ما

وأصيب في العمود الفقري.. وعندما وصل الضابطان، كان يرقد خاملًا أسفل الحبل، على بعد أمتار قليلة من الكرسي المقلوب ورأسه ينزف.

“ديبورا” بصوت متردد:

- هاااا! أنا...

“ديانا”:

- لقد بدأ الحريق في الجزء الأيمن من القبو بالقرب من الباب، ثم انتشر في الأريكة الرخوة وحوَّل هذا الجزء إلى فرن حقيقي.. كانت جثث “أليساندرو”، “فاليريا” و”ماريا جواو” قريبة، فتفحمت تمامًا، أما جثة “لوكاس” احترقت جزئيًّا. كانت جثث الآخرين في الجانب المقابل، فلم تتأثر.. كان الدخان كثيفًا لدرجة أنه في غضون دقائق قليلة أخرى، كان “زاك” سيموت مختنقًا.

“أماليا”:

- هل عرفتم في النهاية كيف اندلع الحريق؟

“ديانا”:

- هذا سؤال جيد، يا “أماليا”، ويثير اهتمامنا أيضًا.. هناك احتمال لكنه بعيد.. بأن “زاك” قد أشعل النار في المال الموجود تحت الأرض، أليس كذلك؟ ربما وصلت النيران إلى إسفنج الأريكة ثم انتشرت.

“أماليا”:

- من الممكن.

“ديانا”:

- نعم، ولكن “أليساندرو” أشار في كتابه إلى أن الحريق قد أُخمد.

“أوليفيا”:

- وماذا تريدين منَّا؟ كيف يمكننا أن نتخيل كيف تحول هذا القبو إلى فرن؟

“ديانا”:

- لا يا “أوليفيا”. (وقفة) هذا أحد الأسئلة التي سنتركها دون إجابة الآن.

“أوليفيا”:

- هل هناك أسئلة أخرى؟

“ديانا”:

- نعم هناك.. إلا إذا كان لدى بعضكنَّ إجابات بالطبع.

"أوليفيا":

- حسنًا، اسألي!

"ديانا":

- كما قلتُ، وصلت الشرطة إلى القبو ووجدت الجثث.. ألم تسألن أنفسكنَّ أبدًا عما كانت تفعله الشرطة هناك؟

"أماليا":

- ربما رأوا الدخان واستنتجوا وجود حريق.

"ديانا":

- يقع القبو تحت الأرض، لن يُلاحَظ وجود حريق إلا في وقت لاحق، أي بعدما استولت النيران بالفعل على جزء كبير من المنزل.

"ريبيكا":

- انتظري.. رجلا الشرطة اللذان عثرا على الجثث.. أليس هما من أخذا رشوة من "زاك" عندما كان الأولاد في طريقهم إلى "منزل سيريل"؟

"ديانا":

- نعم، هما نفسهما، "بيلينيو موتا" و"جورانير كويليو صا".. كلاهما مسجونان بتهمة تقاضي الرشوة.

"ريبيكا":

- كتب "زاك" لهما شيكًا دون رصيد، أليس كذلك؟

"ديانا":

- نعم..

"ريبيكا":

- لذا لا بدَّ أنهما ذهبا لطلب المال! لا بدَّ أنهما غزا المنزل الخالي وانتهى بهما الأمر أمام القبو.. أو ربما كان "زاك" يصرخ.. كان لا يزال بإمكانه أن يصرخ، أليس كذلك؟

"ديانا":

- كان وضع “زاك” لا يسعفه إلا على الهمس الضعيف، لأن أحباله الصوتية بالتأكيد تضررت بعد محاولة الشنق.. على أي حال، أوقفهم الضابطان في نحو الساعة السادسة مساء يوم 7 سبتمبر، وعُثِر عليهم في القبو الساعة الخامسة وعشرين دقيقة صباح يوم 8 سبتمبر.. هذا يعني أن الضابطين لم يكن لديهما الوقت لمحاولة صرف الشيك.

“ريبيكا”:

- أنا.. لم أفكر في ذلك.

(صمت لثلاث ثوانٍ)

“فانيا”:

- كان رجلا الشرطة.. مرتديين ملابس مدنية عندما وصلا إلى القبو.. لم يكونا في الخدمة، أليس كذلك؟

“ديانا”:

- نعم.

“ريبيكا”:

- من المحتمل أنهما ذهبا إلى “منزل سيريل” لطلب المزيد من المال.. أو لترهيب الأولاد. وانتهى بهم الأمر إلى اكتشاف حريق القبو.

“ديانا”:

- نعم، هذا ممكن.

“أوليفيا”:

- لكنَّ رجلي الشرطة على قيد الحياة، أليس كذلِك؟ فلماذا لا يسألونهما عما كانا يفعلانه في المنزل؟

“ديانا”:

- لقد سألناهما بالفعل يا “أوليفيا”.

“أوليفيا”:

- وماذا قالا؟

“ديانا”:

- أجابا بشيء سخيف.. نحن لن نذكر ما قالاه بالضبط، لأنه في غير محله.

“أوليفيا”:

- ماذا.. ماذا قالا؟

“ديانا”:

- قال ضابط الشرطة السابق “بلينيو موتا” إنه تلقى مكالمة هاتفية خلال الليل، عند الساعة الرابعة وخمسين دقيقة، ففحصنا الهاتف.. وجدنا المكالمة كانت من هاتف عمومي على بعد بضعة كيلومترات من “منزل سيريل”.

“أوليفيا”:

- وماذا قال المتصل؟

“ديانا”:

- المتصل.. عرف نفسه بأنه “جيتوليو فاسكونسيلوس”. قال إنه أراد مقابلة ضابطين في قبو “منزل سيريل” وأنه سيترك باب القصر مفتوحًا.

“أوليفيا”:

- ماذا تقولين؟ “جيتوليو”؟

“ريبيكا”:

- هذا.. هذا لا يعقل!

(تعليقات موازية)

“ديانا”:

- نعم، يبدو أنه شيء غير معقول. (وقفة) ولكن كنَّا على يقين من أنهما يقولان الحقيقة.. (وقفة) فقد فحصنا هاتف الضابط السابق “موتا” وكان عليه بالفعل مكالمة من هاتف عمومي الساعة الرابعة وخمسين دقيقة صباحًا. (وقفة) إلى جانب ذلك، لم يكن هناك كسر بالباب الأمامي للمنزل للوصول إلى القبو.. كان مفتوحًا بالفعل.

“أوليفيا”:

- أعترف أنني لا أستطيع التفكير!

“ديانا”:

- نحن أيضًا تائهون. (وقفة) نحاول الضغط على رجلي الشرطة السابقين للكشف عن السبب الحقيقي للذهاب إلى هناك، لكنهما مصرَّان على أن السبب هو تلك المكالمة.

(صرير الكراسي)

“فانيا”:

- ماذا لو كان صحيحًا؟

“ديانا”:

- ماذا؟

“فانيا”:

- ماذا لو كان كل ما قالاه صحيحًا.. (وقفة) ماذا لو كانا قد تلقيا مكالمة حقًّا من شخص ادعى أنه “جيتوليو فاسكونسيلوس”؟

“ديانا”:

- حسنًا، إذا كان كل هذا الكلام حقيقيًّا فعلينا معرفة من أجرى المكالمة.. (وقفة) وهذا سؤال آخر لم يُجبْ عليه.

“سونيا”:

- أيًّا كان الشخص، فقد فعل ذلك على سبيل المزاح.. مزحة سخيفة، بالطبع.. (بصوت متردد) أعني أن “جيتوليو” كان ميتًا حقًّا، أليس كذلك؟

“ديانا”:

- نعم، نعم.. بالتأكيد. (وقفة) لا شك أنه كان ينتحل شخصيته.

“سونيا”:

- رجل.

“ديانا”:

- ليس بالضرورة. (وقفة) فقد قال ضابط الشرطة السابق “موتا” إن الشخص كان صوته أجشًّا، ومنخفضًا قليلًا.. كان من الواضح أنه قد حاول إخفاء صوته الحقيقي. (وقفة) من الممكن أن يكون امرأة.

“أماليا”:

- هل تقصدين أنها إحدانا؟

“ديانا”:

- نعم.. احتمال!

“ريبيكا”:

- لقد قلتُ بالفعل إنني لم أفعل شيئًا.. (بصوت مرتفع) إنه أمر سخيف.

“أماليا”:

- آه، وأنا كذلك!

“ديبورا”:

- كنت في العملية الجراحية! (وقفة) ومن المستحيل أن أكون أجريت أي مكالمة من هاتف عمومي بالقرب من ذلك المنزل!

“سونيا”:

- ولا أنا.

(تعليقات موازية)

“ديانا”:

- سيداتي من فضلكنَّ! تمالكن أنفسكنَّ!

“أوليفيا”:

- هل رأيتِ؟ يمكن للشرطية أن تطمئن! (وقفة) مما رأيناه حتى الآن، جميعنا أبرياء.

“ديانا”:

- أنا...

“أوليفيا”:

- كل شيء سينتهي تمامًا كما توقعت.. بلا فائدة! لم يكن ضروريًّا! (وقفة) جئنا إلى هنا وسنغادر كما نحن.. دون حل أي شيء.. (وقفة) قضينا مدَّة المساء كلها هنا بلا فائدة.

“ديانا”:

- أنا.. (وقفة) لماذا لا نسترجع الحقائق؟ من الأسابيع القليلة الماضية قبل “الروليت الروسي”.. ربما تطرأ علينا فكرة.

“أوليفيا”:

- اللعنة! (وقفة) لدي اقتراح أفضل! لماذا لا نذهب إلى بيوتنا وننسى كل ما حدث هنا؟ نمحيه وتتابع كل منا حياتها بسلام!

(حفيف الأوراق)

“ديانا”:

- دعونا نبدأ من يوم 22. (وقفة) الجمعة الموافق الثاني والعشرين من أغسطس. لعبة البوكر في شقة “زاك” في “إيبانيما”. كان كلٌّ من “زاك” و”أليساندرو” و”ماريا جواو” و”لوكاس” و”ريتينيا” حاضرين وقتها.. ثم حضرتْ “فاليريا” وأعلنت أنها حامل. ودار هناك عراك بينها وبين “جيتوليو” وطردها من المنزل بعدما هدد بتدمير حياتها. وهددت “فاليريا” بقتله.

“ريبيكا” (بصوت مرتفع):

- أنتِ متحيزة!

“ديانا”:

- أنا أسرد الحقائق يا “ريبيكا”!

“سونيا”:

- لقد كانت “ريتينيا” حاملًا بالفعل من “زاك” في ذلك الوقت، أليس كذلك؟

“ديانا”:

- نعم لماذا؟

“سونيا”:

- تخيلي كيف كان شعورها! فقد رأتْ “فاليريا” تقول إنها كانت أيضًا حاملًا من “زاك”. وشاهدتْ “جيتوليو” وهو يطردها من الشقة وكانت هي في الموقف نفسه.. مع المشكلة نفسها.

“فانيا”:

- ابنتي.. (بكاء) لقد كانت غريبة جدًّا بعد ذلك اليوم.. كنت أعرف أنها كانت تخفي شيئًا عني.. لكنها لم تخبرني! (تنهدات) ولم أكن أتخيل أبدًا أنها حامل! أبدًا.. يا إلهي!

“ديانا”:

- اهدئي يا “فانيا”.. أعلم أن الأمر صعب.

“فانيا”:

- أنا.. (تنهدت) أنا بخير. استمري.

"ديانا":

- حسنًا. (حفيف الأوراق) في اليوم نفسه، وفي وقت متأخر، اتصلت "ريبيكا"، الحاضرة هنا، بـ"ماريا كلارا " والدة "زاك"، للتعليق عما حدث، كما ناقشنا بالفعل.

"ريبيكا":

- لكنها لم تخبرني أنها ستسافر يوم الثلاثاء وستعود يوم السبت! (وقفة) أقسم إنها لم تقل ذلك!

"ديانا":

- حسنًا يا "ريبيكا". نحن لا نشك في ذلك. نحن نراجع الحقائق فقط.. (صمت - أربع ثوانٍ) في يوم الاثنين الموافق الخامس والعشرون، أي قبل السفر إلى "منزل سيريل" بيوم واحد، وفي أثناء تناول العشاء في شقة "فاسكونسيلوس"، دعيا "ديبورا" و"أليساندرو" للذهاب معهما إلى المنزل الريفي. ورفضتْ "ديبورا".

"ديبورا":

- بالضبط. كان من المقرر أن أجري تحاليل في ذلك الأسبوع. ولم أستطع الذهاب.

"ديانا":

- حسنًا. (وقفة) أيضًا خلال هذا العشاء، تحدث "جيتوليو" مع محاميه "جولار فيرنانديز" هاتفيًا، واتفقا على يوم الاثنين التالي الموافق الأول من سبتمبر موعدًا لتغيير الوصية. (وقفة) بعد ذلك، كان "زاك" سيخسر نصف الثروة.

"أوليفيا":

- نعم، هل هذا دافع للقتل؟

"ديانا":

- في يوم الثلاثاء الموافق السادس والعشرون، سافر "جيتوليو" و"ماريا كلارا" إلى "منزل سيريل". (وقفة) يوم الجمعة الموافق 29 أكد "جيتوليو" تهديده وطرد والد "فاليريا".

"ريبيكا":

- آه، أنا آسفة، لكنك متحيزة، نعم! (بصوت عالٍ) ما علاقة ذلك بالطفل؟ أو بالانتحار؟ (وقفة) إقالة زوجي لا علاقة لها بأي من هذه الأشياء!

“ديانا”:

- طُرِدَ زوجك بناءً على طلب “جيتوليو”. في اليوم التالي، مات “جيتوليو” لأن شخصًا عطل مكابح سيارته.. (وقفة) يجب الانتباه إلى كل التفاصيل.

“ريبيكا”:

- أنا.. لا أستطيع أن أتحمل بعد الآن! (البكاء) لا أستطيع تحمل هذه المعاناة بعد الآن!

(حفيف الأوراق)

“ديانا”:

- في يوم السبت 30 أغسطس (وقفة) كانت هناك بروفة للفرقة في شقة “إيبانيما”. كان كلٌّ من “زاك” و”أليساندرو” و”دانيلو” و”ماريا جواو” و”لوكاس” حاضرين. (وقفة) ثم تلقوا مكالمة بشأن حادث “فاسكونسيلوس”. (وقفة) كان “زاك” في حالة سيئة. وطلب “أليساندرو” من والدته المساعدة. (وقفة) ثم قضى “زاك” اليوم التالي، الأحد الموافق 31، حزينًا. اعتنى به “أليساندرو”، واهتمت كلٌّ من “ديبورا” و”سونيا” بالجنازة.. (حفيف الأوراق) في اليوم نفسه الذي ذهب إليه “أوتو” وكشف لـ”أليساندرو” أنه كان يمارس الجنس مع “زاك”. وبحسب ما ورد قال إن موت والديه سيفيده بطريقة ما. (وقفة) واعتقد “أوتو” أنها فرصة لـ”زاك” ليستمر في علاقته الجنسية ويفعل ما يريد.

“روزا” (بصوت مرتفع):

- لكن ابني لم يقتل أحدًا.. هو... لقد أحب “زاك”.. لم يستطع فعل ذلك!

“ديانا”:

- لم أقل أي شيء يا “روزا”. (وقفة) دعينا نواصل.. (حفيف أوراق) يوم الاثنين الموافق 1 سبتمبر...

“أوليفيا”:

- اليوم الذي كان سيغير فيه “جيتوليو” وصيته لو لم يمت.

“ديانا”:

- بالضبط. (وقفة) دُفِنَ “فاسكونسيلوس”. (وقفة) وبعد انتهاء مراسم الدفن، اقترب الضابط “جوناس أستريد” من “زاك” وحدد معه موعدًا لمقابلته في اليوم التالي. (صرير كراسي) وأخيرًا وصلنا إلى يوم الثلاثاء الموافق 2 سبتمبر.. (وقفة) في أثناء المحادثة في مطعم في “كوباكابانا”، قال الضابط

إنها كانت في الواقع جريمة قتل. جريمة مخططة على عجل. (وقفة) وأضاف أن "زاك" هو المشتبه به الرئيسي بسبب قضية تغيير الوصية التي تحدثنا عنها هنا عدة مرات.

"ديبورا":

- لقد صدمه كل هذا! لقد رأيته عندما عاد إلى المنزل.. كان شاحبًا.. متوترًا.

"أوليفيا":

- لكن بالطبع! لقد سقط القناع للتو! وسيُقبَض عليه قريبًا!

"ديبورا":

- "زاك" لا.

"ديانا":

- لنترك النظريات إلى وقت لاحق. (وقفة) الآن، دعونا ننتهي من تذكُّر الأحداث. (حفيف الأوراق) حسنًا، في الأساس، عُثِر على جميع المعلومات التي ذكرتها حتى الآن في كتاب "أليساندرو"، الذي وجدناه في الشقة التي كان يعيش فيها مع "ديبورا"، في "كوباكابانا".

"أوليفيا":

- نعم.. وماذا في ذلك؟

"ديانا":

- كما قلت، لا يوجد أي سِجل لليوم الثالث والرابع والخامس من سبتمبر. (وقفة) ولا سطر واحد.. (وقفة) هذه هي بالضبط المدَّة التي جرى فيها الإعداد للـ"روليت الروسي".

"فانيا":

- ربما كان يخشى أن يقرأ أحد ويكتشف أنهم ينوون الانتحار.

"ديانا":

- نعم، هذا ما نعتقده. (وقفة) ما حدث في تلك الأيام لا يزال مبهمًا قليلًا بالنسبة إلينا.. (وقفة) نحن نعلم أن في يوم الأربعاء، الموافق الثالث من سبتمبر، زار "زاك" "ماريا جواو" و"لوكاس" في وقت الغداء تقريبًا. نعتقد أنه دعاهما إلى "الروليت الروسي" في ذلك الوقت. (وقفة) كما أخبرتنا "أماليا"،

كانا غريبين بعد المحادثة مباشرة.. وغادرت "ماريا جواو" دون أن تتكلم. وقضى "لوكاس" الليلة على الكمبيوتر حتى الفجر.. أليس كذلك؟

"أماليا":

- هذا صحيح.

"ديانا":

- ليس لدينا شيء عن يوم الخميس، الرابع من سبتمبر.. (وقفة) اليوم الذي يبدو أوضح لنا هو يوم الجمعة الخامس من سبتمبر. (وقفة) التقى جميع المشاركين تقريبًا في لعبة "الروليت الروسي" "زاك" في ذلك اليوم، في أوقات مختلفة. باستثناء "فاليريا"، التي لم تُدعَ بعد.. (حفيف الأوراق) رآه "أليساندرو" قرابة الساعة الحادية عشرة صباحًا. وألغى "زاك" حسابه المصرفي وسحب جميع الأموال في الساعة الثالثة. (وقفة) إذًا، كان الشيك الذي أخذه الشرطي، دون رصيد. (سرقة الأوراق) نعلم أيضًا أن "دانيلو" كان مع "زاك" مدة ساعتين تقريبًا بين الساعة الخامسة إلى الثامنة مساءً.. (وقفة) ربما كان ذلك عندما اتصل به "زاك" لإجراء بروفة للفرقة يوم الأحد الموافق السابع من سبتمبر. (حفيف الأوراق) عشية الروليت الروسي كما كتب "أليساندرو". (وقفة) في ذلك اليوم، أقيم قداس "فاسكونسيلوس" في اليوم السابع من وفاته، ثم ذهب "زاك" إلى الشاطئ للاستحمام في البحر ويؤكد أن الجميع سيحضرون في اليوم التالي.. (وقفة) ثم يغادر و...

"ريبيكا":

- وأنه سيدعو ابنتي إلى لعبة "الروليت الروسي"!

"ديانا":

- هذا صحيح. (وقفة) وقرر دعوة "فاليريا".

"ريبيكا":

- إنها لا تستحق ذلك! (تنهدات) كانت.. كانت ضعيفة للغاية!

"روزا":

- ألا ترين ما فعله هذا الفتى؟ (وقفة) لقد استغل الناس المضطربين عاطفيًّا الذين أحبوه.. وخدعهم! أقنع الجميع أن الحل هو الانتحار! (وقفة) هذا ما فعله مع "أوتو"، و"فاليريا"، و"دانيلو" والآخرين.. (بصوت مرتفع) وهذا الوغد، ابن العاهرة، الذي لا يزال على قيد الحياة! (وقفة) لقد قتل أولادنا، وخطط للعبة "الروليت الروسي" ويسمحون له بالبقاء على قيد الحياة.

“ديانا”:

- لقد كنت أتابع علاجه من كثب.. (وقفة) يعيش “زاك” حالة اضطراب في الوعي، يا “روزا”.

“روزا” (بصوت مرتفع):

- تبًّا لحياته!

“ديانا”:

- إنه لا يستطيع الكلام، لا يحرِّك أي جزء من جسده أسفل رقبته ولا يُدرك تمامًا أي شيء. (وقفة) هل تريدين عقابًا أكثر من ذلك؟

“روزا”:

- يستحق “زاك” الموت! نعم! الموت! (وقفة) لا تخدعينا أيتها الشرطية؟ (وقفة) لقد تركت له العائلة أموالًا كثيرة، يمكنني أن أتخيل المستشفى الفاخر الذي يوجد بها “زاك”! بالتأكيد يعيش حياة الملوك.. ملوك! (بكاء) بلا شك، حياة أفضل من حياتي بعد أن عذَّب وقتل “أوتو”!

(صرير الكراسي)

“روزا”:

- وما زلتم ترفضون الإفصاح عن اسم المستشفى الذي يرقد فيه! إنه لأمر سخيف!

“ديانا”:

- لأسباب أمنية، يا “روزا”. سيضعنا هذا في جحيم، إذا عرفت الصحافة.

“روزا”:

- أين هو يا سيادة الشرطية؟

“ديانا”:

- لن أقول.

“روزا” (بصراخ):

- أين يوجد ابن العاهرة هذا؟

“ديانا”:

- اهدئي يا “روزا”.. لم ننتهِ من الاجتماع بعد.. علينا أن نقيِّم الاحتمالات و...

“روزا”:

- أين هو؟ قولي الآن! الآن!

(صرير الكراسي)

“ديانا”:

- لا.. (كحة) يا إلهي، ما هذا؟

(صراخ) (صرير الكراسي) (خطوات)

“روزا”:

- أعطني مسدسك وإلا سأطلق النار! هيا!

“ديانا”:

- أنا.. لست مسلحةً! (خطوات) لا فائدة من التفتيش. أنا لست مسلحة، يا “روزا”.. ماذا تفعلين؟

“روزا”:

- أخبريني باسم المستشفى يا سيادة الشرطية! (صراخ) الآن!

“ديانا”:

- كفي عن هذا الهراء، يا “روزا”! واخفضي هذا المسدس.. من فضلك.

“روزا”:

- أعرف ما أفعله! أعرف جيدًا! (وقفة) ألا تريد سيادتك تفسيرًا؟ ألا تريدين تبريرًا لكل هذا؟ (وقفة) إن “زاك” هو الجواب! هذا الوغد قتل أولادنا.. أنا متأكدة أنه قتل والديه أيضًا حتى لا يغيِّر وصيته! (وقفة) وعندما اكتشف أنهم اشتبهوا به، ابتكر لعبة “الروليت الروسي” هذه للهروب! (صراخ) أنا متأكدة من أنه هو المذنب! “زاك” هو من خطط هذا القرف! عذَّب ابني! لقد قتلهم جميعًا، واحدًا تلو الآخر! (وقفة) كان وحده المسؤول عن وضع الرصاصات في المسدس، لأنه كان يختار الترتيب الذي سيقتل فيه أبناءنا! (وقفة) خطط كل شيء! كل شيء! والآن يدَّعي أنه مصاب بمرض عقلي هربًا من العدالة.

“ديانا”:

- لا.

“روزا”:

- حسنًا، يمكنه الهروب من العدالة، ولكن ليس مني! (بصوت يلهث) ليس مني.. سأقتل ابن العاهرة هذا.. وأنزع رموشه، رمشًا رمشًا! وأقطِّع أصابعه، إصبعًا إصبعًا!

"ديانا":

- "زاك" لا يدَّعي ولا يتظاهر بأي شيء يا "روزا".. إنه حقًّا...

"روزا":

- لا يهم! (وقفة) هل سمعتِ؟ لا يهم! (وقفة) أريد أن أعرف أين هو.. ولا تفكري في الكذب.

"ديانا":

- لا أستطيع!

"روزا":

- سوف أعد إلى العشرة! إلى العشرة، أيتها الشرطية.

"ديانا":

- توقفي يا "روزا"! ضعي هذا المسدس بعيدًا ودعينا نواصل.

(صرخات) (خطوات مضطربة)

"روزا":

- واحد! اثنان! ثلاثة!

"ديانا":

- لا يا "روزا".

"روزا":

- أربعة، خمسة.. (وقفة) هيا، إن ما أطلبه هو مجرد عنوان.

"ديانا":

- توقفي عن هذا الجنون يا "روزا"! أنتِ في مبنى رئاسة الشرطة المدنية في ريو دي جانيرو! من المستحيل أن تغادري دون أن تُعتقلي! أوقفي هذا!

"روزا":

- ستة! (وقفة) أنا أعد! فقط أخبريني العنوان!

“ديانا” (بصوت يائس):

- لا.

“روزا”:

- سبعة! ثمانية!

“أوليفيا”:

- تبًّا، أخبريها حالًا!

(صراخ)

“روزا”:

- تسعة!

“ديانا”:

“روزا”، من فضلك لا.

(صراخ)

“روزا”:

- عشرة!

“ديانا”:

- لا تقتليني! (تنهدات) من فضلك، لا...

“روزا”:

- لقد قررت أن تموتي لإنقاذ ابن العاهرة “زاك”.

“ديانا”:

- لا.

“روزا”:

- إنه اختياركِ يا سيادة الشرطية. (وقفة) تشرفت بلقائك.

“ديانا”:

- مستشفى “الأم تيريزا”! (بصوت عالٍ) مستشفى “الأم تيريزا”، حسنًا؟

“روزا”:

- وماذا عنها؟

"ديانا":

- مستشفى "الأم تيريزا" للطب النفسي.. 22 شارع "أريستيد كامارجو".. (بصوت عالٍ) هذا جنون! يا "روزا".. (خطوات) "روزا"، لا تفعلي شيئًا غبيًّا!

"روزا":

- تعالي معي!

"ديانا":

- ماذا.. (صرير الكراسي وصراخ) تبًّا! اتركي شعري!

"روزا":

- إذا صرختِ، سأطلق النار! (صراخ وخطوات مضطربة) إذا حاول أحد أن يوقفني.. (خطوات) (صرير الكراسي) "أماليا":

- يا إلهي! يا إلهي!

"ديبورا":

- أنا...

(صرير الباب)

"روزا":

- أما بالنسبة إليكنَّ، اتبعنني!

"فانيا":

- نحن لا...

"روزا" (صراخ):

- لا تجادلي، تبًّا! أطيعيني فقط!

(خطوات)

"روزا":

- اتركوا مسافة بيننا.. واتبعنني بعد ذلك.. (صرير الكراسي والخطوات) لا تفكرن في اقتراف أية سخافة! (بكاء) هيا بنا!

(بكاء)

(خطوات)

(صمت - سبع دقائق)

(طلقات بعيدة)

(صراخ على بعد)

(صمت مدة أحد عشر دقيقة)

(خطوات)

(صرير الباب)

(خطوات تقترب)

(تنهدات)

(صوت المسجل عند الانتهاء)

(نهاية التسجيل)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

40

في 10/10/2009

المرسل: “ديبورا بارينتوني دي كارفاليو”

المرسل إليه: “مارسيلو أولوا صا”

“ابني..

كيف حالك؟ لقد كنت قلقة للغاية! لم أعرف عنك شيئًا أبدًا! آمل ألا تكون قد غيرت عنوانك. افتقدتك أنا وجدتك، متى ستأتي لزيارتنا؟ في يوم ما، أخبرها شخص في دار الرعاية أنك قد مُت في السابع من سبتمبر العام الماضي، كانت هناك أخبار كثيرة عن “الروليت الروسي”! وكانت يائسة بالطبع. وتبكي باستمرار. اضطررت أن أخبرها بالحقيقة. كانت أقوى مني. كنت بحاجة إلى البوح لشخص ما بكل شيء، هل تعلم؟ لم أستطع أن أكتم هذا بداخلي أكثر.

قلت لها أنك حي. وأخبرتها أنك بخير وتعيش سعيدًا في مكان آمن. فكانت أكثر هدوءًا. لقد عانيتُ كثيرًا يا ولدي بعيدًا عنك، دون أن أراك لأكثر من عام! هذا مؤلم جدًّا لأي أم.. ما زلت أحلم بالكوابيس التي تحدثت عنها في الرسالة الأخيرة.

بالأمس، كما قرأتَ في الصحف، كان هناك اجتماع مع الأمهات كلهن في مبنى رئاسة الشرطة المدنية. كنت خائفة جدًّا أن يكونوا اكتشفوا الحقيقة! إنها حقًّا معجزة أن كل شيء تم على ما يرام! كانت الضابطة المسؤولة تُدعى: “ديانا جيمارايش” وهي ذكية جدًّا، وكنتُ خائفةً منها. ومن حين لآخر، كانت تنظر لي نظرة مريبة وعميقة، كما لو أنها أدركت أنني كنت أكذب! لكن لا، لم تكن تعرف أي شيء، أنا متأكدة. لقد حدثت الأشياء بالضبط كما تخيلتَ أنت.

كانت تقرأ الدفتر الذي عثروا عليه في قبو “منزل سيريل” بجانب الجثث. بالطبع تظاهرتُ بالدهشة وصدقني الجميع. في البداية، لم تخبر أحد بالغرض الحقيقي للاجتماع. أدركتُ أنه كان تقييم لنا، ومحاولة لمعرفة من كانت تتستر على المجرم. ولكنني اتبّعتُ ما فعلته الأخريات. بكيتُ كثيرًا، اعترضت على الاجتماع. في لحظة، بينما كنت أتحدث كثيرًا عن ذلك المتسول، خطر ببالي لمدة ثانية، عملية تبديل سجلات فك الأسنان التي أعطيتها للشرطة. وفي النهاية، أديتُ دوري بنجاح.

كنتُ حقًّا يائسة عندما كانت تقرأ فصل عن وفاة “ماريا جواو”. أنت لم تخبرني شيئًا عن ذلك! لم أكن مستعدة، لقد كنَّ على بعد خطوة لاكتشافنا! كيف

عرفتْ "ماريا جواو" كل ذلك؟ أنت لم تحكِ لأحد، هل حكيت؟ ماذا فعلتَ لها حتى لا تديننا؟ وأخيرًا، لماذا كان عليك تدوين ذلك في الدفتر؟ كنت تعلم أنهم سيستجوبوننا، كنت تعلم أنه عند كتابة ذلك، سنكون جميعًا مشتبه فينا، بما فيهن أنا!

لقد عرّضتني للخطر يا بني كنَّا سنخسر كل شيء! لأنني كنت أفضل صديقة لـ"ماريا كلارا"! عند نقطة معينة، تحول التركيز كله عليّ، واتهموني! أوشكن أن يكشفنني. وانتهى بي الأمر إلى الالتفاف حول الموضوع واتهمتُ الأمهات الأخريات. واقترحتُ احتمالات جديدة وهربتُ من المشكلة. لكنها مع ذلك كانت لا تزال تمثل خطرًا كبيرًا! عندما قرأت الضابطة الفصل الذي يُطلق فيه "زاك" النار عليك. كنت خائفةً جدًّا! بالرغم من أنني أعرف كل شيء، في الواقع تخيلتُ أنك مُت! كان شيء مرعب أن أضطر لسماع ذلك وهو يُحكى!

كيف استطعت أن تخدع الجميع؟ لم تخبرني في خطاباتك القصيرة منذ هروبك كيف جعلت "فاليريا" تكتب هذا الفصل وتقول إنك ميت؟ هناك الكثير من الأسئلة! أريد أن أفهم أشياء كثيرة! من المحتمل أن تنشر الصحف كيفية انتهاء الاجتماع: ""روزا" تحمل سلاحًا"، لا شك أن هذا الموضوع لا يزال يشغل الرأي العام لمدة أسابيع. كانت غاضبة جدًّا، وصرختْ كثيرًا، كانت تريد قتل "زاك". بالطبع كنت عصبية، ولكنني أيضًا شعرتُ بالارتياح.. لأن هذا يعني أنني كنت خارج إطار الشبهات. وانتهت الشرطية بالإعلان عن اسم المستشفى الذي يرقد فيه "زاك". حاولت "روزا" الخروج وهي تمسك بالضابطة كرهينة إلا أنها لم تنجح. طلبتْ منها الشرطة تسليم نفسها إلا أنها لم تتوقف. رأيتُ كل شيء، رأيتُ رجال الشرطة وهم يُطلقون النيران، وقد سقطت ميتة هي والضابطة برصاص الشرطة. لقد شاهدتُ كل شيء.

تستطيع أن تتخيل كيف تحول المكان إلى فوضى، انتهزتُ الفرصة وذهبتُ إلى قاعة الاجتماعات وأخذتُ كتابك والمذكرات والمسجل، أنت قلت لي إنني يمكنني أخذ كل هذا بشكل قانوني في وقتٍ لاحق، لكن بما أن المكان قد سادته الضجة والارتباك، قرّرتُ الاستفادة من الموقف. لا تقلق: أنا واثقة أنه لم يلاحظني أحد.

لا تنس أبدًا، أنني فعلتُ ذلك من أجلك. لكنني في الحقيقة نادمة على ما فعلناه. أعلم أنك سعيد ومستعد لتحقيق حلمك ونشر كتابك. لكن لا يزال الثمن باهظًا. أن تعيش وتشاهد من مقصورة كل المصائب التي فعلناها.. هل كان ذلك يستحق يا بني؟

إن قتل أي شخص ليس سهلًا. عندما وضعت السم في القهوة لجدك لم أندم، بالرغم من أنني أدركتُ أنك شاهدتني. إنه شيء بشع أن أقول هذا، لكنه لم

يكن إنسانًا، كان وحشًا، وكان يعامل جدتك معاملة سيئة ويضربنا جميعًا. عندما شاهدته وهو يضربك في ذلك اليوم أدركتُ أن هذا الوضع لا يمكن أن يستمر هكذا. وأنه يجب أن يموت. كان يستحق الموت. وأنت تعلم هذا. وعندما طلبت مني أن أساعدك في قتل "ماريا كلارا" و"جيتوليو" كنت في الواقع حائرة، فإنهم كانوا أصدقاءنا. كان "زاك" صديقك المفضل! إنهم لم يستحقوا ذلك! لكنك كنت على يقين مما تفعله وأنا ساعدتك لأنني أحبك يا بني! وأنت لم تخبر الشرطة بما فعلته لجدك حتى لو لم أساعدك، فأنت لا تملك الشجاعة لفعل ذلك مع أمك، أم تملك؟ لا يمكن أن تتخيل كم كان صعبًا أن أقاوم. كنتُ سأفقد عقلي مثل جدتك.

ذات يوم، رأيتُ وجه "ماريا كلارا" وكانت تشير لي من الجانب الآخر للشارع وهي تبتسم بطريقتها الساذجة والمضحكة.. أحلم بهما كل يوم. كل يوم! يأتيان لزيارتي وأحيانًا يتحدثان إليَّ وكأنهما يريدان استفزازي. كان يجب أن أموت في أثناء إجراء تلك العملية الجراحية! ما كان يجب أن أكون على قيد الحياة لرؤية كل هذه المصائب بسببي أيضًا. نجوت كي أدفع ثمن جميع خطاياي.

في يوم من الأيام، عندما أصبح عجوزًا وأموت، ربما أكون قد تطهرتُ بالفعل من ذنوبي. ربما أستحق أن يُغفَر لي. ربما أستطيع أن أسامح نفسي.

أعتقد أنني أطلتُ عليك. ما زال اسمك "مارسيلو"، أليس كذلك؟ ألن تعود إلى "أليساندرو" مرة أخرى؟ عندما تنشر كتابك، ألا تخشى أن يُحقَّقَ معك وينتهي بك الأمر في السجن؟ أرجوك أن تكتب لي في أقرب وقت ممكن، وأن تحدد مكانًا حتى أتمكن من مقابلتك، اتفقنا؟

من أمك التي تحبك

"ديبورا".

ملحوظة:

مرفق بالرسالة، الدفتر والمذكرات والمسجل. آمل أن يصلك كل شيء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

41

في 22/10/2009

المرسل: "مارسيلو أولوا صا"

المرسل إليه: "ديبورا بارينتوني دي كارفاليو"

"أمي،

أنا بخير. أعلم أنني كنت مختفيًا في الأشهر القليلة الماضية، دون إرسال أية رسائل، ولكن الحقيقة هي أنني كنت مشغولًا للغاية في ترتيب أموري، وهذا لم يكن سهلًا.

كيف حال جدتي؟ في زيارتك القادمة، قولي لها إنني أفتقدها، كما أفتقدك أيضًا بالطبع. اطمئنّي سأحدد موعدًا لألقاكِ في أقرب وقت ممكن. لكنني لست متأكدًا في الوقت الحالي. فالقضية لا تزال حديثة للغاية، وبالرغم من مرور عام، يجب أن نكون حذرين، خاصةً الآن بعد انتهاء الاجتماع بإهدار الدم، لا يمكنني المجازفة.

لا تلومي نفسك على ما فعلناه، كفي يا أمي، لأنها كانت فكرتي وليست فكرتك وأنا لست نادمًا. وكانت مساعدتك لي عملًا جيدًا، لكنني أنا المذنب ولستِ أنت.

كنت قد قرأتُ أن الرجال العظماء هم فقط القادرون على تقديم تضحيات كبيرة. ولطالما حلمتُ أن أكون رجلًا عظيمًا يا أمي. وفي ذلك اليوم، عندما تلقيتُ رسالة من دار النشر برفض كتابي كما لو كان بعض الفضلات، أدركتُ أنه إذا استمررت هكذا، فلن أتمكن من نشره أبدًا. كنت في حاجة إلى ابتكار وفعل شيء غير متوقع وجريء. ولهذا، كان عليَّ تقديم تضحية كبيرة.

لطالما أعجبت بالطريقة التي تجذب بها المآسي القراء. مثل هؤلاء الشباب الانتحاريين من الولايات المتحدة، الذين تصدروا عدة أسابيع عناوين الأخبار. وحوادث تحطم الطائرات وقتل الأطفال وفيضان تسونامي والزلازل. الإنسان بطبعه مفتون بمصائب الآخرين يا أمي. حتى إن الألمان لديهم كلمة يعبرون بها عن هذا: "Schadenfreude" بمعنى شماتة. كنت في حاجة إلى فعل شيء مؤثر ولكنه حقيقي. شيء يجذب فضول الناس في جميع أنحاء العالم. وجاءتني الفكرة كلها، كاملةً، مثل الوميض. قضيتُ ليلة بالضبط لتنفيذ الجزء الأول من الفكرة: تعطيل المكابح بسيارة "جيتوليو"، وراهنت رهانًا كبيرًا على هذا الحادث يا أمي. وربحتُ!

ولكن بعد ذلك وقع أول خطأ، وقد أخفيته عنك، حتى لا تنزعجي. كانت تلك البقرة "ماريا جواو" قد كشفتني! عندما وقع الحادث، كنت في شقة "زاك"، أتدرب مع الفرقة. وأرسلتِ إليَّ رسالة على الهاتف المحمول تقولين: "لقد انتهى الأمر. ماتا". لكن لم يكن لدي الوقت لقراءتها حقًّا، لأنه في الوقت نفسه، بدأ "زاك" يصرخ ويتشنج في أثناء التحدث مع الضابط عبر الهاتف. كان عليَّ أن أؤدي دوري، فتركتُ هاتفي المحمول على الطاولة وذهبتُ لمساعدة صديقي. لكنَّ ابنة العاهرة "جواو" رأت أنني تلقيتُ رسالة فذهبتْ للتحقق منها.. واكتشفت كل شيء في النهاية. هكذا، عرفت أنني قتلت "فاسكونسيلوس" وأنكِ ساعدتِني، لأنها قرأت رسالتك.

نعم.. كانت تلك البقرة ستجعلني أخسر كل شيء! لكنني استغللت الموقف، وجعلتها في صفي بعدما أغريتها بإعطائها بعض الملايين. كنت أستطيع الحصول على الكثير من الأموال من "زاك". لكن حلمي لم يكن رصيدًا في المصرف فحسب، بل الحصول على منزلة في عالم الأدب! هذا هو سبيلي للخلود. وكان القدر في صالحنا. جاءت فكرة "الروليت الروسي" أفضل مما توقعتُ. اقترحتها على "زاك" وتمسك بها بقوة.

بدا الأمر وكأنه هو نفسه فكر في ذلك! لم أتخيل قط أنها ستكون فعَّالة للغاية! كان من السهل إجبار "جواو" على التزام الصمت، وأن تضحي بحياة أخيها من أجل المال. أخبرتها أن الرجال العظماء هم فقط القادرون على تقديم تضحيات كبيرة. وافقتْ، وأقنعتْ "لوكاس" أيضًا بالانضمام إلينا في لعبة "الروليت الروسي". بالطبع ضمنت لها أن كليهما سيخرجان من هناك على قيد الحياة، وثريان. كادت تفقد السيطرة على نفسها عندما مات "لوكاس". لثانية، بدتْ أنها نادمة على ذلك، واعتقدتُ أنها ستقول كل شيء، لكنها قاومت من أجل المال. دائمًا من أجل المال. عندما أحرق "زاك" الاثنين وعشرين مليون دولار، فزعتْ الفتاة وأصيبت بالجنون. وعندما قتلها "زاك"، كان هذا هو أفضل شيء حدث. فقد أسكت الشخص الوحيد الذي كان بإمكانه أن يسجنني. أصبحتُ في أمان وسيطرتُ على الوضع تمامًا. وثق بي "زاك"، وأعتقد أنه كان يشعر برغبة جنسية ناحيتي أيضًا، لكن هذا لا يهم الآن. المهم هو أنه كان في صفي، وكلما وضع رصاصة في المسدس كان يختار من سيموت، ويضمن بقائي على قيد الحياة في كل جولة. وفعل ذلك من أجلي. لقد قلتُ له إنني يجب أن أبقى حتى النهاية من أجل الكتاب، لذلك سيقتل كل منا الآخر، وبالفعل صدقني.

عندما ماتت "جواو"، أصبح كل شيء أسهل بكثير. كان "زاك" على يقين أن "فاليريا" هي المذنبة. لقد لعبتُ على الجانبين، أنقذتُ حياة السمينة وفي الوقت نفسه طلبتُ منها كتابة آخر فصل لجعل موتي ذا مصداقية؛ يراه

ويكتبه شخص محايد. بعد ذلك، عندما تحدثت إلى "زاك"، أقنعته بأن "فاليريا" لن تعترف بالجريمة أبدًا بينما كنت لا أزال هناك، فقط عندما ترى أنه لم يبقَ غيرهما. لذلك أقنعت "زاك" بإطلاق النار على ذراعي. لكن المثير للضحك، أنه لم يرغب في فعل ذلك على الإطلاق! لا يمكنك أن تتخيلي مدى صعوبة ذلك! في النهاية، عندما ضغط على الزناد، سقطتُ خلف الأريكة وكان كافيًا لـ"فاليريا" أن تتوتر، وتعتقد أنني مت. بينما كنتُ مستلقيًا هناك أشعر بألم كبير في ذراعي، سمعتُ استجواب "زاك" لتلك السمينة متهمًا إياها بارتكاب الجريمة التي ارتكبتُها بنفسي! ثم أطلق النار على جبهتها. بعد وقت قصير من قتل "فاليريا"، جاء لمساعدتي، وهو قلق بشأن الرصاصة التي تلقيتها في ذراعي، قلتُ له إنني بخير. وأن جرحي سطحي، فقط ينزف قليلًا. وإنه يمكنه أن يبقى هادئًا. حينئذٍ، في أول فرصة، ضربتُه بالمطرقة على مؤخرة رقبته. وانتهى كل شيء!

أصبحتُ وحدي في القبو. فبدأت بتجهيز باقي المشهد؛ ربطت قطعة قماش حول ذراعي لإيقاف نزيف الدم، واستخدمتُ المطرقة والمفك، ومزقتُ بطون من في القبو، متظاهرًا بالبحث عن المفتاح. ثم ربطتُ الحبل بالسقف وألقيتُ الكرسي بما يشبه محاولة انتحار.

استخدمت نسخة المفتاح التي صنعتها لمغادرة القبو (فقد تركه "زاك" معي منذ يوم الجمعة) وأعدتُ حشو المسدس بالرصاص الذي أحضرتُه معي خفية. كان ذلك بعد الساعة الثانية صباحًا، ذلك الموعد الذي حددته مع المتسول. اعتقد ذلك المسكين تعيس الحظ أنه حقًّا سيجني مالًا كثيرًا بعد إحضار المخدرات اللازمة للحفلة في "منزل سيريل". كان عصبيًّا عندما رآني، بدأ يصرخ ويقول إنه جاء بالحافلة، وإنني تأخرتُ عليه. اعتذرتُ له وطلبتُ منه أن يأتي معي للداخل، وقلتُ له إن الحفلة تُقام سرًّا في قبو المنزل.

كان تعبيره المتفاجئ مضحكًا عندما رأى الجثث الممزقة. لكن لم يكن لديه الوقت لفهم ما يحدث. عندما استدار – مصدومًا - تلقى رصاصة في رأسه. وسقط خلف الأريكة تمامًا حيث كان من المفترض أن أكون راقدًا. لم أحتج إلى جره، فقد كان في طولي نفسه تقريبًا والوزن نفسه. وبالتبديل الذي أجريتِه أنتِ في سجل الأسنان الخاص بي بدلًا من سجله، أصبح ذلك الفتى البديل المثالي.

والتقطت الكبسولة الفارغة للرصاصة، حتى تجد الشرطة تسع فوارغ فقط في القبو عندما تحضر. وهكذا ألفتُ السيناريو المثالي لقصتي.

ولكن كان يجب أن أفعل خدعة أخيرة، حتى أنتِ يا أمي لم تعرفي أنني اضطررتُ إلى تفحيم الجثث حتى يتمكنوا من تعرف جثتي فقط من خلال فك

أسناني. من ناحية أخرى، كان على الشرطة أن تجد كتابي لا يزال سليمًا. كما رأيتِ يا أمي، لقد كانت معضلة كبيرة!

كان الحل هو إشعال النار في ركن واحد فقط من القبو، وحرق الأريكة وتفحيم جثث "فاليريا"، و"ماريا جواو"، و"لوكاس" والمتسول الذي حل محلي. على الجانب الآخر، تركت الكتاب بعيدًا عن النار قدر الإمكان.

كنت في حاجة إلى أن أجعلهم يصلون إلى الطابق السفلي من المنزل في الحال، قبل أن تنتشر النيران وتلتهم الكتاب. لذا اتصلتُ بالشرطة!

ذهبتُ إلى أقرب هاتف عمومي. كان رقم الضابط "موتا" مسجلًا على هاتف "زاك" المحمول، نقلته واتصلت به وأخبرته بأشياء سخيفة وغير معقولة وتركتُ القصة تطوِّر نفسها بنفسها.

كنت مختبئًا في الغابة عندما وصلا. رأيتُ الاثنين يائسين، يهربان من المنزل بعد رؤية النيران والجثث، ويتصلان بإدارة الإطفاء..

قلتِ إنكِ كنتِ خائفةً عندما قرأت الشرطية الفصل الذي كشفتْ فيه "جواو" أن القاتل ارتكب الجريمة بمساعدة والدته.

أعتذر عن عدم إخبارك. ولكن كان من الأفضل أن تكوني متفاجئة، تمامًا مثل الأمهات الأخريات. كل ذلك سيكون بمنزلة مادة ثرية لروايتي الأولى، هل تعلمين؟ كنت أعلم أنهم لن يكتشفوكِ. إنهم كانوا بعيدين عن الحقيقة مثل بعد البرازيل عن اليابان، ولن يعرفوا شيئًا أبدًا يا أمي. لقد قمتِ بعمل جيد بسرقة المواد.

لقد طبقتِ قواعد لعبة البوكر التي علمني إياها جدي الأكبر. قال إنه يمكنك أن تربح كل شيء في حالتين فقط: بـ"الورقة الرابحة" أو "الخدعة الكبرى". في "الورقة الرابحة"، أنت تراهن على كل شيء بسهولة، لأنك متأكد أن لديك الورق الأقوى. في "الخدعة الكبرى"، عليك أن تعرف اللاعبين الآخرين معرفة جيدة للتأكد من أنهم سيفرون عندما تراهن الرهان الكاذب.

كما قال أيضًا، إن "الورقة الرابحة" للرجال المحظوظين و"الخدعة الكبرى" للرجال الشجعان. هل تتذكري يا أمي؟ لم أكن أبدًا رجلًا محظوظًا، كما تعلمين. ولكنني الآن رجل شجاع. كنتُ أعرف جميع اللاعبين الآخرين معرفة جيدة، وكنت قادرًا على التنبؤ بردود أفعالهم. كنت أعلم أن كل شيء سوف يسير كما خططتُ. أتممت "الخدعة الكبرى" يا أمي. لقد أتممت "الخدعة الكبرى" وفزت في اللعبة!

اليوم هو يوم خاص بالنسبة إليَّ، أنهيت الكتاب بكل هذه المواد التي أرسلتِها إليَّ، وأعطيته لدار النشر "Companhia das Letras" هل تتذكرين أنني كنت

أقول لك دائمًا إنهم في يوم ما سينشرون لي؟ كان حلمي أن تنشر دار النشر هذه كتابي!

لا تقلقي بشأن نشر الكتاب. سيتم نشره على أنه عمل أدبي خيالي برازيلي، وأنا متأكد من أنه لن يُكلف أي شخص نفسه عناء التحقيق في أي شيء حتى إن الناشر نفسه اشترى الفكرة دون التحقق من شيء. هذا هو الكتاب الذي سيقودني إلى النجاح. الكتاب الذي سيريد الجميع قراءته لمعرفة لماذا أنهى تسعة مراهقين أغبياء حياتهم. والجواب أنا يا أمي. أنا الذي قدتهم إلى ذلك.

كل من يقرأ الكتاب سيوافق على الفكرة، وسيرى أن تلك الوفيات لم تذهب سدى. لقد كانوا يستحقون ذلك! نعم، لقد كانوا يستحقون ذلك!

يا للأسف، لا أعتقد يا أمي أنك ستناديني بـ"أليساندرو" مرة أخرى. ففي الأشهر القليلة الماضية، كرستُ حياتي حول تغيير هويتي. وأخيرًا وجدتُ هوية! الاسم الجديد الذي سأحمله حتى الموت. الاسم الذي سأوقع به كتبي وأبدأ به مهنتي في المستقبل. من الأفضل أن تستخدميه من الآن، حتى تعتادي عليه. اعتني بنفسك يا أمي، واعلمي أنني أحبك أيضًا.

أتمنى أن يعجبك الكتاب.

ألف قبلة من ابنك:

"رفاييل مونتيز"

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لينك الانضمام الى الجروب – Group Link

لينك القنـــــاة – Link

الفهرس..

المقدمة
1
2
3
4
الفصل الأول:
5
6
7
8
الفصل الثاني:
9
10
11
12
الفصل الثالث:
13
14
15
الفصل الرابع:
16
17
18
الفصل الخامس:
19
20
21
22
الفصل السادس:
23
24
25

الفصل السابع:
26
27
28
الفصل الثامن:
29
30
31
الفصل التاسع:
32
33
34
الفصل العاشر:
35
36
الفصل الحادي عشر:
37
38
39
40
41